

ذخائر الحرمين الشريفين

١

خطباء المنبر الحسيني في المدينة المنورة

و

قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليه السلام وأتباعهم

و

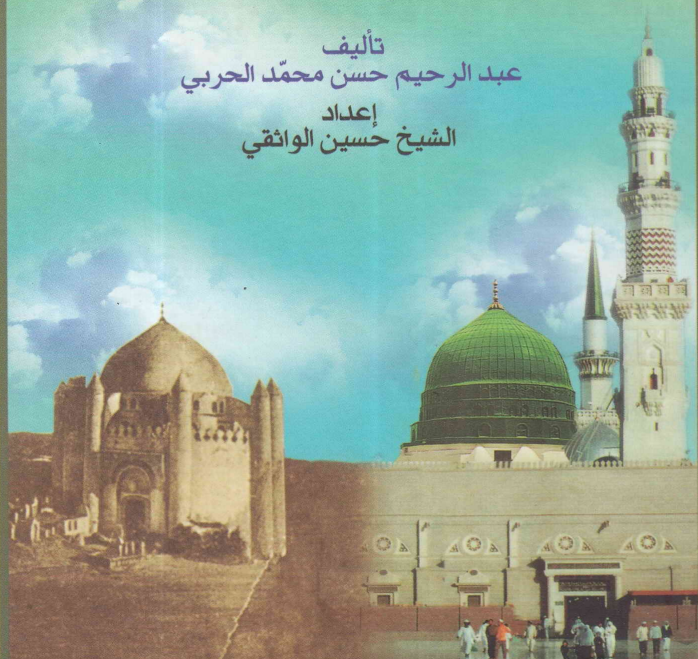
المدينة المستهدفة

تأليف

عبد الرحيم حسن محمد الحربي

إعداد

الشيخ حسين الواثقي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



خطباء المنبر الحسيني في المدينة المنورة

خلال القرنين (١٤ و ١٥هـ)

و

قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

و

المدينة المستهدفة

استعراض موجز لما تعرضت له المدينة النبوية وسكانها من قهر وإذلال

تأليف:

عبد الرحيم حسن محمد الحربي المدني

إعداد:

الشيخ حسين الوائلي

حربي، عبدالرحيم حسن، ١٩٤٤ - م.
خطباء المنبر الحسيني في المدينة المنورة خلال القرنين (١٤ و ١٥ هـ)؛ وقضاة المدينة
المنورة من آل البيت عليه السلام وأتباعهم؛ والمدينة المستهدفة. تأليف عبدالرحيم حسن محمد
الحربي المدني؛ إعداد: حسين الوائلي. - قم: نشر دانش حوزه، ١٤٣٠ ق. = ١٣٨٧.
- ٤٣٢

ISBN 978-964-8893-19-9

ل: ٣٢٥٠٠٠٠

ي بر اساس اطلاعات فييا.

کتابنامه: ص. [٤١٥] - ٤٢٢؛ همچنين به صورت زیر نویس.
١. شيعه - عربستان سعودی - مدینه - تاريخ. ٢. واعظان - عربستان سعودی - مدینه -
سرگذشتنامه. ٣. قاضيان - عربستان سعودی - مدینه - سرگذشتنامه. ٤. چهارده معصوم -
قضاوتها. ٥. مدینه - تاريخ. الف. وائلي، حسين، ١٣٣٦ - ب. عنوان. ج. عنوان: قضاة المدينة
المنورة من آل البيت عليه السلام وأتباعهم.
د. عنوان: المدينة المستهدفة.

٢٩٧ / ٥٣
[٩٥٣ / ٨]

BP ٢٣٩ / ح ٤
[DS ٢٤٨ / م ٤ ح ٤]

ذخائر الحرمين الشريفين

١

١ - فطباء المنبر الحسيني في المدينة المنورة خلال القرنين (١٤ و ١٥ هـ).

٢ - قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليه السلام وأتباعهم.

٣ - المدينة المستهدفة.

المؤلف: عبدالرحيم بن حسن الحربي المدني

إعداد: الشيخ حسين الوائلي

الناشر: نشر دانش حوزه - قم، تلفن ٧٧٤٢٨٥٠

المطبعة: اعتماد

الطبعة: الأولى ١٤٣٠ هـ

العدد: ١٠٠٠

التوزيع: بوستان كتاب قم، تلفن: ٧٧٤٣٤٢٦

مكتبة فذك، قم، تلفن ٠١٣٣٦٢٤٠

٣٢٥٠٠٠٠

السعر:

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد نبيّ الرحمة والهداية، وعلى آله المبرّزين عن الرّجس والغواية.

المدينة المنوّرة مهبط آمال المؤمنين، ومهوى أفئدة المسلمين، ومقصد الزوّار والحجّاج والمعتمرين، لأنّها مدينة نبيّهم، وفيها عاش عشر سنوات ودُفن بها، والأئمّة من أهل بيته وُلدوا وعاشوا بها، فبعضهم دفنوا فيها كفاطمة الزهراء البتول عليها السلام حيث عاشت ودُفنت فيها، وكذلك كثير من أصحابه والتابعين.

فهي - بعد مكّة المكرّمة - أهمّ مزار وأحبّ مقصد للسائحين العابدين، وفيها يعيش شيعة أهل البيت من أوّل الإسلام إلى يومنا هذا، وليس بأيدي الباحثين كثير معلومات - بل ولا قليل - من تأريخهم وحياتهم وما جرى عليهم، وهذا ممّا حدا بالأسّاذ الباحث عبد الرحيم بن حسن الحربي المدني للتأليف حول تأريخ الشيعة الكرام بالمدينة المنوّرة، فهو من أبنائها والخير بما جرى عليها وعلى ساكنيها. وقد طُبِعَ سابقاً من نتاج قلمه كتابان وهما:

١. أهل الدار والإيمان، الشيعة في المدينة المنوّرة.

٢. مستدرك ما فات أهل الدار.

والآن نقدّم لكم أيّها القراء الكرام من آثار قلمه ثلاثة كتب أُخرى:

٣. خطباء المنبر الحسيني بالمدينة المنوّرة.

٤. قضاة المدينة المنوّرة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم.

٥. المدينة المستهدفة.

ونحن ننتظر من جهوده المباركة آثاراً متتابعة في هذا المجال.
وقد وفقني الله تعالى لإعداد وطبع هذه الكتب حباً لطيبة الطيبة، وافتتاحاً
للباب ورسماً للطريق، وذكرى لوالديّ المتهجّدين المحبّين للرسول الأعظم
وأهل بيته الأكرمين، وهما: الحاج مرتضى سبزي؛ المتوفى ١٦ ذي الحجة الحرام
١٤٢٨ هـ ق = ١٠ / ١٣٨٦ هـ ش. والحاجة فرخ لقاً ملاحسيني؛ المتوفاة ١٨
محرم الحرام ١٤٢٩ هـ ق = ٧ / ١١ / ١٣٨٦ هـ ش. أسأل الله الرؤوف الرحيم أن يغفر
لهما ويحشرهما مع مواليهما المطهرين، وأن يوفقنا لطيّ المسيرة التي خطّها
النبيّ الأكرم وعبدّها آله الأطيبون.

وفي الختام أشكر الأخ العزيز أبا النور محمد البديري لصفّ الحروف،
والشيخ عليّ الكمالي والفاضلة طاهرة إسماعيلي لمعاونتهما لي في مقابلة
المطبوع مع نصّ المؤلف، كما أشكر الحجة المحقّق الشيخ رضا المختاري
لإرشاداته، وأشكر حجة الإسلام الشيخ خليل صداقتي.

وبطبع هذا الكتاب نكون قد بدأنا بنشر سلسلة

ذخائر الحرمين الشريفين

وهي حول مكّة المعظّمة والمدينة النبوية، معالهما وتأريخهما
وثقافتهما وتراثهما ورجالهما وفضائلهما، سيّما ما يتعلّق بأهل بيت النبي عليه
وعليهم السلام وأتباعهم، وهي تكون تمهيداً لـ «موسوعة الحرمين
الشريفين»، وما توفيقنا إلّا بالله، عليه توكلّنا وإليه أنبنا وإليه المصير.

وكتب

حسين الواثقي

يوم الغدير الأغر ١٤٢٩ هـ

خطباء المنبر الحسيني

في المدينة المنورة

خلال القرنين (١٤ و ١٥هـ)

تأليف:

عبد الرحيم حسن محمّد الحربي المدني

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى إمام
الخطباء وسيد البلغاء، الذي تنطق
الحكمة من جوانبه، ويتفجر العلم من
نواحيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

تمهيد

إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الخطابة الحسينية وَأَسَّسَ أساس الرثاء لواقعة الطف هو الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي عليه السلام عندما ألقى خطبته الشهيرة في مجلس ابن زياد في الكوفة، ثم في مجلس يزيد في الشام، وهو أول من استمع إلى الشعراء ودعا العلويات ليستمعن إلى إنشاد الشعراء في رثاء الإمام الحسين عليه السلام وأسدل الستار بين المنشدين وبنات الرسالة صلوات الله عليهم أجمعين، كانوا عليهم السلام يستمعون إليهم ويجازونهم بالجوائز العظيمة والعطايا الجزيلة، مثل الشاعر بشير بن جذلم.

ثمَّ السيِّدة عقيلة الطالبيين، ثمَّ أم كلثوم بإنشادها:

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعاً رجعنا لا رجال ولا بنينا

ومن الشعراء الكميث بن زيد الأسدي، والسيّد الحميري في مجلس الإمام

الصادق عليه السلام وأبو هارون المكفوف، ودعبل بن علي الخزاعي.. وغيرهم.

وحيث أن تأريخ الخطباء هو جزء من التأريخ العام المغيب عن الرأي العام

والمعنيين بتأريخ المدينة من الدارسين والباحثين. وهذا ما دعاني إلى إحداث

إسقاطات حديثة بعيدة نوعاً ما عن موضوع الكتاب، أريد بذلك أن تكون هذه الإسقاطات عمقاً لمن يأتي بعدي ويحاول إكمال حلقات هذا التاريخ، لو حالت الظروف بيني وبين إكماله، فإنه يجد من المادة العلميّة ما يعينه على إكمال المشوار، ومن الله التوفيق.

الباب الأوّل: الخطابة والخطيب ومواصفات كلّ منهما

الخطابة الحسينيّة

الخطابة لغةً

خطب الناس، وفيهم وعليهم، خطابة، وخطبة: ألقى عليهم خطبة^(١).

الخطابة في الاصطلاح

يُراد بها التأثير في المستمع بالترغيب فيما ينفع عمّا يضرّ، وتكون على ملأ من الناس في المجامع والمواسم. ويقول الدكتور الوائلي: إنّ علماء المنطق قد عرّفوها بأنّها صناعة علميّة يمكن بسببها إقناع الجمهور في أمر يتوقّع حصول التصديق به بقدر الإمكان وبنفس المضمون. ويقول أيضاً: الخطيب عند علماء اللغة هو ناقل الكلام أو حسن الخطبة، ويتوخّى من الخطابة تهيئة النفوس لقبول ما يريد إقناعهم به.

والخطابة ربما تتفوق على الشعر، ودواعي الخطابة كثيرة: كالفخر بالأحساب والأمجاد، والدعوة إلى الحرب أو السلم، والنصح، والإرشاد، والتعزية، والمواساة، ومن هذا المنطلق تأسس المنبر الحسيني.

الانطلاقة الأولى للخطابة الحسينية

كان الأئمة عليهم السلام يحرصون على إقامة مأتم حسيني كلما سنحت الفرصة لذلك، وكانوا يحثون شيعتهم على ذلك، وقد عقد الأئمة عليهم السلام مجالس للشعراء، واستمعوا لهم، وضربوا الستور والحُجب بينهم وبين النساء من بيت الرسالة ودعوهم للاستماع لمصائب آل البيت عليهم السلام وواعية الحسين عليه السلام وأجزلوا العطاء للشعراء تشجيعاً لهم على الاستمرار في النظم والنثر لمأساة كربلاء، وسائر مآسي أهل البيت عليهم السلام.

من بدايات الخطابة الحسينية كانت خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في مجلس يزيد في الشام، وأبيات زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام، وأبيات بشير بن جذلم عند قدوم الإمام زين العابدين عليه السلام إلى المدينة.

روى الجهنني عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال ... ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر من في داره بالبكاء عليه، ويقيم في داره مصيبتَه بإظهار الجزع عليه ويتلاقون بالبكاء بعضهم بعضاً في البيوت، وليعزّ بعضهم بعضاً بمصاب الحسين عليه السلام فأنا ضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله عزّ وجل جميع هذا الثواب ...

فقال له الراوي: كيف يعزّي بعضهم بعضاً؟ قال: يقولون عظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره مع وليّه الإمام المهدي من آل محمد عليه السلام فإن استطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة فافعل، فإنه يوم نحس لا تقضي فيه حاجة، وإن قضيت لم يبارك له فيها ولم ير رشداً... الخ^(١).

دخل الكميّ بن زيد الأسدي على الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام وقال له: جعلت فداك ألا أنشدك؟ قال: إنّها أيام عظام، قال: إنّها فيكم، قال: هات. وبعث أبو عبدالله إلى بعض أهله، فقرب، فأنشده فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت:

يُصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخراً أسدى له الغي أول
فرغ أبو عبدالله عليه السلام يديه فقال: اللهم اغفر للكميت ما قدّم وما أخر وما أسرّ وما أعلن، وأعطه حتّى يرضى ^(١).

وأنشد السيّد الحميري في مجلس الإمام الصادق عليه السلام فقال:

أمرر على جدث الحسين	فقل لأعظمه الزكيّة
أأعظما لازلت من	وطفاء ساكبة رويّة
وإذا مررت بقبره	فأطل به وقف المطيّة
وابك المطهر للمطهر	هـر والمطهرة النقيّة
كـبكاء مـعولة أتت	يوماً لواحد لها المنيّة

فكان الإمام الصادق عليه السلام يبكي وتنحدر دموعه على خديّه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتّى أمره بالإمساك فأمسك.

والأمثلة على ذلك كثيرة، نكتفي بهذا القدر من ذكر مراحل وأطوار الخطابة الحسينيّة كي لا نخرج عن غرض الكتاب. وبمرور الأيام وتعاقب الأزمان والاستفادة من المنجزات العلميّة أصبحت الخطابة أشبه بعلم مستقل، له قواعده وأصوله ومنهجه.

ويعلّق الدكتور الوائلي على تعريف المناطقة بقولهم «أنّها صناعة علميّة»، يقول: «إنّ إتقان الخطيب لهذه الصناعة عن طريق دراسة الوسائل المؤدّيّة لذلك هو أمر في غاية الأهميّة؛ لأنّه يعطي الخطيب قدرة على فهم وسائل الإقناع

ويضمّن له نسبة عالية من النجاح في أداء مهمّته، ويختصر الجهد على الخطيب في طريقه للمنبر الناجح..»^(١).

الهيكل التراثي الموروث

بهذا أسماء الدكتور الوائلي، وهو الذي رافق بدايات المنبر بالشكل والمضمون، والذي يحرّص الخطباء أشدّ الحرص على الاحتفاظ بكثير من جوانبه من حيث السكون إليها، كآليات متوارثة لها مكانها في عمق الوجدان، وضرورتها؛ لكونها جذوة لا يريد لها أن تخبو، والاحتفاظ بها سمة مميّزة تعكس مدى انشدادنا للعترة الطاهرة.

وخطوات الهيكل التراثي الموروث للمنبر التي درج عليها هيكل المجلس الحسيني الأساسي في العشرة الأولى من شهر محرّم؛ هو تسلسل مصطنع حيث يكون موضوع الخطيب:

اليوم الأوّل: عند الأغلب أو الأكثر الحديث عن هلال محرّم، وما يصاحب ذلك من تداعي المعاني، وحكايات، وما كان له من تأثير عند أئمّتنا الأطهار عليهم السلام وشيعتهم، وأسلوب احتفالهم به، وما كانوا يمارسونه من أنماط الحزن لذلك.

اليوم الثاني: يتناول الخطيب فضل البكاء على ما جرى من فواجع في واقعة الطف والثواب للباكي، والتماس الأدلة على ذلك، وما يترتب من الأجر والثواب للباكي التقليدي، أو الوفاء للباكي الواعي الذي يبكي لمجرد الانفعال لمأساة عظيمة كالحسين عليه السلام ظلّمته أمّته، ويستعمل الخطيب عادة بعض المقاطع باللّغة الدارجة والبعض الآخر بالعربيّة والمشحونة والمكهربة عاطفياً لاستدراار الدمع.

اليوم الثالث: غالباً ما يتناول خروج الحسين عليه السلام من المدينة المنورة، وما أحاط به من أجزاء تصوّر المشهد من وداع لقبر جدّه عليه السلام وقبر أمّه عليها السلام ووداع أهله وكيفية موكله وما رافق ذلك من مناظر مفعلة للوداع.

اليوم الرابع: مسير الحسين عليه السلام ومروره بالمنازل، والتقاؤه ببعض أهلها ولقاء الحرّ معه وما دار بينهما من محادثات، وما حدث من أعمال، وينتهي غالباً إلى حدّ نزول الحسين عليه السلام بكر بلاء.

اليوم الخامس: سيرة مسلم بن عقيل عليه السلام ومكانته؛ وسرّ اختيار الحسين عليه السلام له؛ ليكون رسوله إلى الكوفة إلى مصرعه، ومصرع ناصر هاني بن عروة، والأحداث التي ارتبطت بذلك.

اليوم السادس: تتلى سيرة شهداء الطف من أنصار الحسين عليه السلام مثل حبيب بن مظاهر الأسدي ومسلم بن عوسجة وزهير بن القين وغيرهم، ودراسة أحوالهم ومكانتهم وما أعدّ الله تعالى لهم.

اليوم السابع: للعبّاس بن علي عليه السلام وإخوانه أبناء أمّ البنين، وما له ولهم من صفات من حيث النسب والحسب، ومؤهلاته البطوليّة والإيمانيّة ومصارعهم.

اليوم الثامن: للقاسم بن الحسن عليه السلام الشهيد الصبي الذي تمتزج ذكره بما رافقها من آفاق عاطفيّة، وحلّته من نسيج امتزج فيه غبار المعركة بلون الدم، ولهيب الجراح لينزف بعد ذلك محمولاً على صدر الحسين عليه السلام إلى خيمة جمعته مع والدته بين دموع الأهل وحسرات الأمّهات.

اليوم التاسع: هو لعليّ الأكبر بن الحسين عليه السلام أوّل قتيل من الهاشميين، وحالات الحسين عليه السلام عند مصرعه، وما يرتبط بذلك من شؤون الآباء مع الأبناء،

وتشير إلى المشاهد التي تلهبها الأجواء العاطفية، ويعمقها الخيال حتى الشهادة.

اليوم العاشر: وهو مخصّص للإعداد للمعركة، وذكر ما جرى فيها من عبادة ووداع واستعداد للشهادة والحالة النفسية للعائلة، وهي تتوقّع المجزرة صباحاً وفراق أهلها وأحبّتها.

وختم ذلك كلّ أحداث صبيحة العاشر؛ التي منها قراءة ما يسمّى بـ«المقتل» حيث تستعرض كلّ ملابس واقعة الطف، والإعداد لها ابتداءً من طلب البيعة من الحسين عليه السلام ليزيد، والامتناع والمسير إلى كربلاء مروراً بمكة المكرمة، والمنازل، ونزولاً بكربلاء، واستعراضاً لكلّ الأحداث بما فيها القتال إلى أن ينتهي الأمر إلى مصرع الحسين عليه السلام.

هذا هو على الإجمال وصف للهيكल التقليدي للمجلس الحسيني عند الكثير، فقد يحصل تغيير في مادّة المجلس نوعاً وكماً، ولكن الإطار العام يبقى كما ذكرت في تحديد مناسبة الأيام^(١).

كيفية تأليف المحاضرة

من المعلوم بالبداية عند الخطباء والمهتمين بالخطابة، إنّ أحسن منهج للخطابة هو منهج الدكتور الشيخ الوائلي رحمته الله ولذا اخترت مثالي لمنهج وهيكلية المحاضرة منه؛ لأنّ أسلوبه أضحى في الخطابة هو المدرسة النموذجية، والمثل الأعلى الذي يحتذيه الخطباء، فهذا أحد الذين كتبوا عنه وترجموا لحياته، وهي أوّل دراسة تصدر عن المرحوم الوائلي هو المؤلف صادق جعفر الروازق، الذي قسّم المحاضرة إلى: مقدمة، وعرض، وخاتمة، حيث يقول:

المقدمة

المقدمة عند الوائلي رحمته الله تتسم بحالة انتقائية لظاهرة معيّنة من صميم الواقع،

أو شبهة من الشبهات التي يحاول أعداء الدين اتّخاذها ذريعة للتشويش على مسار الدين أو العقيدة، فيختار الوائلي مقدّمة تناسب الموضوع المثار حوله هذه الشبهة أو الظاهرة، وبهذه المحاولة استطاع أن يشدّ السامع ويهيّئ ذهنه لما يقول، وكلّما كانت المقدّمة قويّة كانت حالة الإصغاء قويّة، والعكس صحيح.

العرض

أوائل منهجيات الوائلي في المحاضرة الحسينيّة هي وحدة الموضوع. حيث كان رائداً بحق في هذا المجال، فالوائلي عليه السلام مهما شرّق وغرّب في محاضراته أو تعرّض لأُمور قد تبدو بعيدة عن أصل الفكرة؛ لكنّها في الواقع شيئاً مكتملاً لمستلزمات الطلب الأصلي، فبين الحين والآخر يرجع إلى صلب الموضوع بشكل واضح وملحوظ ليعيد ذهن السامع قبول أصل المطلب، وهي أشبه بمحاولة رياضيّة لا تخلو من البراعة والفنّ في توسعة مدارك السامع لقبول أوسع وأغنى المعلومات التي تحيط بأساس المطلب الأصلي.

الخاتمة

الخاتمة هي القسم الثالث من هيكلية خطبة الوائلي عليه السلام فهو ينقل السامع بحالة لاشعوريّة للدخول إلى عالم المصيبة الحسينيّة، وبدون أيّة فاصلة بين أصل الموضوع ومظلوميّة أهل البيت (عليه السلام).^(١) وقد عرض المؤلّف في كتابه نموذجاً للخطبة الوائليّة، أعرضنا عن ذكرها لعدم الإطالة.

أمّا الدكتور نفسه عليه السلام عندما تعرّض لكيفيّة تأليف المحاضرة، قال:

١ - اختيار نصّ يكون صدرّاً للموضوع وعنواناً له، تدور أجزاء الموضوع حوله، كأن يكون هذا النص آية من كتاب الله تبارك وتعالى، أو حديث نبوي

شريف، أو رواية عن أهل البيت عليهم السلام أو بيتاً من الشعر يتضمن لهذه، وهكذا.

٢ - بعد اختيار النص نتوجّه للتأمل في مفاده وجوه العام، ثمّ نجزّاه إلى مفرداته المكوّنة له، لنرى ما ترتبط به هذه المفردات من معنى يتضمّن حكماً شرعياً، أو قاعدة علميّة، أو نكتة أدبيّة، أو توجيهاً أخلاقياً، فنشير لذلك وندعم به المفردة من باب التأييد لمعناها أو التنظّر لها، أو غير ذلك.

أقول: إنّ هذا المنهج غاب عن كثير من الخطباء، ولهذا فقدت خطابتهم الوحدة العضويّة، وفقدوا قوّة وبلاغة الطرح عند الوائلي عليه السلام، فتجزّئة النص إلى مفرداته المكوّنة له تحتاج إلى دائرة معارف مثل الوائلي عليه السلام وتحليل لغوي، ثم استنباط وانتزاع الحكم الشرعي، والقاعدة العلميّة، أو النكتة الأدبيّة، أو التوجيه الأخلاقي. فكلّ هذا يحتاج إلى عالم في الفقه والتفسير والسياسة والاقتصاد والفلسفة وعلم النفس وكثير من العلوم والمعارف العصريّة. ثمّ يستطرد الدكتور قائلاً:

٣ - تستدعي هذه المضامين المشابهة لضمّها إلى المفردة، ودمجها في صلب الموضوع.

٤ - ملاحظة وجود الرابط بين مفردات هذا النص وعدم الغفلة عنه.

٥ - نختم هذا الموضوع بصورة عضويّة منسجمة مع جانب من جوانب الطف، ولعلّ هذه العمليّة الأخيرة أصعب ما في تأليف الموضوع عند البعض؛ لتباعد مضامين معظم البحوث عن الارتباط بمعنى، أو جانب من جوانب واقعة الطف^(١). أمّا الدكتور الخطيب الشيخ محمّد باقر المقدسي، فقد ذكر شروط الخطبة، أو طريقة إعدادها بشكل لا يبعد عن مضمون ما ذكره الدكتور الوائلي عليه السلام فقد قال: إنّ أجزاء الخطبة الحسينيّة تتكوّن من الخطوات التالية:

١ - الاستهلال أو الافتتاح: إنّ أكثر الخطباء الحسينيّين يفتتحون خطبهم بما

يلي: صلى الله عليك يا سيدي ويا مولاي يا أبا عبدالله.

٢ - الموضوع: هو المادّة التي يبني عليها المتكلّم أو الكاتب كلامه... ثمّ يستطرد في مواصفات المادّة أو النصّ الذي يختاره الخطيب كموضوع لمحاضراته في كيفة شرحه وكلّ ملابساته.

٣ - الربط أو التخلص أو التعريج أو الكريز: يعرفه بقوله: يقوم الخطيب في آخر الشرح بإعداد النفوس وتهئية أذهان المستمعين للانتقال بهم لقضية الحسين (عليه السلام) وحديث كربلاء بصورة فنيّة. ثمّ يستطرد المقدسي بذكر الأمثلة وتعداد النماذج لذلك وشروط هذا الرابط.

٤ - المصيبة أو التعزية: يجب الوصول إلى المصيبة بطريقة فنيّة وأسلوب رقيق، وذكر ملاحظات عن المصيبة بلغت الثمانية مع الإسهاب والتطويل والتفصيل من هذه الملاحظات^(١).

وذكر عنواناً باسم «توصيات عامّة عن الخطبة الحسينيّة، يجدر ببعض الخطباء سيّما المبتدئين الرجوع إليها والإفادة منها»، ثمّ ذكر المواصفات والمؤهلات الذاتيّة للخطيب، وهي كثيرة وقد ذكرها بتفاصيل مطوّلة يحسن للخطيب الرجوع إليها؛ لأنّ هذا الكتيب لا يتّسع لذكرها لأنّه مخصّص لتراجم خطباء المنبر الحسيني بالمدينة المنورة خلال قرنين، ولكن لا بأس بذكر عناوينها وما لا يدرك كلّ لا يترك جلّه، وهي:

١ - سلامة اللسان.

٢ - حسن البيان وطلاقة اللسان.

٣ - حسن الصوت.

٤ - حسن الصورة والمنظر.

٥ - قوّة الحافظة.

- ٦- قوّة القلب والجرأة.
- ٧- العقل والفتنة والذكاء والذوق السليم.
- ٨- سلامة وقوّة الجسم.
- ٩- موهبة الخطابة.

الباب الثاني:
الأنشطة التي يمارسها
الملاي بجانب التعزية

- ١- دعاء ختم القرآن.
- ٢- الخطوبة أو الشبكة.
- ٣- التبيضة.
- ٤- حلال المشاكل.

دعاء ختم القرآن (التختيمة)

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاللهُ أَكْبَرُ... قراءة سورة التوحيد (٣ مرّات).

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاللهُ أَكْبَرُ... قراءة سورة الفلق (مرّة واحدة).

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاللهُ أَكْبَرُ... قراءة سورة الناس (مرّة واحدة).

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاللهُ أَكْبَرُ... قراءة سورة الفاتحة (مرّة واحدة).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١). ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

﴿قراءة آية الكرسي﴾. ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي
أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ لَا نَفَرْتُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ ۝ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا
تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ

(١) سورة البقرة: الآية ١ - ٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.

قَبَلْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ^(١). و«رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٢). «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»^(٣). «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»^(٤).

الفاتحة لمن كانت القراءة لأجله

صدق الله العظيم الذي لا تراه العيون، ولا تماثله الظنون، ولا يصفه الواصفون، جعل الدنيا داراً فيها تسكنون، ثمّ منها ترحلون، ثمّ إلى ربّكم مرجعكم فينبؤكم بما كنتم تعملون.

أين الآباء والأُمّهات والبنون، أين الإخوان والأخوات والأقربون. دارت عليهم والله رجاء المنون، وتوارت عليهم السنون والشهور، ومضت أدمعهم تجري كالعيون، ولو قدروا على المقال لقالوا وأنتم تسمعون: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون.

عباد الله تفكّروا في الموت كيف فرّق ما كان منتظماً، فكم أفجع محبباً بمحبّته، وكم أباد قبلكم ملوكاً وأُمماً، وأسكنهم لحداً ضيقاً مظلماً، قد ولج الدود في جلودهم، فلن تجد لهم لهماً ولا دماً، فنسأل الله المولى العظيم لي ولكم ولكافة المؤمنين أن يرحمنا بمحمّد وآله العظماء، صلّ عليهم يا ربّ صلاة دائمة أبداً سرمداً.

أوصل اللهمّ ثواب ما قرأناه، ونور بركات ما تلوناه وهللناه من كتابك العزيز المنزل على لسان رسولك الصديق الشاهد المرسل، هديّةً منّا واصلة،

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٤ - ٢٨٦.

(٢) سورة هود: الآية ٧٣.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

ورحمة منك نازلة، وتحفة داخلية، نهديها ونقدّمها إلى روح وضريح سيّدنا ونبيّنا محمّد المصطفى ﷺ، ثمّ إلى روح وضريح سيّدنا وإمامنا ومولانا عليّ المرتضى ﷺ، ثمّ إلى روح وضريح سيّدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء ﷺ، ثمّ إلى روح وضريح سيّدنا وإمامنا ومولانا الحسن المجتبيّ ﷺ، ثمّ إلى روح وضريح سيّدنا وإمامنا ومولانا الحسين ﷺ الشهيد بكر بلاء، ثمّ إلى أرواح المعصومين من ذرية الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثمّ إلى روح أينا آدم ﷺ وأمنا حواء، وما تناسل منهما من الأنبياء والمرسلين ﷺ، ثمّ إلى أرواح أولياء الله الصالحين، ثمّ إلى روح من كانت القراءة لأجلهم، أنت أعلم بهم وبأسمائهم، واجعل اللهمّ في قبورهم الضياء والنور والفسحة الواسعة والسرور والكرامة والحبور والمسك والعنبر والكافور. وانقلهم يا الله من ضيق القبور واللحود إلى سعتك سعة الدور والقصور، إلى جنّاتك جنّات الخلود، إلى ﴿سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۝ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ وَفُرُشٍ مَّرْجُوعَةٍ ۝﴾^(١) مع اللذين أنعمت اللهمّ عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، ذلك الفضل من الله، وكفى بالله علماً.

برّد اللهمّ بالقرآن العظيم مضاجعهم، آنس به وحدتهم، نور به محالّهم، نفّس به كربهم، كنّ اللهمّ لنا ولهم جاراً بعد الجيران، ومؤنساً بعد المؤنسين، ومحبباً بعد الأحباء، وخذناً بعد الأخدان، وما أتوك اللهمّ به من عمل صالح فتقبّله اللهمّ وضاعفه لهم، وما أتوك اللهمّ به من عمل سيّئ فتجاوز اللهمّ عنّا وعنهم، جازفهم بالحساب مجازفة، ولا تناقشهم به مناقشة، كن بنا وبهم وبالمؤمنين رحيماً وخفّ اللهمّ عنهم ثقل الثرى، ولا تنسانا وتنساهم من عفوك إذا طال المدى، وانقطع من وصلنا حبل الرجاء، يا ديان يوم الدين إنّنا إليك يا ربّ طالبون،

ولفضلك متعّضون، وللخير والبركات فإنّا يا إلهنا من عندك طالبون، فإذا رفعنا
اللَّهُمَّ أيدينا وأبصارنا شخصاً نظراً إلى باب وجهك الكريم فلا تردّنا خائبين،
وشفّعنا سائلين ولو كنّا يا إلهنا مذنبين، بل نحن مذنبون.

وحرّم اللّهُم وجوهنا ووجوههم، ووجوه آبائنا وآبائهم، وأمّهاتنا وأمّهاتهم
على النار، وأدخلنا وإياهم الجنّة دار القرار، وأخرجنا اللّهُم من الدُّنيا سالمين،
وأدخلنا الجنة آمنين مطمئنّين، جاززين على الصراط المستقيم، مزوّجين على
الحدور العين، لا خزايّا ولا نادمين. نحن وإياكم ووالدينا ووالديكم وكافة
المؤمنين، واسقنا اللّهُم شربة هنيئة رويّة لا نظماً بعدها يا ربّ العالمين من حوض
سيّدنا ونبينا المصطفى الأمين، من كفّ سيّدنا وإمامنا علي بن أبي طالب أمير
المؤمنين، واجعلنا اللّهُم من أهل الدار دعواهم فيها سبحانهك اللّهُم وتحيّتهم فيها
سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

الفاطحة لمن كانت القراءة لأجله .

الفاطحة لروح صاحب الرّبعة .

الفاطحة لأرواح المؤمنين والمؤمنات مع الصلاة على محمّد وآله .

الخطوبة أو الشبكة

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى آدَمَ وَتُوحَاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ ذُرِّيَّةً
بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي
بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي
أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً
حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ
أَنْتَى لِكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ^(١).

الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحْدانيته، الحمد لله
المرهوب من سطوته المطاع في ملكوته، الحمد لله الذي حرّم السفاح وأحلّ
النكاح، وجعله سنّة من سنن نبينا محمد ﷺ فقد كان من فضل الله على العباد أن
أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال جلّ شأنه: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ
مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢). وقال
نبيّنا نبيّ الرحمة محمد ﷺ: «الزواج سنّتي، ومن رغب عن سنّتي رغب عن رغبتي عنه يوم
القيامة»^(٣).

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٢ - ٣٧.

(٢) سورة النور: الآية ٣٢.

(٣) ما وجدنا الرواية بهذا اللفظ، ولكنها من المشهورات التي وردت في مصادر متعددة وبألفاظ
مختلفة قريبة المعنى، فقد وردت في بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ٢٢٠ وأيضاً في فتح الباري: ج ٩،
ص ٩٦ ط دارالمعرفة بيروت بلفظ: النكاح سنّتي، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي.

يَا مُحَمَّدُ عُرِفَ الصَّوَابُ وَفِي أَبْيَاتِهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ
وَهُمْ حُجُجُ الْإِلَهِ عَلَى الْبَرَايَا بِهِمْ وَبِحُكْمِهِمْ لَا يَسْتَرَابُ
وَلَا سَيِّمًا أَبُو حَسَنٍ عَلِيٍّ لَهُ فِي الْحَرْبِ مَرْتَبَةُ تَهَابِ
هُوَ الْبُكَاءُ فِي الْمَحْرَابِ لَيْلًا هُوَ الضَّحَاكُ إِذَا جَدَّ الضَّرَابُ^(١)

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا فُلَانُ بِنَ فُلَانٍ أَنْتَ وَأَبْنَاؤُكَ، وَيَا فُلَانُ بِنَ فُلَانٍ أَنْتَ وَأَبْنَاؤُكَ وَمَنْ
يَلُودُ بِكُمْ، جِئْنَاكُمْ طَالِبِينَ وَلَكْرِيْمَتَكُمْ خَاطِبِينَ لِفُلَانِ بِنِ فُلَانٍ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟

يَجِيبُ الطَّرْفَ الْمَقَابِلَ بِقَوْلِهِمْ جَمِيعاً: قَبُولٌ وَتَحِيَّةٌ، وَهَنَّاكُمُ اللَّهُ بِالْعَطِيَّةِ.

ثُمَّ يَقُولُ أَهْلُ الْخَاطِبِ: دَمْتُمْ عَلَى الْعَطِيَّةِ.

(١) الأبيات من قصيدة للناشي الصغير المتوفى ٣٦٥ هـ المذكورة في الفدير: ج ٤، ص ٢٥ وفي مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب المتوفى ٥٨٨ هـ: ج ٣، ص ٣٩٨.

التبضية

من الممارسات والطقوس الدينية القديمة بالمدينة المنورة، التي تكاد تختفي، ما تسمى بـ «التبضية»؛ وسببها عندما تبدو لأحد المؤمنين حاجة ويتعسر عليه قضاؤها يتوسل إلى الله تعالى بأحد الصالحين، فيقدم ما يستطيع ولو طبخة قهوة، تلقية شاهی - بتعبير شيعة المدينة - وقليل من طيب عود الخشب مع شيء من المستكة، يوضع البخور في مجمرة ويوضع عليه قليل من النار، ويدار بالبخور على الحضور في المجلس المجاور لصاحب الحاجة، أو في «القاعة» - وهي مصطلح خاص بشيعة المدينة يرمز إلى «الحسينية» تقية - ثم يبدأ الملا في قراءة التبضية بنية إهداء ثوابها إلى أبي الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذه صيغتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

اسمعوا يألفية، الحاضر منكم والأهلية، بالذي ما يقطع لنا ولكم ذرية، ولا عصمة قوية، بجاه محمد صلى الله عليه وآله سيد البرية، والأئمة الإثنا عشرية، على المخصوص بالحيدرية، فك الحلق وأصبحت فضية، لي سادة ما تخلى العائية، محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة من ذرية الحسين عليه السلام، نورهم من نور السبع السماوات العلية، بثر زمزم المطلوبة، خديجة الهاشمية، سيدي حمزة سيد الشهداء أسد الله وأسر رسول الله، ييئض الله وجهه، شهداء أحد جميعاً ييئض الله وجوههم، أبو الفضل العباس قمر بني هاشم ساقى عطاشى كربلاء، في يوم كربلاء، في يوم الزحام، ييئض الله وجهه، أنصار الحسين جميعاً ييئض الله وجوههم. الفاتحة على هذه النية، مع الصلوات على محمد وآل محمد.

حلّال المشاكل

هي قصّة عبدالله الحطّاب

جرت العادة بأنّ جملة من الموالين يقرؤونها في كلّ ليلة جمعة يرجون من ذلك أن يحلّ الله مشاكلهم، فصاحب المشكلة يشتري بعض الحلويات، والكعك، فيقرأ الملاء القصّة مختصرة، ويطلب بهذه النية حلّ المشكلة.

والقصّة هي:

يروى أنّ رجلاً يسمّى عبدالله الحطّاب كان مؤمناً فقيراً، وكسبه في كلّ يوم أن يذهب إلى البراري وسفوح الجبال ويحتطب ما أمكنه من الحطب، ثم يأخذه إلى السوق فيبيعه بدراهم قليلة يقتات بها هو وعياله راضياً قانعاً برزقه، مع كثرة عياله الذين بلغوا سبعة أو أكثر، وكلّهم أناث وذكور قُصّر، وقد قضى أكثر حياته في هذا العمل، وكانت زوجته قد نذرت في كلّ يوم جمعة قبل طلوع الشمس أن تقف على باب البيت، وتدعو الله عزّ وجلّ أن يريها وليّاً من أوليائه حتّى تطلب منه أن يسأل الله بأن يفرّج عنهم ضيق معيشتهم.

وقد مضت مدّة أربعين جمعة؛ فبينما هي واقفة تدعو الله وتتوسّل إليه بمحمّد وآله عليه وعليهم السلام وإذا برجل ذي شبيبة، طويل القامة تراه من بعيد، فلما وصل إليها قال لها: إذا رجع عبدالله قولي له: كلّما حلّت به شدّة أن يسأل الله ويتوسّل بمحمّد ﷺ ويندب حلّال المشاكل ويكثر من قول:

نادِ عليّاً مظهر العجائب تجده عوناً لك في النوائب

كلّ همٍّ وغمٍّ سينجلي بولايتك يا عليّ يا عليّ يا عليّ

يكرّرها مراراً فإنّها تقضي حاجته. ثم غاب عن عينيها، فلما رجع عبدالله أخبرته فقال: ويحك هذا والله الخضر عليه السلام.

الباب الثالث:

الخطباء

١

إبراهيم بن أحمد حريقة

(١٣٩٦هـ -)

هو شابّ من شباب المؤمنين الملتزمين، عان من اليتم وقسوة الحياة منذ نعومة أظفاره، ولذا نشأ عصامي. وُلد بالمدينة المنورة بحَيِّ العرمانِي.

٢

إبراهيم بن عطية بن منسي بن عطية الفار

(١٣٨٥هـ -)

وُلد بقبا في ١٧ / ١ / ١٣٨٥هـ جري، ودرس بمدارسها حتّى أكمل المرحلة

٣٢ □ خطباء المنبر الحسيني بالمدينة

الإعدادية. أبوه عطية يتعاطى الخطابة، وكذلك جدّه منسي، فلعلّ الخطابة الحسينية أضحت فيهم طبعاً وميراثاً.

هو شاب يعشق أهل البيت النبوي صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، فيصعد أعواد المنبر للمشاركة، فيجتهد لتحسين مستوى عطائه المنبري، ولعلّ مشاغل الحياة والكدح على العيال يعيقانه ذلك.

٣

إبراهيم بن ناصر ملائكة

(١٣٧٩هـ -)

٤

الشيخ أحمد أبو قفارة^(١)

(ت حدود ١٣٥٠هـ)

هو معلّم صبيان، صاحب كتّاب، وخطيب حسيني. توفّي عن عمر يناهز الستين عاماً. دفن ببقيع الغرقد رحمه الله رحمة واسعة. لم يعرف له عقب، ولا أدري من أيّ القبائل هو، لأنّي نسيت ما قاله لي معاصروه.

٥

الشيخ أحمد بن حسن بن جابر الفار^(٢)

(١٣٤٨هـ -)

وُلد بالمدينة المنورة في إحدى ضواحيها في قرية السيح شمال المدينة، وفيها يقع الخندق الذي حفره رسول الله ﷺ بمشورة سلمان الفارسي رضي الله

(١) ورد اسم الشيخ في كتاب أهل الدار والإيمان: ٨٧.

(٢) ورد ذكره في كتاب التّاريخ الأمين: ٨٣، وفي كتاب أهل الدار والإيمان: ٨٩.

عنه في حربة الأحزاب .

تعلّم مبادئ القراءة والكتابة في كتاب الشيخ حامد بالمناخة، ثم انتقل إلى مدرسة العلوم الشرعيّة. أمّا ثقافته العامّة لا تختلف عن ثقافة معاصريه، وهي الاهتمام بالتاريخ الإسلامي العام، والعناية بسيرة وتراجم أهل البيت النبوي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وأما ثقافته الخاصّة، فهو يمارس الطبّ العربي، ويشغل بالفلاحة في السيح والملييح. وتلمذ في الخطابة على يد الشيخ زين بن محسن حامد رحمته الله كما أخبرني بذلك، وأنا أعرف عن الشيخ زين هو الملاً الذي يقرأ لهم في المناسبات الدينيّة التي يحيونها في مزرعتهم المسماة بـ«العليا» بمنطقة السيح، فهي معروفة ومشهورة بما يمارس فيها من أنشطة دينيّة واجتماعيّة من أيّام والدهم حسن جابر رحمته الله وما زال مجلس العليا يمارس نشاطه، وكثير من قبيلتهم الذين يقيمون بالعوالي، وقبا، أو بداخل المنطقة المركزيّة من المدينة حيّ الروضة ينقلون مناسباتهم إلى مجلس العليا.

٦

أنور بن حسن بن محمّد حسّون

(١٣٩٨هـ -)

وُلد بالمدينة المنوّرة بحيّ الروضة في ١٣٩٨/١/١ هجريّة. هو شابّ حدث السن مارس الخطابة الحسينيّة، وهو في منتصف العقد الثاني من عمره، فهو ينحدر من أسرة عرف كثير من أفرادها بالذكاء والثقافة، فعنه الكاتب والقصاص والصحفي علي حسّون، وأخوه سامي حسّون يشرف على تحرير الصفحة الأدبيّة بجريدة البلاد السعوديّة، حتّى العوام من الأسرة يتّصفون بالذكاء واللفظة والبدية، فمثلاً عمّه حمزة حسّون رحمته الله وابنه قاسم .

صوته جهوري وتبراته قويّة تشدّ السامعين وتستدعي انتباههم. يقول إنّه

تأثر بالخطيب أستاذ الجيل حسن بن عباس جادي رحمه الله.

٧

الشيخ جمعة بن حامد الشامى الحيدى^(١)

(ت حدود سنة ١٣٦٠هـ)

هو بائع خضار متواضع في سمته يأكل من كدّ يده، لا يقبل أن يكون عالة على غيره. إذا دعي لإحياء مجلس حسيني يجيب الدعوة ولو في نفس اللحظة، ومعروف أنه بالمدينة المنورة، حتّى الآن - إلاّ القليل - مكافأة الخطيب الحسيني على قراءته هي عبارة: أحسنت، رحم الله والديك.

يحكي عنه معاصروه، أنه إذا انتهى نوعاً من الطعام في بيته، وجاء الداعي يدعوه لإحياء مجلس حسيني يرفض الذهاب معه قائلاً: إنّي اشتيت اليوم هذه الطبخة فلا بدّ أن آكل منها.

وهو صاحب مجلس حسيني «دوريّة» يعقد ليلة واحدة في كلّ أسبوع، فيعمل القهوة والشاي ويفتح الباب وينتظر ساعة من الزمن، فإن جاء أحد من رواد المجالس، يتمّ المجلس على المعتاد، وإلاّ أغلق الباب، ودعا زوجته من داخل الدار واحتسبها القهوة والشاي، وقرأ مجلس تعزية، ثمّ أطفأ السراج ونام.

مكان مولده ووفاته

ولد بالمدينة المنورة بحوش المستسلم، وتوفّي فيها عن عمر يناهز التسعين عاماً، ودفن في بقيع الغرقد مجاوراً لأئمتّه أئمّة البقيع سلام الله عليهم. جاوروههم هاهنا بقبورهم وقصورهم يوم الجزى متحاذية حكي لي عديلي - أي أن زوجتي أختان - صالح بن عباس وائل قائلاً: إنّه قبل كتابة هذه القصّة بستين عاماً تقريباً، أن عمّه صالح طيلي كانت عنده مناسبة

(١) ورد ذكره في كتاب التّاريخ الأمين لبلد سيّد المرسلين: ٨٣. وفي كتاب أهل الدار والإيمان: ٨٨.

ولادة أو وفاة لأحد المعصومين عليه السلام فدعا الشيخ جمعة لقراءة تعزية بهذه المناسبة، وقد حضر الملا في وقت مبكر، وحينها كان صالح بن عباس طالباً بأحد الكتاتيب بالمدينة، ويحفظ ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم عن ظهر قلب، فأراد عمه أن يستوثق من حفظ ابن أخيه وأمره بأن يقرأ على الشيخ جمعة شيئاً من محفوظاته، فاختاراً لأول سورة الجمعة، وشرع في قراءتها والشيخ مُصغٍ له، وعند وصوله قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّى لِّلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ قال: في السوق، فضحك الشيخ وغضب الطفل من ضحك الشيخ، فأعاد القراءة قائلاً: «وذروا البيع في السوق» فأمره الشيخ بأن يحضر المصحف ويتأكد من صحة ما قرأه، ففتح الطفل المصحف ووجد أن الآية ليس فيها كلمة «في السوق» فطبق المصحف وانصرف وهو يجرّ أذيال الخجل.

٨

الخطيب حامد بن درويش بن محسن بن محمد الدرويشي

(١٣٨٨هـ -)

وُلد بالمدينة في مزرعتهم الموقوفة المسمّى بـ«المنزل». ودرس بمدارس المدينة، حتّى المرحلة الثانوية، وهو يعمل على أملاك وزارة الزراعة بفرع المدينة.

لقد حكى قصّة: خطيب مؤمن فلاح حضر أحد مجالس العزاء ليستمع، فألح عليه بعض الحضور في المجلس بالمشاركة، وكان اليوم السابع من المحرم، والقراءة على العباس بن علي عليه السلام فصعد المنبر وشرع بالقراءة، حتّى قال: ذهب العباس عليه السلام إلى الفرات وكان على المشرعة أربعة آلاف ريال، بدل أن يقول: مقاتل من جيش ابن زياد، فنبه أحد الحضور إلى أنّه أربعة آلاف مقاتل، وهو يكرّر أربعة آلاف ريال!! وبعد أن نزل من على المنبر سأله أحد الحضور عن سبب

٣٦ □ خطباء المنبر الحسيني بالمدينة

إصراره، فقال له: عليّ دين أربعة آلاف ريال للعميل وقلبي مشغول بها. فانبرى أحد الجالسين وجمعها له. هكذا حال الفلاح لا تفارقه الديون، إلاّ من شاء ربك.

٩

حبيب بن حمزة بن محمّد الهاجوج

(١٣٨٨هـ -)

وُلد بالمدينة المنورة، والهاجيج قبيلة معروفة بين قبائل النخليين، وأنها أفرزت مجموعة من النوابغ على تعاقب العصور وكرّ الدهور.

١٠

حسن بن خليفة بن حسن الدرايوشي

(١٣٨٤هـ -)

وُلد ونشأ المترجّم له في هذه المزرعة المسماة بـ«المنزل» وهي وقف من أوقاف الدراوشة^(١). وأثّه درس بالمدينة المنورة بالمدارس النظاميّة، واشتغل بالأعمال الحرّة، ثم صار يقرأ التعزية في المجالس، وعندما رأى أنّ بعض الشباب ذهبوا إلى الحوزة لدراسة العلوم الشرعيّة سرت إليه العدوى فالتحق بالحوزة العلمية في سوريا، ودرس في الحوزة الزينية، فتوسّعت فيها مداركه، وتنوّعت معارفه، ثمّ عاد إلى أرض الوطن يمارس الخطابة وفقّه الله.

والدراوشة اسم قبيلة من قبائل النخليين قليلة العدد إذا قيست بغيرها من كبرى قبائل النخليين، يسكن معظمهم في مزارعهم التي تتوسّط قربان والعوالي، تطلّ من الناحية الغربيّة على وادي بطحار، وبالقرب منها المنطقة المشهورة

(١) قبيلة من قبائل النخليين، لهم من الأوقاف مزرعة كبيرة بجوار مزرعة «المنزل» تسمى «جحاف» ذكره صاحب كتاب «عمدة الاخبار في مدينة المختار» الشيخ احمد بن عبد الحميد العباسي المتوفى في القرن العاشر الهجري.

«تراب شفاء» التي يقصدها الزوّار الهنود للأخذ من ترابها، والتي أورد السمهودي مؤرّخ المدينة أحاديث واردة، ويحدّدها بهذه المنطقة، وتقع فيه المزرعة المعروفة بـ«الماجشونيّة» وفيها أيضاً سوق بني النضير، وحسين النصف، فهي منطقة أثرية.

١١

حسن بن عبّاس بن حسين جادي الشريمي^(١)

(ت ١٤٢٤هـ)

هو صاحب الاضطلاع الواسع والثقافة العميقة لتفاصيل سيرة أهل البيت النبويّ، صلوات الله وسلامه عليهم. تتلمّ مبادئ القراءة والكتابة بمدرسة التهذيب الخيرية. ودرس بها حتّى الصفّ الثالث تحضيري، ثم بمدرسة العلوم الشرعيّة، حتّى وصل إلى شعبة الحفاظ. كان نظام التعليم بالمدارس الأهليّة بالمدينة يبدأ بالصفّ الأوّل ويسمى تأسيسي، ثم الصفّ الأوّل تحضيري، ثم الابتدائي. سألته عن سبب رغبته في الخطابة الحسينيّة؟ فأجاب: الشاء على الخطيب، والأجر من الله، وحبّ سيرة أهل البيت عليهم السلام.

لقد درس بعض أبواب الفقه عند السيّد محمّد تقي الطالقاني رحمته الله الذي كان أحد وكلاء مراجع التقليد بالمدينة المنورة، ودرس بعض أبواب النحو والصرف عند الشيخ حسن المختار الشنقيطي كدروس خصوصيّة على حسابه الخاص؛ لأنّه كان يخجل من اللحن على المنبر. الذين تأثّر بهم في الخطابة الحسينيّة، وهم: الشيخ أحمد رمل الأحسائي، وملاً داؤد الأحسائي، وملاً عطية الجمري، والشيخ أحمد عصفورة البحريني، وأستاذه المباشر في الخطابة هو: محسن محسن الأسيد. طلابه: عطية بن حامد بن حمدان، والأستاذ فهد طالب القصير، وموسى مصطفى مسلم الشريمي.

(١) ورد اسمه في كتاب التأريخ الأمين لبلد سيّد المرسلين: ٨٣. وورد ذكره في كتاب أهل الدار والإيمان: ٨٩.

وانتقل إلى رحمة الله تعالى ظهر يوم الإثنين الحادي والعشرين من شهر محرم سنة ١٤٢٤ هجرية، ودفن في بقيع الغرقد. رحمه الله رحمة واسعة.

١٢

حسن بن عتيق بن فالح أبو وقيتين المعيرفي

(ت ١٣٦٥هـ -)

وُلد بمزعتهم التي تشبه الواحة في صحراء قاحلة، فبستانهم محاط من جميع الجهات بالحرّة الشريفة للمدينة المعروفة في التأريخ بـ «حرّة بني قريظة» فالإنسان ابن بيثة، فهو متجلد كجلاميد الصخر التي درج عليها، وصارم في أفعاله وأقواله كصرامة الحرّة التي تعامل معها.

نشأ في بيت يكرم العلم والعلماء، ويدعى مجلس الإمام الحسين عليه السلام ليلة في كلّ أسبوع، وحسبك أنّ جدّه الشيخ فالح عليه السلام^(١) كان أحد علماء زمانه المشهورين بالتقوى والصلاح، واقتناء الكتاب الإسلامي، وسمعت من أحد أقارب الشيخ فالح يقول: إنّ الشيخ فالح في مرضه الذي توفي فيه أوصى بمكتبته للشيخ محمّد بن علي العمري.

يمتاز الخطيب حسن بن عتيق بقوة حفظه، وقدرة سرده.

١٣

الشيخ حسن بن علي بن محيسن بن محسن المحيسني^(٢)

(ت ١٣٧٣هـ)

إنه ليس من شرط كتابنا، ولكن لكثرة الحديث عنه والنقل والرواية عنه، وحتى كتابة هذه السطور، والحديث عنه لا يزال غصّاً طريّاً. محدّث وواعظ يتنقل في المجالس ومعه كتابه، ويظهر من كثرة حديث

(١) أنظر ترجمته في كتاب أهل الدار والإيمان: ١٢٥.

(٢) ورد اسمه في كتاب أهل الدار والإيمان: ٩٥.

معاصريه عنه ونقلهم الروايات وتأثرهم الشديد به يدلّ على ملكة التأثير عنده في سامعيه، كان يسكن في حوش الجديد الذي يطلّ على شارع درب الجنائز قريباً من المسجد النبويّ الذي أقيم في مكانه الآن مجمع المحاكم بالمدينة.

من كرامات الرجل

يروى أنّه كان يُقيم مجلساً للإمام الحسين عليه السلام مرّة في الليل من كلّ أسبوع، وكان المجلس ينعقد في فصل الصيف أمام داره في عرصة الحوش، وفي أوّل حكومة الملك عبدالعزيز، كانت الأمور لم تستتبّ بعد، وكانت الدوريات الراجلة تجوب الشوارع وتدخل الحارات والأحوشة؛ منعاً للتجمّعات التي قد ينجم عنها إخلال بالأمن.

فأشار عليه بعض الجيران بإيقاف نشاط المجلس مؤقتاً ريثما يستتبّ، وهم يعرفون موقف السلفيّين من الشعائر الشيعيّة، فغضب من ذلك، وغادر المجلس مغاضباً يتأبّط كتابه قاصداً قباء ليقيم فيها ويحدّث في مجالسها، وعندما توسّط الطريق في وادي بطحان، وكان الوقت ليلاً والظلام دامس استوقفه أعرابي على فرس، وسأله أين تريد؟ ثمّ أردف قائلاً: «عُد وأقم مجلسك، فأنتم محروسون لا ينالكم أحد بسوء»^(١).

توفّي بالمدينة المنورة عن عمرٍ يناهز المائة والثلاثين عاماً، أخبرني بذلك أحد أبنائه ويحكي أنّه بلغ من العمر عتياً، ونظره حادّ لم يستعمل النظرة، وقد تهدل حاجباه على عينيه، رحمه الله رحمة واسعة.

١٤

الأستاذ حسن بن قاسم بن منصور الشريمي

(١٣٨٧هـ -)

خريج جامعة، ويعمل مدرّساً لمادّة التاريخ والجغرافيا بمدارس المدينة

(١) سمعت بهذه الكرامة له من عشرات من معاصريه.

٤١ □ خطباء المنبر الحسيني بالمدينة

المنورة. تأثر في أسلوبه بالخطيب محمد صالح بنجي، وكثير الاستشهاد بأقواله. له شعبية عند الشباب الذين يحبون المشاركة في مواكب اللطم، فهو يشحذ عزائمهم، ويلهب عواطفهم، ويجعلهم يعيشون المأساة كمن يعانها.

تأثر بدراسته التربوية، ويعالج موضوع الخطابة في ولادة المعصوم بذكر السيرة الذاتية له، وشيء من أخلاقه، ووصاياه وحكمه، وذكر بعض ما أثر عنه من الدعاء، وما قاله في مرضه عليه السلام.

درس الرسالة العملية، وخلاصة المنطق عند الشيخ صالح جدعان، فهو الآن خطيب مجلس المرحوم الوالد حسن بن محمد الحربي بعد وفاة الخطيب محمد صالح بنجي.

١٥

خديجة بنت محمد عبيط، أمّ عباس

(ت ١٣٨٦هـ)

أمّها فاطمة عبيط، وأولادها: عبّاس، علي إبراهيم، محمد، سلمى، ومنسية.

إخوانها: علي بن محمد عبيط، عطية، عتيق، عبّاس، وعاتقة. يرجعون في أصولهم الأولى - كما سمعت من الناس - إلى الأنصار قبيلة الخزرج. تعلّمت القراءة والكتابة في أحد كتاتيب حارة النخالة. عندما فتحت عيني فتحتها عليها، وهي إحدى جاراتنا الملاصق دارها لدارنا من جهة الشرق. وعندما أخطبها أو تحدّث عنها فأقول: أمّي خديجة. لم ترضعني، ولا أحداً من إخواني وأخواتي؛ لأنّ أبناءها أكبر منّا، فأصغر أبنائها إبراهيم أكبر منّي بأكثر من عشر سنين تقريباً.

أخبرتني أمّي، رحمها الله، أنّها كثيرة الإنجاب، فكانت أمّ عبّاس تعينها

على تربيتنا، وتخفف عنها عبأ حضانتنا.

من مظاهر الطفولة

الطفل ينقش المعلومات في ذاكرته نقشاً، فكنت أراها وأرصد تصرفاتها ببراءة الطفولة - ساعة وهي تمسك «الشبشور» تصنع فيه المراوح والمعالق والمكاتل، وتارة تجلس خلف الباب ترعى غنيمات لها من الماعز، وهي تقضم البرسيم.

تربية الشاة والشاتين عادة في بيوت المدينة، ولعل ذلك جاء من استجابة للحديث النبوي الشريف: «الشاة بركة» يتغذون على ألبانها، ويطعمون الجيران ويبيعون نتاجها من الأثاث، ويولمون بذكورها إحياءاً لمناسبة دينية، وكانت تُربي الدواجن أيضاً، وذات مرة تسلطت الدواجن على إحدى السفائن ومزقتها، وقد رأيتها وسمعتها تتحرّق أسأً وأسأً على السفينة التي تمزقت، لأنّ الحصول على كتب التعزية كان صعباً.

كانت - رحمها الله - تحصل على كتب التعزية بالتعرّف على بعض الزائرات من الأحساء والبحرين، وتقدم لهنّ الهدايا مثل: الحناء، والبخور والمازح التي تضعها الحاجات على وجوههن وقت الإحرام، فكانت تصنعها بيديها. كانت تمضي الساعات الطوال من الليل والنهار، وهي تطالع في كتب التعزية، وتقرأ سيرة الأئمة عليهم السلام.

كنّا أبناء الجيران - في سنّ الطفولة - نجتمع في الدهليز عندها بدعوة منها، وكانت تسرد علينا غزوات الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مثل: غزوة بئر ذات العلم والسبعة الحصون.. بأسلوب قصصي شيق مثل أسلوب كتاب ألف ليلة وليلة.

كنّا نسكن في حوش يحتوي على ما يقارب ستين بيتاً، فإذا جاءتها امرأة بشيء من السكر والشاي واللبن والفحم، وفاء لنذر، أو تطوعاً منها لإحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام أو العباس بن عبدالمطلب، أو الحمزة سيّد الشهداء، وقفت

٤٢ □ خطباء المنبر الحسيني بالمدينة

أم عباس على باب دارها ونادت طفلتين، وأعطت كلّ واحدة منهما عصا، وأمرتهما أن يطرقا أبواب البيوت باباً باباً قائلتين (العودة، العودة) عندما تكون المناسبة ولادة، وعند الوفاة تقولان: «ألف با.. ألف با».

توفيت رحمها الله في اليوم الثاني من شهر شوال عام ١٣٩٦ هجري، ودفنت في البقيع.

١٦

رضا بن ماطر بن حبيب بن حسن حربي

(١٣٩٥هـ -)

وُلد بالعوالي في إحدى مزارعها التي كان أبوه ﷺ يفلحها.

أبوه فلّاح يعيش الكفاف تحت مستوى خطّ الفقر؛ لأنّ الفلاحة في المدينة فقدت كثيراً من مقوماتها من أوّل النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري بسبب حالة الجفاف والتصحرّ التي تجتاح مناطق العالم الثالث، ولعدم كفاءة المؤسسات الفلاحية التي لا تحمي المزارع والإنتاج المحليّ وتقدّم لها الخدمات الماديّة والفنيّة.

وأتمّ المرحلة الإعدادية، ولم يواصل الدراسة، فانخرط في السلك الموظّفي في القطاع الخاصّ، وتاريخ ميلاده: ١٣٩٥/١/٧ هجري.

١٧

زكي بن حمزة بن حسن الفلس

(١٣٩٤هـ -)

وُلد بالمدينة المنورة بمنطقة التباينات بالمزرعة المسماة «البطينية» بجوار منطقة المائدة من جهة الشرق.

من الشباب الملتزمين في سلوكهم، ودرس بالمدارس النظامية، حتى المستوى الثانوي، وفجأةً انقطع عن الدراسة، والتحق بالحوزة الزينية بسوريا، ولا يزال يواصل الدراسة الحوزوية في مراحلها الأولى؛ لأنه لم يحبس نفسه للتحصيل العلمي والتفرغ له، فهو يتردد بين المدينة وسوريا لظروف عائلية، ويمارس الخطابة، ويسعى لتطوير أدائه بما يتناسب مع عصر انفجار المعلومات.

١٨

الأستاذ زهير بن محمّد بن أحمد النخلي

(١٣٩٤هـ -)

وُلد بالمدينة المنورة بحيّ العرمانى بتاريخ ١١ / ٩ / ١٣٩٤ هجرية. تلقى تعليمه من المرحلة الابتدائية، حتى آخر المرحلة الثانوية بالمدينة، ثم انتقل إلى مدينة جدة للدراسة الجامعية، فأتّمها، واشتغل مدرّساً بالمنطقة الشمالية. يمتاز بجمال الصوت، وحسن الترجيع، يدعى دائماً لإحياء مواليد المعصومين (عليه السلام)، وأفراح الخطوبة «الشبكة». يحفظ من الشعر جيده، ويدع إلقاءه.

١٩

الشيخ زين بن محسن حامد الزير^(١)

(ت ١٣٩٠هـ)

إنّ آل محسن حامد الزير يعيشون في الأحوشة المتاخمة لسور المدينة، غير أنّهم يختلفون في لهجتهم وبعض عاداتهم عن النخليين الذين يسكنون داخل المدينة، ويبدو أن نزوحهم من إحدى قرى المدينة كان قريب عهد من عصر الشيخ زين (عليه السلام) وهو خطيب حسيني علّمه أبوه الخطابة وتأثّر بأسلوبه.

(١) ذكره صاحب التأريخ الأمين: ٨٣، وكتاب أهل الدار والإيمان: ٨٩.

وفي التسعينات كان هو خطيب المجلس الحسيني للوالد حسن حربي رحمه الله، وبالمناسبة أحب أن أذكر أسماء الخطباء الذين تعاقبوا على المجلس الحسيني الذي أسسه الوالد حسن حربي، فهم: الشيخ محمد سلمي وائل، ثم الشيخ زين محسن حامد، ثم محمد بن عبد الحميد حكري، ثم حسن بن عباس جادي، ثم منصور بن محسن حامد الزير، ثم محمد بن صالح بنجي، ثم الأستاذ حسن بن قاسم منصور، وموسى مصطفى مسلم، وحامد درويش الدريوشي.

لقد خطر على بالي: إنَّ السيّد محمد اللواساني قال - عندما نعى إليه حسن حربي -: ثلثت في الإسلام ثلثة.

فقل له: كيف؟

قال: لقد أقام مجلس الإمام الحسين عليه السلام سبعين عاماً.

وقال لي الخطيب محمد عبد المطلب حمزاوي: «إنَّ موت أبيك شغل الناس بالحديث عنه كثيراً، علماً بأنَّه كان قعيد البيت».

أقول: إنَّ قعوده في البيت لم يزد على ثلاثة أشهر فقط.

مولده ووفاته

وُلد الشيخ زين بن محسن بالمدينة بالعوالي، وتوفّي في حوش الإجيوزي سنة ١٣٩٠ هجرية بعد مرض طويل لازم فيه الفراش، كان يصرّع فيه الموت، حتّى وافاه أجله المحتوم. رحمه الله رحمة الأبرار وحشره مع محمد وآله الأطهار.

٢٠

سالم بن عبدالعزيز بن حسن الصاوي^(١)

(١٣٥٤هـ - ١٤٠٦هـ)

ولد بالمدينة المنورة في بيت علم، فأبوه رجل تقيّ ورع مضرب الأمثال

(١) ورد اسمه في كتاب أهل الدار والإيمان: ٩٤.

في الطيبة والبراءة والورع والزهد هو الشيخ عبدالعزيز الصاوي، ولزيادة المعلومات اقرأ سيرته في كتاب أهل الدار والإيمان. كان مشغولاً بذكران «بقالة» لوالده - رحمهما الله - ومبتلى بسمنة مفردة، فكان نادراً ما يحضر المجالس ويشارك في القراءة، فهو هاوي غير محترف - إن صح التعبير - بل كان خطباء المدينة غير محترفين.

٢١

سالم بن عبدالله بن سالم كاشيه^(١)

(ت حدود سنة ١٣٦٤ أو ١٣٦٧هـ)

كان ذاكن البشرة، طويل القامة، وهو أحد جيراننا، يمارس الخطابة الحسينية، مات في سن مبكر، خلف ولداً واحداً اسمه «حمزة» ﷺ رحمة واسعة.

٢٢

سعد بن محمد بن سالم الجرفي^(٢)

(١٣٤٥هـ -)

هو ممن ولد وعاش بقبا، يفلح الأرض ويحرثها، ويحصل على لقمة عيشه بكدحه وعرقه.

تربى في المزرعة التي تسمى «غريس» وهي جزء من المزرعة المسماة بـ: «الغرس» التي أوصى رسول الله ﷺ بأن يغسل من مائها بسبع قرب، وتسمى في الحديث والسيرة بـ «بئر أريس» ويمرور الزمن صحفت الكلمة وأبدلت الهمزة بالغين. وهذا الخطيب ينهج نهج قدماء الخطباء المدنيين في الإلقاء.

(١) ذكره صاحب كتاب التاريخ الأمين لمدينة سيّد المرسلين: ٨٣.

(٢) ورد اسمه في كتاب أهل الدار والإيمان: ٨٩.

٢٣

الأستاذ سعود بن جعيدان بن رشيد بن سالم الشريمي^(١)

(١٣٧١هـ -)

ولد بالمدينة المنورة في العوالي، ودرس بالمدارس النظامية، حتى حصل على شهادة دبلوم كلية المعلمين، واشتغل بالتدريس في مدارس المدينة، حتى أُحيل على المعاش. هو شاعر مقلّ ينظم الشعر في بعض المناسبات. يقيم دورية في ليلة من ليالي الأسبوع يحضرها جيرانه وأصدقائه وبعض سكان منطقة الشريبات، ومشربة أم إبراهيم.

برنامج الدورية: يبدأ بتلاوة بعض آيات القرآن الكريم، يرتله أحد الحضور ممن يحسن القراءة، ثم يلي ذلك تلاوة موعظة أو فضيلة من أحد كتب المواعظ المشهورة والأكثر تداولاً بالمدينة، مثل: *إرشاد المفيد*، أو *إرشاد القلوب* للديلمى، أو مجموعة *وَرَام* وهو تنبيه الخواطر وتنزيه النواظر...، ثم يختم المجلس بالتعزية وينصرف الحضور، والدوريات قد تكون مساءً وهو الأكثر، وقد تكون عصراً وهو الأقل. وإن كان يوم الدورية وافق مناسبة لأحد المعصومين، أو غيرهم مثل: الحمزة، أو العباس، أو أم البنين عليها السلام.. ولادة أو وفاة تسرد قصة الولادة، ويقدم في آخر الجلسة شيء من الطيب والبخور وبعض الزهور، والحلويات توزع على الحاضرين، وقد يكون وهو الأغلب وجود طعام، فتتمدّ الأسمطة ويأكل الحضور بالهنا، ثم ينصرفون في أمان الله.

٢٤

سليم بن سعيد بن جدوع المولد

(١٣٤٧هـ -)

ولد بالمدينة المنورة، وهو من موالى الأشراف الشياهيين «الشداقمة» نشأ

(١) ورد اسمه في كتاب أهل الدار والإيمان: ٩١.

وترعرع في بيت حسب ونسب. بيت حاز المجد من جميع أطرافه كانت إمرة المدينة المنورة فيهم ثمانية قرون يتعاقبون عليها، ومنهم علماء الحديث والأنساب وأيام العرب^(١).

إنه خطيب حسيني تعلّم الخطابة الحسينية ممّن ساكنهم وجاورهم من النخليين في ضاحية المدينة «قربان» بجوار مسجد الشمس، والنخليون هم حملة لواء التشيع بالمدينة كما وصفهم أحد الكتاب، والمترجم له هو الذي أدخل على خطباء المنبر الحسيني بالمدينة طريقة أهل مكة في الإنشاد والمدائح النبوية عند قدومهم إلى المدينة المنورة في الزيارة الرجبية المشهورة التي تأتي إليها الركوب على الجمال والحمير، ولهم قصائد خاصّة ومنشدون خاصّون يصطحبونهم لإحياء أفراس المولد النبوي الشريف الذي يقيمونه بالمدينة بالقرب من صاحب المناسبة الرسول الأعظم ﷺ.

وله إمام بفنون الموسيقى العربية التي وضع قواعدها واشتهر بها إبراهيم الموصلي الذي حظي بمنادمة المهدي والهادي والرشيد، وقد اعترضت على هذا اللون من التغيير والتجديد في الأسلوب والمضمون^(٢).

الزيارة الرجبية

أخبرني والدي وكثير ممّن عاصر هذه الشعيرة أنّه عند هلال شهر رجب من كلّ عام تكون المدينة في حالة استنفار، فتخرج بقضّها وقضيضها إلى منطقة «أحد» فتتصب الخيام وتقام الدكاكين، وتأتي الركوب من كلّ أطراف الجزيرة العربية، وكذا الزوّار من الأقطار العربية والإسلامية، وتمارس كلّ مظاهر الأفراح والأمرح.

الركب المكّي

كنت أحد الجماهير الغفيرة التي تتجمّع عند باب السلام لاستقبال الركب

(١) راجع كتاب أهل الدار والإيمان: ١١ و ٣٧.

(٢) أنظر ترجمة الشيخ كاظم العمري في هذا الكتاب.

المكّي، وهو قادم إلى المسجد النبوي، لزيارة الرسول ﷺ وشاهدته بالنواريّة عند قبر «ميمونة» زوج النبيّ وأهل مكّة يحتفلون بتوديعه.

يقول أحمد مرشد: في شهر رجب من كلّ عام تصل إلى المدينة بعض الركوب، ومن أشهرها الركب المكّي، ويضم الركب من ١٥ - ٣٠ شخصاً يمتطون الحمير ذات الألوان التي يقوم أصحابها بتلوينها، وفي زيّ يكاد يكون موحداً، ومن باب العنبريّة يدخل الركب المكّي على شكل صفوف في كلّ صف أربعة أو خمسة من الراكبين، يهلّلون ويكبّرون ويصلّون على النبيّ حتّى وصولهم إلى باب السلام، فيقوم أحدهم بإنشاد المدائح في النبي ﷺ وأهل بيته الكرام (١)، وبعد الزيارة والصلاة في المسجد النبوي الشريف يغادرون المدينة بعد ثلاثة أيّام من قدومهم (٢).

٢٥

الشيخ صالح حسون الشريمي

(ت ١٣٥٥هـ)

يعتبر الشيخ في عداد الوجهاء والمروقيين في مجتمعه، شغل منصب عمدة المحلّة قبل الشيخ صالح بن سالم بن درويش، وهذا الأخير خلفه على المنصب بسبب الشيخوخة. لقد شارف الثمانين من عمره، ثم مات ودفن في بقيع الغرقد. وشغل منصب شيخ لعشيرته الشرمة، وأخبرني أحد أحفاده أنّ اسم أب المترجم له في الأصل «حسن»، وحُرّف إلى حسّون للتدليل، أو التعظيم.

(١) واعتراضي على خطبائنا في تعاطيهم لهذه المدائح لقلة ورود ذكر أهل البيت ﷺ فيها، ولأنّ بعض منشديها، قد ينشدون وهم مخمورون.

(٢) كتاب طيبة وذكريات الأحيّة: ج ١ ص ١٨٦.

٢٦

الشيخ صالح بن عباس بن حمزة لولو الشريقي

(١٣٩٢هـ -)

وُلد بالمدينة المنورة، وبدأ تعليمه بها، وبعد أن بلغ العشرين من عمره توجه إلى الدراسة الحوزوية بمدينة قم المقدسة بإيران، وما يزال يواصل تحصيله العلمي، فهو طالب علم جادّ وصبور.

وبحكم أنّه ابن بيئته عرف أنّ المدينة بحاجة إلى من يتخصّص في علم الفلك والهيئة، فهو يدرس علم الفلك بجانب موادّ الدراسة الأساسية مثل: اللغة وفروعها، والفقه وأصوله، والمنطق وعلم الكلام والفلسفة.

مشايخه: السيّد منير الخبّاز، والشيخ حسن الجواهري، والشيخ حسان سويدان اللبناني، والشيخ محمّد الدرويش القطيفي، والشيخ أبو زيد اللامي، والشيخ عبد البديري.

٢٧

صالح بن عباس بن محمّد بن عطية وائل^(١)

(١٣٤٨هـ -)

يعدّ في طليعة الشباب الذين قصدوا الحوزة العلميّة للدراسة والتحصيل، غير أنّ اليتيم المبكر وقسوة الحياة حالت بينه وبين المكث للدراسة، فكرّ راجعاً إلى أرض الوطن، ومشهور بين الناس بلقب (المؤمن).

ولد بالمدينة المنورة بحوش الجديد الذي أُزيل وأقيم مكانه مبنى المحاكم الشرعيّة بالمدينة. وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة بمدرسة التهذيب^(٢). لقد حصل

(١) ورد ذكره في كتاب: أهل الدار والإيمان: ٨٩.

(٢) تأسست عام ١٣٥٤هـ وأوّل مدير لها السيّد عبدالرحمن المدني براتب عشر ريلات في الشهر.

٥٠ □ خطباء المنبر الحسيني بالمدينة

على الشهادة الأولى منها واسمها - كما أخبرني المترجم له بذلك (تذاكر تحسين الاجتهاد)، وبعد فترة من الزمن حصل على الشهادة الثانية واسمها (التفوق) وعنوانها تقدير ثم حصل على الشهادة الثالثة واسمها: (النوغ) مكتوب فيها: ممتاز ومدة دراسته بها تبدأ من سنة ١٣٥٦ حتى سنة ١٣٦١ هجرية.

ودرس في شعبة القرآن الكريم، ومن زملائه: الملا عبدالمطلوب حمزاوي ومدرّسيه في تلك الفترة: الأستاذ محمد حافظ، والأستاذ مصطفى صبري، والأستاذ محمد عكاشة، وكلهم من أصل تركي.

٢٨

الشيخ صالح بن محمد صالح بن حسين بن إبراهيم جدعان الزبيدي^(١)

(١٣٧٩ هـ -)

إنّ التشيع بقي في خليص وعسفان والبرزة إلى أول النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، فقد كانت الهجرة منه وإليه مستمرة، وآخر من عرفتهم ممن كان في هذه القرى من النخليين مثل: قاسم بخيت الزير، كما هو الحال في السوارقيه وأبو ضباع والريان، وإذا وضعنا بعين الاعتبار أنّ شبه الجزيرة العربية كانت كلّها شيعية عدا بعض المدن الكبرى.

فبعد أن زادت الضغوط على التشيع هاجر، كثير من سكّان هذه القرى إلى المدينة وانضمّوا إلى قبائل النخليين، لذا نجد كثيراً من الأسر والخمسات وبطون بعض قبائل النخليين يرجعون في أصولهم إلى قبيلة زيد، وهاجر البعض الآخر إلى العراق مثل: الشيخ عبدالحسين الأعسم، والشيخ عباس الأعسم. وآل الأعسم أسرة نجفية أنجبت عدداً من الفقهاء والشعراء، وهم فخذ من إحدى بطون حرب، والكلام لصاحب الذريعة القيّمة، ويقال لهم العسمان ونسبتهم إلى جدّهم زيد.

(١) ورد ذكره في التاريخ الأمين لمدينة سيّد المرسلين: ٨٣. وفي كتاب أهل الدار والإيمان: ٩٠.

ويقول في موضع آخر: آل الأعسم من الأسر المعروفة في النجف، نبغ فيها كثير من أهل العلم والفضل والأدب، بل من المجتهدين الأجلاء والفهاء الكبار، ولهم في تاريخ النجف العلمي والأدبي مقام سام. إلى أن قال: أصلهم من «زيد» أحد فخذ عوف الذي هو من بطون مسروح إحدى عمارات حرب، وهي إحدى قبائل مضر.

قال العلامة القزويني في كتابه «أنساب القبائل العراقية» ص ١٠٠: آل الأعسم قبيلة من زيد في الحجاز منهم طائفة في العراق ويقال لهم العسمان.. هاجر جدّهم الحاج محمد من الخليص - حصن بين مكة والمدينة، كما في معجم البلدان - للحموي - إلى النجف في أوائل القرن الحادي عشر، وتعاقب أولاده وأحفاده إلى اليوم^(١).

نقل فايز البدراني عن كتاب التعليقات والنوادر، أن يحيى بن الحسين الحسيني بالعقيق من المدينة هاجر إلى أبي الحسين يحيى الزبيدي^(٢). أقول: ولعلّ الأوّل هو الذي نقل التشيع إلى خليص، والله أعلم^(٣).

حركة التشيع في عصر المملوكي

يقول صاحب كتاب المدينة المنورة في العصر المملوكي: ففي أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجريين كانت علاقة الشيعة بالمجاورين طيبة...

(١) زيد: من مسروح، من حرب والنسبة إليهم زبيدي. قبيلة تسكن الساحل من جنوب جدة إلى ينبع، وينقسم زيد اليوم إلى: ١ - العزرة ٢ - زيد الشام ٣ - الصحاف ٤ - زيد الشيخ يقصد ابن عسم الذي كانت له إمرة حرب في زمن تقدم وهم من أحلاف شتى سُمّو (مرقعة). معجم قبائل المملكة العربية السعودية. القسم الأوّل: ٢٦٤ - ٢٦٥. هذا النقل من كتاب: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ٩: ٦٧٨.

(٢) مذكرات تاريخية عن بعض أعلام قبيلة حرب: ١٥.

(٣) روايات تذكر أن جماعة من الأنصار هاجروا إلى خليص، وروايات تذكر أن أحد أنصار الإمام المهدي (عج) يظهر من عسفان، والله أعلم.

وكان المذهب السائد المعمول به في الأحكام في المدينة في العصرين الفاطمي والأيوبي وأوائل العصر المملوكي هو المذهب الجعفري أو الإمامي الإثناعشري. ولقد كان للتطورات السياسيّة في مصر إثر إنتشار المذهب الشيعي في الحجاز، وبخاصة مدنها الرئيسيّة مثل مكة والمدينة وينبع. وبدأ المذهب الشيعي الإمامي في انتشار منذ تلك الفترة، ووصلت قوّة المذهب ذروتها بقدوم أسرة القيساني من العراق، ووضح مدى تحكّم فقهاء الإماميّة في أمور المدينة.. وقد انتشر بين الأشراف والعامة، وبخاصّة الفلاحين من أهل المدينة، وقد أخذ بالانحسار التدريجي ابتداءً من أواخر القرن السابع الهجري.. مع بقاء أتباعه ومعتقيه دون نفوذ، ويعود الضعف لدور الإدارة السياسيّة لدولة المماليك^(١).

ولد الشيخ صالح بالمدينة المنورة بحوش السعيدية في بيت علم^(٢). وهو أكاديمي يحمل شهادة جامعيّة، رحل إلى الحوزة الزينية في بلاد الشام، وواصل دراسته حتّى أكمل المقدّمات والسطوح، ثمّ عاد إلى بلاده ليتصدّى للمهامّ الشرعيّة، ووصفه لي أحد مدرّسيه من علماء المنطقة الشرقيّة: إنّهُ من الطلّاب الذين يستوعبون الدروس بسرعة عجيبة.

منهجه في الخطابة

هو خطيب مصقع تتداعى على ذهنه المعاني والأفكار والخواطر بيسر وسهولة، ويعرض أفكاره مهما بلغت من الغموض والتعقيد بأسلوب سلس، يبسّط الفكرة ويقربها للسامع بأيسر الطرق. أخبرني بأنّه متأثر في أسلوب عرض الأفكار بالشيخ محمّد جواد مغنية في مؤلّقاته.

يحاول أن تكون أمثله ونماذجه من بيئته، يبتعد قدر الإمكان عن القوالب المحنّطة، والأساليب المستوردة التي غالباً ما تكون بعيدة عن واقع الجماهير،

(١) كتاب المدينة المنورة في العصر المملوكي: ١٩٣ - ١٩٨.

(٢) أنظر ترجمة والده في كتاب أهل الدار والإيمان: ١٢٣.

فتكون عديمة الجدوى قليلة التأثير لأنها لا تلامس واقعهم، وبعيدة من الشفافية.

نشاطه الإسلامي:

يتصدى للفتية، وفضّ الخصومات التي قد تقع بين بعض الناس، وإقامة صلاة الجماعة، وتدرّس بعض الشبان والشابات، والخطابة الحسينية. وأما طموحاته وتطلّعاته: تقوده إلى نظرة مستقبلية بعيدة المدى لو وجد حوله من مريديه القادرين على ترجمة الأماني إلى واقع معاش ملموس، ولو كانت الظروف مؤاتية لكان الامتداد للسيد محمد تقي آل أحمد الطالقاني الذي له نشاطات واسعة في المدينة النبوية قبل عشرات من السنين، والآن نذكرها تخليداً لذكره:

- ١ - حلّ مشكلة ملكية الحسينية التي كان يصلّي فيها في حوش الشريف.
- ٢ - انتخب بعض الشباب واستأجر لهم دكاكين كبديل لظاهرة النساء اللاتي كنّ يبعن في السوق ما يصنعهن من جرّف النساء اليدوية في ذلك العصر مثل: المكاتل والمعائف والمراوح والمكانس.
- ٣ - حصل على موافقة ممّن تخصّصهم كتابة ملكية رحبة حوش السعيدية لإقامة حسينية عليها.
- ٤ - استحصل على موافقة مبدئية لتجديد فرش المسجد النبويّ بالسجاد الإيراني الفاخر.
- ٥ - كان هاجسه إعادة بناء قبة الحمزة عمّ الرسول ﷺ وآل البيت ﷺ.
- ٦ - انتخب عدداً من المتنوّرين، وفوّض إليهم إقامة صلاة الجماعة في قبا وقربان والعوالي.
- ٧ - وضع نواة للحوزة، فاختار طلاباً لها؛ منهم: والد المترجم له الشيخ محمد صالح جدعان، وإبراهيم بن علي لولو، ومحمد علي بن حمزة عبّاس العيساوي، ومحمد عبّاس حميدي.

٨- فَوْضَ زوجته في إقامة صلاة الجماعة بالنساء وإرشادهم.

فمقياس النجاح للقيادات هي القدرة على بناء المؤسسات المدنية التي تعود على الوطن والمواطنين بالنفع مثل: بناء المساجد والحسينيات والمجمعات السكنية الخيرية، ومكتبة عامة، ورياض الأطفال والمدارس، والمستوصفات والمستشفيات، وكفالة الأيتام والملاجي..

خطوات عملية على طريق الإصلاح

ألفنا أن نرى بعض العلماء يعطون الفقراء شيئاً من الصدقة من موارد الحقوق الشرعية التي تصلهم، والمواد الغذائية، أو يرممون لهم دورهم وما شاكل ذلك، فهذا جميل، والأجمل منه أن يجتنب المسلم التعود على ذلّ المسألة، ويدلّ على العمل الذي يمجّده الإسلام، فقد جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ يسأله، فقال له ﷺ: ماذا في بيتك من الأثاث؟ فقال الأنصاري: حلس نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه الماء، فأمره أن يأتي بهما، ووقف الرسول ﷺ في المسجد يبيعهما بالمزاد العلني ينادي: من يشتري؟ فيقول رجل: عليّ بدرهم، فيعيد الرسول الكرة من يشتره؟ من يريد؟ ثم يبيعهما بدرهمين، ويأمر الرجل أن يشتري بأحدهما طعاماً وبالأخر حبلاً وفأساً، ويأمره بأن يحتطب، وأن لا يراه إلا بعد ثلاث، وجاء الأنصاري بعد ثلاثة أيّام، حيث صار ميسور الحال.

من أعمال المترجم له، أنّه شارك بالتوقيع في البيان الذي صدر عن بعض علماء الطائفة الشيعية بالمملكة العربية السعودية الذي يدعو إلى ضرورة التزام الزائرين لمسجد الرسول ﷺ ولقبره الشريف، وقبور أهل البيت ﷺ في البقيع بتعاليم الإسلام وآداب الزيارة، بتاريخ ٨ شعبان ١٤٢٤هـ.

مدرسوه: من مدرّسيه في الحوزة: الشيخ نصر الله الناصري، والشيخ الأستاذ رضا أحمدي، والأستاذ الشيخ أبو ميثم الخفاجي، والأستاذ الشيخ محمّد الواعظي، والأستاذ الشيخ أبو زيد بنوان اللامي.

٢٩

طاهر بن الشيخ عبدالمنعم بن محمّد علي الهاجوج^(١)

(١٣٦٢هـ -)

هذا الشيخ الخطيب ينحدر من أسرة عرفت بالعلم والفضل ومكان الصدارة في حملتهم، فهو خطيب حسيني، ومن شيوخ عشيرته، وأهل الحلّ والعقد فيها، وممن يحمل هموم مجتمعه، ومن النخبة التي تقوم بدور الاتصالات، وفتح القنوات مع الجهات المسؤولة، وصناع القرار في وطننا الحبيب.

وُلد بالمدينة بعواليها، في بيت تفوح منه رائحة العلم ويتضوّع من أرجائه عقب الثقافة. وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة ثم انقطع عن الدراسة، واشتغل بالفلاحة يعين والده، ولكن العمل بالفلاحة لم يعفّه عن الإطلاع والقراءة في الثقافة المنبريّة، حتّى أضحي خطيباً له شعبيّة بلهجته المحليّة المحبوبة سيّما عند المسنّين التي تعصر الدمع من العيون، وتهيج العاطفة من الشجون.

وكان نصيبه من تركة والده - التركة الأدبيّة - نصيب الأسد، فقد ملأ أبنائه الفراغ الذي تركه رحيلهم إلى العالم الآخر، فتوزّعوا الأدوار التي كان والدهم يمثلها، فالشيخ طاهر خطيب حسيني، ووجيهاً في عشيرته يسعى في قضاء حوائجهم وحلّ مشاكلهم. فهو من مريدي السيّد محمّد لواساني وبطانته الخاصّة.

٣٠

الأستاذ طلال بن جعفر بن موسى غداف

(١٣٩٤هـ -)

ولد الأستاذ الخطيب بالمدينة المنورة بالعوالي بمنطقة تسمّى «المراجين»، من أبوين يعيشان تحت خطّ الفقر لكن طموحه وتطلّعه إلى

(١) ورد اسمه في كتاب التأريخ الأمين لبلد سيّد المرسلين : ٨٣.

٥٦ □ خطباء المنبر الحسيني بالمدينة

المستقبل دعاه إلى مواصلة التعليم. فهو جامعي يحمل شهادة الليسانس في اللغة العربية، ويعمل مدرّساً بمدارس المدينة المنورة، بجانب ثقافته في السيرة النبوية وسيرة أهل البيت النبوي صلوات الله وسلامه عليهم.

وله تجربة رائدة في مجال كتابة القصّة القصيرة والمسرحيّة، وشارك في مسابقات التأليف للعلوم الإبداعية بجامعة الملك عبدالعزيز، وفازت مسرحيته بجائزة الجامعة.

يؤلف المسرحيات والتمثيلات لبعض مدارس المدينة التي يعمل فيها. له أسلوبه المميّز والمستقلّ عن التأثّر بالخطباء، بمعنى أنّه لا يمثل نسخة مكرّرة من فلان أو فلان من الخطباء.. ومثله زميله الأستاذ علي جدعان، فهو شاعر مجيد ينتمي إلى مدرسة نزار قبّاني، ويكتب القصّة القصيرة، وقد شاركت جامعة الملك عبدالعزيز بإحدى قصصه في مسابقة القصّة على مستوى الخليج.

٣١

عابد بن عبدالله بن عيد حربي

(١٣٥١هـ -)

نسبه: عابد بن عبدالله بن عيد بن عواد بن حسن بن صالح بن صويلح بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن رشيد بن شفيع بن جماز بن زهير بن سليمان بن عيسى موتم الأشبال ابن الحسن عضارة بن أحمد بن عبدالله حربي بن محمّد المعمر بن عبدالله الأزرق بن الحسين بن يحيى أبو البركات ابن الحسين قاضي المدينة ابن حمزة أبوعمارة ابن الحسين بن مالك بن داوود بن القاسم المهنا ابن عبيدالله بن طاهر بن يحيى النسابة بن الحسين بن جعفر بن عبدالله بن الحسين الأصغر ابن يحيى بن زيد الشهيد ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد بالمدينة المنورة بحوش الصعيدية، ويسمى بحوش البئر، عام ١٣٥١ هجرية، خاله الشيخ حسين بن عتيق العمري النسابة شيخ قبيلة الدواويد^(١). ودرس كما يقول في كتاب الشيخ أبو عزة^(٢). ثم انتقل إلى مدرسة التهذيب، وكتاب الشيخ حامد بالعنبرية، فالعلوم الشرعية، فكان يشغب في كل مكان يدرس فيه، والقول له، ثم يغادره إلى آخر. والظاهر أن سهولة التنقل ترجع لقلّة الطلاب. فهو يؤمّ جماعة المصلّين في مجلس عبدالرحيم بن عقيل رجاء عند غياب الشيخ عبدالهادي يوسف، ويحدّث الناس ويعظّمهم ويقرأ التعزية في مجالس ودوريات الحي الذي يسكن فيه، مثل مجلس حسن بن محمّد موسى، ومجلس موسى غداف، وعبدالكريم كابوس، ومجلس عبدالله بن حسين فحل. وفق الله الجميع لعمل الخير.

٣٢

عبّاس بن بنية بن سالم الجويدي^(٣)

(١٣٠١هـ - حدود ١٣٩٠هـ)

وُلد بالمدينة المنورة في أحد أحوشة النخلين المتاخمة لسور المدينة في سنة ١٣٠١ هجري. كان مربوع القامة، مكتزّ الجسم، ليس بالنحيل ولا البدين،

(١) ممّن تعاقبوا على مشيخة قبيلة الدواويد قبل الشيخ حسين عتيق منهم بشكل تصاعدي: إبراهيم عود، حمزة رشيد، عواد حربي، علي مريح، بادي مريح، الشيخ مريح.

(٢) يقصد الشيخ عبدالعزيز الصاوي، إقرأ ترجمته في كتاب: أهل الدار والإيمان، هذه شهرته، والكتاب يعني كتاب الحاج ميرزا بن علي بن حسن بمساعدة الحاج داوود ناصر الخوجة ورد ذكره في أكثر من موقع من الكتاب تأسّس عام ١٣٥٧ هجري وبدأ التعليم فيه عام ١٣٦٤ هجري، ومن الكتابين التي كانت موجودة في أواخر عهد الأتراك هي: كتاب أبو رضا رجل كيف البصر، وكتاب الشيخة مليحانة، وكتاب الشيخ منسي حريرة بحوش الأغا، وكتاب الشيخ سليمان شلش بحوش الفقيه.

(٣) ورد ذكره في كتاب التأريخ الأمين لبلد سيّد المرسلين: ٨٣. كما ورد ذكره في كتاب أهل الدار والإيمان: ٨٩.

يرتدي مشلحاً أصفر اللون، وثياباً بيضاء ناصعة، تراه دائماً مكتحل العينين، يحرض على أداء مناسك الحج، والعمرة في شهر رجب، وزيارة الأربعين. لا يترأس الحملات إلى الأماكن المقدسة، لكنه يسعى جاهداً إلى الإعلان عنها وتحريض المؤمنين على أدائها.

يحبّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأول رؤيتي له كانت عام ١٣٧١هـ في ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك أتى إلى مجلسنا، وكان الفصل صيفاً والمجلس أمام باب الدار، واقف على حافة المجلس وهو منعقد، فقد يصل عدد الحضور إلى الثمانين، أو أكثر، كلهم شيوخ ومعمّرون، وأخذ يخاطبهم بلهجة حادة يحذّره وينذرهم من عواقب الذهاب إلى المسجد النبويّ بعد العصر، والخروج منه قبيل الغروب؛ لأنّ هذا يحدث حساسيّات مذهبيّة.

ويقيم مجلساً حسينياً في ليلة من كلّ أسبوع، وبعد سنين كثيرة شاخ المجلس وانقطع رواده، أو تقلّص عددهم، فعزّ عليه ذلك، فأغلق بابه يجتر الحسرة والندم. وذات ليلة جاءه منبه في الليل وقال له - كما حكى ذلك بنفسه -: أعد فتح الدورية ولو لم يأتك أحد، فالزهراء والحسين عليهما السلام يحضران مجلسك، فعاد إلى الدورية، إلى أن توفي رحمه الله، وقد أوصى أبناءه بذلك. هذه القصة سمعته منه ومن أولاده.

ثقافته الخاصّة والعامة

ليس له حظّ من الثقافة الخاصّة والعامة ما يعتدّ به، إلّا إيمانه البريء، وما يحفظه من التعزية الحسينيّة، فزاده قليل، ولعلّ إيمانه كثير، إذا تأخر المלא عن المجلس وقيل له: اقرأ يا عمّ عبّاس قال: «أنا تمرّة خرج» وهذا مثل شعبي يقال عندما يفتقد المطلوب ويلجأ إلى الموجود.

لا أعرف له أحداً من المشايخ غير أنّه كثير الحضور إلى المجالس وملازمة أهل الفضل والمعرفة من معاصريه.

٣٣

عبّاس بن علي إبراهيم بغيل^(١) (ت ١٣٩٥هـ)

هو أبو يوسف الخطيب المصقع، أبيض اللون، طويل القامة، بدين الجسم، كثير الدعابة، يخاطب الكبير والصغير بقوله (ياسيدي).

ينوّع أدائه في النعي مرّة بلحن مدنيّ، وتارة بلحن أحسائيّ، ومرّة ثالثة بالبحريني، ورابعة بالعراقي، صوته جميل، وأداؤه شجيّ مؤثّر في الجماهير، إذا قرأ على العبّاس بن علي عليه السلام أو الطفل الرضيع عليه السلام سيّما إذا حمل طفلاً بين يديه، فإنّ الجماهير تبدو للمتأمل، وكأنّهم يعيشون أحداث الطف بمشاهدها الحيّة ينفعلون بها ويتفاعلون معها، فهذا يشجّ رأسه بقلة الماء الفخاريّة، والآخربيد الهاوند، وثالث يدمي صدره من شدّة اللطم، والناس يتساقطون هنا وهناك من الإعياء والإغماء.

تتلّمذ على يد الشيخ جمعة بن حامد الشريمي، وتعلّم من المترجم له وتأثّر به رجيل، أو جيل من الخطباء الذين عاصروه، منهم صهره لابنته الخطيب محمّد بنجي، والخطيب حسن بن عبّاس جادي، وعبدالمطلوب حمزاوي، ومحمّد بن عبد الحميد حكري.

وأما انتفاضة عام ١٣٧٤ هجريّة وتداعياتها أثّرت عليه نفسياً، وكانت النتيجة أن بدأ يضعف جسمه وينحل، حتّى أصيب بجلطة دماغية، بقي طريح الفراش لسنوات طويلة، ثم بدأ يتماثّل للشفاء التدريجي الجزئي، وكان يخرج عند باب داره بعد العصر ليستنشق الهواء، وكان طريقي للحرم النبوي من ذلك المكان، فأنعطف عليه مسلماً، فكان يطلب منّي أن أقرأ في أذنه آيات من القرآن. وفي أوّل عام ١٣٩٥هـ انهارت صحّته، وصار يصارع الموت حتّى وافاه أجله المحتوم في آخر العام - رحمه الله رحمة واسعة -، وشيّع محمولاً على

(١) ورد ذكره في كتاب التاريخ الأمين لبلد سيّد المرسلين: ٨٣. وفي كتاب «أهل الدار والإيمان»: ٨٩.

٦٠ □ خطباء المنبر الحسيني بالمدينة

الأكثاف في موكب وقور محفوف بالتهليل والدعاء، دُفن ببيقاع الغرقد عن عمر بلغ الخامسة والستين كلّها عطاء.

٣٤

عبد الجواد بن عبدالله بن علي البغيل
(١٣٩٠هـ -)

وُلد بمدينة جدّة.

٣٥

عبد الحميد بن إبراهيم بن شحاد أبو عمير
(١٣٩٣هـ -)

وُلد بالمدينة المنورة. وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة بمدارسها حتّى آخر المرحلة الإعداديّة. ثمّ ذهب إلى الدراسة الحوزويّة بالحوزة الزينيّة بسوريا لمدة أربع سنوات فقط، وهو الآن بالمدينة يمارس الخطابة الحسينيّة في مجالسها. نتمنى له التوفيق والتقدّم.

٣٦

عبد الحميد بن عطية بن عبد الحميد الجويد
(١٣٩٢هـ -)

هو أحد الشباب الملتزم، والذي يعمل على تحسين أدائه وفقه الله. ولد بالمدينة المنورة في ١٩ / ٤ / ١٣٩٢ هجرية.

٣٧

الشيخ عبد الرحيم بن عقيل بن حسن الجرفي
(١٣٩١هـ -)

الجرفيّة هي إحدى قبائل النخليّين يقطنون قربان، وبجوار قلعة قبا بجوار

مسجد الجمعة ومسجد بنات النجار، وهو المكان الذي استقبل فيه النبي ﷺ عندما قدم المدينة بالنشيد المشهور:

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	مادعاً الله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع
جئت شرفاً للمدينة	مرحباً يا خير داع

وتسمى هذه المنطقة بثنية الوداع، وهي مثار جدل بين المؤرخين، والصحيح أن بالمدينة ثنيتي وداع، هذه إحداهما، والأخرى في باب الشامي عند جبل سلع. بدأت دراسته بالمدارس النظامية بالمدينة، حتى إذا ما وصل المرحلة الثانوية، وبدأت إرهابات الصحة الإسلامية التي عمت أرجاء الوطن العربي الإسلامي، فتحرّكت فيه المشاعر الدينية، وتحوّلت توجّهاته واهتماماته إلى طلب العلوم الشرعية، فرحل إلى الحوزة وحطّ رحالها في رحابها، فوجد في نفسه القدرة على ممارسة الخطابة الحسينية، فهو خطيب تشتم من حديثه رائحة الثقافة، والاستقلال في الأسلوب والطرح والمعالجة لما يطرح.

مشايخه: فضيلة الشيخ رضاني، والشيخ عبدالله الحمامي، والشيخ غالب الكعبي.

وأما الخطباء الذين تأثّر بهم: آية الله الشيخ عبدالله الجوادي الآملي. والسيد منير الخبّاز، ويعجب كثيراً - كما يقول - بعميد المنبر الحسيني الدكتور أحمد الوائلي.

٣٨

عبدالله بن حسين بن عبدالرحيم الزويلعي أو الزيلعي^(١)

(١٣٤٥هـ - ١٣٤٦هـ)

لقد تعلّم مبادئ القراءة والكتابة على يد والده الشيخ حسين بن

(١) الزويلعي: هكذا ينطقها العامة بزيادة «واو».

عبدالرحيم، حيث كان لوالده^(١) كتاب في العالية، درس فيه كثير من الصبيان، وتعلّموا فيه مبادئ القراءة والكتابة.

يمتّ بنسبه إلى السيّد علي بن محمّد بن إبراهيم المجاهد العقيلي^(٢) وللعلم بسبب دخولهم في النخليّين أنظر كتاب أهل «الدار والإيمان».

العالية ضاحية من ضواحي المدينة المنوّرة قرية زراعيّة خصبة التربة، وكانت غزيرة المياه، تمتاز بكثافة النخيل وبعض المحاصيل الزراعيّة كالعنب والتين والرمّان، وقد جاء في بعض التفاسير، إنّ التين الذي أقسم به الله هي المدينة، سمّيت بالتين لكثرة زراعته فيها، ومياهاها أقلّ عذوبة من مياه قبا.

وفي هذا العصر زحف العمران عليها واتصلت بالمدينة؛ لانصراف أهلها عن الزراعة، ولعدم الجدوة الاقتصادية منها بسبب الجفاف والتصحرّ، الذي يشمل كثيراً من بلاد العالم، وهي تقع في جنوب المدينة - مركز التشيع - ويجاورهم فيها بنوعلي القبيلة المشهورة في التأريخ بالشجاعة وبعض الأشراف الحسينيين.

والمرجّم هاديء الطبع، عليه وقار الشيوخ، ملتزماً التزاماً شديداً بالعادات والتقاليد التي تربّى عليها في مجتمع الجيل الذي عاش معه، وهم يختلفون عن الأجيال المعاصرة في بعض الالتزامات الإسلاميّة والعرفيّة، فعلى سبيل المثال: إذا دخل المجلس صافح الحضور جميعهم، يجلس في المجلس معتدلاً لا يتكّى، ولا يمدّ رجله، ولا يصافح أحداً من جلوس وإن كان المصافح له طفلاً، وُصُولاً لرحمته، متفقداً لجيرانه، مواسياً للضعيف.. فهو وكثير من في سنّه يمثّلون المجتمع المدني الذي يعيش في نسيج منسجم ومتكافل.

نهجه الخطابي

وهو يمثّل النهج المدني القديم الذي لم يفتح على المجتمعات الأخر، ومنهجه في الخطابة منهج الشيخ الطريحي في كتابه «المنتخب» والسيّد محسن

(١) ورد ذكره في كتاب «أهل الدار والإيمان»: ٨٩، وأيضاً اسم والده.

(٢) أنظر كتاب: العقيليون في المخلاف السليماني ونهامة.

الأمين، ونعيه على الطريقة المديّنة القديمة، فهو لم يتأثر - كغيره من الخطباء - بخطباء الأحساء والبحرين والعراق.

٣٩

عبدالله بن حسين فحل

(١٣٥٤هـ -)

كان والده حسين فحل رحمه الله من قدامى أصحاب المجلس، ولا يزال المترجم محافظاً على استمرار المجلس، وهو رجل طيّب القلب، هاديء الطبع، لم يقرأ التعزية في مجلسهم إلا إذا حضر مجلساً، ولم يأت الخطيب فيقرأ، وقّعه الله. وُلد في حوش الأجاوزه يقول: سنة الحبّ المصري^(١).

٤٠

عبدالله بن علي بن إبراهيم بغيل^(٢)

(ت ١٤٠٥هـ)

خطيب حسيني شقيق للخطيب الكبير في عصره عباس بغيل، وهذا الأخير

(١) كثير من جماعتنا وغيرهم الذين يؤرّخون ولاداتهم بالأحداث التي وقعت مقارنة مثل: سيل مهروم الذي دخل المسجد النبوي، ولاية فخري باشا على المدينة، أو قبلها حرب أوزون على شيعة المدينة، أو حصار الشريف، أو حكم الأشراف، أو دخول السعودي المدينة، أو ثورة القلعة، أو انتفاضة الكرامة عام ١٣٧٤ هجري للخليّين، أو الحبّ المصري وقصّته: إنّ السلطان سليم هو أوّل من رتب صدقة الحبّ لأهل الحرمين ففي سنة ٩٢٤ هجري وصل من السويس إلى جدة سفن تحمل سبعة آلاف أردب من القمح، جهّزها خاير بك نائب السلطان بمصر، منها ألفي أردب لأهل المدينة، والخمسة الباقية لأهل مكة، وأخذ سلاطين آل عثمان يزيّدون هذه الصدقات كلّما تولّى سلطان جديد، حتّى وصلت إلى اثنتي عشرة ألف أردب لمكة، وثمانية آلاف لأهل المدينة كتاب «أعلام الحجاز» لمحمّد علي مغربي، الجزء الرابع: ٢٠٤. وفي الخمسينيّات والستينيّات وقعت مجاعة وأزمة حادّة في المدينة، وكانت هذه الصدقة قد انقطعت، ثم استأنف صرفها في هذه الفترة، حتّى أنّ الناس كانوا يتطلّعون إلى هذا ويدعون بعبارة جرت مجرى الأمثال. فالإنسان عند الضائقة الماليّة يقول: «أردب حبّ والحمالة عليك يا رب».

(٢) ورد ذكره في كتاب التأريخ الأمين لبلد سيّد المرسلين: ٨٣. وورد ذكره في كتاب أهل الدار

أكبر سناً من المترجم له. يختلف عن أخيه في أسلوبه ومنهجه وتأثيره على جمهور المستمعين، تأثر بأحداث عام ألف وثلاثمائة وأربعة وسبعين، وتداعياتها من حصار داخل حارتنا، ومنع ممارسة الأعمال والحرف، وهدم البيوت، واعتقال، وجلد لبعض الشباب، وتغريب لأربعة من الشيوخ في جزيرة فرسان في البحر الأحمر، فدعاه ذلك إلى الهجرة إلى مدينة جدة يعاني من اضطرابات نفسية خفيفة لم تمنعه من ممارسة الخطابة بجدة حتى آخر عمره، فملاً فراغاً كان يعاني منه النازحون المقيمون بجدة على أثر أحداث أربعة وسبعين للهجرة.

وافاه أجله المحتوم في عام ١٤٠٥ من الهجرة النبوية الشريفة عن عمر يناهز السبعين عاماً، ونقل جثمانه إلى المدينة ودُفن ببقيع الغرقد - ﷺ رحمة واسعة.

٤١

الشيخ عبدالمطلوب الحمزاوي الوتيشي^(١)

(١٣٥١هـ -)

درس بمدرسة التهذيب الخيرية وتعلّم فيها مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ بعض الأجزاء من القرآن الكريم، ومن زملائه بالمدرسة محمد بن عبدالحميد حكري، وصالح بن عباس وائل، ثم ترك المدرسة سنة ١٣٦١ هجرية، والتحق بكتاب الحاج ميرزا علي حسن الهندي، بمساعدة الحاج داود ناصر الخوجة ساكن مدينة بومبي يدرس وفقاً للمذهب الجعفري.

وترك الدراسة ليشغل ويتكسّب؛ لأنّ والده كُفّ بصره، وقعد عن العمل والتكسّب، فاشتغل بتجارة العقار. وتعلّم الخطابة بارتياح المجالس الحسينية والإصغاء إلى الخطباء، كان أبوه يصحبه معه إلى مجلس حسن نحاس^(٢) في زقاق الطيّار الذي كان قريباً من حوش السيّد الذي ولد فيه المترجم له، فهو يقع غرب

(١) ورد ذكره في كتاب التاريخ الأمين لبلد سيّد المرسلين: ٨٣، وكتاب أهل الدار والإيمان: ٨٩.

(٢) النحاحيس بطن من الجراجرة من جهنم من قبيلة حرب، كان لهم دور في تقوية التشيع بأموالهم بعد أن أضعفته الضغوط. تنقل هذا الرواية عن الأديب: عبدالرحمن بن حسن رفة، وقد ادّعى قبله ابن فرحون أن القيشائين عملوا على تقوية التشيع بعد أن ضعف في العهد المملوكي.

المسجد النبوي بجوار مصلى العيد للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.
 وكان أحد الوجهاء في الطائفة يحمل همومها ويسعى لتغيير الواقع
 المتخلف، وشغل منصب شيخ عشيرته الوتشة. وكلّ أبنائه خطباء، ومنهم من
 يدرس بالحوزة العلميّة.

٤٢

الأستاذ عبدالمطلوب بن الشيخ عبدالمنعّم بن الشيخ محمّد بن علي الهاجوج
 (١٣٧٤هـ -)

هو مثقّف أكاديمي حاصل على شهادة الليسانس في اللغة العربيّة وآدابها.
 نشأ في بيت علم وثقافة، فارتضع من ألبان الفقه، وتغذّى من مائدة الأدب، فهو
 يمسك بأطراف المجد، يحتزم بالعلم وينعم بالثقافة.

وهو خطيب مصقع له صوت جهوري، وأسلوب سلس، وعبارة سليمة من
 اللحن، يقرض الشعر العمودي في المناسبات الإسلاميّة.

ف وفاة والده تركت فراغاً في منطقة العوالي، لكن أبنائه كانوا خير خلف
 لخير سلف، فقد ملأوا الفراغ الذي خلّفه الشيخ وراءه، وقد اقتسموا التركة بينهم،
 فكان نصيب المترجم له الصفات الخُلقيّة والخُلقيّة والخطابة، وللشيخ طاهر:
 العلاقات الاجتماعيّة والخطابة، ولصالح الخطابة والقيام بمهامّ حملات الحجّ
 والعمرة والزيارّة.

ولد بالمدينة المنورة بالعوالي، وتأثّر في الخطابة بأبيه وأخيه الأكبر.

٤٣

الشيخ عبدالمنعّم بن الشيخ محمّد بن علي الهاجوج^(١)
 (ت ١٤٠٠هـ)

نشأ في بيت علم وفقه، فأبوه عالم من زملاء السيّد محسن الأمين العاملي -

(١) أنظر ترجمة والده في كتاب «أهل الدار والإيمان»: ١٠٨.

رحمهما الله - وعمّه الشيخ صالح الهاجوج أيضاً عالم فقيه .
والذي أخبرني أنّه كان يرى الشيخ عبدالمنعم في حكم الأشراف يصعد المنبر بثلاثة مراقي في حوش الشريف في مجلس لناشي والد أحمد ناشي الفار، وتحت المنبر جمع غفير من كلّ الطبقات والمذاهب الإسلاميّة، وبعد القراءة ينزل من على المنبر ويقود موكب العزاء، حتّى البقيع أمام قبة أهل البيت (عليه السلام) وهي كانت مشادة قبل الهدم الثاني لها.

وكان من المزارعين الناشطين، وله مشاركات في كثير من مجالات حلّ النزاعات التي تنشب عادة بين الملاك والمزارعين، فدخل في انتخابات هيئة الزراعة منافساً للشيخ محمّد سلمي، وكانت الانتخابات برعاية الشيخ عبدالحميد عباس^(١) وفي مزرعته، ولم تكن نزيفة؛ لأنّها سبقت بحملة دعائيّة ضد الشيخ محمّد سلمي لصلابة مواقفه بجانب الحق.

والحقيقة المرّة هي أنّ الانتخابات تجري في مسارها، ومحاولة إلغاء الهيئة تجري أيضاً في مسار معاكس، كلّ ذلك لإلغاء دور النخليين، وإقصائهم من ممارسة حقّهم الطبيعي والوطني، وتهميش وجودهم كمواطنين أصحاب استحقاقات وطنيّة.

وأخيراً فاز الشيخ عبدالمنعم بالعضويّة التي منحت للنخليين بموجب إرادة ملكيّة سنّيّة كما يسمّيها من عاصرناهم.

وفي هذه الأثناء صدر أمر بإلغاء الهيئة، واستبدالها بإدارة تابعة لوزارة الزراعة يتمّ تعيين العاملين فيها من قبل ديوان الخدمة المدنيّة، وهذا تراجع خطير عن الديمقراطية التي أرسى قواعدها جلاله المغفور له الملك عبدالعزيز. وبقدرة قادر أُحيل عمل الشيخ إلى الجمعيّة الزراعيّة، وكان دوره - للأسف - دور مأمور مشتريات.

توفّي المترجم له عام ١٤٠٠ هجرية عن عمر يناهز الثمانية والثمانين بمرض القلب.

(١) أنظر ترجمته في كتاب طبية وذكريات الأئمة.

٤٤

الشيخ عتيق السعدي الفار^(١)

(ت ١٣٦٥هـ)

كان يمارس الخطابة الحسينية، ولم يكن ذائع الصيت بين معاصريه، مات عن عمر يناهز الثمانين عاماً. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وحشره مع محمد وآل محمد، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

٤٥

عطية بن حامد بن حمدان الفار^(٢)

(١٣٦٦هـ -)

وُلد بالمدينة المنورة، ودرس بالمدارس النظامية، حتّى الصفّ الرابع ابتدائي، ثمّ ترك الدراسة، واشتغل بالعمل الحرّ. كان يتردّد على السيّد محمد لواساني، وأخبرني أنّه درس عنده مادّة الفقه في حلقة كان يحضرها بعض الشباب مثل: صالح منصور الفار، وحسن محمد موسى بيه، وأحمد زين محسن حامد، وكانت مدّة الدراسة سنتين فقط. ودرس الخطابة، أو وجهه التوجيه السليم في الخطابة الخطيب الكبير حسن ابن عباس جادي. وله إلمام جيّد بسير وتراجم ومناقب أهل البيت النبوي صلوات الله وسلامه عليهم. صوته واضح، وأداؤه طيّب مع الالتزام بالوحدة العضوية للموضوع الذي يطرحه.

٤٦

علي بن أحمد بن عباس المعيرفي^(٣)

(١٣٧١هـ -)

هو يضرب بجذور نسبه إلى الدوحة الهاشمية، فهو حسيني

(١) ورد ذكره في كتاب: أهل الدار والإيمان : ٨٨.

(٢) ورد اسمه في كتاب أهل الدار والإيمان : ٨٩.

(٣) ورد اسمه في كتاب أهل الدار والإيمان : ٨٩.

النسب والأرومة^(١).

ولد بالمدينة المنورة بقبا، ودرس بالمدارس النظامية، حتى المرحلة المتوسطة أتمها، ثم اشتغل بالوظائف الحكومية، ومارس الخطابة كهواية، بل هي نوع من العمل الصالح يتقرب إلى الله به. والذي شدّه إليها كما يقول: إنه سمع أحد الخطباء يقرأ قصيدة في رثاء القاسم بن الحسن عليه السلام أعجب بها، وصار يردّدها، وحفظها، وصار يطالع دواوين شعراء الطفّ ويقرأ عن واقعة كربلاء ومأساتها، حتى تربّت عنده ملكة الخطابة - فصار خطيباً. وقرّنه الله لما يحبّ ويرضى ونفع به وبأمثاله.

ويتّصف بالبراءة والعفوية والتسامح، ويجيب الدعوة ولو قبل بدء المجلس بساعة، ويكتفي بقول: أحسنت، ورحم الله والديك. والحقّ أنّ ظاهرة إعطاء مكافأة على القراءة الحسينية لم تكن موجودة عند ملالي المدينة، وهي الآن تنتشر ببطيء، ولعميد المنبر الحسيني الدكتور أحمد الوائلي رأي واضح في القضية، وأنا أضمّ صوتي إلى القائلين بذلك؛ لأنه يشجعه على تحسين مستواه، ويعينه على شراء المراجع، وقد يكون بعض الخطباء متفرّغاً لها، فيحتاج إلى ما ينفقه على عياله سيّما إذا لم يكن له مصدر رزق.

٤٧

عيفة بن خليفة بن جعفر أبو عيفة

(ت ١٤١٧هـ)

كان يمارس الخطابة الحسينية على نطاق محدود، بل في قريته «قربان» فقط.

توفي عن عمر ينيف على الثمانين عاماً، وكانت وفاته عام ١٤١٧هـ رحمه الله رحمة واسعة.

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار ج ٢ من القسم الثاني: ٢١٦.

٤٨

فرج بن منصور بن محسن بن حامد الزير

(١٣٧٨هـ -)

ولد بالمدينة المنورة. وهو وقور صموت، لا ينازع ولا يضارع على دنيا، أو جاه، أو مال. يميل إلى التنسك والتبتل والانتقاع إلى الله تعالى. قليل الحضور والمشاركة في المناسبات التي تقع في مجتمعنا، وهو مجتمع المناسبات التي استهلكت أكثر وقت الإنسان. وأبوه وعمّه خطيبان، فلم يكن ناشراً في محيط العائلة، ولعلّ أستاذه في الخطابة هو أبوه.

ودرس حتّى أتمّ المرحلة الثانوية، وترك الدراسة واشتغل بالوظائف الحكوميّة، ثمّ انتسب إلى الجامعة، وللظروف الحرجة التي واجهته لم يستطع إكمال الدراسة، فانقطع وهو في المستوى الثاني.

٤٩

فهد بن طالب بن عباس القصير

(١٣٦٠هـ -)

ولد بضاحية المدينة بالمنطقة المسماة «قربان» ولأهل هذه القرية حكايات يتوارثها أجيالهم جيلاً بعد جيل، فيقولون: إنّ قربان مصحفة عن كربان، فأبدلت الكاف بالقاف، وسبب التسمية أنّ جيش بني النضير أصابه كرب من جيش المسلمين، والمزرعة حاذرة مكان حجز جيش الكفّار، والجصة التي تقع بالقرب من تراب شفا يسمّوها دم الكفّار وماسكة^(١)، مسك بها بنو النضير وأمّ غلة غلّت فيها أيديهم وعلى كلّ حال ليست لهذه الأخبار مستند تأريخي، والله أعلم.

تخرّج من جامعة الرياض عام ١٣٨٥هـ واشتغل مدرّساً للعلوم الاجتماعيّة بالمنطقة الشرقيّة، ثم انتقل إلى المدينة المنورة، يعمل في سلك التعليم، حتّى

(١) إحدى مزارع ابن فارس شيخ بن علي الأسبق، وكانت قديماً مدرسة ليهود بني قريظة يعلمون فيها أبناءهم؛ والخبر في كتاب: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ للعلامة المحقّق السيّد جعفر مرتضى العاملي.

أُحيل للمعاش.

قلت: إنّه جامعي من خريجي الجامعات النخليين. أمّا ثقافته العامة، فهي كما نلاحظ عليه عند صعود للمنبر يستهلّ حديثه بآيات من القرآن الكريم. ثمّ يشرح ما تحمله هذه الآيات من مضامين، يربط بينها وبين أحداث الساحة وهموم الناس اليومية، ثم ينزل على المصيبة. يقول: إنّه تأثر بالشيخ عبّاس بغيل، وتتلذذ مباشرة على الخطيب حسن عبّاس جادي.

وقد اعتنى به على حدّ تعبيره بعض الكبار الذين سبقوه بالإيمان، مثل الشيخ محمّد علي العمري وهو صهره، وبنان أبو عيفة، وأخو عيد، وأخوه خليفة، والشيخ حسين الجرفي رحمهم الله.

٥٠

الأستاذ قاسم بن حسين بن رشيد الفار

(١٣٧٧هـ -)

وُلد بالمدينة بإحدى ضواحيها. وتعلّم بمدارس المدينة، حتّى أنهى المرحلة الثانوية، ثمّ واصل دراسته الجامعيّة، حتّى أخذ الماجستير في مادّة علميّة تسمّى بـ«الوسائل»، ويدرس بكلّية المعلمين بالمدينة. أمّا ثقافته العامّة، فهو خطيب حسيني يقرأ التعزية في مجالس الحيّ، وعند جيرانه، وأبوه كذلك يقرأ التعزية. وأعدّ أطروحة الدكتوراه في مادّة «الوسائل التعليميّة» ولم تناقش حتّى كتابة هذه السطور؛ وبالله التوفيق.

٥١

الشيخ كاظم بن الشيخ محمّد بن علي العمري^(١)

(١٣٨٣هـ -)

وُلد بالمدينة المنورة، ونشأ في بيت علم وفقه، بيت هو مقصد الزوّار وكعبة

(١) ذكره صاحب كتاب التأريخ الأمين لمدينة سيّد المرسلين : ٨١، وأيضاً راجع كتاب أهل الدار

الوفاد من كبار العلماء وجهابذة الخطباء من كل بلاد الإسلام، فقد تأثر بهذا الجو الذي يعبق بالعلم، ويرشح بالمعرفة، ويفرز الثقافة.

أمه (عزة) أخت الخطيبين الكبيرين عباس بغيل وعبدالله بغيل، لكنّه آثر الحياة والعيش، في بيت ضرّتها السيّدة العلويّة، من بيت الشخص من الأحساء، لاعتقواً لوالدته وجفاء لإخوته الأشقاء، لكنّه أدرك بحدس الطفولة البريئة أنّ بيت العلويّة الذي يرتاده السادة الفضلاء من آل الشخص، ويزوره بين الفينة والأخرى السيّد موسى الصدر، ولا ينقطع عن زيارته أبناء السيّد محسن الحكيم - قدس الله روحه -.

وكان يعطي الضيوف فنجان القهوة، ويستلهم منهم الكلمة، والفكرة، والحكمة، وهم يتحاورون، ويتحدثون في قضايا العلم والفكر، وأحداث الساعة وهموم الأُمّة الإسلاميّة، من هنا نبت في قلبه وحضرت في ذاكرته ملكة عشق العلم والشغف بالمعرفة.

ودرس بالمدينة المنوّرة، حتّى المرحلة الثانويّة، ثم تقدّم للجامعة الإسلاميّة بالمدينة بقصد الدراسة فيها، لكنّه لم يوفّق - كما أخبرني هو بذلك - ولعلّ ذلك لأسباب موضوعيّة، فحزم أمتعته، وحمل حقائبه ميّماً صوب الحوزة العلميّة بمدينة قم المقدّسة بإيران؛ لأنّ الأوضاع كانت لا تساعد على الدراسة بالعراق، ولأسباب أمنيّة بعد تأزّم العلاقة بين البلدين الشقيقين لفترة قصيرة أُسْتُدْعِيَ إلى أرض الوطن، فواصل دراسته الحوزويّة بالأحساء، وانتسب لجامعة الملك فيصل، فحصل على الشهادة الجامعيّة في اللّغة العربيّة، ثم انتقل إلى سورية ليواصل تحصيله العلمي الحوزوي الأكاديمي في عام ١٤٢١هجرية حتّى حصل على الماجستير في حرف «لا» في القرآن الكريم، وأخبرني أنّه يسعى لنيل الدكتوراه في الأدب العربي.

نشاطه:

هو شابّ طموح يحمل هموم مجتمعه، ذو فكرة وقادة، غيور على وطنه

خطباء المنبر الحسيني بالمدينة

ناشط في المجالات المتعدّدة، أحدث تغيّرات إيجابيّة، ونقل محيطه إلى منعطف جديد، ومن مؤسّسات المجتمع المدني التي أحدثها ولأوّل مرّة هي :

- ١- أسّس مجلس الهدى: الذي ربّى كوكبة من الشباب المؤمن الملتزم الذين أضحووا الآن يقودون مركبة الإصلاح الديني في محيطهم.
- ٢- أسّس مكتبة عامّة عامرة بأمّهات الكتب الإسلاميّة والتاريخيّة والأدبيّة وبعض العلوم الإنسانيّة، والدورات الفقهيّة، وكانت جلّ الكتب تصلها عن طريق الإهداء، وهذه ظاهرة قديمة في الإسلام.

- ٣- قضى على بعض المظاهر والممارسات المنكرة في حفلات الأعراس، واستبدلها بالمولد النبوي الشريف صلّى الله على صاحبه وآله الطاهرين.
- ٤- أنشأ مؤسّسة لخدمة الحجاج والمعتمرين سمّاها «حملة التآلف».
- ٥- أسّس مجلساً للنساء، ولإقامة الندوات والمحاضرات وصلاة الجماعة.
- ٦- أسّس الصندوق الخيري، الذي يدعم مئات الأسر الفقيرة.
- ٧- أسّس لجنة الزواج الجماعي.

يقول: إنّه يرأس لجنة عمل بصدد إعداد موسوعة عن المدينة المنوّرة، وكان التنظيم والتنفيذ بأفكار الشباب المؤمنين منهم: الأستاذ محمّد جعفر حريقة، والأستاذ صالح محمّد صالح حريقة، والأستاذ عدنان بن محمّد بنجي وغيرهم. وهو يتطلّع إلى الجديد في عالم المنبر والخطابة الحسينيّة، ويجتهد لتطوير نفسه وأسلوبه. وحدّثني: إنّ أوّل محاولة له في صعود المنبر كانت قبل سنّ البلوغ في مناسبة كان يعقدها والده في الحسينيّة التي يصلّي فيها «حسينيّة فرج» وعند تواجده في الأحساء سلك مسلكاً جديداً في الخطابة، واستفاد خلال إقامته بالأحساء مهارات كثيرة بممارسته للخطابة.

عود على بدىء

في عام ١٤٠١ هجرية ترك المترجم له الساحة، وعاد للدراسة في سوريا، وبغيا به أفسح المجال لبعض الانحرافات أن تعود وبشكل أخطر وأعنف؛ لأنّها في

هذه المرأة لبست ثوب الدين. فينكبّ بعض الشباب - عن غفلة - خط تراثهم الأصيل وأمجادهم الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ والأصالة، فتركوا مناجات أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام زين العابدين عليه السلام والقصائد الشعرية التي تمثل القمم الشامخة في الإبداع الشعري والابتكار الفني التي نظمها شعراء أهل البيت عليهم السلام، وصاروا يتخبّطون هنا وهناك. فهلاً يتوبون إلى رشدهم ويرجعون إلى تراثهم!!!؟؟

٥٢

الشيخ ماهر بن حامد بن علي مبارك الجويدي الزير (١٣٩٤هـ -)

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٩٤هـ وعاش في مدينة الرياض؛ لأنّ والده انتقل إليها طلباً للعيشة. بدأ دراسته بالمدارس الحكومية بمدينة الرياض، ثمّ انتقل إلى الحوزة العلمية في سوريا، ودرس بها، وما زال يواصل دراسته وتحصيله العلمي بها، وهو أكثر الدارسين المدينين انتظاماً، ويدرس دراسات عليا في الجامعة اللبنانية.

وهو هادئ الطبع، كثير الصمت، إلّا في مجال المباحثة والمسألة العلمية. وصل إلى مستوى من الثقافة العامة ما يجعله في مصافّ طلاب العلم النابهين. يلتزم في فكره الخطّ التقليدي ويرفض الحداثة، ويتمرد على كلّ فكر حرّ يرى فيه تنازلات مهينة على حساب ثوابت المذهب وضرورات الدين، فيرى المساس بالنهج القديم انحراف عن الخطّ الأصيل، وتوجّه نحو الفوضى والضياع في متاهات الدعوات المائعة.

٥٣

الشيخ محسن بن حامد الزير^(١) (ت ١٣٧٠هـ)

وُلد بقبا وهو الخطيب والطبيب، وله دراية بعلم الهيئة والفلك، ويمارس

(١) ورد ذكره في كتاب التاريخ الأمين لمدينة سيّد المرسلين : ٨٣. وكتاب أهل الدار والإيمان : ٨٨.

تطبيب المرضى حاذق في عمله. خَلَّفَ لأولاده مكتبة يغلب على كتبها كتب الطب والحكمة. عَمَّرَ حتَّى بلغ التسعين عاماً.

سمعت من الشيخ حسين بن عتيق بن سليمان العمري قصّة يحكيها، وهي: وجّه الدعوة للناس بمناسبة زواجه، فسمع الشيخ محسن حامد بموعد الدخول وكان من جيرانه، فجاءه على باب داره وطرق الباب، وعندما خرج إليه حسين عتيق حذّره الشيخ من الدخول في تلك الليلة التي حدّدها، قائلاً له: إنّها ليلة نحسة بذلك، يكون فيها القمر في برج (الذابح) فاضطرّ لإرجاء الزواج إلى موعد آخر^(١).

٥٤

الخطيب محسن بن محسن الأسود الشريمي (ت ١٣٧٧ هـ أو ١٣٧٨ هـ)

كان صديقاً للوالد رحمهما الله، وشريكاً له في بعض صفقات المقاولات المعماريّة، ولكن رغم صداقته للوالد لم أسمع منه ولا مرّة أنّه كان أحد خطباء المجلس الحسيني عندنا، وكنت أسمع اسمه كثيراً يتردّد على ألسنة جيل الخطباء مثل: حسن عبّاس جادي، ومنصور بن محسن حامد الزير، ومحمّد عبد الحميد حكري، وإنّهم كانوا معجبين به، وربما تأثّر به الكثير منهم، وبعضهم يدّعي أنّه تعلّم الخطابة منه.

ومن عاداته ﷺ أنّه كان يبدأ بالخطابة قبل أن يصل إلى المنبر فكان يبدأ بالنعي قبل الاستواء على المنبر، وقد شاهدت هذه الظاهرة عند أحد الخطباء وهو منصور محسن حامد أنّه يبدأ بالنعي قبل أن يستوي على المنبر، ومن العادة في المدينة في المجالس الكبيرة كمجالس الفواتح يتعاقب على المنبر أكثر من خطيب.

(١) أخبرني بهذه القصّة الشيخ حسين بن عتيق العمري.

موقف طريف

يروى والدي ﷺ أنه أخذ عمارة قديمة بزقاق الخياطين - زقاق الطوال بجوار قبر أبي النبي ﷺ عبدالله بن عبدالمطلب - شريكاً مع زميله محسن الأسود ﷺ على أن يهدما منها ما هو آيل للسقوط ويعيداه من جديد، وأثناء عمل العاملين بها انهارت العمارة بكاملها، وكان العقد بين الطرفين - المالك والمقاول - يلزم الطرف الثاني بإعادة بناء ما تهدم، وكان الزمن قريباً من شهر رمضان، فاستمهل المالك إلى ما بعد شهر رمضان فقبل، وصارا المقاولان مشغولان بتدبير حالهما.

وفي أيام العيد عندما يرجعان من المسجد النبوي، أو من زيارة أحد الأصدقاء تقع في طريقهما مزبلة فيعرجا عليها، ويلتقطا منها بعض الحجر الصغار التي يحتاجونها في مشروع إعادة البناء، ويضعها في مشلحه.. وكان والدي ﷺ كثيراً ما يحدث بهذا المأزق؛ لأنه يمثل عنده أصعب المواقف الحرجة التي تعرّض لها في حياته.

مولده ووفاته

ولد بالمدينة المنورة بحوش الشريف. لا أعرف عنه أين تعلّم، وعمّن أخذ الخطابة؟ إلا أنه خطيب مجلس مرزوق غداً.
توفي في حدود سنة ١٣٧٧ هـ أو ١٣٧٨ هـ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، ودفن ببقيع الغرقم مقبرة أهل المدينة ولا يزال يعيش بذكراه الطيبة، وسيرته العطرة بين الناس.

٥٥

محمد بن أحمد بن محمد الجبد الإصيصي^(١)

(١٣٥٦هـ -)

هو ينتمي إلى إحدى قبائل النخيليين^(٢) سكّان المدينة المنورة. وُلد بالمدينة

(١) ورد اسمه في كتاب أهل الدار والإيمان : ٨٩.

(٢) أنظر نسب قبيلة الأصابعة في كتاب أهل الدار والإيمان : ٨٩.

المنورة بباب العوالي، المنطقة المتاخمة لبقيع الغرقد^(١)، وتلقّى علومه الأولى في كتاب مجاور لهم يقع بحارة الأغوات، واشتغل مع والديه بالفلاحة. أخذ حصصاً خاصّة في مبادئ الفقه والعقيدة عند الشيخ حمزة بن مسلم عود الفليس، ومعه ثلاثة من أترابه.

فهو يقود حملات للعمرة والزيارة، ويتصدّى للإرشاد وتلقين المعتمرين مناسك العمرة، ويمارس الخطابة والتعزية الحسينيّة في الدوريات وأيام استشهاد المعصومين عليهم السلام لم يدرس على أحد الخطباء مباشرة، بل بالإصغاء وقراءة كتب التعزية المتداولة بين الخطباء، وثقافته الخاصّة تنحصر في التعزية، وسيرة أهل البيت عليهم السلام.

٥٦

محمد بن جعفر بن صالح حسّون

إنّه شابّ من الناشطين في الحقل الاجتماعي، فهو عضو في لجنة «إصلاح ذات البين» له ملكة حوارية، تمكّنه من إدارة الحوار ومحاولة الإقناع والتأثير على الطرف الذي يتحاور معه، ويشغل عضو لجنة الزواج الجماعي بجانب ممارسته للخطابة.

وهو موفق لمسابقة الخطباء على مجالس الفاتحة، لأنّ العادة عند المدنيّين أنّ مجلس الفاتحة يختم بالتعزية، ثمّ موائد الطعام يقدّمها الجيران والأصدقاء والأرحام يتسابقون إلى ذلك عملاً بقول النبي ﷺ: أولموا لآل جعفر يكفيهم مصابهم.

وُلد بمدينة جدّة في حيّ الصحيفة، ثم انتقل إلى المدينة المنورة عام

(١) مقبرة المدينة: تقع شرقي المسجد النبوي فيها قبور بعض أهل البيت عليهم السلام وزوجات الرسول ﷺ وعشرة آلاف من الصحابة. للتوسّع أنظر كتاب: مستدرك ما فات أهل الدار في الآثار.

١٣٧٧هـ، واسمه مرّكب محمد علي بن جعفر بن صالح حسّون.. درس بالمدارس الحكومية، حتّى المرحلة المتوسطة، ثم ترك الدراسة وانخرط في العمل الوظيفي الحكومي حتّى أُحيل على المعاش.

يقول: إنّه أحبّ الخطابة الحسينيّة، وكان يلمس من نفسه الميل لممارستها، لكنّه متردّد ومتهيّب من غول الجماهير، وبتشجيع من الشيخ كاظم العمري اعتلى المنبر، وكان أوّل منبر يصعد على أعواده هو منبر مجلس فضيلة الشيخ محمد علي العمري.

وكان يعجب بالخطيب حسن عباس جادي، والخطيب عبدالمطلوب حمزاوي. ومارس الخطابة عام ١٤٠٤ هجرية، وهو الآن يلازم الشيخ صالح جدعان.

٥٧

الشيخ محمد بن حسين بن محمد بن علي بن مبارك الزيلعي (١٣٩١هـ -)

يرتفع نسبه إلى عمر بن أحمد بن عمر... بن سليمان بن سليمان بن أحمد بن الحسين بن عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي القرشي^(١).
وُلد بالمدينة المنورة بحيّ الروضة، ودرس بالمدينة المنورة، حتّى أكمل الثانوية العامة، ثم التحق بالجامعة لدراسة الطبّ، ودرس سنتين، فسّرت إليه عدوى الالتحاق بالدراسة الحوزوية، فشدّ الرحال إلى بلاد الشام، وانخرط في

(١) بعد صدور كتاب «أهل الدار والإيمان» وصلني كتابان: هما: «العقيليون في المخلاف السليماني نهامة»، ورسالة «إرهاب السيف الضيق لمن أنكر فضل السادة آل عقيل» من الأستاذ: أحمد بن علي الراجحي العقيلي يستدرك على نسبة الزيلعي إلى قحطان، وأنّ سكّان المدينة وهم: البراهيم، والشلايد، والحزمة، والسلمي، وهم آل إبراهيم وآل شلودي وآل حسين، وهم يسكنون المدينة النبوية ويرجعون في أصولهم إلى عمر بن أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي الهاشمي القرشي ومنهم المترجم له.

خطباء المنبر الحسيني بالمدينة

الدراسة الحوزويّة، وما زال يواصل تحصيله العلمي بالحوزة بالشام، ثمّ ارتحل إلى مدينة قم المقدّسة يدرس فيها البحث الخارج، مع الانتساب إلى قسم اللّغة العربيّة بالجامعة بجدة، حتّى حصل على الليسانس منها.

وكان يمارس الخطابة الحسينيّة وهو في سنّ مبكّر، وعشق الخطابة منذ نعومة أظفاره، وكان يرتاد المجالس الحسينيّة وهو في الصفوف الأخيرة من المرحلة الابتدائيّة وقد ظهرت عليه علامات النبوغ، يحفظ الكثير ممّا يسمع من المراثي الحسينيّة، وكان يصطحب كراساً يسجّل فيه ما يعجبه ممّا يسمعه من الخطيب.

وبدأ بصعود المنبر في الحسينيّة المجاورة لدارهم «حسينيّة صالح بنجي»، ويفتتح المجلس للخطيب محمّد بن صالح بنجي. سألني مرة وهو في المرحلة الثانويّة عندما اتّفق أن جلست بجواره في أحد المجالس سائلاً: كيف يقوم لسانه من اللحن في اللّغة؟.

وينتمي إلى مدرسة الدكتور أحمد الوائلي رحمته الله يبدأ موضوعه بآية، أو حديث، أو حكمة، أو موعظة، فيشرح ما تشتمل عليه من مباحث. ويستهلّ حديثه بقصديتين إحداها من الفصح والأخرى من العامي «الشعبي» ويلتزم بالوحدة العضويّة للموضوع، فلا يخرج عن صلب الموضوع، إلّا نادراً، وسرعان ما يعود.

ويتناول قضايا الساعة، ويعالج قضايا المجتمع المسلم، ويناقش الرأي الآخر بموضوعيّة وتجرد، أسلوبه سهل ممتنع تعلوه المسحة الأدبيّة، يستبطن الأسلوب العلمي والمنطقي والفلسفي عند محاولته إيصال الفكرة إلى الجمهور، فهو المثقّف الفقيه على صلة بالثقافة المعاصرة، وما أنتجه الفكر البشري من علوم التقنية الحديثة.

وهو متواضع في سمته، وقور في مشيه، نموذج يُحتذى في سيرته. يتحفّظ كثيراً في حديثه على المنبر ومع جلسائه، كي لا يخدش مشاعر السامعين، ولا يمسّ أحاسيس الحاضرين.

أما مدرّسوه في الحوزة الزينية: ١- الشيخ بنوان لامي «أبو زيد». ٢- الشيخ صالح محمد صالح جدعان. ٣- سماحة الشيخ حسن المبيريك. ٤- الشيخ العلامة علي المحمّدي الباماني. وأما أستاذة في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة في درس خارج الفقه والأصول سماحة السيّد منير الخبّاز. وله شعبية كبيرة عند جمهور الشيعة بالمدينة المنورة. ونعته أحد علماء القطيف بأنّه خطيب المدينة الأوّل.

٥٨

الخطيب الشيخ محمّد بن سلمي بن عطية وائل

(حدود ١٣١٣ - ١٤٠٣هـ)

ولد بالمدينة المنورة، وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة في «قربان» القرية التي ولد فيها، في كتاب الشيخ موسى غباش الزويلعي، وقرأ القرآن حتّى ختمه، ثمّ ترك الكتاب واشتغل بالفلاحة مع والده، حتّى إذا ما شبّ عن الطوق وبلغ العشرين من عمره، وكانت أسرته تعاني من شظف العيش وقسوة الحرمان ما دعاه إلى ترك الفلاحة والسفر إلى وادي الفرع، ففتح له دكاناً في أبو ضباع لبيع الموادّ الغذائيّة، حتّى تحسّنت حاله المعيشيّة، وقبل أن يريش ويطير - بتعبيره - تسلّط عليه جنود الأتراك، حيث كانت الدولة العثمانيّة تعاني من اضطرابات كثيرة منها عجزها عن دفع رواتب الجند، فخسر الشيخ وركبته الديون، فأغلق الدكان وعاد إلى المدينة، وكان في كلّ أدوار حياته شغوفاً بالقراءة وطلب المعرفة، وكان ينسخ كلّ ما يروقه من خواطر وأفكار ومواضيع في الكتب التي يقرأها.

وكان يأنس بمجالسة العلماء، والحديث مع طلّاب العلم والمثقّفين، والتعرّف على الشخصيّات العلميّة من الأمصار الإسلاميّة، كان ﷺ ورعاً عابداً زاهداً، توقّي ولم يترك مالاً أو ولداً. خرج من الدّنيا مثلما دخل إليها. يحبّ قراءة الفلسفة، وكان من العرفانيّين.

وكان ﷺ خطيباً حسينياً نسيجاً وحده، لا يحبّ التقليد والمحاكاة في الخطابة، يعالج القضايا الاجتماعية، كان جريئاً في طرحه، يحبّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم. وكان شجاع القلب ذكيّ الفؤاد يتصدّى لقضايا المجتمع بكلّ جرأة وصلابة بواحة الحكّام، يصارع الأقران ينتزع الحقوق من غاصبيها مهما كلّفه ذلك، كان من أعيان الشيعة والوجهاء في الطائفة بالمدينة. له علاقات وثيقة قائمة على الاحترام مع الشيعة غير النخليين، ومع السنّيين بالمدينة، يمثّل همزة الوصل بين كلّ الأطراف، يوقّره الصديق، ويهابه العدو، يُشتم إذا أدبر، ويهاب إذا أقبل.

وشغل منصب أوّل عضو في هيئة الزراعة التي كانت تتمّ عضويّتها بالانتخاب من قبل المزارعين، وقد أسّست بموجب إرادة ملكيّة صدرت بتاريخ ١٣٦٣هـ تنصّ على أنّ أكثر المزارعين من النخليين، ولذا يجب أن يكون لهم فيها عضو يمثّلهم، ويرعى مصالحهم فيها، وعندما وقعت في ٣/١٠/١٣٧٤هـ الانتفاضة الشعبيّة - التي يسمّيها الدكتور هادي الأميني بثورة الكرامة - جمّد نشاط الهيئة لفترة، ثمّ استؤنف، وحيل بين الشيخ محمّد سلمي وبين المشاركة في اجتماعاتها، فصار يرفع العريضة تلو العريضة إلى المقامات السامية، وأنا وزيره في هذا الكفاح، حتّى أخرج القوم، وصدر الأمر بإجراء انتخابات؛ لأنّ مدة العضويّة قد انتهت - كما زعموا ذلك - وأُجريت الانتخابات في مزرعة الشيخ عبدالحميد عبّاس، وكانت نتيجة التصويت أن فاز بالعضويّة الشيخ عبدالمنعم الهاجوج، ولا تزال اللعبة يديرها بعض الأشخاص الذين يحلو لهم تغيب هذا العنصر وتهميشه لأسباب طائفية، حتّى صدر الأمر بإلغاء الهيئة وهي المؤسسة الأهليّة، وعيّن موظفون من قبل وزارة الزراعة، واستبدل اسمها باسم إدارة الزراعة.

والحقّ يُقال: إنّ المؤسس الأوّل للكيان الكبير بناه على دعائم مؤسسات ديمقراطيّة كما يقول صالح محمّد جمال: «منذ أكثر من ثلاثين عاماً أوجد الملك

عبدالعزیز نظاماً للحکم الديمقراطي المؤسس على دعائم الإسلام، ولكن المحيطين بجلالته لم يجدوا أن الشعب يستحقّ هذه الحقوق.. إلى أن يقول:

أوجد الملك عبدالعزيز ﷺ نظاماً للحکم يفصل بين السلطات الثلاث وانتخاب ممثلين عن الشعب في جميع أنحاء المملكة.. ممثلون يتمتّعون بالحصانة النيابية وعدم المؤاخذه على آرائهم، وكفل حقوق المواطنين في المساواة أمام القانون وحرمة المنازل، والحرية الشخصية والملكية الخاصة، وحرية العمل والتجارة والصناعة والصحافة والاجتماعات والخطابة والتأليف.. إلى أن يقول: نريد ما أرادته لنا الملك عبدالعزيز فَعَجَلُوا لنا به..»^(١).

ويقول أحمد الكاتب: إنّ النظام كانت له توجّهات ديمقراطية، لكن دعمها للتّيار السلفي الذي أفادها في توسيع رقعة المملكة عمل على القضاء على النظام الديمقراطي للبلد.

وللسيد حسن كتبي مقولة تعبر عن تفاؤله بنبأ تطوير مجلس الشورى الذي أعلن عنه في جريدة الندوة بتاريخ ١٣٨١/٨/٧هـ^(٢) وأنا شعب المملكة العربية السعودية بكلّ ألوان الطيف فيه، متفائلون بتوجّهات صناع القرار في عودهم بالإصلاحات المنبثقة من داخل مجتمعنا بما يتناسب مع ثوابتنا، وأنّ الحلّ الوحيد لخدمة العملية التغييرية إنّما يكمن بمزيد من الصبر والتروّي، وقبول تحدي التغيير السلمي البطيء والمتدرّج القائم على الحوار، ومشاركة الشعب مع حكومته في صنع القرار ومراقبتها وتفاعله معها، وهذا يشكّل ضمانة أكيدة لحفظ الأمن في المجتمع، وأنّ أية قوّة مهما بلغت عظمتها هي عرضة للسقوط والانهياء، إذا ما حرمت من حماية الشعب وتأييده.

وفي عام ١٣٧٤هـ كان له دور فعّال ومهمّ في تخفيف النتائج السلبية للانتفاضة، فكان يتّصل ببعض معارفه من الوجهاء المتعاطفين بالمدينة بشكل

(١) كتاب من أجل بلدي: ٣٥ - ٣٦.

(٢) كتاب ملامح من شخصية البلاد المقدسة: ١٥٩.

مغامر، ومتنكر، يرفع البرقيّة تلو البرقيّة حتّى فكّ الحصار المفروض على الحيّ، الذي كان سجنًا كبيراً لنا، كسجن بني هاشم في الشعب بمكّة ومقاطعتهم، ثم بدأ بالمطالبة بعودتهم إلى متاجرهم ومحلاتهم لبيع المواد الغذائية والخضار واللحوم، وفي أثناء المقاطعة عقد المجلس البلدي جلسة طارئة في البلدية، وقرّر المجتمعون بالإجماع السطو على الدكاكين وفتحها ونهب ما فيها، وتسليمها إلى أبناء السنّة ليدبروا الأعمال فيها، وقد تمّ ذلك، وكان الشيخ محمّد سلمي ﷺ في مقدّمة المتصدّين للدفاع عن حقوق الجماعة، والمطالبة بإعادة ما يمكن إعادته إليهم من أموالهم وممتلكاتهم، والعودة إلى حياتهم الطبيعيّة بممارسة أعمالهم.

ومن التجارب التي خضناها في قضيّة الاستحقاقات الوطنيّة، عضويّة المجلس البلدي، فقد تقدّمنا بعريضة موقّعة من شيوخ القبائل وبعض الوجهاء نطالب فيها بهذا الاستحقاق الوطني، وكان آنذاك الأمير على المدينة: سمو الأمير عبدالمحسن، وذلك عام ١٣٨٥ هجريّة، فأخذ الطلب، وذهب به إلى مدينة جدّة والتقى بأخيه الملك فيصل يستشيريه في الموضوع، وكان الحلّ أنّ موعد الانتخابات قد أُجّل لاستكمال الإجراءات، بهذا كان عنوان التأخير في الجريدة الرسميّة، وبعدما يقرب من شهرين نزل إعلان بالجريدة بأسماء حارات المدينة ومن ضمنها حارة النخالة، فثارت المعارضة بحجّة أنّ النخليّين ليس لهم سابقة في عضويّة المجلس البلدي، ونزل إعلان بالجريدة إلى تأخير الانتخابات إلى أجل غير محدود، وبعد شهرين أو ثلاثة أعلن عن موعد الانتخابات، ونشرت أسماء الحارات التي ستقع فيها الانتخابات عدا حارة النخالة، وعلى إثر إغفال ذكر اسم حارة النخليّين تحرّك النخليّون بالمراجعة للجهات الرسميّة، يطالبون بهذا الاستحقاق الوطني والمطلب العادل، فأعطاهم الأمير «كرّاساً» يسجّلون فيه أسماء الناخبين والمنتخبين، فغمرت الفرحة المؤمنين، واجتمعوا في حوش الفقيه بدار مصطفى مسلم.

وقد كان المرشّحون ثلاثة هم على التوالي: الشيخ محمّد سلمي وائل، والشيخ

علي بن عوَّاد المعيرفي، والشاب علي حسن حريقة، حيث أنَّ الإعلان الأخير خرج في الجريدة وفيه التغيير التالي: بدل أن تكون كلَّ حارة دائرة انتخابية مستقلة جعلوها مناطق وأدرجت حارتنا ضمن منطقة الأغوات وباب السلام ولم ندر أن هذه مؤامرة، وفي الموعد المحدد نرى الناس يدخلون خيمة بجوار البقيع يدلون فيها بأصواتهم لمرشحيهم، ونحن نذهب بكرَّاس فيه أسماء مرشحين، ومن يحقَّ لهم الانتخاب، ونتقدَّم به فيرفض.

وفي هذه الفترة كان الخلاف بين المملكة ومصر في تصعيد، فأعلنت إذاعة صوت العرب العبارة التالية: «إنَّ حكام السعودية منعوا مؤمني يثرب من حقَّ الانتخابات في المجالس البلدية» وسمعنا بعد حين أنَّ منشورات وزَّعت في بيروت تندد بحرماننا من الانتخابات البلدية، وقد شكَّل لنا هذا إحراجاً شديداً خشينا عواقبه، ونحن ليس لنا في هذا الأمر لا ناقة ولا جمل، وإنِّي عندما أذكر مثل هذه المواقف لا أريد الإثارة، وإنَّما أسجِّل واثق تاريخية، وإنَّ مثل هذه التصرفات التي يصطاد بها في الماء العكر لن تزيدنا إلَّا ولاءً لوطننا والتفافاً حول حكومتنا.

ومن المواقف البطولية التي يشهد بها التاريخ لهذا الرجل الأسطورة موقعه من النشاط المنحرف الذي تمثَّل في استغلال الحرية الجزئية التي مُنحت للصحافة أبان حكم الملك فيصل، فنشطت بعض الصحف لشنِّ هجوم مركَّز وحملة ظالمة على الشيعة، وخاصة شيعة المدينة، فشكونا ذلك إلى جلالة الملك فأوفد مندوباً من الداخلية وعقد اجتماعاً مغلقاً مع بعض وجهاء النخيليين منهم الشيخ محمد سلمي وائل والشيخ حسين عتيق العمري وطلب الوثائق التي اعتمدوا عليها في شكواهم، وكنت حينها بمكَّة أعمل مدرِّساً، فأبرق لي الشيخ محمد سلمي بإحضار الجرائد التي ورد فيها الهجوم، فدلته على مكانها في دار والدي، فأخذها وقدمت للمندوب، وبعد فترة من الزمن صدر مرسوم بتحويل الصحافة من الملكية الشخصية إلى مؤسسة صحفية يشترك في إدارتها عدد من الأفراد، وأُشيع في الأوساط المعارضة للحكم بأنَّ هذا الإجراء هو تأميم.

٨٤ □ خطباء المنبر الحسيني بالمدينة
ومن المواقف النضالية لفضيلة الشيخ محمد سلمي رحمه الله وفي نفس فترة حكم
الملك فيصل رحمه الله قبض في مكتب البريد بالمدينة على ثمانية طرود، كل طرد موجه
إلى إحدى كبريات مدن المملكة، كجدة، ومكة، والرياض، والطائف، وكل طرد
يحتوي على ألفي منشور تحرّض على الخليين بأسلوب استفزازي وألفاظ
نارية، وهذا الحادث الرهيب أقلق الجهات المسؤولة وأخذت تتحرّك بطريقتها
الخاصة، حتّى وصل الأمر أن استدعيت إلى دار عمدة الحارة الشيخ عابد بن
محمد الطيلي رحمه الله وفوجئت بوجود أحد رجال المباحث في المجلس، فما أن
سلمت وجلست، حتّى بدأ الرجل يسألني عن الذي وضع هذه الطرود في مكتب
البريد، فأجبت بأنّي لا أعلم، ثم سألني تتهم من؟ فقلت: لا أحد، وسألني آخر
سؤال: من يتظاهر بعدائكم؟ فأجبت فلاناً وفلاناً.

مؤلفاته

- ١- كتاب «أعجبي».
- ٢- إعراب «بسم الله الرحمن الرحيم».
- ٣- حروف الجرّ.
- ٤- تعليقات على كتاب: «مذكرّة السويدي». وكلّها مخطوطة.

وفاته

توفي الشيخ محمد بن سلمي بن عطية وائل يوم ١٤٠٣/٧/٣٠ هـ بالمدينة
المنورة، ودُفن ببقيع الغرق مجاوراً لقبور أهل البيت عليه السلام، بل في بيت الأحنان
للزهراء عليها السلام حيث أنّه سوي بالأرض، ولم يعد معروفاً عند أكثر الناس، عن عمر
يناهز التسعين عاماً رحمه الله.

٥٩

محمّد بن صالح بن موسى بنجي الإصيصي^(١)

(١٣٥٠ - ١٤٢١هـ)

تعلّم مبادئ القراءة والكتابة في كتاب الشيخ حامد بن سعد خلاف من العامّة - الكتاب الذي كان على مدرج الغبريّة - ثمّ مدرسة العلوم الشرعيّة. لم يكمل دراسته الابتدائيّة، بل اشتغل في الأعمال الحرّة. عشق الخطابة الحسينيّة وتأثر بالخطيب الكبير في عصره ومحيطه الشيخ عباس البغيل، فكان يحاكيه، فعرف والده إعجابه به، فطلب له يد كريمته فصاهره. أبتلي بمرض السكر من أوّل شبابه، كان هادئ الطبع، دمث الأخلاق، إذا دعي لإحياء مناسبة أجاب ولو كان في أعزّ نومه.

هذا الجيل من الخطباء وهم: محمّد صالح بنجي، وعبدالمطلوب الحمزاوي، ومحمّد حكري، وحسن جادي، تأثّروا بشكل أو بآخر بالخطيب الأحسائي المرحوم السيّد محمّد حسن الشخص؛ لأنّه كان كثير الزيارة للمدينة، ويقم فيها مدّة طويلة، وبحكم مصاهرته لفضيلة الشيخ محمّد علي العمري، يصعد المنبر الحسيني في كلّ زيارته للمدينة، فهذا الجيل من الخطباء الذين عاصروه، كانوا لفرط إعجابهم به طفقوا يقلّدونه، حتّى في هيئة جلوسه على المنبر وحركاته.

رحم الله من توفي منهم، وأطال الله أعمار الباقين، ووفّقهم للطاء وخدمة منبر الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

توفي رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنّاته سنة ١٤٢١ هجرية، ودفن في بقيع الغرقد بمدافن النخليين.

٦٠

محمّد بن صالح بن مصلح بن محسن النخلي

(١٣٥٤هـ -)

ولد بالمدينة المنورة بقربان بالمزرعة المسماة بـ (النويعة)، درس في

(١) ورد ذكره في كتاب التّاريخ الأمين لبلد سيّد المرسلين : ٨٣. وفي كتاب أهل الدار والإيمان : ٨٩.

الكتاب أياً ما كان في حسيّة حسين القرين الذي أسّسه المحسن (مرزا علي حسن) من أهل الهند، وله خمسون سنة وهو يمارس قراءة التعزية، وأستاذه في الخطابة الخطيب عيفة بن خليفة القصير.

أخبرني المترجم له: إنّ عيفة حفظه قصيدتين في النعي، وأعاره كتاب نعي لمدة أربعة عشر يوماً فقط.

استلف المترجم له ثلاثة وثلاثين ريالاً واشترى بها «إتريك» مصباح متطور يعمل بالكيروسين، كان يستعمل قبل تعميم الكهرباء بالمدينة.

٦١

محمّد بن عايد بن دخيل الحديدي

(١٣٩١هـ -)

وُلد بالمدينة المنورة، والحديدي والحدايدة هم بطن من بطون قبيلة الشرمة، إحدى قبائل النخليين الكبرى. جدّ المترجم له دخيل أحد الرجال الذين يشعرون بالمسؤوليّة الدينيّة والوطنية، فيحملون هموم وطنهم، ويعملون على ترجمة تطلّعات المواطنين إلى واقع معاش، ومثله أخوه أحمد، وحامد رحمهم الله.

سمعت من أحد معاصري دخيل حديدي: إنّهُ من عادته إذا أراد أن يهبّط من العالية إلى مركز المدينة يتسوّق، يقف له على طريقه بعض الفقراء والأيتام والأرامل، بعضهم يعطيه كيساً للذيق كي يشتري لهم دقيقاً، والآخر إناء السمن يسمّيه «صفريّة»، فيشتري لهم طلباتهم من ماله الخاص، وعند عودته يجدهم واقفين بالمكان ينتظرون قدومه، فيعطي كلّ صاحب إناء إناءه، وقد ملأه له بما طلب. هذا ديدنه إلى أن توفّي رحمه الله.

فخطيبنا العزيز انحدر من أسرة هذا دأبها، فلا شك أنّ عامل الوراثة يعمل عمله بالتأثير في سلوكه والاقتداء بأسلافه.

محمّد بن عبد الحميد بن محمّد حكري^(١)

(١٣٥٠هـ -)

وُلد بالمدينة المنورة، ودرس مبادئ القراءة والكتابة مع شيء من مبادئ الفقه الجعفري والعقيدة والحساب في كتاب مرزا داؤد. أحد محسني الهند، ثم انتقل إلى مدرسة التهذيب الخيرية بحارة الأغوات^(٢).

وفي الثمانينات وحتى منتصف التسعينات كان خطيب مجلس الوالد حسن حريبي رحمته الله وكان يعقد حلقة لقراءة وتدريس القرآن في ليالي شهر رمضان المبارك تبدأ من بعد صلاة العشاء، وحتى يكثر تواجد رواد المجلس ترفع الحلقة إلى الليلة التي تليها، إلى آخر الشهر، وقد استفدت منها أنا وإخواني موسى، وصالح، وعطيّة، ومعنا بعض أبناء الجيران، وأفراد من شباب الحيّ، قد يصل العدد إلى عشرة، أو يزيد قليلاً، تتعقد الحلقة ساعة أو أزيد بقليل، ثم ينصرف الطلاب، ويبدأ برنامج المجلس الحسيني بموعظة، أو منقبة لأهل البيت عليهم السلام يقرأها أحد المشايخ، ثم مسألة شرعية في الرسالة العملية، تبدأ من أوّل باب الصيام بثبوت رؤية الهلال، ثم نيّة الصوم، ثم بالمفطرات، وتنتهي بانتهاء الشهر في الحديث عن زكاة الفطرة، وأعمال ليلة العيد وصلاته، ثم تقرأ الأدعية الواردة استحباب قراءتها في ليالي الشهر كدعاء الافتتاح، وأبو حمزة والجوشن، وأدعية السحر.

فهو يحرص على المبادرة إلى قراءة القرآن الكريم افتتاحاً واختتاماً لبعض المجالس التي يرتادها، ويؤدّن لصلاة الجماعة، ويقرأ أدعية التعقيب بعد الفراغ

(١) ورد ذكره في كتاب أهل الدار والإيمان : ٨٩.

(٢) للمزيد من المعلومات أنظر ترجمة صالح عباس وائل، الرقم: ٢٧. أسّسه بالمدينة المنورة الحاج ميرزا علي ابن حسن الهندي بمساعدة الحاج داوود ناصر الخوجة ساكن مدينة «بومبي» يُدرس المناهج وفقاً للمذهب الجعفري، تأسّس في أوّل الخمسينات، وكانت نفقات الكتاب تحوّل من الهند حتى تصل عن طريق التاجر الهندي عبدالكريم دادا بشارع العينية.

من كل فريضة في صلاة الجماعة. حفظه الله.

٦٣

محمد بن علي بن عباس الديوشي

(١٣٨٦هـ -)

٦٤

مريم بنت منسي بن عايد الجدعان

لا تعرف تأريخ ميلادها، أو لا تحب أن تخبر به - كسائر النساء -، وهي الآن وحتى كتابة هذه السطور عنها تناهز الثمانين عاماً، وهي ابنة عمّ والدتي رحمها الله.

زوجها المرحوم محمد علي حكري، أحد أحسن مقرئي القرآن الكريم تجويداً وصوتاً، أكثر من أربعين عاماً، وهو يختم مجلس فضيلة الشيخ محمد علي العمري بالقرآن، ويفتح مجلس والدي حسن حربي في شهر رمضان بالقرآن، وكان يحضر معنا حلقة القرآن التي تنعقد في ليالي شهر رمضان في مجلس الوالد، وكان هو الذي يقرأ دعاء الافتتاح والأدعية الأخرى طيلة ليالي شهر رمضان في مجلس الوالد رحمهما الله.

أرسلت بعض الأسئلة للملائة «مريم» مع إحدى شقيقاتي، فكان الجواب عليها: إن الذي علمها القراءة هو زوجها، وكذلك التعزية، كان يحفظها كثيراً من القصائد والنواعي، ويقرأ عليها القصص والأخبار وفضائل النبي وأهل بيته عليهم السلام.

وتقول: لم يكن عندها ما يشغلها، حيث أنها لم ترزق بالولد الذي يشغلها بتربيته عن التعليم والتحصيل، بل كان التعليم والاشتغال بالتعزية تعويضاً لها عن معاناتها من الحرمان من الإنجاب.

وتقول: إِنَّ زوجها كان يصطحبها معه إلى الحسينية التي كان يصلي فيها السيد محمد تقي الطالقاني، وتصد إلى السطح، وكان يتوسط باحة الحسينية مسقط للهواء والضوء، تجلس بجواره تستمع إلى حديث السيد مباشرة، زيادة على ما ينقله إليها زوجها ممّا يسمع في ذلك المجلس، حيث كان من أحلاس المجالس.

وتصف النساء مجلسها مع صغره بأنّه أحسن المجالس النسائية بالمدينة تنظيمًا وإفادة للحضور، وتوصف بأنها الملائة الأولى، والأكثر شعبية لإمامها الواسع بقصص الأنبياء وغزوات وحروب الرسول ﷺ والإمام علي وسيرة وتراجم أهل البيت .

أمّ العباية

كان حيّ النخليين بالمدينة محاطاً بسور، بل كلّ أحياء المدينة، وكانت للأحوشة أبواب تغلق أوّل الليل وتفتح عند الفجر، صوناً لها من سطو الأعراب والغزاة.

وبعد انتفاضة الكرامة عام ١٣٧٤ هجرية فتح شارعان اختراقاً للحيّ، من شماله عند البقيع إلى جنوبه عند مسيل سيل بطحان، ومن الشرق من تقاطع شارع العوالي إلى حيّ التاجوري من الغرب، لأنّه شاع على السنة بعض المجاورين أنّ سبب تقليل الخسائر في الأرواح والممتلكات هو أنّ الحيّ كان محصّناً، علماً بأنّ بعض الجنود ممّن شارك في قمع الانتفاضة يقول: إنّ الأوامر تصدر لنا بمداهمة الحيّ، ولكن عندما تقبل عليه نجد أمامنا سوراً من حديد، والبعض يقول: إنهم إذا داهموا الحيّ يجدون على بوابته رجالاً عليهم ثياب بيض، وعلى خيول بيض وبأيديهم سلاحاً أبيض يزودوننا عن الاقتحام.

ومناسبة هذا الحديث هو أنّ أحد الغيورين لفت انتباهي إلى أنّ ظاهرة

خروج نسائنا من دورهم إلى دور جيرانهم، أو أقربائهم، أو الاستقاء من مناهل العين الزرقاء، أو الجلوس أمام دورهن، وهنّ يلبسن اللباس التقليديّ المسمّى بالثوب «المبطح» وبدون عباءة، فإنّ هذا غير كاف للصون والحجاب، فتبّنت الفكرة؛ لأنّها حرّكت عندي عامل الغيرة والحميّة، وكعادتني فاتحت العمّ محمّد سلمي وائل في الموضوع، وانهقد عزمنا على استدعاء شيوخ القبائل، وبعض الغيورين ممّن يحمل هموم مجتمعه، وعقد اجتماع نوقش فيه الموضوع، وخرج المجتمعون بقرارات: أن ينادى في المجالس والمحافل والحسينيّات أنّه على كلّ مؤمن غيور أن يأمر محارمه بارتداء العباءة عند الخروج من الدار، والامتناع عن الجلوس في ساحة الدار أمام الباب، ونزع الخلاخيل من الأرجل، وحدّد موعد لتنفيذ هذه القرارات شهراً، وبعد انقضاء المهلة سوف يطوف مشايخ القبائل على الأحوشة، ومن يرونها من النساء غير لابسة للعباءة، أو جالسة أمام باب دارها تضرب، ويدان زوجها بحسب القوانين والأعراف القبليّة، وكان أوّل النساء المستجيبات لهذه المطالب هي الملائة مريم بنت منسي، واشتهرت بين النساء بكنية «أمّ العباية».

ولعلّ مثل هذه الإجراءات لا تتعارض مع موجة الإصلاح وحقوق المرأة.

٦٥

مساعدة بن سعد بن صافي الزير

(١٣٨١هـ -)

هو شابّ طموح، أنيق المنظر، دمث الخلق، صوته جميل، ونفّسه طويل، أكثر مشاركاته في المواليد والأعراس، يحييها بصوته الشجيّ، وحسن اختياره للمدائح النبويّة البليغة، والقصائد التي تحمل القمم الشامخة، والإبداع الشعري في مدائح أهل البيت (عليه السلام).

إنَّ «قبا» رابية من روايي المدينة المنورة، بها أوَّل مسجد أُسِّسَ على التقوى. ماؤها عذب زلال، وهواؤها لطيف، ونخيلها جميل.. وفي هذا الجوّ العبق بالخضرة والنضرة وُلد هذا الخطيب، وفي هذا الجوّ العذب عذب صوته، ومن هذا النسيم اللطيف رقَّ إنشاده، هذا حسبه. أما نسبه فيرقى إلى قبيلة حرب التي هي إحدى قبائل الحجاز العظيمة، فهو من قبيلة صبح.

٦٦

الشيخ معيوف بن بنيان القصير^(١)

(١٣٤٠هـ -)

هو خطيب مخضرم، جمع بين نهج قدامى الخطباء المدنيّين، ونهج تلاميذ الكاسيت.

فهو من سكّان قرية قربان، ولعلّ مولده في هذه القرية؛ لأنّها سكنى عشيرته قديماً وحديثاً، وهذه المعلومات حصلت عليها بمراقبتي الشخصية؛ لأنّه يمتنع عن الإدلاء بأيّ معلومات شخصيّة عنه، وعندما سأله ردّ عليّ بقوله: «رحم الله قبراً بين القبور لا يُعرف».

حفظه الله ووفّقه لخدمة المنبر الحسيني في بلد مسقط رأس الإمام الحسين عليه السلام.

٦٧

منصور بن محسن بن حامد الزير^(٢)

(١٣٤٤هـ -)

ولد بضاحية العوالي، ودرس مبادئ القراءة والكتابة في الكتاب الذي كان

(١) ورد ذكره في كتاب أهل الدار والإيمان : ٨٩.

(٢) ورد ذكره في كتاب أهل الدار والإيمان : ٨٩.

في مسجد بني قريظة^(١). ومن مدرّسيه شيخ من الشرق نجدي، والشيخ حسين ابن عبدالرحيم الزيلعي، ووالده الشيخ محسن حامد.

انعددت بيننا صداقة منذ وقت مبكر، ولا تزال حتّى كتابة هذه السطور، مع فارق السنّ. كان الخطباء بالمدينة لا يعتنون بالمناسبات الإسلامية في خطابهم ولم أعرف سبب ذلك أهو المستوى الثقافي المتدنّي بالمدينة، أم أنّهم ورثوا ذلك ممّن سبقهم!؟

كانت قراءاتهم محصورة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام فقط، قد يرد ذكر العباس بن علي عليه السلام، أو غيره ممّن شارك من الأنصار، أو أهل البيت عليهم السلام في واقعة الطفّ في عبارة أو في بيت من الشعر. علماً بأنّ التأريخ يحدثنا أنّ نساء المدينة عندما يندبن موتاهنّ يبدأن بالبكاء على الحمزة بن عبدالمطلب رضاءً لرسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال عند مصرع حمزة عليه السلام: «لكلّ الناس بواكي، وعمّي حمزة لا بواكي له» أو كما قال صلى الله عليه وآله.

وبحكم اجتماعنا الذي قد يكون يومياً، اقترحت عليه أن يحضر لكلّ مناسبة ما يعبر عنها، وعرضت الرأي على كثير من الخطباء، فاستجاب المترجم له، فإذا كانت المناسبة وفاة معصوم يكون حديثه محصوراً في هذا المعصوم، وكذلك الحال عند الولادة. فكان يرتّب موضوعه، ويسلسل أفكاره بذكر اسم المعصوم، وألقابه، وكنيته، ثمّ الروايات الواردة في تأريخ الولادة أو الوفاة، ثمّ شيئاً من فضائله ومناقبه، ثمّ يختم الموضوع بالمدح أو الرثاء.

وصار بهذا المنهج موضع إعجاب وثناء العلماء عليه، وقد سمعت ثناء الشيخ محمّد علي العمري والسيد محمّد اللواساني عليه، أتمنّى له الشفاء العاجل من الله تعالى.

قال المترجم له: كان بعض الإخوان يلحّون عليّ بالمشاركة في إحياء المناسبات الإسلامية، وأخصّ منهم الشيخ كاظم العمري فوقّنتي الله تعالى

وشاركت ببضاعتي القليلة، وكانت خطّتي في المشاركة طرح إشكاليّة أو قضيّة تلامس حياة المجتمع مباشرة، منتزعاً أمثلتها ووقائعها من تأريخنا وتراثنا متجنّباً الأساليب المستوردة، والقوالب المحنّطة، فأضعها بين يدي السامع، وأضع الحلول المناسبة لها، ثمّ أنتقل إلى المناسبة الأصليّة، فكأنّما هذه الخطوة لقيت قبولاً عند الجمهور، ممّا حمل الخطباء على أن يترسّموا هذه الخطوة.

٦٨

موسى بن علي بن محمّد كريف

(١٣٧٧هـ -)

إنّهم يرجعون في أصولهم العرقيّة إلى قبيلة زيد من قبائل الحجاز التي تسكن في القرى القريبة من مدينة جدّة ثغر البحر الأحمر بالجزيرة العربيّة. هذا ما سمعته من جدّه محمّد بن موسى كريف.

وُلد بالمدينة المنورة في دار شعبي ملاصق للمزرعة المعروفة بالصافية، وهي من صوافي النبي ﷺ - كما في بعض التواريخ - من جهة الجنوب. التحق بالمدارس الحكوميّة، وأخذ قسطاً من الدراسة، ثمّ اضطرّته الظروف المعيشيّة إلى ترك الدراسة والالتحاق بالوظائف الحكوميّة الإداريّة بوزارة الصحّة. أحبّ الخطابة الحسينيّة، وصار يغشى المجالس ليسمع عن الخطباء مباشرة، ويتعرّف على طريقتهم في الخطابة من قرب، مع العكوف على قراءة كتب التعزية.

٦٩

موسى بن مصطفى بن مسلم بن درويش

بن سبتي بن درويش الشريمي

ينتمي إلى دوحة رفيعة في الحسب والنسب، فجده الثاني لأبيه كان معاصراً لحسن بن صالح حربي لوجود وثيقة بتاريخ ١٢ / ٤ / ١٢٦٣هـ فيها اسمهما

وختمهما، وبشهادة الأستاذ محمد حسين زيدان^(١) الذي يقول: «نمى إلى علمي أن جدته - يعني السيد حسين جمل الليل^(٢) - من بيت سبتي، الذين هم كبيت النحاس^(٣) والمشيخ^(٤) من أقدم بيوت الشيعة».

ومن الأخبار المتواترة القول: بأن الشيخ جزا سبتي شغل منصب «باب عرب» في عهد الأتراك، قد يقول قائل: إن سياسة الأتراك هي إقصاء وتغيب العنصر الهاشمي، كما في كتاب الثورة العربية الكبرى لأمين سعيد، والعنصر الشيعي بشكل عام، فهذا صحيح، ولكن الصحيح أيضاً أن بعض الشخصيات الفذة التي تطلّ أحياناً على مشارف التأريخ تستطيع أن تفرض نفسها، أو تتسلّل إلى مثل هذه المناصب القيادية، فقد كان محظور علينا إلى عهد قريب أن نصل إلى رئاسة قسم في إدارة حكومية، أو مدير إدارة في مدرسة، أو غيرها، وقد وصلت بفضل الله ومنّه إلى عضوية اللجنة الثقافية لنادي الأنصار بالمدينة، ورُشحت لعضوية النادي الأدبي أيضاً ولم أقبل الترشيح.

أرجع إلى الحديث عن الشيخ جزا يصفه معاصروه، وانتقلت إلينا هذه الرواية عن معاصري معاصريه بأنه كان مهيب الطلعة إذا خرج من داره إلى مقرّ عمله، أو إلى زيارة الرسول وأهل البقيع، يخرج راكباً فرساً من الخيول الأصلية،

(١) كتاب «ذكريات العهد الثلاثة»: ٦٧ - ٦٨.

(٢) ذكره علي حافظ في كتابه: فصول من تأريخ المدينة المتوّرة عند نقله عن قصّة سجن ٤٣ شخصاً من سكّان المدينة المجاورين، و ٤٠ ضابطاً في قلعة الطائف في قصّة مشهورة، رواها علي حافظ على لسان السيد جمل الليل، لأنّه كان أحد المسجونين، والقصّة فيها قليل من التحريف، ولعلّه من عمل الذاكرة والمرض، وأنا سمعت ممّن أدركتهم من المعمرين من جماعتنا أنّ أسرة السيد جمل الليل أسرة شيعيّة الأصل، وكانت سدانة قبة أهل البيت عليهم السلام لهم.

(٣) التحاحيس: من عوف من حرب من الجراجرة، كما أخبرني بذلك الأخ أحمد بن حسين نحاس.

(٤) المشيخ: أسرة ووطن من بطون الأشراف، وكانوا على خطّ أهل البيت عليهم السلام وكانت لهم مناصب قيادية في حكومة الترك والأشراف، وكانوا على هوى أهل البيت عليهم السلام وقد ترجم صاحب كتاب طبية وذكريات الأحبة في الجزء الأوّل ص ٦٥ للسيد مشيخ با عبود العلوي.

يمشي وبين يديه اثنان من العبيد.

رأيت داره لأنها كانت مجاورة للدار التي ولدت فيها، وتربيت في حوش السعيدية، أطلالها تَمُّ عن أنها كانت قصرًا منيفاً شامخاً البنيان، بها من القاعات والصالات والبهو الكبير، فكانت سعة الدار تزيد على سعة عشرة من بيوت الحوش، وتسمى عند أهل الحوش وغيرهم من سكان الحارة «خرابة الشيخ جزا» رأيتها مأوى لماشية الحوش من الماعز للكلاب التي تحرسها وتحرس الحوش، وقد ترك من العقار غير هذا القصر الذي كان ملاصقاً لحَيِّ التاجوري من الجهة الغربية، ترك بعض الدور والمزارع والعقار ما يعدّ كثيراً إذا قيس بعصره.

رأيت دار الشيخ جزا وقد تهدّمت أسقفها، وتداعت بعض جدرانها المطلية والمجصّصة بالنورة والرمّل، فهي بيضاء وكأنّ النقّاش قد رفع يديه منها قبل أيّام فقط، فضخامة القصر شاهد على صدق الدعوى بعظمة صاحبه.

وممّن عرفت من رجال هذه الأسرة الشيخ صالح بن سالم بن درويش، كان جاراً لنا في حوش السعيدية، ثم في حوش الأجازة «الأجيوزي» نسيج وحده في كلّ شيء، مغاير لمعاصريه من شيوخ القبائل وقضاة العرفية. أبيض البشرة مترسّل اللحية، طويل القامة، نحيل الجسم، يلبس ثياباً بيضاء نقيّة متأنق في هندامه، ويرتدي العباءة من الوبر، ويعلّق على كتفه «الحسكل» كيس من الجلد يضع فيه النقود وعلبة السجائر، ويحمل في يديه «المشعاب» عصا لها طرف معكوف، ثم استبدلها بالباكورة والخيزران، وشغل منصب عمدة حارة النخليين بعد الشيخ صالح حسّون.

حضرت أكثر من اجتماع، كمرّاقب غير مشارك عقدت لحلّ مشكلة أو خلاف بين شريكين أو صديقين، وشدّ انتباهي أنّه يجلس كهيئة المتشهد للصلاة عندما يأتي دوره ليدلي برأيه... يضرب الأرض بعصاه قائلاً: أوحيت وصليت على النبي ﷺ. هذا البند الأول... والبند الثاني... كيت وكيت... ثم ينتخى قائلاً: أنا أبو سالم.

أخبرني الأخ موسى مصطفى عن ابن عمّ والده عبّاس جادي قائلاً: إنّ حوش الفقيه سمّي بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ سبتي؛ لأنّه كان فقيهاً، وهو الذي اشترى الأرض وخطّطها، وباع بعض مربعاتها، وعمرت بيوتاً، فنسب إليه الحوش، والله أعلم.

٧٠

مهدي بن علي بن ناشي الوتيشي

(١٣٨١هـ -)

٧١

الشيخ هاني بن عابد بن شحّاد بن عبدالحّي الزير

(١٣٨٨هـ -)

وُلد بالمدينة بالضاحية الجنوبيّة قبا، وبدأ دراسته بالمدارس الحكوميّة النظاميّة، حتّى وصل الثانويّة المتطوّرة، ثمّ غيّر مساره نحو الدراسة الدينيّة الحوزويّة، ودرس السطوح، ثمّ استقرّ بالمدينة يمارس الخطابة المنبريّة في المجالس الحسينيّة.

وأما مدرّسوه في الحوزة العلميّة: السيّد مصطفى الشاهرودي، والشيخ باقر الإيرواني، والشيخ حسن الجواهري، والشيخ حسّان سويدان، والشيخ معين دقيق، والشيخ عبدالعظيم الكندي.

يقوم بالمهامّ التي يقوم بها طُلاب العلوم الدينيّة، يصلّي إمام جماعة في قبا، ويحضر المجالس الحسينيّة في قرينته للوعظ والإرشاد وقراءة التعزية. ويمارس تدريس بعض العلوم الشرعيّة، ويرافق بعض حملات الحجّ والعمرة لتلقين المناسك، وما إلى ذلك من أنشطة الحجّ والزيارّة.

قضاة المدينة المنورة
من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

المؤلف

عبد الرحيم بن حسن حربي

الإهداء

إلى الزاهد الناسك الذي اتسع قلبه لأربعمائة
عائلة، طوّقتهم ذراعاها الضعيفتان تحنو عليهم حنو
الأمّ الرؤوف، وتحضنهم احتضان الأب الرحيم. جمعتهم
غربات ثلاث فهو فقيهم ومُفتيهم وقاضيهم، إلى
أبي عماد المهندس صالح بن حسن محمّد حربي.

المقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيّدنا محمّد وآله الطاهرين وأصحابه الغرّ الميامين.

إنّ المدينة المنورة هي عاصمة الإسلام الأولى، وكان التشيّع أكثر انتشاراً فيها من عصر الخلفاء إلى آخر القرن العاشر الهجري، ويظهر هذا جلياً من النصوص الكثيرة التي تبرهن على أنّ مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هو الأكثر انتشاراً، وأنّ كبريات مؤسّسات الدولة الإسلاميّة بالمدينة هي في أيدي أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، وخاصّة الأشراف من بني الحسين، فالإمارة والقضاء وسدانة العتبات المقدّسة وصدقات النبي (صلى الله عليه وآله) وصوافيه كانت بأيديهم.

يقول ابن فرحون: «ومّا أدركت من البدع التي أراح الله منها، ما كان يفعله الشرفاء من آل سنان وغيرهم. كانوا إذا أظلمّ الحاجّ يسارعون إلى الحجرة بصناديق وكراسي ينصبونها حول الحجرة الكريمة يتخذونها مقامات، يجلسون عليها للتزوير... لا يقدر أحد أن يشاركهم في مناصبهم»^(١).

ويقول أيضاً: «إنّي أدركت قرّاء الإماميّة وأئمّتها إذا دخل شهر رمضان، أخذوا من القبة شمعاً وشمعدانات على عددهم ينصبونها بعد صلاة العشاء الآخرة في مجالسهم، ويدعون في كتبهم، ويرفعون أصواتهم حول الروضة، والناس في

الصلاة لا يعلمون صلاتهم من رفع أصواتهم، ولا يسمعون قراءة إمامهم لكثرة قرائتهم، ويجتمع عليهم من الناس خلق كثير^(١).

إلى أن يقول: «وكان إذا عقد في البلد عقد نكاح بغير إذن علي بن سنان وأمره، طلب الفاعلين لذلك وعزّزهم وسلّط عليهم الشرفاء، وكان المجاورون وأهل السّنة إذا أرادوا عقد نكاح أو فصل حكومة على مذهبهم، يأتون والذي ليعقد لهم أو يصلح بينهم. فيقول لهم: «لا أفعل حتّى يأتيني كتاب ابن سنان، فيذهبوا إلى علي بن سنان فيعطونه ما جرت به عادته، فيكتب لهم إلى والذي ما صورته: يا أبا عبد الله اعقد نكاح فلان على فلانة. أو: أصّح بين فلان وفلان»^(٢).

فالتشيع بالمدينة طيلة عشرة قرون كان هو الأكثر، ومع ذلك فهم لا يتجاهلون ولا يغيّبون المذاهب الأخرى، لهم قضااتهم، ولهم نشاطهم المذهبي. أمّا إقصاء الشيعة، فقد أسّس له معاوية بن أبي سفيان الذي عمّم على الأمصار الإسلامية أمره بأن ينظر ولاته كلّ من يتشيع لعلي بن أبي طالب عليه السلام يمحي اسمه من دواوين الخراج وأن لا يُعطى أيّ منصب قيادي في الدولة الأموية، وعلى نفس النسق نرى ما جرى به الحوار بين المغيرة بن شعبة وبين معاوية بن أبي سفيان، وقد طلب منه: أن ينظر إلى إخوانه من بني هاشم ويصل رحمهم... قال له معاوية: هيهات هيهات، ملك أخو تميم فعدل، وفعل ما فعل، فو الله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: أبو بكر. ثمّ ملك أخو بني عديّ، فاجتهد وشمر عشر سنين، فو الله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل: عمر. ثمّ ملك عثمان، فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه، وفعل ما فعل، وعمل به ما عمل، فو الله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به. وإنّ أخا بني هاشم يُصاح به في كلّ يوم خمس مرّات: أشهد أنّ محمداً رسول الله، فأبى عمل

(١) نصيحة المشاور: ٢٢.

(٢) نصيحة المشاور: ١٩٥.

يبقى بعد هذا لا أمّ لك، لا والله إلا دفناً دفناً»^(١).

وفي النسق جاء المماليك والأيوبيون وكرّسوا لهذه السياسة الإقصائية، فغيّبوا الأشراف، ثم ورث الأتراك هذه التركة الظالمة، وهي حتّى الآن تُمارَس تحت عناوين مختلفة؛ تارةً بإلغاء لقب سيّد أو شريف أو أنصاري، أو يوضع آخر الاسم، وتثبيت أي لقب يدلّ على الهوية المذهبية؛ وقد ترتّب على هذا التصنيف المحاصصة المقنّعة غير المعلّنة في مناصب الوطن، فهم محرومون من أبسط الحقوق الإسلامية والوطنية، فلا مناصب قيادية، ولا مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني ذات الطابع الإنساني أو الثقافي أو الاجتماعي، وإن وجد شيء من هذا القبيل فهو تحت الرقابة المشدّدة والقيود المحبّطة والمعوقة، فهم يطالبون بالحدّ الأدنى من الحقوق مثل حفظ كرامتهم والمشاركة في بناء وطنهم، وعدم توظيف التعدّدية المذهبية بنشر ثقافة الاعتدال والتسامح.

القضاء

القضاء في اللغة:

قضي: القضاء: الحكم، والجمع الأقضية، والقضية مثله، والجمع القضايا على فعالٍ وأصله فعائل. وقضى عليه يقضي قضاءً وقضيةً، وهي مصدر، والاسم القضية؛ قال أبو بكر: قال أهل الحجاز: القاضي معناه في اللغة القاطع للأمور المحكم لها. واستقضي فلان أي جعل قاضياً يحكم بين الناس. وقضى الأمير قاضياً: كما تقول أمر أميراً، وتقول: قضى بينهم قضيةً وقضايا. والقضايا الأحكام، واحداً قضيةً. وفي صلح الحديبية: هذا ما قاضى عليه محمد، هو فاعلٌ من القضاء الفصل والحكم؛ لأنه كان بينه وبين أهل مكة، وقد تكرر في الحديث ذكر القضاء، وأصله القطع والفصل. يُقال: قضى يقضي قضاءً فهو قاضٍ إذا حكم وفصل»^(١).

القضاء في القرآن:

وردت كلمة قضي بعدة معاني، منها: الحكم كقوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾^(٢) و﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾^(٣)، ومنها: الإنهاء والإتمام

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة: قضي .

(٢) النساء: الآية ٦٥ .

(٣) طه: الآية ٧٢ .

كقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾^(١) و﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾^(٢)، والأمر ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٣)، والحث: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾^(٤). ومنها: الفعل والخلق: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(٥).

القضاء في مصطلح فقهاء الإمامية:

هو إنشاء الحكم الجزئي لحصول الموضوع أو المتعلق للكلية المجعول في الشريعة بمفاد القضية الحقيقية، أو الحكم بعدم الحصول فيما إذا وقعت الخصومة والمنازعة في حصول أحدهما بين شخصين أو أشخاص، أو تعيين الحكم في واقعة خارجية بتطبيق الكبرى المقررة في الشرع على تلك الواقعة فيما إذا وقعت المخاصمة في حكم تلك الواقعة، إما لجهل المتخاصمين بتلك الكبرى الكلية المجعولة في الشرع، أو اختلافهم في تلك الكبرى.

وقد يُطلق الحكم على ما ذكر وعلى مطلق الحكم بحصول الموضوع فيما إذا وقعت الشبهة فيه بين الناس من غير مخاصمة كالحكم برؤية الهلال، كما يُطلق أيضاً على تعيين الوظيفة الفعلية على الناس في مورد أو موارد لرعاية المصلحة العامة الموجبة له، ويُعبّر عن هذا القسم بالحكم الابتدائي.^(٦)

مواصفات القاضي

إنَّ القضاء مهمة صعبة؛ لأنه الوسيط بين السلطة التنفيذية والشعب، وبين القوي والضعيف، فلا يتصدى لهذه المهمة إلا مَنْ تكون له أهلية وهي:

(١) القصص: الآية ٢٩.

(٢) القصص: الآية ٢٨.

(٣) الإسراء: الآية ٢٣.

(٤) سبأ: الآية ١٤.

(٥) فصلت: الآية ١٢.

(٦) أسس القضاء والشهادة، لسماحة الشيخ العلامة آية الله الميرزا جواد التبريزي: ص ٦-٧.

١٠٤ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

- ١- البلوغ، ٢- كمال العقل، ٣- الإيمان، ٤- العدالة، ٥ - طهارة المولد،
- ٦- الذكورة، مع اختلاف في هذا الشرط، ٧- استقلالية بأهلية الفتوى، ٨- الضبط المعتاد.

فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «اتَّقُوا الحُكُومَةَ فَإِنَّ الحُكُومَةَ إِنَّمَا هِيَ لِلإِمَامِ الْعَالِمِ بِالْقَضَاءِ، الْعَادِلِ فِي الْمُسْلِمِينَ؛ لِنَبِيِّ أَوْ وَصِيِّ نَبِيِّ»^(١).
وفي رواية إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام لشريح: يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي»^(٢).

حيثيات القضاء

خلق الله الإنسان ووفّر له أسباب البقاء، فقال سبحانه: «أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا»^(٣). فهذه الآية وغيرها آيات كثيرة تشرّع قانون حقّ الحياة لكلّ كائن حيّ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قُتِلَ بالمدينة قتيل على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يُعلم مَنْ قَتَلَهُ، فصعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فقال: أَيُّهَا النَّاسُ قَتَلَ قَتِيلًا وَأَنَا فِيكُمْ وَلَا نَعْلَمُ مَنْ قَتَلَهُ؟ وَلَوْ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَلَى قَتْلِ امْرِئٍ لَعَذَّبَهُمُ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ»^(٤).

ووثيقة مكّة التي وقّعها جميع الأطراف من العراقيين التي تُحرّم القتل بين أبناء الشعب العراقي لم يجفّ خبرها، وأخبار القتل تتوالى على مسمع ومرآى من

(١) و (٢) الوسائل ١٨ : ٧، أبواب صفات القاضي، الباب الثالث ح ٣ و ٢ .

(٣) المائدة: الآية ٣٢ .

(٤) الدر المنثور للسيوطي: ج ٢ ص ١٩٩ .

سكّان الأرض.

فمن أهمّ بواعث الأمن والاستقرار للأنظمة والشعوب، إشاعة العدل واحترام العدالة والمساواة بين مكوّنات كلّ شعبٍ وبلد.

قرأنا في بعض الصحف التي تعرّضت للسيرة الذاتية لأحد رؤساء بريطانيا وهو تشرشل، أنّه عندما فاز بمنصب رئيس الحكومة في بلده سأل سلفه: كيف القضاء في الحكومات السابقة؟ فأجابه: بأنّه قضاء نظيف ونزيه مستقلّ، فقال الرئيس الجديد: إذاً البلاد بخير.

إنّ القضاء هو الوسيط بين الشعب والحكومة، فهو يحمي الناس من ظلم الحكّام وحيف الأقوياء وتسلّط الجبّارة.

فالإسلام جاء لإرساء قواعد العدل، وإنهاء أصول الاستبداد والظلم. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٢).

فالدولة تقوم على السلطات الثلاثة: التشريعيّة والقضائيّة والتنفيذيّة؛ فالسلطة القضائيّة من أعظم السلطات في الدولة، بل هي أعظمها؛ لأنّها المانع من الفوضى والاستبداد والفساد وإشاعة الظلم وغياب العدل الذي هو مطلب جماهيري، والإمام عليّ عليه السلام قد قدّر لهذه السلطة قدرها؛ فوضع لها قواعد وسنّ لها قوانين، فمن تأسيسه لقضاء عادل ما جاء في رسالته لعامله على مصر وهو مالك الأشتر عليه السلام، فمما قال عليه السلام له:

«فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإنّ هذا الدّين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار،

(١) الحديد: الآية ٢٥.

(٢) النساء: الآية ٥٨.

يعمل فيه بالهوى، وتُطلب به الدنيا»^(١).

ومن خطبة له عليه السلام :

«وآخرُ قد تسمي عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهالٍ، وأضاليلَ من ضلّالٍ، ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرورٍ، وقول زورٍ، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحقّ على أهوائه، يؤمن الناس من العظام، ويهون كبير الجرائم، يقول: أقفُ عند الشبهات وفيها وقع. ويقول: اعتزل البدع وبينها اضطلع، فالصورة صورة إنسانٍ، والقلب قلب حيوانٍ»^(٢).

وقال عليه السلام في كلام آخر:

«ورجل قمش جهلاً، مُوضِعٌ في جهال الأُمّة، عادٍ في أغباش الفتنة، عم بما في عقد الهدنة، قد سمّاه أشباه الناس عالماً وليس به، بكرّ فاستكثر من جمع ما قلّ منه خيرٌ ممّا كثر، حتّى إذا ارتوى من ماءٍ آجنٍ، واكثر من غير طائلٍ، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشواً رثاً من رأيه ثمّ قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ؟ فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب، جاهل خباط جهالات، عاشٍ ركبّ عشواتٍ، لم يعضّ على العلم بضررٍ قاطعٍ»^(٣).

فالقضاء أهمّ مؤسسات الدولة؛ لأنّ مهنة القضاء وطبيعتها أنّها تُضفي على القضاء القداسة، ومن حيثيّات القضاء العلم والفطنة والاستقلال عن التأثير بالمُغريات، فباسم العدل تضيع حقوق الناس، وباسم الظلم يقع الحيف على الأبرياء، فالقضاء حين يُسلّم إلى غير المؤهلين له ينقلب إلى إدارة ظلم للضعفاء

(١) نهج البلاغة: ٤٣٥، الرسالة: ٥٣.

(٢) نهج البلاغة: ١١٩، الخطبة ٨٧.

(٣) نهج البلاغة: ٥٩ - ٦٠، الرسالة: ١٧.

ومؤسسة ترعى مصالح الأقوياء والمتسلطين، ولأجل تفادي الانحراف في مسيرة القضاء وضع عليه السلام تصوّراً يجب أن يُتَّبَعَ في اختيار هذه النخبة.

أشكال الحكم في القديم والحديث

إنّ الحكم في المجتمعات البشريّة مرّ بمراحل، هي:

حكم رئيس الأسرة لأفراد أسرته وإدارة شؤونهم، ثمّ رئيس القبيلة، أو العشيرة، ثمّ رئيس بلدة، ثمّ الملك، ثمّ الأسرة تحكم شعباً، أو طبقة النبلاء يحكمون أمةً، فهذه التجارب التي مرّت بها الأمم جعلت بعض المفكرين يصوغون منها أحكاماً ويفتون قوانين جعلت فيما بعد نظاماً للحكم والإدارة، فحكمت بها الشعوب قديماً وحديثاً.

١- النظام الدكتاتوري:

نظام تتركّز فيه جميع السلطات بيد شخص واحد يمارسها حسب مزاجه، دون الرجوع إلى قانون أخلاقي، وأصل الكلمة في النظام الدستوري في روما، حيث كان يتولّى الحاكم - بناءً على طلب من الشعب ولمدّة ستّة أشهر - جميع السلطات، وذلك في حالات الطوارئ، فالدكتاتورية كانت بالأصل وظيفة دستورية يمارسها بصورة مؤقتة من ينتخبه الشعب لحماية الدولة باسم السلامة العامة، ويُسمّى ذلك الحاكم بالدكتاتور.

٢- النظام الأرستقراطي:

هي فكرة سياسيّة ترجع في أصولها لأفلاطون اليونان، فمفكّروا اليونان تتلمذ أولهم على نبيّ الله إدريس عليه السلام.

كان أفلاطون لا يرتاح إلى الحكم الديمقراطي، ويحب أن يحكم البلاد

١٠٨ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

طبقة كان يسميها بالطبقة الذهبية، وهم طبقة الأشراف والمثقفين، وسمّاها بعده «أرسطو» سلطة الحكماء.

وقد كانت طبقة الأرستقراطيين أو النبلاء صاحبة القرار في القرون الوسطى.

٣-الأوتوقراطية:

وهي نظام الحكم الفردي، أو الحكم الاستبدادي الذي يكون فيه للحاكم مطلق الحرية في التصرف في الدولة، بدون إيجاد مؤسسات أخرى تشريعية، أو استشارة، وهو يتفق ويتطابق في كثير من حيثياته مع النظام الدكتاتوري.

٤-الأوليفارشية:

وهي حكم القلة، أو الحكومة والدولة التي تقوم السلطة الفعلية فيها على أيدي الأقلية في المجتمع، وفي العصر الحديث يستخدم هذا التعبير لوصف الحكومات التي تعتمد على نفوذ أجنبي، أو يكون اعتمادها على دوائر تأثير محدود في المجتمع، مثل رجال المال والصناعة، أو الجيش، والتنظيمات المسلحة، أو حزب من الأحزاب السياسية.

٥-الديمقراطية:

الكلمة يونانية الأصل، وتعني حكم الشعب للشعب، أي أنّ الشعب هو مصدر السلطات، وهي اصطلاحاً: نظام سياسي اجتماعي، يُقيم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة ضمن مبدأ مشاركة الشعب في صنع القرارات عبر مُمثليه في مجلس النواب المنتخب، وأساس هذا النظام: العقد الاجتماعي بين الشعب والحكومة، وللديمقراطية أنواع تتحد في فكرة أنّ الشعب هو مصدر السلطات،

ويعتمد جميعها على حكم الأغلبية مثل :

الديمقراطية المباشرة :

حيث يتم الاقتراع العام على جميع التشريعات واختيار الأشخاص الذين يمثلون الأمة في التنفيذ..

الديمقراطية شبه المباشرة :

وهي ينتخب الشعب نوابه لمناقشة القضايا والقوانين العامة، وتعيين السلطة التنفيذية، ومحاسبتها على أعمالها، لكن يتم الاستفتاء على التشريعات، وعلى المسائل الرئيسية الكبرى.

الديمقراطية النيابية :

وهي : أن الشعب ينتخب نواباً عنه لممارسة السلطة التشريعية، وتعيين السلطة التنفيذية، بدون تحفظ، بشرط احترام الدستور ودورية الانتخابات.

٦-التيوقراطية:

أصل الكلمة يونانية، وتعني الحكم الديني، فهي نظام للحكم يقوم على أساس من الاعتقاد الديني، وهو يعتبر أن مصدر السلطة هو الله، والحاكم يستمد سلطته من الله، ويتم اختياره من قبل الله مباشرة، فهو ظل الله -كما يدعون- وقد يكون الحاكم مُنتخباً من قبل المجتمع الذي يتدين بتلك العقيدة، وانتخابه للحاكم مقيد بالالتزام بالاعتقاد الديني^(١).

(١) المرجع في جميع المصطلحات الستة المتقدمة: الشورى والبيعة ودورهما في انعقاد الإمامة الكبرى، لمصطفى قصير العاملي.

الطبقة الأولى من القضاة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام

- ١- الرسول الأعظم محمد ﷺ
- ٢- الإمام علي ﷺ
- ٣- الإمام الحسن بن علي ﷺ
- ٤- الإمام الحسين بن علي ﷺ
- ٥- الإمام علي بن الحسين ﷺ
- ٦- الإمام محمد الباقر ﷺ
- ٧- الإمام جعفر الصادق ﷺ
- ٨- الإمام موسى الكاظم ﷺ
- ٩- الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ
- ١٠- الإمام محمد الجواد ﷺ
- ١١- الإمام علي الهادي ﷺ
- ١٢- الإمام الحسن العسكري ﷺ
- ١٣- الإمام محمد المهدي ﷺ

النبي الأكرم ﷺ

اسمه: محمّد .

أبوه: عبد الله .

أمّه: آمنه بنت وهب بن عبد مناف .

جدّه: عبد المطلب واسمه شيبه الحمد بن هاشم .

ولادته: ولد ﷺ بمكة يوم الجمعة أو يوم الاثنين عند طلوع الشمس أو عند طلوع الفجر أو عند الزوال على اختلاف الأقوال ، السابع عشر من شهر ربيع الأول على المشهور بين الإماميّة .

رضاعه: أرضعته أولاً ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح أياماً قبل أن تقدّم حليلة وكانت أرضعت قبل عمّه حمزة .

ثم أرضعته حتّى شبّ حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله السعديّة من بني سعد ابن بكر ، وكان أهل مكة يسترضعون لأولادهم نساء أهل البادية طلباً للفصاحة ، ولذلك قال ﷺ : أنا أفصح من نطق بالضاد ، بيد أنّي من قريش واسترضعت في بني سعد ! .

كفّالته ﷺ : كفّل النبي ﷺ بعد أبيه جدّه عبد المطلب ، وقام بتربيته وحفظه أحسن قيام ، ورقّ عليه رقّة لم يرقّه على ولده .

أشهر زوجاته: خديجة بنت خويلد .

صفته: كان ﷺ - كما وصفه عليّ أمير المؤمنين عليه السلام - : أبيض اللون مشرباً حمرة ، أدعج العين ، سبط الشعر أسوده (وفي رواية: لم يكن بالجعد القلط ولا السبط) كان جعداً رجلاً كثّ اللحية ، سهل الخدّ ، صلت الجبين ، ذا وفرة ، دقيق المسربة (وفي رواية: طويل المسربة) كأنّ عنقه إبريق فضّة ، له شعر من لبتة إلى

سرّته يجري كالقضيّب، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، شثن الكف والقدم، إذا مشى كأنما ينحدر من صيب، وإذا مشى كأنما ينقلع من صخر.
(وفي رواية: إذا مشى تقلّع كأنما ينحدر من صيب)، (وفي أخرى: إذا مشى تكفّأ كأنما يمشي في صعد)، (وفي رواية: تكفّأ تكفّؤاً كأنما ينحطّ من صيب)، إذا التفت التفتَ جميعاً، كأنّ عرقه في وجهه اللؤلؤ، ولريح عرقه أطيب من المسك الأذفر، إذا جاء مع القوم غمرهم، ليس بالقصير ولا بالطويل، (وفي رواية: كان ربعة من القوم)، (وفي رواية: ليس بالذهاب طويلاً وفوق الربعة)، (وفي أخرى: وهو إلى الطول أقرب).

ولا بالعاجز ولا اللثيم، لم أر قبله ولا بعده مثله تدوير أجرد.
أجود الناس كفّاً، وأجراً الناس قلباً، وأوسع الناس صدرأً، وأصدق الناس لهجَةً، وأوفى الناس بذمّة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، مَنْ رآه بديهةً هابئةً، ومَنْ خالطه معرفةً أحبه، يقول باغته (أو ناعته) لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ.

أولاده: القاسم، عبد الله، إبراهيم.

بناته: فاطمة عليها السلام، زينب، رقية، أمّ كلثوم.

أعمامه: أبو طالب، الزبير، حمزة، المقوم، العباس، ضرار، الحارث، قثم، أبو لهب، الغيداق، وزاد بعضهم جحل واسمه المغيرة، وعبد الكعبة.
عقاته: صفية أمّ الزبير بن العوّام وهي شقيقة حمزة، عاتكة، أمّ حكيم، برّة، أميمة، أروى.

بوابه: أنس بن مالك مولا.

شعراؤه: حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك.
مؤذّنوه: بلال، وابن أمّ مكتوم بالمدينة، وسعد القرط مولى عمّار بن ياسر بقبا.

سلاحه: كان له تسعة سيوف منها ذو الفقار، وسبع دروع منها ذات الفضول،

١١٤ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

وست قسي، وثلاث أتراس، ورمحان، وثلاث جراب، وخوذتان.

دوابه: كان له أفراس أربع: لزاز، والظرب، والمترجز، واليعسوب. وقيل ست: فزيد السكب، واللحيف.

ونوقه المَعْدَة للركوب ثلاثة: القصواء، والعضباء، والصهباء.

وبغاله ست: أشهرها لدل وكان شهباء.

وحُمرة اثنان: أحدهما يغفور.

نقش خاتمه: «محمّد رسول الله» ثلاثة أسطر. وقيل: كان نقش خاتمه (أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله)، وكان خاتمه من حديد ملوي عليه فضّة. وفاته: يوم الاثنين على المشهور بين العلماء عند الزوال لليلتين بقيتا من صفر عند أكثر الإماميّة، ٢٨ من شهر صفر سنة ١١ هـ. قبره: دُفن في المدينة المنورة^(١).

القضاء في أول حكومة إسلاميّة بالمدينة

وضع القرآن الكريم الخطوط العريضة للقضاء في الإسلام فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

فالقرآن الكريم والكتب السماويّة الأخرى جمعت السلطات الثلاث كلّها في الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾^(٤).

(١) حول ما يرتبط بشخصيّة عليه السلام راجع كتب السيرة، ومنها إعلام الوري بأعلام الهدى ١: ٤٦٤٣.

(٢) النساء: الآية ٦٥.

(٣) ص: الآية ٢٦.

(٤) المائدة: الآية ٤٢.

وقال: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١)، وقال: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٢).

تأسيس النبي ﷺ للقضاء

من تأسيسات النبي ﷺ للقضاء قوله: «أمرت أن أحكم في القضايا الظاهرية والعلنية، والله يتولّى الأمور المخفية والباطنية».

وفي الحديث آخر عنه ﷺ: «إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان»^(٣).

وفي حديث: «سوِّ بين الخصمين لحظك ولفظك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضي حتّى تسمع كلام الآخر كما سمعت كلام الأول، فإنّه أحرى أن يبين لك وجه القضاء».

وفيه: «إعلم أنّه يجب عليك أن تساوي بين الخصمين حتّى النظر إليهما، حتّى لا يكون نظرك إلى أحدهما أكثر من نظرك إلى الثاني»^(٤).

ومن جملة القواعد الحقوقية التي أسسها نبي الإسلام ﷺ هي: «الناس مسلّطون على أموالهم وأنفسهم»، وقاعدة: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»^(٥).

نماذج من أحكام النبي ﷺ وقضائه

روت أم سلمة زوجة النبي ﷺ حديثاً، قالت فيه: جاء رجلان إلى النبي ﷺ في قضية، وما أن سماعاً كلام النبي ﷺ حتّى استغرقا في البكاء، وكلّ واحدٍ منهما يقول: وهبتُ حقّي لأخي، فقال النبي ﷺ: اتركا هذا الأمر واذهبا لتطلبيا الحقّ

(١) المائدة: الآية ٤٢.

(٢) المائدة: الآية ٤٨.

(٣) دعائم الإسلام، ج ٢، ص ٥١٨.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٧، ص ٣٥٠، باب ٣، ح ٢١٥٤٦.

(٥) راجع كتاب: أوّل حكومة إسلاميّة في المدينة المنورة للسيد محمد الحسيني الشيرازي.

واقرا بينكما، وبعد ذلك يتنازل كل منكما عن حقه لصاحبه.

وفي أحد الأيام جاء رجلا إلى النبي ﷺ في ملكية أرض، وطلبا منه أن يقضي بينهما، ولم يكن لهما من الأدلة الكافية التي تثبت مدعى كل منهما، فأمر النبي ﷺ بإحلافهما حتى يجري القرعة بينهما.

وفي الشفعة أيضاً أعطى النبي ﷺ رأيه، وعيّن سهم الشريك وقضى في مسألة الدين وكان أحد المحكومين عليه «معاذ» الذي اضطرّ لبيع حصته إلى المرتبطين به من الشركاء.

اجتماع السلطات في الحاكم

في بداية تأسيس الدولة الإسلامية كانت جميع السلطات منوطة بشخص النبي ﷺ بمقتضى ما جاءت به الآيات القرآنية السابقة، ويختص ذلك بأن يكون الولي معصوماً مسدداً من السماء كالأنبياء والأوصياء عليهم السلام، إضافة إلى كون المجتمع بسيطاً في عدده وثقافته ولم يصل بعد إلى حدّ التعقيد والنضج الثقافي والاجتماعي، فإذا كثرت الأعمال وتعقدت شؤون الحياة، لزم فصل السلطات، كما رأينا في الفصل السابق في وصية الإمام علي عليه السلام لعامله على مصر مالك الأشر النخعي رضي الله عنه.

تأسيس النبي الأعظم ﷺ لفصل السلطات

قد أسس رسول الله ﷺ لمبدأ فصل السلطات. جاء في التاريخ أنّه كان لأخوين شركة في دار، وقد شيّدا جداراً وجاءوا إلى النبي ﷺ ليقضي بينهم... فما كان من النبي ﷺ إلا أن يوفد حذيفة بن اليمان لمشاهدة المحلّ لفحصه والتحقيق في هذا الصدد، فذهب حذيفة إلى المكان المتنازع عليه وتأمل فيه وصوّب نظره على دقائق الأمور، وانتهى بعد المشاهدة والفحص إلى أنّ الحائط المشيد كان بفعل الورثة، فعاد حذيفة إلى النبي ﷺ وأطلعهُ على التحقيق في القضية والنتيجة

التي توصل إليها، فقال النبي ﷺ: أبدت رأياً صحيحاً وعملت عملاً حسناً وفي محله.

ويعقب على ذلك الشيرازي بقوله: فالولاية ومنصب القضاء في زمن النبي ﷺ لم يكن منفصلاً عن بقية الوظائف والولايات الأخرى بأي نحو كان، والنبي ﷺ لم يسند مسؤولية القضاء لشخص بشكل كلي وعام، نعم في بعض الموارد كان يأمر بالرجوع إلى علي عليه السلام حيث قال ﷺ: «أقضاكم علي»^(١).

ولكن إسناده القضاء وفصل السلطات لا يتعارض مع الآيات التي وردت في حق الأنبياء السابقين ﷺ ونبينا محمد ﷺ، بل هو ضرورة تقتضيها طبيعة الحياة للمجتمعات لقول الإمام علي عليه السلام لمالك الأشر: «واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأس لا يقهره كبيرها ولا يتشت عليه كثيرها».

وممن أسس لفصل القضاء الخليفة عمر بن الخطاب، نقل صاحب التحفة اللطيفة عن الزهري قوله: ما اتخذ النبي ﷺ قاضياً ولا أبو بكر، ولا عمر حتى قال عمر للسائب بن يزيد، ابن أخت نمر: لو رَوَّحت عني بعض الأمر... إلى أن يقول: وأول من استعمل قاضياً - بعد قول عمر للسائب - عثمان^(٢)، انتهى.

(١) كشف الغمّة ١: ١٦٢.

(٢) التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٨.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

اسمه: عليّ.

أبوه: أبو طالب (عبد مناف).

أمّه: فاطمة بنت أسد بن هاشم.

جدّه: عبد المطلب بن هاشم.

إخوته: طالب، عقيل، جعفر.

أخواته: أمّ هاني، جمانة.

ولادته: ولد عليه السلام يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب في الكعبة المكرّمة بعد مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بثلاثين سنة.

صفته: كان عليه السلام ربع القامة، أزج الحاجبين، أدعج العينين أنجل، حسن الوجه كأنّ وجهه القمر ليلة البدر حسناً، وهو إلى السمرة، أصلع له حفاف من خلفه كأنّه أكليل، أغيد كأنّه عنقه إريق فضّة، وهو أرقب، ضخم البطن، أقرى الظهر، عريض الصدر، محض المتن، شثن الكفّين، ضخم الكسور، لا يبين عضده من ساعده قد أدمجت إدماجاً، عبل الذراعين، عريض المنكبين، عظيم المشاشين كمشاش السبع الضاري، له لحية قد زانت صدره، غليظ العضلات، حمش الساقين^(١).

(١) حياة أمير المؤمنين للصدر، ص ٣٧، وذخائر العقبى، ص ٥٧. وتفصيل ذلك:

ربعة: لا طويل ولا قصير. أزج الحاجبين: زَجّ حاجبه رَقّ في طول فهو أزج. أنجل: وسعت عينه وحسّنت فهو أنجل. الصلع: انحسار شعر مقدم الرأس. الحفاف: الطرّة من الشعر حول رأس الأصلع. الأكليل: شبه عصاة تزّين بالجوهر. الأرقب: غليظ الرقبة. المحض: الخالص. متن الظهر: ما يكتنف الصلب عن يمين وشمال من لحم وعصب. وقيل: إنّه كناية عن الاستواء، وعن اندماج الآخر بحيث لا يبيّن فيه المفاصل، ويرى قطعة واحدة. أقرى الظهر: أي طوله. شثن الكفّين: أي غليظهما. الكسر: جزء من العضو أو جزء من العظم مع ما عليه من اللحم. عبل الذراعين: أي ضخم الذراعين، فإنّ العبل الضخم من كلّ شيء.

إسلامه: هو أوّل مَنْ أسلم.

أشهر زوجاته: فاطمة الزهراء عليها السلام، خولة بنت جعفر بن قيس الخثعميّة، أمّ حبيب بنت ربيعة، أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن دارم، ليلى بنت مسعود الدارميّة، أسماء بنت عميس الخثعميّة، أمّ سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي.

أولاده: الحسن عليه السلام، الحسين عليه السلام، محمّد (المكنّى بأبي القاسم)، عمر، العبّاس، جعفر، عثمان، عبد الله، محمّد الأصغر (المكنّى بأبي بكر)، عبيد الله، يحيى.

بناته: زينب الكبرى. زينب الصغرى (المُكنّاة بأُمّ كلثوم)، رقيّة، أمّ الحسن، رملة، نفيسة، زينب الصغرى، رقيّة الصغرى، أمّ هاني، أمّ الكرام جمانة (المُكنّاة أمّ جعفر)، أمانة، أمّ سلمة، ميمونة، خديجة، فاطمة ^(١).

كنّاه: أبو الحسن، أبو الحسين، أبو السبطين، أبو الريحاتين، أبو تراب (كنّاه بها رسول الله صلى الله عليه وآله).

ألقابه: أمير المؤمنين، المرتضى، الوصي، حيدرة، يعسوب المؤمنين، يعسوب الدّين.

خصائصه:

أ- ولد في الكعبة، ولم يولد بها أحد قبله ولا بعده.

ب- آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين عليّ لما آخى بين المسلمين.

ج- أمره رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض سراياه، ولم يجعل عليه أميراً.

هـ- بلغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله سورة براءة.

بيعته: بُويع له بالخلافة في الثامن عشر من ذي الحجّة في السنة العاشرة من الهجرة في «غدير خم» بأمر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، واستلم الحكم في ذي الحجّة

(١) هذا ما ذكره الشيخ المفيد وأضاف فقال: ومن الشيعة من يذكر المحسن فيكون ثمانية وعشرون. الإرشاد: ١ / ٣٥٤ - ٣٥٥.

في السنة الخامسة والثلاثين من الهجرة .

عاصمته: الكوفة .

نقش خاتمه: الله الملك ، وعليّ عبده .

حروبه: الجمل ، صفّين ، النهروان .

رايته: راية رسول الله صلى الله عليه وآله .

آثاره: نهج البلاغة .

كاتبه: عبد الله بن أبي رافع .

شهادته: ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة أثناء اشتغاله بصلاة الفجر في مسجد الكوفة ، وتوفي في ليلة إحدى وعشرين من الشهر المذكور .

قبره: دفنه الحسن عليه السلام في الغري ، وأخفى قبره مخافة الخوارج ومعاوية ، وهو اليوم ينافس السماء سموّاً ورفعةً ، على أعتابه يتكدّس الذهب ، ويتنافس المسلمون في زيارته من جميع العالم الإسلامي .

مجمع الفضائل

لم تعرف الدنيا رجلاً جمع الفضائل ومكارم الأخلاق بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كالإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد سبق الأولين ، وأعجز الآخرين ، ففضائله عليه السلام أكثر من أن تُحصى ، ومناقبه أبعد من أن تتناهى ، وكيف تُعدّ مناقب رجل قال فيه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يوم برز لعمر بن عبد ودّ العامري: برز الإيمان كلّهُ إلى الشرك كلّهُ ، وقال فيه بعدما قتله: ضربة عليّ لعمر بن عبد ودّ الخندق تعدلُ عبادة الثقلين .

وقد روى مجاهد قال: سأل رجل عن ابن عباس فقال: ما أكثر فضائل عليّ

ابن أبي طالب، وإني لأظنها ثلاثة آلاف. فقال له ابن عباس: هي إلى الثلاثين ألفاً أقرب من ثلاثة آلاف، ثم قال ابن عباس: لو أن الشجر أقلام، والبحر مداد، والإنس والجنّ كتاب وحساب، ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام^(١).

وكيف تُحصى فضائل رجل هو أول الناس إسلاماً، وأكثرهم عبادةً، وأزهدهم في الدنيا، وأسخاهم يداً، وأكثرهم جهاداً، وأعلمهم بالكتاب والسنة، وأفصحهم منطقاً، وأفصحهم عند المقدرة.

والحديث عن إسلامه حديثٌ عن الإسلام بأسره، فلولا ما قام الإسلام ولا عبد الله تعالى.

لقد قام الإسلام على ركائز: دعوة الرسول ﷺ وجهاده، وتقانيه في سبيل نشر هذا الدين، ودفاع عمّه أبي طالب عليه السلام عنه والتزامه إياه، وذوده عنه، وجهاد عليّ عليه السلام، وأموال خديجة عليها السلام؛ وعليّ بعد هذا وذاك أول من لبى دعوة الرسول ﷺ، فهو بإجماع من المؤرخين وأهل السير أول من أسلم. قال عليه السلام: أنا أول من صدّقه^(٢).

وقال أهل السير: بُعث النبي ﷺ يوم الاثنين، وأسلم عليّ يوم الثلاثاء^(٣). وعن عفيف الكندي -أخي الأشعث بن قيس- قال: رأيت شاباً يُصلي، ثم جاء غلام فقام عن يمينه، ثم جاءت امرأة فقامت خلفهما، فقلت للعبّاس: هذا أمرٌ عظيم. قال: ويحك هذا محمّد، وهذا عليّ، وهذه خديجة، إنّ ابن أخي هذا حدّثني أنّ ربّه ربّ السماوات والأرض أمر بهذا الدين، والله ما على ظهر الأرض على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. وكان عفيف يقول بعد إسلامه: لو كنت أسلمت

(١) تذكرة الخواص، ص ٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٣٧.

(٣) أعيان الشيعة، ٣ق، ج ١، ص ٦١. وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب والحاكم في المستدرک على الصحيحين.

يومئذ كنت ثانياً مع عليّ بن أبي طالب ^(١).

وإذا تحدثنا عن عبادته عليه السلام : فقد مرّ عليك قوله عليه السلام : ضربة عليّ لعمر يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين ، فأَيُّ عبادة أعظم من هذه العبادة ؟ وحياة عليّ بن أبي طالب كلّها عبادة ، وحركاته كلّها طاعة .

والحديث عن صلاته وأوراده : فناهيك برجلٍ كان أوّل مَنْ صَلَّى مع

الرسول صلى الله عليه وآله .

قال عليه السلام : صَلَّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الناس سبع سنين ، وأنا أوّل من

صَلَّيْتُ معه ^(٢).

وقال عليه السلام : أَسَلَمْتُ قبل إسلام الناس ، وَصَلَّيت قبل صلاتهم ^(٣).

وكان عليه السلام يُصَلِّي في اليوم واللييلة ألف ركعة ^(٤).

قال ابن أبي الحديد : وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصّفين ليلة الهرير فيُصَلِّي عليه ورده ، والسّهام تقع بين يديه ، وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك ، ولا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته ، وما ظنّك برجل كانت جبهته كنفثة البعير لطول سجوده ؛ وإذا تأملت دعواته ومناجاته ، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله ، وما يتضمّنه من الخضوع لهيبته ، والخشوع لعزّته ، والاستجداء له ، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص ، وفهمت من أيّ قلبٍ خرجت ، وعلى أيّ لسانٍ جرت ؛ وقيل لعليّ بن الحسين عليه السلام - وكان غايةً في العبادة - : أين عبادتك من عبادة جدّك ؟

قال : - عبادتي من عبادة جدّي كعبادة جدّي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٥).

(١) المناقب : ج ١ ، ص ٢٥٠ .

(٢) تذكرة الخواصّ ، ص ٦٣ .

(٣) شرح نهج البلاغة ١ / ١٠ .

(٤) الغدير ، ج ٥ ، ص ٢٥ عن مصادر كثيرة .

(٥) شرح نهج البلاغة : ٩ / ١ .

وأما زهده: فلم تعرف الدنيا حاكماً خضعت له البلاد، ودانت له الدول، وهو يلبس ثوباً بثلاثة دراهم، فإذا وجد فيه طويلاً قطعه بشفرة.

قال أبو النوار -بيّاع الكرايس-: أتاني عليّ بن أبي طالب ومعه غلام، فاشترى مني قميصي كرايس، فقال لغلامه: اختر أيهما شئت، فأخذ أحدهما، وأخذ عليّ الآخر فلبسه، ثم مدّ يده فقال: اقطع الذي يفضل من قدر يدي فقطعته وكفّه ولبسه وذهب^(١).

وهو القائل: رقعت مدرعتي حتى استحيت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها عنك، فقلت أغرب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى^(٢).

ولم يكن طعامه بأحسن من لباسه، فكان لا يزيد على قرص شعير.
قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت عليه يوم عيد، فقدم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً، فقدم فأكل.

فقلت يا أمير المؤمنين: فكيف تختمه؟

قال: خفتُ هذين الولدين أن يلتاه بسمن أو زيت^(٣).

وقال الأحنف بن قيس لمعاوية: دخلت عليه ليلة إفطاره فقال لي: قم فتعش مع الحسن والحسين، ثم قام إلى الصلاة فلما فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأخرج منه شعيراً مطحوناً ثم ختمه.

فقلت: يا أمير المؤمنين: لم أعهدك بخيلاً فكيف ختمت على هذا الشعير؟

فقال: لم أختمه بخلاً، ولكن خفت أن يبسه الحسن والحسين بسمن

أو أهالة.

فقلت: أحرام؟

(١) أسد الغابة، ج ٤، ص ٢٤.

(٢) أعيان الشيعة، ج ٣، ص ١١٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٩-١.

١٢٤ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

قال: لا، ولكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم حالاً في الأكل واللباس، ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه، ليراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، ويراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً^(١).

وأما سخاؤه عليه السلام: فمن أسخى من رجل يُقدِّم طعام إفطاره لمسكين ويطوي ليلته، ويقدمه في الليلة الثانية ليتيم ويُمسي طاوياً، وفي الليلة الثالثة يُقدِّمه لأسير، حتى أنزل الله فيه: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾^(٢)،^(٣).

واستدرج سخاء علي عليه السلام عدوه اللدود معاوية بن أبي سفيان حتى قال فيه: وهو الذي لو ملك بيتاً من تبر، وبيتاً من تب، لأنفذ تبره قبل تبته^(٤).

وذكره الشعبي فقال: كان أسخى الناس^(٥).

وقسم بيت مال البصرة - بعد واقعة الجمل - فكان نصيب كل جندي خمسمائة درهم وأخذ عليه السلام خمسمائة أيضاً.

قال أبو الأسود الدؤلي: لما ظهر علي عليه السلام يوم الجمل دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين والأنصار وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه قال: غُزي غيري، مراراً، ثم نظر إلى المال وصعد فيه بصره وصوب وقال: أقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة، فقسَّم بينهم، فلا والذي بعث محمداً بالحق ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره؛ وكان ستة آلاف ألف درهم والناس إثنا عشر ألفاً^(٦).

(١) تذكرة الخواص، ص ٦٤.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٨ - ١٠.

(٣) إجماع المفسرين.

(٤) و (٥) شرح نهج البلاغة: ٧/١.

(٦) شرح نهج البلاغة: ١٠٠/١.

وقال حبة العرني: قَسَمَ عَلِيٌّ ﷺ بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة، وأخذ خمسمائة درهم كواحد منهم، فجاءه إنسان لم يحضر الوقعة فقال: يا أمير المؤمنين كنت شاهداً معك بقلبي وإن غاب عنك جسمي فأعطني من الفيء شيئاً، فدفع الذي أخذه لنفسه وهو خمسمائة درهم ولم يُصب من الفيء شيئاً^(١).

وإذا تحدثنا عن جهاده: فقد شهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها، وكان فيها الفارس المقدام والأسد الغالب، وحامل لواء المسلمين، ففي وقعة بدر الكبرى قتل خمسة وثلاثين من المشركين، وقتل المسلمون والملائكة خمسة وثلاثين أيضاً. وفي يوم أحد قتل أصحاب الألوية كلهم، ولما انهزم المسلمون - بعد هجوم خالد ابن الوليد عليهم - ثبت يدافع عن رسول الله ﷺ، ويكشف كتاب المشركين عنه، وقد ذكر المؤرخون وأصحاب السير نداء جبرئيل ﷺ في ذلك اليوم: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي^(٢).

وفي خيبر أخذ اللواء غير واحد من المهاجرين، وما أسرع أن يرجع كل واحد منهم إلى النبي ﷺ منهزماً، يُجَبِّن أصحابه ويحبّونه، حتّى غضب النبي ﷺ وقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله رسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّار غير فرّار، لا يرجع حتّى يفتح الله عليه.

وأصبح الصباح فاستدعى رسول الله ﷺ علياً ﷺ وأعطاه الراية، فأقبل يهرول بها إلى الحرب حتّى قتل مرحباً، ودحا باب الحصن، وقتل من اليهود مقتلة عظيمة، وتمّ النصر للمسلمين.

وفي يوم الأحزاب جاء أبو سفيان وجمهرة المشركين، وكان تخطيطهم القضاء على الرسول ﷺ والمسلمين، فقتل عليّ ﷺ قائدهم - عمرو بن عبد ودّ

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠٠/١.

(٢) مناقب أمير المؤمنين ﷺ لابن المغازلي، ص ١٩٧.

١٢٦ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

العامري - وانهزم الجمع، وولّوا الدبر، ومن هنا كانت ضربته عليه السلام لعمره - كما يقول الرسول ﷺ -: تعدل عبادة الثقلين.

ويوم حنين فرّ المسلمون بأجمعهم إلا عشرة، تسعة من بني هاشم، وثبت هو عليه السلام يدافع عن النبي ﷺ، ويكشف الكتاب عنه، حتّى قتل أبا جرول - حامل راية المشركين - وفرت هوازن من بأسه ونكال وطئته، وتمّ النصر، وكسب المسلمون المعركة، وهكذا بقيّة مشاهد رسول الله ﷺ وغزواته.

بني الذين فاستقام ولولا ضرب ماضيك ما استقام البناء وأما علمه عليه السلام: فهو القائل: علّمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم، يُفتح لي من كلّ باب ألف باب^(١).

وقيل لابن عباس - وهو حبر الأمة -: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط^(٢). وهو القائل: لو تُنبت لي الوسادة لذكرت في تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم» حمل بعير^(٣).

وهو القائل: لو كسرت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، وما من آية في كتاب الله أنزلت في سهلٍ أو جبل، إلا وأنا أعلم متى نزلت، وفيمن أنزلت^(٤).

وهو عليه السلام القائل على رؤوس الأشهاد: سلوني قبل أن تفقدوني، فو الذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فتنة تهدي مائة وتضلّ مائة، إلا أنبأتكم بناقها وسائقها، ومناخ ركايبها، ومحطّ رحالها، ومَن

(١) فرائد السمطين: ١، ١٠١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٦/١.

(٣) تذكرة الخواص: ص ٣.

(٤) أعيان الشيعة: ٣، ج ١، ص ١٠٦.

يُقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منهم موتاً^(١).

قال سعيد بن المسيّب: ما كان أحدٌ من الناس يقول: سلوني غير عليّ بن أبي طالب^(٢). وبقي عليه السلام المفزع للمهمّات التي كانت ترد على من سبقه حتّى قال عمر ابن الخطّاب: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن عليّ، ولولا عليّ لهلك عمر^(٣).

وقال عثمان بن عفّان: لولا عليّ لهلك عثمان^(٤).

وأما فصاحته عليه السلام: فمنه تعلّم الناس الفصاحة، وبكلامه زين الكتاب كتاباتهم، والخطباء خطبهم.

قال عبد الحميد بن يحيى الكاتب: حفظت سبعين خطبة من خطب الأ صلح، ففاضت ثمّ فاضت^(٥).

وقال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلاّ سعةً وكثرة، حفظت مائة فصل من مواظ عليّ بن أبي طالب^(٦).

وهذا معاوية بن أبي سفيان رغم عداوته للإمام عليه السلام، وكيدته له، يقول لمحضر ابن أبي محضن لما قال له: جئتكَ من عند أعبي الناس، قال: ويحك كيف يكون أعبي الناس، فوالله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره^(٧).

وهذا نهج البلاغة فوق كلام المخلوقين، ودون كلام الخالق، هام فيه العلماء حفظاً وشرحاً؛ وقد ذكر الحجّة الأميني شروح النهج وأنّها إلى نيف

(١) نهج البلاغة: ١، ١٨٣.

(٢) أسد الغابة: ج ٤، ص ٢٢، الأئمة الإثنا عشر لابن طولون: ص ٥١.

(٣) تذكرة الخواص: ص ٨٧.

(٤) الغدير: ج ٨، ص ٢١٤ عن زين الفتى في شرح سورة هل أتى.

(٥) (٦) شرح نهج البلاغة: ١-٨.

وثمانين شرحاً^(١).

واستدرك العلامة الشيخ حسين جمعة على الشيخ الأميني «طاب ثراه» في موسوعته (معجم أدباء الشيعة) فأنتهى شروح النهج إلى مائة وثمان وخمسين شرحاً، من بينها شرح باللغة الإنجليزية.

وأما عفوه وصفحه عليه السلام : فموقفه مع أهل البصرة معلوم، فقد عفا عنهم لما ملكهم، وأمر أصحابه بالكف عنهم وعن أموالهم، ونادى مناديه: مَنْ ألقى سلاحه فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، وشمل عفوه حتى رؤساء القوم، وقادة العسكر، فقد عفا عن عائشة وجهزها بأحسن ما يكون إلى المدينة، وعفا عن مروان بن الحكم أعدى أعدائه.

وبالأمس كان ابن الزبير يخطب في أهل البصرة قائلاً: جاءكم الوجب اللثيم عليّ بن أبي طالب، فلما جيء به إليه قال عليه السلام له: إذهب فلا أريتك. كما عفا عن سعيد بن العاص لما قبض عليه في مكة.

هذه الإمامة سريعة ببعض مناقبه وفضائله عليه السلام؛ والحديث عن فضائله ومناقبه يحتاج إلى مجلّدات، وقد مرّ علينا قول عبد الله بن عباس: لو أنّ الشجر أقلام، والبحر مداد، والإنس والجنّ كتاب وحساب، ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

حِكْمُهُ

لا يمكن حصر ما جاء من كلماته عليه السلام القصار، فقد ورد منها في النهج ما يناهز الخمسمائة كلمة، وطبع الأديب اللبناني أمين الريحاني مائة كلمة له عليه السلام في كتابٍ مستقلٍّ، وطُبعت ألف كلمة من كلماته عليه السلام في كتاب خاصّ، وجمع آخرون

ألفي كلمة له ﷺ وطبعوها مؤخرًا.

وقد جمع عبد الواحد الآمدي من أعلام القرن السادس الهجري أكثر من إحدى عشر ألف كلمة من كلماته القصار في كتاب «غرر الحكم ودرر الكلم» المطبوع، والعلامة المعاصر الشيخ محمد باقر المحمودي استدرك على كتاب نهج البلاغة فألف كتابه «نهج السعادة» في أربعة عشر مجلدًا مطبوعاً.

من قضاياه ^(١) أيام النبي ﷺ

جاءت الآثار أن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في بقرة قتلت حماراً، فقال أحدهما: يا رسول الله، بقره هذا الرجل قتلَ حماري. فقال رسول الله ﷺ: «إذهب إلى أبي بكر فاسألاه عن ذلك»، فجاء إلى أبي بكر وقصا عليه قصتهما، فقال: كيف تركتما رسول الله ﷺ وجئتماني؟ قالوا: هو أمرنا بذلك، فقال لهما: بهيمة قتلت بهيمةً، لا شيء على ربها.

فعادا إلى النبي ﷺ فأخبراه بذلك فقال لهما: امضيا إلى عمر بن الخطاب وقصا عليه قصتكما واسألاه القضاء في ذلك»، فذهبا إليه وقصا عليه قصتهما، فقال لهما: كيف تركتما رسول الله ﷺ وجئتماني؟ قالوا: هو أمرنا بذلك، قال: فكيف لم يأمركما بالمصير إلى أبي بكر؟ قالوا: قد أمرنا بذلك فصرنا إليه. فقال: ما الذي قال لكما في هذه القضية؟ قالوا له: كيت وكيت، قال: ما أرى فيها إلّا ما رأى أبو بكر.

فعادا إلى النبي ﷺ فخبّراه الخبر، فقال: «إذهبوا إلى علي بن أبي طالب ليقضي بينكما» فذهبا إليه فقصا عليه قصتهما، فقال ﷺ: «إن كانت البقرة دخلت على الحمار في مأمنه، فعلى ربها قيمة الحمار لصاحبه، وإن كان الحمار دخل

(١) من هنا إلى ما بعده من قضايا أمير المؤمنين ﷺ تجده في «الإرشاد» للشيخ المفيد ١:

١٣٠ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

على البقرة في مأمنها فقتلته، فلا غُرم على صاحبها»، فعادا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه بقضيته بينهما، فقال ﷺ: «لقد قضى عليّ بن أبي طالب بينكما بقضاء الله عز اسمه، ثم قال: الحمد لله الذي جعل فينا - أهل البيت - من يقضي على سنن داود في القضاء»^(١).

وقد روى بعض العامة أنّ هذه القضية كانت من أمير المؤمنين عليه السلام بين الرجلين باليمن.

مختصر من قضائه عليه السلام في إمارة أبي بكر

فمن ذلك ما جاء الخبر به عن رجال من العامة والخاصة: أنّ رجلاً رُفِعَ إلى أبي بكرٍ وقد شرب الخمر، فأراد أن يُقيم عليه الحدّ فقال له: إنني شربتها ولا علم لي بتحريمها؛ لأنّي نشأت بين قوم يستحلونها، ولم أعلم بتحريمها حتّى الآن. فارتج^(٢) على أبي بكر الأمر بالحكم عليه، ولم يعلم وجه القضاء فيه، فأشار عليه بعض من حضره أن يستخير أمير المؤمنين عليه السلام عن الحكم في ذلك، فأرسل إليه من سأله عنه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «مُرّ ثقتين من رجال المسلمين يطوفان به على مجالس المهاجرين والأنصار، ويُنَاشِدَانِهِم الله هل فيهم أحدٌ تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله ﷺ؟ فإن شهد بذلك رجُلان منهم فأقم الحدّ عليه، وإن لم يشهد أحدٌ بذلك فاستبّه وخلّ سبيله»، ففعل ذلك أبو بكر، فلم يشهد عليه أحدٌ من المهاجرين والأنصار أنّه تلا عليه آية التحريم، ولا أخبره عن رسول الله ﷺ بذلك، فاستتابه أبو بكر وخلّى سبيله، وسلّم لعليّ عليه السلام في القضاء به^(٣).

(١) روي باختلاف يسير في الكافي ٧: ٣٥٢ / ٧، مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٥٤، وباختلاف في ألفاظه في تهذيب الأحكام ١٠: ٢٢٩ / ٣٤، وفضائل شاذان: ١٦٧، ونقله العلامة المجلسي في البحار ١٠٤: ٤٠٠ / ٢، وعن الإرشاد للمفيد ١: ١٩٧-١٩٨.

(٢) أرتج عليه وارتج عليه: استبهم عليه. «لسان العرب - رتج - ٢: ٢٨٠».

(٣) الكافي ٧: ٢١٦ / ٤، و٢٤٩ / ٤، وتهذيب الأحكام ١٠: ٩٤ / ٣٦١، خصائص الرضي: ٨١، مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٥٦ باختلاف يسير، ونقله العلامة المجلسي في البحار ٧٩: ١٣ / ١٥٩.

وَرَوَوْا: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًّا﴾^(١) فَلَمْ يَعْرِفْ مَعْنَى الْأَبِّ فِي الْقُرْآنِ، وَقَالَ أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي وَأَيُّ^(٢) أَرْضٍ تُقِلُّنِي أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ إِنْ قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا لَا أَعْلَمُ، أَمَّا الْفَاكِهَةُ فَتَغْرِفُهَا، وَأَمَّا الْأَبُّ فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ. فَبَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَقَالَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ عليه السلام: «يَا سُبْحَانَ اللَّهِ، أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْأَبَّ هُوَ الْكَلَّا وَالْمَرْعَى، وَأَنَّ قَوْلَهُ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًّا﴾ اعْتِدَادٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِإِنْعَامِهِ عَلَى خَلْقِهِ فِيمَا غَذَّاهُمْ بِهِ وَخَلَقَهُ لَهُمْ وَلَانِعْمَهُمْ مِمَّا تُحْيِي بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَتَقُومُ بِهِ أَجْسَادُهُمْ»^(٣).

وُسئِلَ أَبُو بَكْرٍ عَنِ الْكَلَالَةِ فَقَالَ: أَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِي، فَإِنْ أَصَبْتُ فَمِنَ اللَّهِ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَمِنَ نَفْسِي وَمِنَ الشَّيْطَانِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: «مَا أَغْنَاهُ عَنِ الرَّأْيِ فِي هَذَا الْمَكَانِ! أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْكَلَالَةَ هُمُ الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ مِنْ قَبْلِ الْأَبِّ وَالْأُمِّ، وَمِنْ قَبْلِ الْأَبِّ عَلَى انْفِرَادِهِ، وَمِنْ قَبْلِ الْأُمِّ أَيْضاً عَلَى حِدَّتِهَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ قَائِلاً: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾^(٤) وَقَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ﴾^(٥)،^(٦).

(١) سورة عبس ٨٠: الآية ٣١.

(٢) فِي هَامِش «ش»: أَمْ أَيُّ.

(٣) ذَكَرَ صَدْرُهُ ابْنَ شَهْرَآشُوبَ فِي مَنَاقِبِهِ ٢: ٣٢، وَالسَّيُوطِي فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٦: ٣١٧، عَنْ فَضَائِلِ أَبُو عُبَيْدٍ وَعَبْدِ بْنِ جَمِيلٍ، وَنَقَلَهُ الْبَحْرَانِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْبِرْهَانِ ٤: ٤٢٩ / ١، وَالْحَوْيْزِيُّ فِي تَفْسِيرِ نَوْرِ الثَّقَلَيْنِ ٥: ٥١١ / ١٤، وَالْعَلَّامَةُ الْمَجْلِسِيُّ فِي الْبَحَارِ ٧٩: ١٥٩ / ١٣.

(٤) سورة النساء ٤: الآية ١٧٦.

(٥) سورة النساء ٤: الآية ١٢.

(٦) سَنَنِ الدَّارِمِيِّ ٢: ٣٦٥، الْفُصُولُ الْمُخْتَارَةُ مِنَ الْعَيُونِ وَالْمَحَاسِنِ: ١٦١، وَشَرَحَ النَّهْجَ ١٧: ٢٠١، وَفِيهَا صَدْرُ الْحَدِيثِ، وَنَقَلَهُ الْعَلَّامَةُ الْمَجْلِسِيُّ فِي الْبَحَارِ ١٠٤: ٣٤٤ / ١٣.

وجاءت الرواية: أن بعضَ أخبار اليهود جاء إلى أبي بكر فقال: أنت خليفة نبي هذه الأمة؟ فقال له: نعم، فقال: فإننا نجدُ في التوراة أن خلفاء الأنبياء أعلمُ أمهم، فخبّرني عن الله تعالى أين هو في السماء أم في الأرض؟ فقال له أبو بكر: في السماء على العرش، فقال اليهودي: فأرى الأرض خاليةً منه، وأراه على هذا القول في مكان دون مكان. فقال أبو بكر: هذا كلامُ الزنادقة، أغرب عني وإلا قتلتك.

فولّى الخبر متعجباً يستهزئ بالإسلام، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: «يا يهودي، قد عرفتُ ما سألتَ عنه، وما أُجبتَ به، وإنا نقول: إن الله جلّ وعزّ أينَ الأَيْنَ فلا أينَ له، وجلّ عن أن يحويه مكان، وهو في كلّ مكان بغير مماسّة ولا مُجاوَرَة، يُحيط علماً بما فيها ولا يخلو شيء منها من تديره، وإني مُخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم يُصدّق ما ذكرته لك، فإن عرفتَه أتؤمنُ به؟» قال اليهودي: نعم، قال: «ألستم تجدون في بعض كتبكم أن موسى بن عمران عليه السلام كان ذاتَ يوم جالساً إذ جاءه ملكٌ من المشرق، فقال له موسى: من أين أقبلت؟ قال: من عند الله عزّ وجلّ، ثمّ جاءه ملكٌ من المغرب فقال له: من أين جئت؟ قال: من عند الله، وجاءه ملكٌ آخر، فقال: قد جئتُك من السماء السابعة من عند الله تعالى، وجاءه ملكٌ آخر فقال: قد جئتُك من الأرض السابعة السفلى من عند الله عزّ اسمه، فقال موسى عليه السلام: سبحان من لا يخلو منه مكانٌ، ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان» فقال اليهودي: أشهد أن هذا هو الحقّ، وأنتَ أحقُّ بمقام نبيك ممّن استولى عليه^(١).

وأمثالُ هذه الأخبار كثيرة.

(١) الاحتجاج ١: ٢٠٩، ونقله العلامة المجلسي في البحار ٤٠: ٢٤٨، الإرشاد للمفيد ١:

من قضاياه عليه السلام في إمارة عمر بن الخطاب

فمن ذلك ما جاءت به العامة والخاصة في قصة قدامة بن مظعون، وقد شرب الخمر فأراد عمر أن يحذه، فقال له قدامة: إنه لا يجب عليّ الحدّ، لأنّ الله تعالى يقول: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا»^(١) فدرأ عمرُ عنه الحدّ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فمشى إلى عمر فقال له: «لَمْ تَرَكَتْ إِقَامَةَ الْحَدِّ عَلَى قُدَامَةَ فِي شُرْبِهِ الْخَمْرِ؟» فقال له: إنه تلا عليّ الآية، وتلاها عمر على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «لَيْسَ قُدَامَةَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَلَا مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُ فِي ارْتِكَابِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا يَسْتَحِلُّونَ حَرَامًا، فَارْذُ قُدَامَةَ وَاسْتَبْنِهِ مِمَّا قَالَ، فَإِنْ تَابَ فَاقِمْ عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنْ لَمْ يَتُوبْ فَاقْتُلْهُ فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الْمِلَّةِ» فاستيقظ عمر لذلك، وعرف قدامة الخبر، فأظهر التوبة والإقلاع، فدرأ عمر عنه القتل، ولم يدر كيف يحذه. فقال لأمر المؤمنين: أشر عليّ في حذه، فقال: «حذه ثمانين، إن شارب الخمر إذا شربها سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى» فجَلَدَهُ عمر ثمانين وصار إلى قوله في ذلك^(٢).

ورَوَوْا: أَنَّ مَجْنُونَةً عَلَى عَهْدِ عُمَرَ فَجَّرَ بِهَا رَجُلٌ، فَقَامَتِ الْبَيْتَةُ عَلَيْهَا بِذَلِكَ، فَأَمَرَ عُمَرَ بِجُلْدِهَا بِالْحَدِّ، فَمَرَّ بِهَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَتُجْلَدَ فَقَالَ: «مَا بَالُ مَجْنُونَةٍ آلُ فَلَانٍ تَعْتَلُ»^(٣)؟ فقيل له: أَنَّ رَجُلًا فَجَّرَ بِهَا وَهَرَبَ، وَقَامَتِ الْبَيْتَةُ عَلَيْهَا، فَأَمَرَ عُمَرَ بِجُلْدِهَا، فَقَالَ لَهُمْ: «رُدُّوْهَا إِلَيْهِ وَقُولُوا لَهُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ هَذِهِ مَجْنُونَةٌ آلُ

(١) سورة المائدة ٥: الآية ٩٣.

(٢) روي نحوه في الكافي ٧: ٢١٥ / ١٠، التهذيب ١٠: ٩٣، تفسير العياشي ١: ٣٤١ / ١٨٩، علل الشرائع: ٥٣٩ / ٧، سنن الدارقطني ٣: ١٦٦، والدر المنثور ٣: ١٦١ ولم يذكر اسم قدامة ابن مظعون، ونقله العلامة المجلسي في البحار ٤٠: ٢٤٩ / ٤٣، ٧٩: ١٥٩ / ١٤.

(٣) تعتل: تجذب جذبا عنيفا. «الصالح - عتل - ٥: ١٧٥٨».

١٣٤ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

فلان! وأن النبي صلى الله عليه وآله قال: رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيقَ! إِنَّهَا مَغْلُوبَةٌ عَلَى عَقْلِهَا وَنَفْسُهَا، فُرِدَّتْ إِلَى عَمْرٍ، وَقِيلَ لَهُ مَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ لَقَدْ كَدْتُ أَنْ أَهْلِكَ فِي جَلْدِهَا. وَدَرَأَ عَنْهَا الْحَدَّ^(١).

وَرَوَوْا: أَنَّهُ أَتَى بِحَامِلٍ قَدْ زَنَتْ فَأَمَرَ بِرَجْمِهَا، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «هَبْ لَكَ سَبِيلٌ عَلَيْهَا، أَيُّ سَبِيلٍ لَكَ عَلَى مَا فِي بَطْنِهَا؟! وَاللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾»^(٢) فَقَالَ عَمْرٍ: لَا عِشْتُ لِمُعْضَلَةٍ لَا يَكُونُ لَهَا أَبُو حَسَنِ، ثُمَّ قَالَ: فَمَا أَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: «إِحْتِطِّ عَلَيْهَا حَتَّى تَلِدَ، فَإِذَا وَلَدَتْ وَوَجَدْتَ لَوْلَهَا مِنْ يَكْفُلُهَا فَأَقِمِ الْحَدَّ عَلَيْهَا» فَسَرَّيَ بِذَلِكَ عَنْ عَمْرٍ وَعَوَّلَ فِي الْحُكْمِ بِهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام^(٣).

وَرَوَوْا: أَنَّهُ اسْتَدْعَى امْرَأَةً تَتَحَدَّثُ عِنْدَهَا الرِّجَالُ، فَلَمَّا جَاءَهَا رَسُلُهُ فَزَعَتْ وَارْتَاعَتْ وَخَرَجَتْ مَعَهُمْ، فَأَمْلَصَتْ^(٤) فَوْقَ إِلَى الْأَرْضِ وَلَدُهَا يَشْتَهِلُ ثُمَّ مَاتَ، فَبَلَغَ عَمْرٍ ذَلِكَ فَجَمَعَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْحُكْمِ فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ: نَرَاكَ مُؤَدِّبًا وَلَمْ تُرِدْ إِلَّا خَيْرًا وَلَا شَيْءَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ. وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٍ: مَا عِنْدَكَ فِي هَذَا يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ قَالَ «قَدْ سَمِعْتُ مَا قَالُوا» قَالَ: فَمَا تَقُولُ أَنْتَ؟ قَالَ: «قَدْ قَالَ الْقَوْمُ مَا سَمِعْتُ» قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَتَقُولَنَّ مَا عِنْدَكَ، قَالَ: «إِنْ كَانَ الْقَوْمُ قَارِبُوكَ فَقَدْ

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٦٦، وروي نحوه في مسند أحمد ١: ١٥٤، سنن أبي داود ٤: ١٤٠، مسند أبي يعلى ١: ٤٤٠، المستدرک علی الصحیحین ٢: ٥٩، سنن الدار قطنی ٣: ١٣٨ / ١٧٣، سنن البيهقي ٨: ٢٦٤، سنن سعيد بن منصور ٢: ٦٧، ونقله العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٧٩: ٦/٨٨.

(٢) الأنعام ٦: ١٦٤، الإسراء ١٧: ١٥، فاطر ٣٥: ١٨، الزمر ٣٩: ٧.

(٣) روي باختصار في الاختصاص: ١١١، مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٦٢، كفاية الطالب: ٢٢٧.

إرشاد القلوب: ٢١٣، ونقله العلامة المجلسي في البحار ٧٩: ٤٩ / ٣٥.

(٤) أمْلَصَتْ المرأة بولدها: أسقطته. «الصحيح - ملص - ٣: ١٠٥٧».

عَشُّوكَ، وإن كانوا ارتؤوا فقد قَصَّروا، الديةُ على عاقِلَتِكَ؛ لأنَّ قتل الصبي خطأ تعلق بك» فقال: أنت والله نَصَحْتَنِي من بينهم، والله لا تبرح حتى تُجرى الدية على بنى عدي، ففعل ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) ^(١).

ورؤوا: أن امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادَّعته كل واحدة منهما ولداً لها بغير بيّنة، ولم يُنازِعهما فيه غيرُهما، فالتبس الحكم في ذلك على عمر وفزع فيه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فاستدعى المرأتين ووعظهما وخَوَّفهما فأقامتا على التنازع والاختلاف، فقال عليه السلام عند تماديهما في النزاع: «ايتوني بمِئْشار» فقالت له المرأتان: ما تصنع؟ فقال: «أُقَدِّه نصفين، لكل واحدة منكما نصفه» فسكتت إحداهما، وقالت الأخرى: الله الله يا أبا الحسن، إن كان لابدَّ من ذلك فقد سمحتُ به لها، فقال: «الله أكبر، هذا ابنك دونها، ولو كان ابنها لرقَّت عليه وأشفقتُ» فاعترفتِ المرأة الأخرى بأنَّ الحقَّ مع صاحبها والولدُ لها دونه، فسُري عن عمر ودعا لأمر المؤمنين (عليه السلام) بما قرَّج عنه في القضاء ^(٢).

ورؤي عن يونس، عن الحسن: أن عمر أتى بامرأةٍ قد ولدت لستة أشهر فهمَّ برجمها، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنَّ خاصمتك بكتاب الله خَصَمْتُكَ، إن الله عزَّ اسمه يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ^(٣) ويقول تعالى: ﴿وَالْوَلَدُ تُ يُزْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ ^(٤) فإذا تَمَّت المرأة

(١) رواه ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٦٦، ونحوه في أنساب الأشراف ٢: ١٧٨، الكافي ٧: ٣٧٤ / ١١، تهذيب الأحكام ١٠: ٣١٢ / ١١٦٥، شرح نهج البلاغة ١: ١٧٤، ونقله العلامة المجلسي في البحار ١٠٤: ٣٩٤ / ٣١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٦٧، ونحوه في فضائل شاذان: ٦٤، ونقله العلامة المجلسي في البحار ٤٠: ٢٥٢ / ٢٦.

(٣) سورة الأحقاف ٤٦: الآية ١٥.

(٤) سورة البقرة ٢: الآية ٢٣٣.

١٣٦ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم
 الرضاة سنتين، وكان حملة وفصالة ثلاثين شهراً، كان الحمل منها ستة أشهر،
 فخلّى عمر سبيل المرأة وثبت الحكم بذلك، يعمل به الصحابة والتابعون ومن أخذ
 عنه إلى يومنا هذا^(١).

ورواؤا: أنّ امرأةً شهد عليها الشهود أنّهم وجدوها في بعض مياه العرب مع
 رجل يطؤها ليس ببعيلٍ لها، فأمر عمر برجمها وكانت ذات بعل، فقالت: اللهمّ إنك
 تعلم أنّي بريئة، فغضب عمر وقال: وتجرّح الشهود أيضاً، قال أمير المؤمنين عليه السلام:
 «رُدّوها واسألوها، فلعلّ لها عُذراً» فرُدّت وسُئلت عن حالها فقالت:

كان لأهلي إيل فخرجتُ في إيل أهلي وحملتُ معي ماء ولم يكن في إيلي
 لبنٌ، وخرج معي خيلطنا وكانت في إيله لبنٌ، فنقدَ مائي، فاستسقيته فأبى أن
 يسقيني حتّى أمكنّه من نفسي، فأبيتُ، فلمّا كادت نفسي تخرج أمكنته من نفسي
 كرهاً. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الله أكبر ﴿فَمِنْ أَضْطَرٍّ غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ
 عَلَيْهِ﴾»^(٢)، فلمّا سمع ذلك عمر خلّى سبيلها^(٣).

ومِمَّا جَاءَ عَنْهُ عليه السلام فِي مَعْنَى الْقَضَاءِ وَصَوَابِ الرَّأْيِ، وَإِرْشَادِ الْقَوْمِ إِلَى
 مَصَالِحِهِمْ وَتَدَارِكِ مَا كَادَ يَفْسُدُ بِهِمْ لَوْلَا تَنْبِيهُهُ عَلَى وَجْهِ الرَّأْيِ فِيهِ؛ مَا حَدَّثَ بِهِ
 شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رِجَالاً مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ:

(١) روي نحوه في الدر المنثور ١: ٢٨٨، و٦: ٤٠، سنن سعيد بن منصور ٢: ٦٦، السنن الكبرى
 ٧: ٤٤٢، مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٦٥، ونقله الحويزي في تفسير نور الثقلين ٥: ١٤ / ١٩،
 والعلامة المجلسي في البحار ٤٠: ٢٥٢ / ٢٧.

(٢) سورة البقرة ٢: الآية ١٧٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٦٩، وروي نحوه في تفسير العياشي ١: ٧٤، الفقيه ٤: ٢٥، التهذيب
 ١٠: ٤٩ / ١٨٦، كنز العمال ٥: ٤٥٦، ونقله العلامة المجلسي في البحار ٤٠: ٢٥٣ / ذح ٢٧، و
 ٧٩: ٥٠ / ٣٦.

تَكَاتَبَتِ الْأَعَاجِمُ مِنْ أَهْلِ هَمْدَانَ وَأَهْلِ الرَّيِّ وَأَهْلِ أَصْفَهَانَ وَقُومِسَ (١) وَنَهَاوَنْدَ، وَأَرْسَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ: أَنَّ مَلِكَ الْعَرَبِ الَّذِي جَاءَ بَيْنَهُمْ وَأَخْرَجَ كِتَابَهُمْ قَدْ هَلَكَ - يَعْنُونَ النَّبِيَّ ﷺ - وَأَنَّهُ مَلَكَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ رَجُلٌ مُلْكًا يَسِيرًا ثُمَّ هَلَكَ - يَعْنُونَ أَبَا بَكْرٍ - وَقَامَ بَعْدَهُ آخَرٌ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ حَتَّى تَنَاولَكُمْ فِي بِلَادِكُمْ وَأَغْزَاكُمْ جُنُودُهُ - يَعْنُونَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - وَأَنَّهُ غَيْرَ مَنْتَهٍ عَنْكُمْ حَتَّى تُخْرَجُوا مِنْ فِي بِلَادِكُمْ مِنْ جُنُودِهِ، وَتَخْرَجُوا إِلَيْهِ فَتَغْزُوهُ فِي بِلَادِهِ، فَتَعَاقِدُوا عَلَى هَذَا وَتَعَاهِدُوا عَلَيْهِ.

فَلَمَّا انْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى مَنْ بِالْكُوفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُوَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ الْخَبَرُ فَرَعَ عُمَرَ لَذَلِكَ فَرَعًا شَدِيدًا، ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَعَدَ الْمَنْبِرَ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: مَعَاشِرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ لَكُمْ جُمُوعًا، وَأَقْبَلَ بِهَا لِيُطْفِئَ نَوْرَ اللَّهِ، أَلَا إِنَّ أَهْلَ هَمْدَانَ وَأَهْلَ أَصْفَهَانَ وَالرِّيَّ وَقُومِسَ وَنَهَاوَنْدَ مَخْتَلِفَةٌ أَلْسِنَتُهَا وَأَلْوَانُهَا وَأَدْيَانُهَا، قَدْ تَعَاهَدُوا وَتَعَاقَدُوا أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ بِلَادِهِمْ إِخْوَانَكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَخْرَجُوا إِلَيْكُمْ فَيَغْزُوكُمْ فِي بِلَادِكُمْ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ وَأَوْجِزُوا وَلَا تُطْنِبُوا فِي الْقَوْلِ، فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ لَمْ يَأْتِ بَعْدَهُ مِنَ الْأَيَّامِ.

فَتَكَلَّمُوا، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ - وَكَانَ مِنْ خُطَبَاءِ قَرِيشٍ - فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ حَنَكْتُكَ الْأُمُورَ، وَجَرَّسْتُكَ (٢) الدُّهُورَ، وَعَجَمْتُكَ الْبَلَايَا، وَأَحْكَمْتُكَ التَّجَارِبَ، وَأَنْتَ مُبَارَكُ الْأَمْرِ، مَيْمُونُ النَّقِيَّةِ، قَدْ وَلِيْتَ فَخْبَرْتَ وَاخْتَبَرْتَ وَخَيْرْتَ، فَلَمْ تَنْكُشْ مِنْ عَوَاقِبِ قَضَاءِ اللَّهِ إِلَّا عَنْ خِيَارٍ، فَاحْضِرْ هَذَا الْأَمْرَ بِرَأْيِكَ وَلَا تَغِيبْ عَنْهُ. ثُمَّ جَلَسَ.

(١) قُومِسَ: تعريب كومس، وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع، وهي في ذيل جبال طبرستان، وقصبتها المشهورة دامغان وهي بين الري ونيسابور، ومن مدنها المشهورة بسطام وبيار وبعض يدخل فيها سمنان. «معجم البلدان ٤: ٤١٤».

(٢) جَرَّسْتَهُ الْأُمُورَ: جربته وأحكمته. «الصالح - جرس - ٣: ٩١٣».

فقال عمر: تكلّموا، فقام عثمان بن عفّان فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد - يا أمير المؤمنين - فإنّي أرى أن تُشخّص أهل الشام من شامهم، وأهل اليمن من يمنهم، وتسير أنت في أهل هذين الحرمين وأهل المصريين الكوفة والبصرة، فتلقى جمع المشركين بجمع المؤمنين، فإنّك - يا أمير المؤمنين - لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقيةً، ولا تُمتّع من الدّنيا بعزیز، ولا تلوذ منها بحريز، فاحضره برأيك ولا تغب عنه. ثمّ جلس.

فقال عمر: تكلّموا، فقال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «الحمد لله - حتّى تمّ التّحميد والثناء على الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله - ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّك إن أشخّصت أهل الشام من شامهم، سارت الروم إلى ذراريهم؛ وإن أشخّصت أهل اليمن من يمنهم، سارت الحبشة إلى ذراريهم؛ وإن أشخّصت من هذين الحرمين، انتقضت الرّؤب عليك من أطرافها وأكنافها، حتّى يكون ما تدع وراء ظهرك من عيالات العرب أهمّ إليك ممّا بين يديك.

وأما ذكرك كثرة العجم ورهبتك من جموعهم، فإنّا لم نكن نقاتل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بالكثرة، وإنّا كنّا نقاتل بالنصر، وأمّا ما بلغك من اجتماعهم على المسير إلى المسلمين، فإنّ الله لمسيرهم أكره منك لذلك، وهو أولى بتغيير ما يكره، وإنّ الأعاجم إذا نظروا إليك قالوا: هذا رجل العرب، فإن قطعتموه فقد قطعتم العرب، فكان أشدّ لكلّهم، وكنت قد ألّبتهم على نفسك، وأمدّهم من لم يكن يُمدّهم. ولكنّي أرى أن تقر هؤلاء في أمصارهم، وتكتب إلى أهل البصرة فليتفرّقوا على ثلاث فرق: فلتنمّ فرقة منهم على ذراريهم حرّاً لهم، ولتنمّ فرقة في أهل عهدهم لثلاث ينتقصوا، ولتسير فرقة منهم إلى إخوانهم مدداً لهم» فقال عمر: أجل هذا الرأي، وقد كنت أحب أن أتابع عليه. وجعل يكرّر قول أمير المؤمنين عليه السلام وينسّقه إعجاباً به واختياراً له^(١).

(١) انظر: تاريخ الطبري ٤: ١٢٤، الفتوح لابن أعثم ١: ٢٨٧-٢٩٢ بتفصيل، ونقله العلامة المجلسي في البحار ٤٠: ٢٥٣ / ٢٨.

قال الشيخ المفيد رحمته الله: فانظروا -أيّدكم الله- إلى هذا الموقف الذي يُنسبُ بفضل الرأي إذ تنازعه أولو الأبواب والعلم، وتأملوا التوفيق الذي قرن الله به أمير المؤمنين عليه السلام في الأحوال كلّها، وفزع القوم إليه في المُعْضِل من الأمور، وأضيفوا ذلك إلى ما أثبتناه عنه من القضاء في الدّين الذي أعجز متقدّمي القوم حتّى اضطرّوا في علمه إليه، تجدوه من باب المعجز الذي قدّمناه، والله وليّ التوفيق ^(١). فهذا طرف من موجز الأخبار فيما قضى به أمير المؤمنين عليه السلام في إمارة عمر ابن الخطّاب، وله مثل ذلك في إمارة عثمان بن عفّان.

قال شريح: كنت أقضي لعمر بن الخطاب، فأتاني يوماً رجلاً فقال لي: يا أبا أميّة إنّ رجلاً أودعني امرأتين، إحداها حرّة مهيرة، والأخرى سرية، فجعلتهما في دار، وأصبحت اليوم وقد ولدتا غلاماً وجارية، وكلتاها تدّعي الغلام وتتنفي من الجارية، فاقض بينهما بقضائك، فلم يحضرني شيء فيهما، فأتييت عمر فقصصت عليه القصّة فقال: فما قضيت بينهما؟ قلت: لو كان عندي قضائهما ما أتيتك.

فجمع عمر جميع من حضر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وأمرني فقصصت عليهم ما حدّثته به، وشاورهم وكلّهم ردّوا الرأي إليّ وإليه.

فقال عمر: ولكنّي أعرف حيث مفرعها وأين منزعها.

قالوا: كأنك أردت ابن أبي طالب؟

قال: نعم، وأين المذهب عنه.

قالوا: فابعث إليه يأتيك.

فقال: لا، له شمخة من هاشم، واثرة من علم، يؤتى لها ولا يأتي، وفي بيته

يؤتى الحكم، فقوموا بنا إليه. فأتينا أمير المؤمنين عليه السلام فوجدناه في حائط له ير كل

١٤٠ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

فيه مسحاته ويقرأ: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى»^(١) ويبكي، فأمهلوه حتى سكن، ثم استأذنوا عليه، فخرج إليهم وعليه قميص قد نصف اردانه، فتوجّه علي عليه السلام إلى عمر وقال: ما الذي جاءك؟

فقال: عرض، وأمرني فقصصت عليه القصة.

قال: فيم حكمت فيها؟

قلت: لم يحضرني حكم فيها، فأخذ بيده من الأرض شيئاً ثم قال: الحكم فيها أهون من هذا، ثم أحضر المرأتين وأحضر قدحاً، ثم دفعه إلى إحداها فقال: احلبي فيه، فحلبت فيه ثم وزن القدح، ودفعه إلى الأخرى فقال احلبي فيه، فحلبت فيه ثم وزنه، فقال لصاحبة اللبن الخفيف: خُذي ابنتك، ولصاحبة اللبن الثقيل خُذي ابنتك.

ثم التفت إلى عمر فقال: أما علمت أن الله تعالى حطّ المرأة عن الرجل فجعل عقلها وميراثها دون عقله وميراثه، وكذلك لبنها دون لبنه.

فقال عمر: لقد أراذك الحقّ يا أبا الحسن ولكن قومك أبوا.

فقال عليه السلام: هوّن عليك أبا حفص، إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتاً^(٢).

أتي عمر بن الخطاب بامرأة تعلّقت بشابّ من الأنصار وكانت تهواه، فلمّا لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة فألقت صفرتها وصبّت البياض على ثوبها وبين فخذيهما، ثم جاءت إلى عمر صارخة فقالت: إنّ هذا الرجل غلبني على نفسي، وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله.

فسأل عمر النساء فقلن له: إنّ بيدنها وثوبها أثر المني، فهمّ بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: تثبّت في أمري فو الله ما أتيت فاحشة وما هممت بها،

(١) سورة القيامة: الآية ٣٦.

(٢) قضاء أمير المؤمنين عليه السلام للتستري: ١٢١.

فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت.

فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما؟ فنظر عليّ عليه السلام إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصبّ على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذه وشمّه وذاقه فعرف طعمه، وزجر المرأة فاعترفت^(١).

عن حنش بن المعتمر قال: إنّ رجلين أتيا امرأة من قريش فاستودعاها مائة دينار وقالوا: لا تدفعيها إلى واحد منّا دون صاحبه حتّى نجتمع، فلبثا حولاً ثمّ جاء أحدهما إليها فقال: إنّ صاحبي قد مات فادفعي إليّ الدنانير، فأبت، فثقل عليها بأهلها، فلم يزلوا بها حتّى دفعتها إليه، ثمّ لبث حولاً آخر، فجاء الآخر وقال: ادفعي إليّ الدنانير.

فقالت: إنّ صاحبك جاءني، وزعم أنّك قد متّ، فدفعتها إليه.

فاختصما إلى عمر، فأراد أن يقضي عليها وقال: ما أراك إلا ضامنة.

فقالت: أنشدك الله أن لا تقضي بيننا وارفعنا إلى عليّ بن أبي طالب، فرفعهما إلى عليّ، وعرف أنّهما قد مكرا بها، فقال: أليس قلتما: لا تدفعيها إلى واحد منّا دون صاحبه؟

قال: بلى.

قال: فإنّ مالك عندنا، اذهب فجيئ بصاحبك حتّى ندفعها لكما؛ فبلغ ذلك عمر، فقال: لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب^(٢).

رفع إلى عمر: أنّ عبداً قتل مولاه، فأمر بقتله، فدعاه عليّ عليه السلام فقال له:

(١) الغدير ٦ / ١٢٦ عن الطرق الحكمية لابن القيم.

(٢) الغدير ٦: ١٢٦، عن الأذكاء لابن الجوزي: ١٨، أخبار الظراف لابن الجوزي: ١٩، الرياض

النضرة ٢: ١٨٧. ذخائر العقبى: ٨٠. تذكرة سبط ابن الجوزي: ٨٧، مناقب الخوارزمي: ٦٠.

قتلت مولاك؟

قال: نعم.

قال: ولم تقتله؟

قال: غلبني على نفسي، وأتاني في ذاتي.

فقال علي عليه السلام لأولياء المقتول: أدفنتم وليكم؟

قالوا: نعم.

قال: ومتى دفنتموه؟

قالوا: الساعة.

فقال عليه السلام لعمر: احبس هذا الغلام ولا تحدث فيه حدثاً حتى تمر عليك ثلاثة

أيام، ثم قال لأولياء المقتول: إذا مضت ثلاثة أيام أحضرونا، فلما مضت ثلاثة

أيام حضروا، فأخذ علي عليه السلام بيد عمر وخرجوا حتى وقفوا على قبر الرجل، فقال

علي عليه السلام لأوليائه: هذا قبر صاحبكم؟

قالوا: نعم.

قال: أحفروا حتى انتهوا إلى اللحد فقال: أخرجوا ميتكم، فنظروا إلى أكفانه

في اللحد فلم يجدوه، فأخبروه بذلك.

فقال عليه السلام: الله أكبر والله ما كذبت ولا كُذبتُ، سمعت رسول الله يقول: من

يعمل من أمتي عمل قوم لوط ثم يموت على ذلك، فهو يؤجل إلى أن يوضع في

لحده، فإذا وضع فيه لم يمكث أكثر من ثلاث حتى تقذفه الأرض إلى جملة قوم

لوط المهلكين، فيُحشر معهم^(١).

قال عاصم بن حمزة: إن غلاماً وامرأة أتيا عمر فقال الغلام: هذه والله أمي،

حملتني في بطنها تسعاً، وأرضعتني حولين كاملين فانفتحت مني وطردتني،

وزعمت أنها لا تعرفني؛ فأتوا بها مع أربعة إخوة لها، وأربعين قسامة يشهدون لها أن هذا الغلام مدّح ظلوم يريد أن يفضحها في عشيرتها، وأنها بخاتم ربّها ولم يتزوَّج بها أحدٌ.

فأمر عمر بإقامة الحدّ عليه، فرأى عليّاً عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين أحكم بيني وبين أُمّي.

فجلس عليه السلام موضع النبي ﷺ فقال عليه السلام: لك وليّ؟ قالت: نعم، هؤلاء الأربعة إخوتي.

فقال عليه السلام: حكمي عليكم جاز وعليّ أختكم؟

قالوا: نعم.

فقال عليه السلام: أشهد الله وأشهد من حضر، أنّي زوّجت هذه المرأة من هذا الغلام بأربعمائة درهم، والنقد من مالي، يا قنبر عليّ بالدرهم، فأتاه بها فقال: خُذها فصيّها في حجر امرأتك، وخُذ يديها على المنزل، فصاحت المرأة: الأمان يا ابن عمّ رسول الله، هذا والله ولدي، زوّجني إخوتي هجيناً فولدت منه هذا، فلمّا بلغ وترعرع أنفوا، وأمروني أن أنتفي منه وخفت منهم. فأخذت بيد الغلام فانطلقت به، فنادي عمر: لولا عليّ لهلك عمر^(١).

من قضاياه عليه السلام أيام عثمان

فمن ذلك ما رواه نقلة الآثار من العامّة والخاصّة: أنّ امرأة نكحها شيخ كبير فحملت، فزعم الشيخ أنّه لم يصل إليها وأنكر حملها، فالتبس الأمر على عثمان، وسأل المرأة هل اقتضك الشيخ؟ وكانت بكراً، فقالت: لا، فقال عثمان: أقيموا الحدّ عليها. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ للمرأة سمّين: سمّ المحيض وسمّ البول، فلعلّ الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سمّ المحيض فحملت منه، فاسألوا

١٤٤ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

الرجل عن ذلك» فُسِّلَ فقال: قد كنت أنزل الماء في قُبُلها من غير وصول إليها بالاختصاص، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحمل له والولد ولده، وأرى عقوبته على الإنكار له» فصار عثمان إلى قضائه عليه السلام بذلك وتعجَّب منه^(١).

ورَوَوْا: أَنَّ رجلاً كانت له سرية فأولدها، ثم اعتزلها وأنكحها عبداً له، ثم توفي السيد فَعَتَقَتْ بملك ابنها لها، فورث ولدها زوجها، ثم توفي الابن فورث من ولدها زوجها، فارتفعا إلى عثمان يختصمان تقول: هذا عبدي، ويقول: هي امرأتي ولست مفرجاً عنها، فقال عثمان: هذه قضية مشكلة، وأمير المؤمنين عليه السلام حاضر فقال: «سلوها هل جامعها بعد ميراثها له؟» فقالت: لا، فقال: «لو أعلم أنه فعل ذلك لعذَّبته، إذهبي فإنه عبدك ليس له عليك سبيل، إن شئت أن تسترقِّيه أو تعتقيه أو تبيعيه فذاك لك»^(٢).

ورَوَوْا: أَنَّ مكاتبة زنت على عهد عثمان وقد عُتِقَ منها ثلاثة أرباع، فسأل عثمان أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «يُجْلَدُ منها بحساب الحرية، ويُجْلَدُ منها بحساب الرِّقِّ».

وسأل زيد بن ثابت فقال: تُجْلَدُ بحساب الرِّقِّ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «كيف تُجْلَدُ بحساب الرِّقِّ وقد عُتِقَ منها ثلاثة أرباعها؟ وهَلَّا جَلَدَتْها بحساب الحرية فإنَّها فيها أكثر!» فقال زيد: لو كان ذلك كذلك لوجب توريتها بحساب الحرية فيها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «أجل ذلك واجب» فأفجم زيد، وخالف عثمان أمير المؤمنين عليه السلام وصار إلى قول زيد، ولم يُصْغِ إلى ما قال بعد ظهور

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٧٠، ونقله العلامة المجلسي في البحار ٤٠: ٢٥٦ / ٢٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٧١، ونقله العلامة المجلسي في البحار ٤٠: ٢٥٧ / ضمن ح ٢٩.

أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهم برجمها عثمان، فقال أمير المؤمنين: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ثم قال: ﴿وَأُولَٰئِكَ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ فحولين مدة الرضاع، وستة أشهر مدة الحمل، فقال عثمان: ردوها^(٢).

من قضاياه عليه السلام في عهده

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن رجل ضرب رجلاً على هامته فادّعى المضروب أنه لا يبصر شيئاً، ولا يشم الرائحة، وأنه قد ذهب لسانه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن صدق فله ثلاث ديات.

فقيل: يا أمير المؤمنين فكيف يعلم أنه صادق؟

فقال: أما ادّعه أنه لا يشم رائحة، فإنه يدنى منه الحراق، فإن كان كما يقول وإلا نحى رأسه ودمعت عينه، فأما ما ادّعه في عينيه، فإنه يُقابل بعينه الشمس، فإن كان كاذباً لم يتمالك حتى يغمض عينيه، وإن كان صادقاً بقيتا مفتوحتين، وأما ما ادّعه في لسانه، فإنه يُضرب على لسانه بإبرة، فإن خرج الدم أحمر فقد كذب، وإن خرج الدم أسود فقد صدق^(٣).

روي عن الصادق عليه السلام: أن رجلاً أقبل على عهد علي عليه السلام من الجبل حاجاً ومعه غلام له، فأذنب فضربه مولاه، فقال: ما أنت مولاي، بل أنا مولاك، فما زال

(١) الإرشاد للمفيد ١: ٢٠٠-٢١٢.

(٢) المناقب: ١ / ٥٠١.

(٣) وسائل الشيعة: ١٩ / ٢٧٩.

١٤٦ □ قضاء المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

يتوعدّ ذا، وذا يتوعدّ ذا ويقول: كما أنت حتّى تأتي الكوفة يا عدوّ الله فأذهب بك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا أتيا الكوفة أتيا أمير المؤمنين، فقال الذي ضرب الغلام: هذا غلام لي وأنه أذنب فضربته، فوثب عليّ.

وقال الآخر: هو والله غلام لي، وإنّ أبي أرسلني معه ليعلمني، وأنه وثب عليّ يدعيني ليذهب بمالي.

قال: فأخذ هذا يحلف وهذا يحلف، وهذا يكذب هذا، وهذا يكذب هذا.

فقال عليه السلام: انطلقا فتصافيا ليلتكما هذه ولا تجيئاني إلّا بحقّ.

قال: فلمّا أصبح أمير المؤمنين عليه السلام قال لقنبر: اثقب في الحائط ثقبين؛ وكان عليه السلام إذا أصبح عقّب حتّى تصير الشمس على رمح، فجاء الرجلان، واجتمع الناس فقالوا: لقد وردت عليه قضية ما ورد عليه مثلها، لا يخرج منها.

فقال لهما: ما تقولان؟ فحلف هذا أنّ هذا عبده، وحلف هذا أنّ هذا عبده.

فقال لهما: قوما فإنّي لست أراكما تصدقان، ثمّ قال لأحدهما: أدخل رأسك في هذا الثقب، ثمّ قال للآخر: أدخل رأسك في هذا الثقب، ثمّ قال: يا قنبر عليّ بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله عجل أضرب به رقبة العبد منهما. قال: فأخرج الغلام رأسه مبادراً، ومكث الآخر في الثقب.

فقال عليّ عليه السلام للغلام: ألسنت تزعم أنّك لست بعبد؟ فقال: بلى، ولكن ضربني، وتعدّى عليّ. فتوثّق له أمير المؤمنين ودفعه إليه ^(١).

وجد عليه السلام شابّاً يبكي وحوله قوم يسكتونه، وكانت قصّته: أنّ أباه خرج مع

(١) وسائل الشيعة ١٨ / ٢٠٩. قضاء أمير المؤمنين عليه السلام للتستري ص ٧. ومن الجدير بالذكر إنّ بعض الحكّام أخذ هذا الحكم عن أمير المؤمنين عليه السلام، فقد تراعف إليه في قبيل، والتهمة موجهة إلى جماعة ولم يتمكّن من تشخيصه من بينهم مع كثرة المرافعات وفي آخر جلسة قال: برئتكم المحكمة، فخرجوا، فصاح: القاتل يقف، فوقف أحدهم، وأخيراً اعترف.

قوم في سفر فادّعوا وفاته، وأنكروا ماله، بينما كان عنده مالٌ كثير، وقد حكم شريح القاضي لهم وبرّأهم.

فاستدعى عليه السلام الرّجال، وطلب إحضار شرطة الخميس، ووكل بكلّ رجل اثنين من الشرطة، ثمّ دعاهم، ونظر في وجوههم وقال لهم: تقولون ماذا، كأنّي لا أعلم بما صنعتُم بوالد هذا الشاب، ثمّ أمر بهم ففرّق بينهم^(١)، وأقيم كلّ واحد منهم إلى أسطوانة من أساطين المسجد، ثمّ دعا كاتبه عبد الله بن أبي رافع فقال: اكتب، ثمّ قال للناس: إذا كبرت فكبروا، ثمّ دعا بأحدهم وسأله: في أيّ يوم خرجتُم من منازلكم، وفي أيّ شهر، وفي أيّ سنة، وفي أيّ منزل مات والد هذا الشاب، وما كان مرضه، وكم كانت مدّة مرضه، ومن كان ممرّضه، وفي أيّ يوم مات، ومن كفّنه، وفيم كفّنتُموه، ومن صلّى عليه، ومن أدخله القبر؟ والرجل يُجيب على الأسئلة.

ولما انتهى عليه السلام من الأسئلة كبر وكبر أصحابه كلّهم، فارتاب أولئك الباقون، ولم يشكّوا في أنّ صاحبهم قد أقرّ عليهم وعلى نفسه. وأمر عليه السلام بالرجل إلى الحبس، ثمّ دعا بآخر فقال له: كلّاً زعمت أنّي لا أعلم ما صنعتُم بوالد هذا الشاب. فقال الرجل: ما أنا إلّا كواحدٍ منهم، كنت كارهاً لقتله. ولما أقرّ هذا الرجل جعل عليه السلام يدعو الباقين واحداً فواحداً وقد أقرّوا جميعهم، ثمّ دعا الذي أمر به إلى الحبس فأقرّ كذلك، فالزمهم المال والدم^(٢).

قال عبد الرحمن بن الحجاج: سمعت ابن أبي ليلى يُحدّث أصحابه قال: قضى أمير المؤمنين عليه السلام بين رجلين اصطحبا في سفر، فلما أرادا الغداء أخرج

(١) ثبت تاريخياً أنّه عليه السلام أوّل من فرّق بين المتّهمين، وأوّل من دوّن شهادة الشهود واعترافات المتّهمين.

(٢) قضاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للشيخ حسين عليّ الشفائي.

١٤٨ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم أحدهما من زاده خمسة أرغفة، وأخرج الآخر ثلاثة أرغفة، فمرَّ بهما عابر سبيل فدعواهُ إلى طعامهما، فأكل الرجل معهما حتَّى لم يبق شيء، فلما فرغوا أعطاهما المعتزُّ بهما ثمانية دراهم ثواب ما أكله من طعامهما، فقال صاحب الثلاثة أرغفة لصاحب الخمسة أرغفة: اقسما نصفين بيني وبينك، وقال صاحب الخمسة: لا، بل يأخذ كلٌّ منا من الدراهم على عدد ما أخرج من الزاد، فأتيا أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك، فلما سمع مقالتهما قال لهما: اصطلحا فإنَّ قضيتكما دنيَّة، فقالا: اقض بيننا بالحقّ.

فأعطى صاحب الخمسة أرغفة سبعة دراهم وأعطى صاحب الثلاثة أرغفة درهماً، وقال: أليس أخرج أحكما من زاده خمسة أرغفة، وأخرج الآخر ثلاثة؟ قال: نعم قال: أليس أكل ضيفكما معكما مثل ما أكلتما؟ قال: نعم، قال: أليس أكل كل واحد منكما ثلاثة أرغفة غير ثلث؟ قال: نعم، قال: أليس أكلت أنت يا صاحب الثلاثة ثلاثة أرغفة غير ثلث، وأكلت أنت يا صاحب الخمسة ثلاثة أرغفة غير ثلث، وأكل الضيف ثلاثة أرغفة غير ثلث؟ أليس قد بقي لك يا صاحب الثلاثة ثلث رغيف من زادك، وبقي لك يا صاحب الخمسة، رغيفان وثلث، وأكلت ثلاثة غير ثلث؟ فأعطاكما لكلّ ثلث رغيف درهماً، فأعطى صاحب الرغيفين وثلث سبعة دراهم، وأعطى صاحب الثلاثة أرغفة درهماً^(١).

ما ورد من أقضية الإمام علي عليه السلام في كتاب «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» لابن قيم الجوزية:

قضى أمير المؤمنين علي عليه السلام في رجل قطع فرج امرأة أن يؤخذ منه دية الفرج ويجبر على إمساكها حتَّى يموت وإن طلقها، فله ما أحسن هذا القضاء وأقر به من الصواب.

فأما الفرج ففيه الدية كاملة اتفاقاً. وأما إنفاقه عليها إن طلقها؛ فلائنه أفسدها على الأزواج الذين يقومون بنفقتها ومصالحتها فساداً لا يعود. وأما إجباره على إمساكها فمعاقبة له بنقيض قصده، فإنه قصد التخلص منها بأمر محرّم، وقد كان يمكنه التخلص بالطلاق والخلع، فعدل عن ذلك إلى هذه المسألة القبيحة، فكان جزاؤه أن يلزم بإمساكها إلى الموت.

وقضي في مولود وُلِدَ له رأسان وصدران في حق واحد، فقالوا له أيورث ميراث اثنين أم ميراث واحد؟ فقال: يُترك حتّى ينام، ثم يُصاح به فإن انتبها جميعاً كان له ميراث واحد وإن انتبه واحد وبقي الآخر كان له ميراث اثنين.

فإن قيل: فكيف تزوّج من ولدت كذلك؟ قلت: هذه مسألة لم أرَ لها ذكراً في كتب الفقهاء، وقد قال أبو جبلة: رأيت بفارس امرأة لها رأسان وصدران في حق واحد متزوّجة تغار هذه على هذه وهذه على هذه، والقياس أنّها تزوّج كما تزوّج النساء ويمتّع الزوج بكلّ واحد من الفرجين والوجهين فإنّ ذلك زيادة في خلقة المرأة، هذا إذا كان الرأسان على حق واحد ورجلين.

فإن كانا على حقوين وأربعة أرجل؛ فقد روى محمّد بن سهل، حدّثنا عبدالله بن محمّد البلوي، حدّثني عمارة بن يزيد، حدّثنا عبيد الله بن العلاء عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أتني عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بإنسان له رأسان وفمان وأربع أعين وأربع أيدٍ وأربع أرجل وإحليلان ودبران، فقالوا: كيف يرث يا أمير المؤمنين؟ فدعا بعليّ رضي الله عنه فقال: فيها قضيتان:

إحداهما: ينظر إذا نام فإن غطّ غطيّ واحد فنفس واحدة وإن غطّ من كلّ منهما فنفسان.

وأما القضية الأخرى: فيُطعمان ويسقيان، فإن بال منهما جميعاً فنفس واحدة، وإن بال من كلّ واحد منهما على حدة وتغوّط من كلّ واحد على

حدة فنفسان.

فلما كان بعد ذلك طلبا النكاح، فقال علي عليه السلام: لا يكون فرج في فرج وعين تنتظر. ثم أما إذا قد حدث فيهما الشهوة فإنهما سيموتان جميعاً سريعاً، فما لبثا أن ماتا وبينهما ساعة أو نحوها.

ومن ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى بامرأة زنت فأقرت فأمر برجمها، فقال علي عليه السلام: لعل بها عذراً، ثم قال لها: ما حملك على الزنا؟ قالت: كان لي خليط وفي إبله ماء ولبن ولم يكن في إيلي ماء ولا لبن، فظممت فاستسقيته، فأبى أن يسقيني حتى أعطيه نفسي، فأبيت عليه ثلاثاً فلما ظممت وظننت أن نفسي ستخرج أعطيته الذي أراد فسقاني، فقال علي: الله أكبر ﴿فَمَنْ أَضْطَرُّ غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وفي السنن للبيهقي عن أبي عبد الرحمن السلمي: أتى عمر بامرأة جهدها العطش فمرت على راع فاستسقت فأبى أن يسقيها إلا أن تمكته من نفسها، ففعلت. فشاور الناس في رجمها، فقال علي: هذه مضطرة أرى أن يُخلى سبيلها، ففعل.

ومن ذلك: أن امرأة رفعت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد زنت فسألها عن ذلك، فقالت: نعم يا أمير المؤمنين، وأعادت ذلك وأيدته. فقال علي: أنها لتستهل من لا يعلم أنه حرام، فدرأ عنها الحد. وهذا من دقيق الفراسة.

ومن قضايا علي عليه السلام أنه أتى برجل وجد في خربة بيده سكين متلطخ بدم وبين يديه قتيل يتشخط في دمه، فسأله فقال: أنا قتلته، قال: اذهبوا به فاقتلوه، فلما ذهبوا به أقبل رجل مسرعاً، فقال: يا قوم لا تعجلوا ردّوه إلى علي فردّوه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه أنا قتلته. فقال علي للأول: ما حملك على أن قلت أنا قاتله ولم تقتله؟ قال يا أمير المؤمنين: وما أستطيع أن أصنع وقد وقف العسس على الرجل يتشخط في دمه وأنا واقف وفي يدي سكين وفيها أثر

الدم، وقد أخذت في خربة فخفت أن لا يقبل مني وأن يكون قسامة فاعترفت بما لم أصنع واحتسبت نفسي عند الله. فقال عليّ: بئسما صنعت، فكيف كان حديثك؟ قال: إنني رجل قصّاب خرجت إلى حانوت في الغلس فذبحت بقرة وسلختها، فبينما أنا أصلحها والسكين في يدي أخذني البول فأتيت خربة كانت بقربي فدخلتها فقضيت حاجتي وعدت أريد حانوتي، فإذا بهذا المقتول يتشخّط في دمه فراغني أمره فوقفت أنظر إليه والسكين في يدي، فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا عليّ فأخذوني، فقال الناس: هذا قتل هذا، ماله قاتل سواه، فأيقنت أنك لا تترك قولهم لقولي فاعترفت بما لم أجنه.

فقال عليّ للمقرّ الثاني: فأنت كيف كانت قصّتك؟ فقال أعرابي: أفلس فقتلت الرجل طعماً في ماله، ثمّ سمعت حسّ العسس فخرجت من الخربة استقبلت هذا القصّاب على الحال التي وصف فاستترت منه ببعض الخربة حتّى أتى العسس فأخذه وأتوك به، فلمّا أمرت بقتله علمت أنني أبوء بدمه أيضاً فاعترفت بالحقّ.

فقال عليّ للحسن: ما الحكم في هذا؟

قال: يا أمير المؤمنين إن كان قد قتل نفساً فقد أحيى نفساً وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فخلّى عليّ عليه السلام عنهما وأخرج دية القتل من بيت المال.

تأسيس الإمام علي عليه السلام للقضاء

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام مخاطباً عاملاً على مصر مالك الأشرار النخعي عليه السلام: «وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على كشف الأمور، وأصرهم عند اتّضاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل، ثم أكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقلّ معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإنّ هذا الدّين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يُعمل فيه بالهوى وتُطلب به الدّنيا»^(١).

يؤسّس ويؤصّل أمير المؤمنين عليه السلام لمواصفات من يختار للقضاء، ويتصدّى للفصل بين الناس؛ بأن يكون ورعاً عند من الضمير والوجدان ما يحجزه ويمنعه ويردعه من التّقحّم في الشبهات، وأن لا يأخذ إلاّ بالحجج الواضحة والبيانات الصادحة، وأن يتحلّى بالصبر والحلم، وسعة الصدر للخصوم وهم يحاورون ويداورون، وأن يكون ذا بصيرة نافذة وذهن وقّاد، وحُدس نفاذ يكتشف به الأمور، وحازم عند اتّضاح الصورة وجلاء القضية فيبادر بإصدار الحكم «فبراءة ألف مجرم خيرٌ من تجريم برئ واحد» و«الخطأ في العفو خيرٌ من الخطأ في القصاص»، كما قال عليه السلام: ادرؤا الحدود بالشبهات، وأن يكون واثقاً من نفسه لا يطرب للثناء ولا يأنس بالإطراء، ولا يبهت بالتحريض أو الإغراء.

ويرى الإمام عليه السلام أنّ مصلحة القضاء تقضي دوام مراقبة القضاة وتتبع أحكامهم، فعلى وليّ الأمر أن يُكثر من مراقبة أعمال وتصرفات القضاة من حين إلى آخر، وفي اختيارهم يجب أن يكونوا من أفضل الشعب في العلم والخلق،

وقد أخذت حكومات العالم المتحضّر في هذا العصر بنظريّة الإمام عليه السلام فوضعت محاكم للتفتيش، ومحاكم للتمييز، وأخرى للنقض.

ومن أهمّ مقومات الإصلاح التي أسّس لها الإمام عليه السلام هو ترفيه القاضي وتحسين مستواه المعاشي ليتعفّف عن الرشاوي والهدايا.

قال القندوزي الحنفي: «ومن مكتوبه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على البصرة، فقد بلغه أنّه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها: أمّا بعد يا بن حنيف فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تُستطاب لك الألوان وتنتقل إليك الجفان، وما ظننت أنّك تُجيب إلى طعام قومٍ عائلهم مجفوًّ وغنيّهم مدعوّ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجهه فنلّ منه، ألا وإنّ لكلّ مأوم إماماً يقتدي به ويستضيّ بنور علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعامه بقرصيه، ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد وعفّةٍ وسداد»^(١).

ويقول توفيق الفكيكي: أمّا إذا كانت أسباب الحكم واضحة لا لبس فيها ولا غموض وأنّ في صراحة النصوص غنى وكفاية للقاضي أو الحاكم عن تجسّم التفسير والتأويل وجب عليه أن يأخذ بمدلول النصّ، ولا يتعسّف في تحميل النصّ أكثر ممّا يتحمّل من معنى، وهذا ما أوصى به الإمام عليه السلام عامله مالك الأشرع أن يستقصي في اختيار قضاة، فيكونوا من نخبة الأئمة وصفوة المجتمع حسباً ونسباً؛ لأنّ ذلك يمنعهم عن الدناءة، فأوصى الإمام عليه السلام واليه الأشرع على أن يختار الذي يتوقّف عند الشبهات ولا يتقحّم المعميات ويأخذ بالحجج، وأن لا يتبرّم ولا يتضجّر من مما حكة الخصوم ولجاجة المدّعي أو المدّعى عليه وتماديهم في العناد والمراجعة والمرافعة فيما بينهم وكثرة بياناتهم وإن كانت

١٥٤ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

خارجة عن الموضوع، فيجب على القاضي الإصغاء إليها والاهتمام بها مهما كانت تافهة؛ فإنَّ فيها تلميحات وومضات تضيء طريق الحقِّ من حيث يشعر، أو لا يشعر المتكلِّم.

فبالصبر والاستماع تجتمع عنده خيوط يستطيع أن يؤلِّف منها نسيج الحكم، فإذا وصل إلى هذه النتيجة أصدر أحكامه، ويجب عليه أن يكون صارماً ماضياً في تقرير العدل وإيصال الحقِّ إلى أهله، وأن لا يخشى في إصدار الحكم الشرعي الصحيح لومة لائم ولا بطشة باطش، وأن لا يتأثَّر بالإطراء والمديح ولا يعتني بالذمِّ والقديح كلَّ هذه المعاني والمواصفات تضمَّنها عهد الإمام عليٍّ عليه السلام لمالك الأشرئ عليه السلام عندما ولَّاه مصر، فقلَّما توجد هذه المواصفات في كثير من الناس، فلذا قال الإمام عليه السلام: وأولئك قليل ^(١).

فأراد بذلك أن ينبِّه عامله على أن لا يتسرَّع في انتخاب القضاة، بل عليه أن يتحرَّى ويتقصَّى في الاختيار والاصطفاء، لأنَّ حقوق الأُمَّة وأموالهم ودماءهم وفروجهم أمانة عنده، فالمؤسسة القضائية أهمُّ مؤسسات المجتمع المدني؛ لأنَّ كيان المجتمع يقوم عليها، وصلاح الأُمَّة وفسادها على صلاح القضاء.

وقد وصل الإمام عليه السلام في تلك الفترة المبكرة من تجارب الأمم أنَّ مصلحة القضاء ورعاية العدل تحتمُّ على الجهاز التنفيذي أن ينشأ مؤسسة مراقبة، مثل: هيئة التمييز، أو محكمة النقض، أو تحت أيِّ اسم تقوم بوظيفة المراقبة والمتابعة لتصرّفات القضاة والحكّام، وتشرف على الانتخابات عن التزوير، وقد أخذت حكومات دول العالم بهذه النظريّة التي سبق بها الإمام عليه السلام الثورة الفرنسيّة، وما أفرزته من مؤسسات لحقوق الإنسان، ومحكمة العدل الدوليّة.

فأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام قد وضع دستوراً من أرقى الدساتير لتنظيم الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والتعليميّة سبق التنظيمات العلميّة والدساتير

وفي قوله ﷺ : وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقلّ معه حاجته إلى الناس

أمر عامله مالك الأشر أن يضع كادراً خاصاً بالقضاة، يمنحهم المرتبات العالية والمميّزات المشجّعة على تحسين مستواهم المعيشي، إضافةً إلى الضمانات الماديّة والأدبيّة التي تكفل لهم استقلال القضاء ونزاهته، فالدول الراقية شرّعت للقضاة مراتب ثابتة في رواتبها وجعلت لهم الحصانة من العزل، ولو لأيّ سبب من الأسباب، وإن كان المرض، إلّا إذا كان يقعده عن العمل والقيام بواجبه الوظيفي .. بالتفاصيل المعروفة في دساتير الدول الراقية، أو لوائح وأنظمة القضاء .

ويختتم كلمته ﷺ بقوله: وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإنّ هذا الدّين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدّنيا .

يقول الباحث توفيق الفكيكي: ومن يتأمل هذه الفقرات الفصيحة وأسرارها التشريعيّة يجدها قد تضمّنت قاعدة هي من أهمّ القواعد الدستوريّة التي تناولها التشريع الحديث في هذا العصر لحماية المحاكم من التأثير والتدخل في شؤونها . ثمّ عقد مقارنة وضرب أمثلة كثيرة على النظام القضائي العراقي والنظام القضائي الإنجليزي ... وقال: أمّا الغرض المهمّ من استقلال المحاكم الذي توخّاه الإمام عليّ ﷺ في وصيّته لعامله هو التوثق من عدالة الأحكام وصيانة الحقوق؛ لأنّ المحاكم لا تكون مرجعاً موثقاً به عند الناس إلّا إذا كانت مصونة من التأثير والنفوذ^(١) .

وقد أوصى الرئيس الأمريكي بوش الابن المجتمع الدولي بالعمل بالدستور الذي أرسله الإمام عليّ ﷺ إلى عامله مالك الأشر النخعي عندما ولّاه مصر،

تشريع استقلال القضاء وفصل السلطات عند الإمام

إن انفصال السلطات الثلاثة، التشريعية والقضائية والتنفيذية أسلوب حضاري، وهو الضمان من تحوّل نظام الحكم إلى نظام استبدادي تسلطي، وهو آمن وسيلة للحيلولة بين الحكومة وحكم الفرد، والقضاء أهم مؤسسة من مؤسسات الدولة العصرية التي تمجّد الحريات وتعتبرها حقاً مشروعاً لكل إنسان يمارسه في الحياة، فالإمام علي عليه السلام قد سبق الزمن في تقرير الحريات، فدعا عليه السلام إلى فصل السلطات بقوله: واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم، لا يقهره كبيرها ولا يتشّت عليه كثيرها...

فعندما تكون السلطات في أيّ دولة مجتمعة في يد واحدة، سواء كان فرداً أم جماعة، من أن تكون الحرية العامة في خطر، فإذا أردنا أن ندفع الاضطهاد والإرهاب عن عاتق الرعايا فقد وجب أن ترسم بقيام نظام للسلطات يؤدي إلى تعددها، لتوزّع عليها السيادة العامة توزيعاً تحدّد معه قوّة كل فرع فوق الفرع الآخر، فانفصال السلطات، أي انفصال الوظائف العامة وهي التشريعية والتنفيذية والقضائية يمكن أن يؤدي إلى حلّ المشاكل^(١).

الإصلاحات القضائية للإمام علي عليه السلام كما وردت على قلم الكاتب اللبناني جورج جرداق:

إنّ القضاء قانون أولاً، وقاض يحكم بموجبه، فقد وضع الإمام علي عليه السلام مواصفات للقضاء شروطاً لاختيار القاضي الصالح لهذا المنصب، فشرع قوانيناً

وسنّ شروطاً للقضاء والقاضي، وقد كانت السلطات الثلاثة موحّدة في زمن الإمام عليّ عليه السلام فإذا به يخطو خطوة مبدئية إلى فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية؛ كي يكسب القضاة حصانة ويؤمنهم من عقاب السلطة، فيكتب عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر يقول: «...وأعطه -أي القاضي- من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال عندك. وانظر في ذلك نظراً بليغاً...».

فمن شروط القاضي سعة العلم والثقافة والكفاءة العلميّة -فبدون هذه الكفاءة يضطرّ القاضي أن يحكم إمّا بعلمه المحدود وإمّا بهواه، وكلاهما لا يكفي لأن يقيم حدود المساواة بين الناس فيقول: قد سمّاه أشباه الناس عالماً وليس به...».

واشترط فيه الخلق وسعة الصدر وضبط النفس وبشاشة الوجه كما اشترط الحبّ المطلق للعدالة والميل الأصيل إلى رفع الظلم وأن لا يشرف على الطمع ولا يخشى في الحقّ أحداً، وأن لا يكون فيه حنين إلى الخطوة لدى الوجهاء يقول: «...ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك ممّن لا تضيق به...».

وسنّ لهم الكفاية في المعاش، وسنّ النظر في المظالم «محكمة الاستئناف» أو «ديوان المظالم» وقد عرفت «ولاية المظالم» في العهد الفاطمي، ودعي قاضيها باسم «قاضي المظالم» وكثيراً ما كان الخليفة الفاطمي نفسه يشغل هذه الوظيفة.

فإذا هو سبق القضاة الحكماء إلى إقرار ما نسّميه اليوم بـ«الحقّ العام» الذي هو من خصوصيات النيابة العامّة، وهو أوّل من أجرى على أهل السجون ما يكفيهم من الرزق والكساء شتاءً وصيفاً، وكان فوق ذلك يأذن لأهل السجون بأن يخرجوا منه أوقاتاً محدّدة كي لا يبقى أحدٌ منهم في هوان الأسر طول نهاره...

وهكذا يكون عليّ عليه السلام قد سبق إنسان العصور الحديثة إلى خلق أربع

١٥٨ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم
وظائف قضائية أساسية تركّز لعدالة القضاء، وتمكيناً للناس من أن يطمئنوا إلى
أنهم متساوون جميعاً أمام القاضي، أمّا هذه الوظائف، فأولها: الخطوة إلى فصل
القضاء عن السلطات الباقية، والثانية: التفتيش القضائي، والثالثة: ولاية المظالم
التي هي بمثابة مجلس الشورى»^(١).

(١) الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية: ج ٢، ص ٢٥٣ - ٣٤٦.

الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام

اسمه: الحسن (سمّاه به رسول الله ﷺ).

أبوه: عليّ أمير المؤمنين عليه السلام.

أمّه: فاطمة الزهراء عليها السلام.

جدّه لأُمّه: رسول الله ﷺ.

جدّه لأبيه: أبو طالب بن عبد المطلب.

جدّته لأُمّه: خديجة بنت خويلد.

جدّته لأبيه: فاطمة بنت أسد بن هاشم.

أخوه لأُمّه وأبيه: الإمام الحسين عليه السلام.

أخواته لأُمّه وأبيه: زينب، أم كلثوم عليهما السلام.

ولادته: ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة، فجاء

به إلى رسول الله ﷺ فقال: اللهمّ إني أعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم، وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وسمّاه حسناً، وعقّ عنه كبشاً.

صفته: كان عليه السلام أبيض، مشرباً بحمرة، أدعج العينين، سهل الخدين، رقيق

المشربة، كثّ اللحية، ذا وفرة، وكأنّ عنقه إبريق فضّة، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين،ربعة، ليس بالطويل ولا القصير، مليحاً، من أحسن الناس وجهاً، وكان يخضّب بالسواد، وكان جعد الشعر، حسن البدن.

حياته مع أبيه: لازم أباه أمير المؤمنين عليه السلام طيلة حياته، وشهد معه حروبه

الثلاث: الجمل، صفّين، النهروان.

كنيته: أبو محمّد (كنّاه بها رسول الله ﷺ).

ألقابه: التقيّ، الزكيّ، السبط.

نقش خاتمه: العزة لله وحده.

أشهر زوجاته: خوله بنت منظور الفزاريّة، أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، أمّ بشر بنت أبي مسعود الأنصاري، جعده بنت الأشعث، هند بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

أولاده: زيد، الحسن، عمرو، القاسم، عبد الرحمن، عبد الله، الحسن، طلحة.

بناته: أمّ الحسن، أمّ الحسين، فاطمة، أمّ عبد الله، فاطمة، أمّ سلمة، رقية. بيعته: بُوع بالخلافة في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة.

بوابه: سفينة (مولى رسول الله صلى الله عليه وآله).

كاتبه: عبد الله بن أبي رافع.

صلحه: صالح معاوية في النصف من جمادى الأولى سنة ٤١ للهجرة بعد أن تبين الوهن في أصحابه.

وفاته: توفي عليه السلام في السابع من شهر صفر سنة ٥٠ للهجرة.

قبره: دفنه عليه السلام الحسين عليه السلام في البقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد بوصيّة منه.

مدة إمامته: كانت مدة إمامته عليه السلام ١٠ سنين^(١).

هدم قبره: في الثامن من شوال سنة ١٣٤٤ هـ هدم السلفيون قبره وقبور

بقية الأئمة عليهم السلام.

نموذج من قضاء الإمام الحسن عليه السلام

إن العلامة شمس الدين محمد بن قيس الجوزية يرى أنّ القرائن والأمارات

(١) راجع حول حياته عليه السلام كتب التاريخ ومنها: إعلام الوري ١: ٤٠٢ - ٤١٨.

الطبقة الأولى من القضاة / النبي و الأئمة (ع)..... □ ١٦١
والفراسة من ضرورات القضاء؛ لذا اعتبر فراسة الإمام الحسن عليه السلام من قبيل القضاء
والفصل، فأدرجها ضمن كتابه، يقول: إنَّ الحسن بن علي عليه السلام لَمَّا جِيءَ إليه
بابن ملجم قال له: أريد أسأرك بكلمة، فأبى الحسن، وقال: تريد أن تعضُّ أذني،
فقال ابن ملجم: والله لو أمكنتني منها لأخذتها من صماخها^(١).

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لابن القيم: ٣٨.

الإمام الحسين بن علي عليه السلام

أبوه: علي أمير المؤمنين عليه السلام.

أمّه: فاطمة الزهراء عليها السلام.

جدّه لأُمّه: رسول الله صلى الله عليه وآله.

جدّه لأبيه: أبو طالب.

جدّته لأُمّه: خديجة بنت خويلد.

جدّته لأبيه: فاطمة بنت أسد.

أخوه لأُمّه وأبيه: الإمام الحسن عليه السلام.

أخواته لأُمّه وأبيه: زينب الكبرى، أمّ كلثوم عليهما السلام.

ولد بالمدينة في الثالث من شعبان ^(١) سنة أربع للهجرة، ولما ولد جيء به إلى جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فاستبشر به، وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وحنّكه بريقه؛ فلما كان اليوم السابع سمّاه حسيناً، وعقّ عنه بكبش، وأمر أمّه عليها السلام أن تحلق رأسه وتتصدّق بوزن شعره فضّة.

كان عليه السلام أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، واسع الجبين، كثّ اللحية، واسع الصدر، عظيم المنكبين، ضخم العظام، رحب الكفّين والقدمين، رجل الشعر، متماسك البدن، أبيض مشرب بحمرة.

نشأ عليه السلام في ظلّ جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فكان هو الذي يتولّى تربيته ورعايته.

لقابه: الرشيد، والوفّي، الطيّب، السيّد، الزكيّ، المبارك، التابع لمرضاة الله، الدليل على ذات الله، السبط سيّد شباب أهل الجنّة.

لازم عليه السلام أباه أمير المؤمنين عليه السلام، وحضر مدرسته الكبرى ما يناهز ربع قرن.

(١) ويذهب بعض المؤرّخين إلى أنّ ولادته عليه السلام كانت في الخامس من شعبان.

واشترك في حروب أبيه الثلاث: الجمل، صفين، النهروان.

زوجاته: ليلي بنت أبي مُرّة بن عروة بن مسعود الثقفي، أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، شاه زنان بنت كسرى يزديجرد ملك الفرس، الرباب بنت امرئ القيس بن عدي.

أولاده: الإمام زين العابدين، عليّ الأكبر، جعفر، عبد الله^(١).

بناته: سكينه، فاطمة، رقية.

نقش خاتمه: حسبي الله.

شاعره: يحيى بن الحكم، وجماعة.

بوابه: أسعد الهجري.

بايع عليه لأخيه الحسن عليه بعد مقتل أبيه أمير المؤمنين عليه سنة ٤٠ هـ، وبلغ به الاحترام لمقام الإمامة والأخوة. ذكره الطبرسي عن الإمام الصادق عليه: ما مشى الحسين بين يدي الحسن عليه قطّ، ولا بدره بمنطق إذا اجتماعاً؛ تعظيماً له^(٢). عاش عليه بعد أخيه الحسن عليه عشر سنين كان فيها الإمام المفترض الطاعة -على رأي طائفة عظيمة من المسلمين- وسط الرسول عليه وريحانته وثاني الثقلين اللذين خلفهما عليه في الأمة -الكتاب والعتره- وسيّد شباب أهل الجنة بإجماع المسلمين.

خرج عليه من المدينة بأهله وصحبه متوجّهاً إلى مكّة ممتنعاً عن بيعة يزيد، وكان خروجه ليلة الأحد ليومين بقيا من شهر رجب سنة ٦٠ هـ وهو يتلو قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٣). دخل مكّة لثلاث مضيّن من شعبان سنة ٦٠ هـ يتلو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا

(١) يذهب بعض المؤرّخين أنّ أولاده عليه كانوا ستة.

(٢) مشكاة الأنوار: ١٧٠.

(٣) القصص: الآية ٢١.

تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدِينٍ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾.

واقفه عليه السلام كتب أهل الكوفة ووفودهم بالبيعة والطاعة حتى اجتمع عنده إثناعشر ألف كتاب. فأرسل من مكة ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة سفيراً وممثلاً.

بلغه أن يزيد بن معاوية أرسل إليه من يغتاله ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة فخرج من مكة في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة - يوم التروية - سنة ٦٠ هـ بعد أن خطب فيها معلناً دعوته.

دخل عليه السلام العراق في طريقه إلى الكوفة، ولازمه مبعوث ابن زياد - الحرّ بن يزيد الرياحي - حتى أورده كربلاء.

وصل كربلاء في اليوم الثاني من المحرم سنة ٦١ هجرية.

وما أن حطّ رحله بكربلاء حتى أخذت جيوش ابن زياد تتلاحق حتى بلغت ثلاثون ألفاً. استشهد هو وأهل بيته وأصحابه في اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ.

حمل رأسه الشريف إلى الكوفة في ليلة الحادي عشر من المحرم.

حملت عائلته من كربلاء في اليوم الحادي عشر، وجيء بهم إلى الكوفة سبائاً، ثم حملوا منها إلى الشام.

أول من زاره عليه السلام الصحابي الكبير جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله عليه في العشرين من شهر صفر سنة ٦١ هـ.

قبره في كربلاء ينافس السماء علوّاً وازدهاراً، عليه قبة ذهبية تُرى من عشرات الأميال، ويزدحم المسلمون من شرق الأرض وغربها لزيارته عليه السلام، والصلاة في حرمه، والدعاء عند رأسه الشريف (٢).

(١) القصص: الآية ٢٢.

(٢) راجع ترجمته عليه السلام في كتب التاريخ ومنها إعلام الوری ١: ٤١٩ - ٤٣٣.

نموذج من قضاء الإمام الحسين عليه السلام

إن رجلاً ادّعى عليه مالاً، فقال الحسين عليه السلام ليحلف على ما ادّعاه ويأخذه، فتهيأ الرجل لليمين، وقال: والله الذي لا إله إلا هو. فقال الحسين عليه السلام: قل والله والله أن هذا الذي يدّعيه قبلي. ففعل الرجل ذلك وقام فاختلفت رجلاه وسقط ميتاً. ف قيل للحسين عليه السلام: لِمَ فعلت ذلك أي عدلت عن قوله (وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) إلى قوله: (والله والله والله)؟ فقال: كرهت أن يُثني على الله فيحلم عنه.

الإمام زين العابدين عليه السلام

جدّه: أمير المؤمنين عليه السلام.

أبوه: الحسين الشهيد.

أمّه: شاه زنان - أي ملكة النساء - بنت يزدجرد بن شهریار بن كسرى - ملك
الفرس - سمّاها أمير المؤمنين عليه السلام (مريم)، وقيل (فاطمة) وكانت تدعى (سيّدة
النساء).

إخوته: عليّ الأكبر، عبد الله الرضيع - الشهيدان في كربلاء - جعفر^(١).

أخواته: سكينه، فاطمة، رقية.

ولادته: ولد عليه السلام في المدينة يوم الجمعة الخامس من شعبان سنة ٣٨ هـ.

كنيته: أبو محمّد.

ألقابه: زين العابدين، سيّد الساجدين، سيّد العابدين، الزكيّ، الأمين،
ذو الثنات.

أشهر زوجاته: فاطمة بنت الإمام الحسن السبط.

أولاده: محمّد (أبو جعفر الباقر عليه السلام) عبد الله، الحسن، الحسين، زيد، عمر،
الحسين الأصغر، عبد الرحمن، سليمان، عليّ، محمّد الأصغر.

بناته: خديجة، أمّ كلثوم، فاطمة، عليّة.

نقش خاتمه: وما توفيقى إلّا بالله.

شاعره: الفرزدق، كثير عزة.

بوابه: أبو جبلة، أبو خالد الكابلي، يحيى المظعمي.

كانت إقامته عليه السلام في المدينة، وكان فيها المفزع للمهمّات، يفيض على الأُمّة
علماً وسخاءاً.

(١) توفّي في حياة أبيه عليه السلام.

الطبقة الأولى من القضاة / النبي والأئمة (ع)..... □ ١٦٧

إمامته: عاش عليه السلام بعد أبيه الحسين عليه السلام أربعاً وثلاثين سنة، وهي مدة إمامته عليه السلام.

ملوك عصره: يزيد بن معاوية، معاوية بن يزيد، مروان بن الحكم، عبد الملك بن مروان، الوليد بن عبد الملك.

آثاره عليه السلام: الصحيفة السجادية، رسالة الحقوق.

وفاته: سمّه الوليد بن عبد الملك بن مروان في الخامس والعشرين من المحرم سنة ٩٥هـ^(١).

قبره عليه السلام: دُفِنَ في البقيع مع عمّه الحسن عليه السلام، وهدم السلفيون قبره وقبور بقيّة الأئمة عليهم السلام في الثامن من شوال سنة ١٣٤٤ هـ.

قصة ملك الروم

كتب ملك الروم إلى عبد الملك: أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة، لأغزوّنك بجنود مائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف.

فكتب عبد الملك إلى الحجاج أن يبعث لزين العابدين عليه السلام ويتوعّده ويكتب إليه ما يقول.

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ لله لوحاً محفوظاً يلحظه في كلّ يوم ثلثمائة لحظة، ليس منها لحظة إلّا يُحيي فيها ويُميت، ويُعزّز ويُذلّ، ويفعل ما يشاء، وإنّي لأرجوا أن يكفيك منها لحظة واحدة.

فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك بذلك إلى ملك الروم، فلمّا قرأ قال: ما خرج هذا إلّا من كلام النبوة^(٢).

(١) راجع كتب التاريخ حول سيرته عليه السلام، ومنها: إعلام الوری ١: ٤٧٩ - ٤٩٦.

(٢) المناقب: ٢ / ٢٥٩، بحار الأنوار: ١١ / ٨٣.

الإمام محمد الباقر عليه السلام

جده: الإمام الحسين الشهيد عليه السلام.

أبوه: الإمام عليّ زين العابدين عليه السلام.

أمّه: فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام، فهو عليه السلام هاشميّ من هاشميّين، وعلويّ من علويّين، وفاطميّ من فاطميّين، وأوّل من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين عليهما السلام.

ولادته: ولد عليه السلام يوم الجمعة - أو الاثنين - غرّة رجب سنة ٥٧ هـ^(١).

كان يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله لذا لُقّب بالشبيه، كان ربع القامة، رقيق البشرة، جعد الشعر، أسمر، له خال على جسده، ضامر الكشح، حسن الصوت، مطرق الرأس.

عاش مع جدّه الحسين عليه السلام أربع سنين، وشهد وقعة كربلاء.
كنيته: أبو جعفر.

ألقابه: الباقر، الشاكر لله، الهادي، الأمين، الشبيه.
نقش خاتمه: العزّة لله جميعاً.

أشهر زوجاته: أمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر، أمّ حكيم بنت أسد ابن المغيرة الثقفية.

أولاده: الإمام جعفر الصادق عليه السلام، عبد الله، إبراهيم، عبيد الله، عليّ.
بناته: زينت، أمّ سلمة.

شعراؤه: كثير عزة، الكميت، الورد الأسدي - أخو الكميت - السيّد الحميري.

بوابه: جابر الجعفي.

(١) ويروى: في الثالث من صفر.

الطبقة الأولى من القضاة / النبي و الأئمة (ع)..... □ ١٦٩

ملائكة الدنيا بعلمه وحديثه حتى قال جابر الجعفي: حدثني أبو جعفر سبعين ألف حديث. وقال محمد بن مسلم: سألته عن ثلاثين ألف حديث.

مؤلفاته: كتاب التفسير، ذكره ابن النديم، رسالة إلى سعد الخير من بني أمية، رسالة ثانياً منه إليه، كتاب الهداية^(١).

أشار على عبد الملك بن مروان بضرب الدراهم والدنانير، وعلمه كيفية ذلك.

ملوك عصره - زمن إمامته - الوليد بن عبد الملك - سليمان بن عبد الملك، عمر بن عبد العزيز، يزيد بن عبد الملك، هشام بن عبد الملك.

وفاته: توفي ليلة يوم الاثنين، سابع ذي الحجة سنة ١١٤ هـ وعمره سبع وخمسون سنة.

مدة إمامته: ١٩ سنة.

قبره: دفن ليلة في البقيع مع أبيه الإمام زين العابدين وعمه الحسن السبط.

هدم قبره: في الثامن من شوال سنة ١٣٤٤ هـ، هدم السلفيون قبره وقبور بقية الأئمة.

مدرسته

أقام معاوية دولة قوية شيد بناءها بدماء كبار الصحابة والتابعين، كالإمام الحسن السبط، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وحجر بن عدي الكندي وأصحابه، وغيرهم من كبار المسلمين، وظن ابن هند أن دولة أمية ستبقى أبد الآبدين.

وبعد مقتل الحسين الشهيد بدأت تتصدع، ولم ينفعها حزم عبد الملك ابن مروان، وبطش طاغيته الحجاج بن يوسف.

(١) أعيان الشيعة: ٤ / ٢ / ٦٥.

أخذت الدولة الأموية بالانهيار في عصر هشام بن عبد الملك حيث بدأت الدعوة للعباسيين في إيران.

واستغل الإمام أبو جعفر عليه السلام هذا الظرف المناسب لفتح مدرسته، ليتخرج منها المئات من العلماء فكان ذلك مصداقاً لما أخبر به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله جابر ابن عبد الله الأنصاري: يا جابر يوشك أن تلحق بولد من ولد الحسين عليه السلام، اسمه كاسمي، يقرر العلم بقرأ، أي يفجره تفجيراً، فإذا رأيته فاقرأه مني السلام. نعم، بقر أبو جعفر عليه السلام العلم وفجره، حتى امتلأت الدنيا بعلمه، ونُقل عنه من العلوم ما لم يُنقل عن غيره.

قال جابر الجعفي: حدثني أبو جعفر سبعين ألف حديث^(١). وقال محمد بن مسلم: ما شجر في رأيي شيء قط إلا سألت عنه أبا جعفر عليه السلام، حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث^(٢).

ونقل بعض من شاهده في الحج: انشال الناس عليه يستفتونه عن المعضلات، ويستفتحون أبواب المشكلات فلم يرم حتى أفتاهم في ألف مسألة ثم نهض يريد رحله^(٣).

قال الشيخ المفيد: وكان الباقر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام من بين إخوته خليفة أبيه علي بن الحسين عليه السلام ووصيه، والقائم بالإمامة من بعده وبرز على جماعتهم بالفضل في العلم والزهد والسؤدد، وكان أنبهم ذكراً، وأجلهم في العامة والخاصة قدراً، ولم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليه السلام من علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب، ما ظهر عن أبي جعفر عليه السلام، وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة، ووجوه التابعين، ورؤساء فقهاء المسلمين،

(١) أعيان الشيعة: ٢ / ٢٨.

(٢) رجال الكشي: ص ١٦٣، الرقم: ٢٧٦.

(٣) المناقب: ٢ / ٢٧٥.

وصار بالفضل به علماً لأهله، تُضرب به الأمثال، وتسير بوصفه الآثار والأشعار، وفيه يقول القرطبي:

يا باقر العلم لأهل الثُّقى وخير من لَبَّى على الأَجبل

وقال مالك بن أعين الجهني يمدحه:

إذا طلب الناس علم القرآن كانت قریش عليه عيالا

وإن قيل: أين ابن بنت النبي نلت بذاك فروعاً طوالا

نجومٌ تهلّل للمدلجين جبال تورث علما جبالا^(١)

وقال ابن شهر آشوب: وقد روى عنه معالم الدِّين بقايا الصحابة، ووجوه التابعين، رؤساء فقهاء المسلمين، فمن الصحابة: جابر بن عبد الله الأنصاري، ومن التابعين: جابر بن يزيد الجعفي، وكيسان السخثياني صاحب الصوفيّة، ومن الفقهاء نحو: ابن المبارك، والزهري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي وزیاد بن المنذر النهدي، ومن المصنِّفين نحو: الطبري، والبلاذري، والسماعي، والخطيب في تواريخهم، وفي الموطأ، وشرف المصطفى، والإبانة، وحلية الأولياء، وسنن أبي داود، والألكاني، ومسندي أبي حنيفة والمروزي، وترغيب الأصفهاني، وبسيط الواحدي، وتفسير النقاش والزمخشري، ومعرفة أصول الحديث، ورسالة السمعاني، فيقولون: قال محمد بن عليّ، وربما قالوا: قال محمد الباقر^(٢).

وقال: اجتمعت العصابة على أن أفقه الأولين ستّة، وهم أصحاب أبي جعفر، وأبي عبد الله عليه السلام، وهم: زرارة بن أعين، ومعروف بن خربوذ الملكي، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي، وبريد بن معاوية العجلي. وقال أيضاً: ومن أصحابه حمران بن أعين الشيباني وإخوته: بكير، وعبد

١٧٢ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

الملك، وعبد الرحمن، ومحمد بن إسماعيل بن بزيع، وعبد الله بن ميمون القداح، ومحمد بن مروان الكوفي، وإسماعيل بن الفضل الهاشمي، وأبو هارون المكفوف، وظريف بن ناصح، وسعيد بن ظريف الاسكاف الدؤلي، وإسماعيل بن جابر الخثعمي، وعقبة بن بشير الأسدي وأسلم المكي -مولى ابن الحنفية- وأبو بصير ليث بن البختري المرادي، والكميت بن زيد الأسدي، وناجية بن عمارة الصيداوي، ومعاذ بن مسلم الهراء النحوي، وبشير الرحال^(١).

وقال أبو نعيم الأصبهاني: وروى عنه من التابعين: عمرو بن دينار، وعطاء ابن أبي رباح، وجابر الجعفي، وأبان بن تغلب، وروى عنه من الأئمة عليهم السلام والأعلام: ليث بن أبي سليم، وابن جريح، وحجاج بن ارطاة في آخرين^(٢).
واليوم، وبعد مضيّ ثلاثة عشر قرناً على تأسيسه عليه السلام لهذه المدرسة، لا يزال الفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم عيلاً عليها، يستمدّ من منهلها العذب، ويعترف من معينها الفياض.

الإمام الباقر عليه السلام وتعليمه لعبد الملك سكّ عملة جديدة

قال الكسائي: دخلت على الرشيد ذات يوم وهو في إيوانه، وبين يديه مال كثير، قد شقّ عنه البدر شقاً، وأمر بتفريقه في خدم الخاصّة، ويده درهم تلوح كتابته، وهو يتأمله وكان كثيراً ما يحدثني.

فقال: هل علمت من أوّل سنّ هذه الكتابة في الذهب والنفضة؟

قلت: يا سيّدي هذا عبد الملك بن مروان.

قال: فما كان السبب في ذلك؟

قلت: لا علم لي في غير أنّه أوّل من أحدث هذه الكتابة.

(١) المناقب: ٢ / ٢٩٥.

(٢) حلية الأولياء: ٣ / ١٨٨.

قال: سأخبرك: كانت القراطيس للروم، وكان أكثر من بمصر نصرانياً على دين الملك، ملك الروم، وكانت تطرز بالرومية، وكان طرازها: أباً وابناً وروحاً قديساً، فلم يزل كذلك صدر الإسلام كله يمضي على ما كان عليه، إلى أن ملك عبد الملك فتنبه عليه، وكان فظناً، فبينما هو ذات يوم إذ مر به قرطاس فنظر إلى طرازه، فأمر أن يُترجم بالعربية، ففعل ذلك فأنكره وقال: ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام، أن يكون طراز القراطيس وهي تحمل في الأواني والثياب، وهما يعملان بمصر وغير ذلك ممّا يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد على سعته، وكثرة ماله وأهله، تخرج منهم هذه القراطيس فتدور في الآفاق والبلاد وقد طرزت بشرك مثبت عليها. فأمر بالكتابة إلى عبد العزيز بن مروان، وكان عامله بمصر، بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك، وأن يأخذ صناع القراطيس بتطريزها بسورة التوحيد (شهد الله أنه لا إله إلا هو) وهذا طراز القراطيس خاصة إلى هذا الوقت لم ينقص ولم يزد ولم يتغير، وكتب إلى عمال الآفاق جميعاً بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم، ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيء منها بالضرب الوجيع، والحبس الطويل.

فلما أثبت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل إلى بلاد الروم منها، انتشر خبرها، ووصل إلى ملكهم فترجم له ذلك الطراز فأنكره وغلظ عليه فاستشاط غضباً وكتب إلى عبد الملك: إن عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم، ولم يزل يطرز بطراز الروم إلى أن أبطلته، فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت، وإن كنت قد أصبت فقد أخطأوا، فاختر من هاتين الخليتين أيهما شئت وأحببت، وقد بعثت إليك بهديّة تشبه محلّك، وأحببت أن تجعل ردّ ذلك الطراز إلى ما كان عليه في جميع ما كان يطرز من أصناف الأعلام، حاجة أشكرك عليها، وتأمّر بقبض الهدية، وكانت عظيمة القدر، فلما قرأ عبد

الملك كتابه ردّ الرسول، وأعلمه أن لا جواب له، ولم يقبل الهدية.

فانصرف بها إلى صاحبه، فلما وافاه أضعف الهدية وردّ الرسول إلى عبد الملك وقال: إني ظننتك استقلت الهدية فلم تقبلها، ولم تجبني عن كتابي، فأضعفت لك الهدية، وأنا أرغب إليك في مثل ما رغبت فيه من ردّ هذا الطراز إلى ما كان عليه أولاً.

فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه، وردّ الهدية.

فكتب إليه ملك الروم يقتضي أجوبة كتبه، ويقول: إنك قد استخففت بجوابي وهديتي، ولم تسعفني بحاجتي فتوهّمك استقلت الهدية فأضعفتها، فجريت على سبيلك الأول، وقد أضعفتها ثالثة، وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن بردّ الطراز إلى ما كان عليه أو لآمرن بنقش الدنانير والدراهم، فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادي، -ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام- فينقش عليها من شتم نبيك ما إذا قرأته أرفض جبينك له عرفاً، فأحب أن تقبل هديتي، وتردّ الطراز إلى ما كان عليه، وتجعل ذلك هدية بررتني بها، وتبقي على الحال بيني وبينك.

فلما قرأ عبد الملك الكتاب غلظ عليه، وضاق به الأرض، وقال: أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام، لأنني جنيت على رسول الله صلى الله عليه وآله من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر، ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب، إذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم.

وجمع أهل الإسلام واستشارهم فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به.

فقال له روح بن زنباع: إنك لتعلم الرأي والمخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمّد تركه.

فقال: ويحك من؟

قال: الباقر من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

قال: صدقت، ولكنه ارتج عليّ الرأي فيه، فكتب إلى عامله بالمدينة: أن أشخص إليّ محمد بن عليّ بن الحسين مكرماً، ومعه بمائتي ألف درهم لجهازه، وبثلاثمائة ألف درهم لنفقته، وأزح علته في جهازه وجهاز من يخرج معه من أصحابه، واحتبس الرسول قبله إلى موافاته عليه، فلما وافى أخبره الخبر.

فقال له الباقر عليه السلام: لا يعظمّن هذا عليك، فإنه ليس بشيء من جهتين: أحدهما: إن الله جلّ وعزّ لم يكن ليطلق ما يهدّدك صاحب الروم في رسول الله صلى الله عليه وآله.

والأخرى: وجود الحيلة فيه.

قال: وما هي؟

قال: تدعو في هذه الساعة بصّاع يضربون بين يدك سككاً للدراهم والدنانير، وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله أحدهما في وجه الدرهم والدينار، والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه، والسنة تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهما عدداً من الثلاثة الأصناف التي العشرة منها عشرة مثاقيل، وعشرة منها وزن ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فتكون أوزانها جميعاً واحداً وعشرين مثقالاً، فتجزؤها من الثلاثين فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل وتصبّ سنجات من قوارير لا تستحلّ إلى زيادة ولا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن عشرة، والدنانير على وزن سبعة مثاقيل، وكانت الدراهم في ذلك الوقت إنما هي الكسروية، التي يقال لها اليوم البغلية، لأنّ رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب بسكّة كسروية في الإسلام، مكتوب عليها صورة الملك، وتحت الكرسيّ مكتوب بالفارسية (نوش خر) أي كلّ هنيئاً، وكان وزن الدرهم منها قبل الإسلام مثقالاً، والدراهم التي كانت وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل، والعشرة وزن خمسة مثاقيل هي السميرية الخفاف والثقال، ونقشها

نقش فارس.

ففعّل عبد الملك ذلك، وأمره محمّد بن عليّ بن الحسين أن يكتب السكك في جميع بلدان الإسلام، وأن يتقدّم إلى الناس في التعامل بها، وأن يتهدّدوا بقتل من يتعامل بغير هذه السكك من الدراهم والدنانير وغيرها، وأن تبطل وتردّ إلى مواضع العمل حتّى تعاد على السكك الإسلاميّة.

ففعّل عبد الملك ذلك، وردّ رسول ملك الروم إليه يعلمه بذلك.

ويقول: إنّ الله عزّ وجلّ مانعك ممّا قدرت أن تفعله، وقد تقدّمت إلى عمّالي في أقطار الأرض بكذا، وبإبطال السكك والطرّاز الروميّة.

فقليل لملك الروم: افعل ما كنت تهدّدت به ملك العرب.

فقال: إنّما أردت أن أغيظه بما كتبت به إليه، لأنّي كنت قادراً عليه، والمال وغيره برسوم الروم، فأما الآن فلا أفعل لأنّ ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام.

وامتنع من الذي قال، وثبت ما أشار به محمّد بن عليّ بن الحسين إلى اليوم. قال: ثمّ رمى بالدرهم إلى بعض الخدم وقال: عليّ بالخازن^(١)، الخ.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

اسمه: جعفر .

أبوه: الإمام محمد الباقر عليه السلام .

جده: الإمام زين العابدين عليه السلام .

أمه: أم فروة (فاطمة) بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر .

ولادته: ولد عليه السلام في المدينة يوم الجمعة - أو الاثنين - عند طلوع الفجر في

السابع عشر من ربيع الأول - يوم ميلاد جده الرسول الأعظم ﷺ - سنة ٨٠ هـ أو ٨٣ هـ .

صفته: ربعة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، أبيض الوجه ، أزهر له لمعان كأنه

السراج ، أسود الشعر ، جعده ^(١) أشم الأنف ^(٢) قد انحسر الشعر عن جبينه فبدأ مزهراً ، وعلى خده خال أسود ^(٣) .

كناه: أبو عبد الله ، أبو إسماعيل ، أبو موسى ، وأولها أشهرها .

ألقابه: الصادق ، الفاضل ، الطاهر ، القائم ، الكافل ، المنجي ، الصابر . وأولها أشهرها .

نقش خاتمه: ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، أستغفر الله .

أشهر زوجاته: حميدة بن صاعد المغربي ، فاطمة بنت الحسين بن علي

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

أولاده: اسماعيل ، عبد الله ، موسى الكاظم ، إسحاق ، محمد الديباج ،

(١) الجعد من الشعر خلاف السبط .

(٢) الشم: ارتفاع قصبه الأنف وحسنها ، وارتفاعها من أعلاها ، وانتصاب الأرنبة - طرف الأنف - ويكتنى به عن الآباء .

(٣) الإمام الصادق ، لمحمد أبي زهرة: ص ٧٥ .

العبّاس، عليّ.

بناته: أمّ فروه، أسماء، فاطمة.

شعراؤه: السيّد الحميري، أشجع السلمي، الكميت، أبو هريرة الآبار،

العبدى، جعفر بن عثمان.

بوابه: المفضل بن عمر.

مؤلفاته: قال الشيخ المظفرى: ما روى عنه بلا واسطة ثمانون كتاباً،

وبواسطة سبعون كتاباً^(١).

تلاميذه: أخذ عنه العلم والحديث أكثر من أربعة آلاف رجل.

المصنفون من تلاميذه: صنّف المئات من تلاميذه في مختلف العلوم

والفنون^(٢).

مجيئه إلى العراق: أشخصه المنصور العبّاسي إلى العراق مرّات متعدّدة، وقد

همّ أن يقتله في بعضها، وكان عليه السلام يستغلّ وجوده في العراق لنشر العلم، حتّى قال

الحسن بن عليّ الوشّاء: أدركت في هذا المسجد - يعنى مسجد الكوفة - تسعمائة

شيخ كلّ يقول حدّثني جعفر بن محمّد.

ملوك عصره: أ- من بني أميّة: هشام بن عبد الملك، يزيد بن عبد الملك

-الملقب بالناقص- إبراهيم بن الوليد، مروان بن محمّد -الملقب بالحمّار-.

ب- من بني العبّاس: السفّاح، المنصور.

مدّة إمامته: أربع وثلاثون سنة.

أوصياؤه: أوصى عليه السلام إلى ولديه: عبد الله و موسى، وإلى زوجته حميدة،

(١) الإمام الصادق عليه السلام : ١ / ١٥٣.

(٢) أنظر الفهرست للشيخ الطوسي، ورجال التجاشي وجامع الرواة للأردبيلي، والذريعة للطهراني،

والإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر، والظاهر أنّ الأصول الأربعمئة جلّها لتلاميذه عليهم السلام.

وإلى محمد بن سليمان -والي المدينة- وإلى المنصور العباسي^(١).

وفاته: توفي في الخامس والعشرين من شهر شوال سنة ١٤٨، متأثراً بسمّ

دسّه إليه المنصور العباسي على يد عامله على المدينة -محمد بن سليمان-.

قبره: دفن عليه السلام في البقيع، مع أبيه الباقر، وجدّه زين العابدين، وعمّه الحسن

السبط، صلوات الله عليهم أجمعين.

عمره: هو أكبر الأئمة عليهم السلام سنّاً، فعمره الشريف على الرواية الأولى من مولده

٦٨ سنة، وعلى الثانية ٦٥ سنة.

هدم قبره: في الثامن من شوال سنة ١٣٤٤ هـ هدم السلفيون قبره وقبور بقيّة

أئمة أهل البيت عليهم السلام.

(١) ذكر أهل السّير: أنّ المنصور العباسي كتب إلى عامله على المدينة، أن ينظر إلى من أوصى إليه الصادق عليه السلام فيقدّمه ويضرب عنقه، ولما كتب إليه بأسماء الأوصياء قال: ليس إلى قتل هؤلاء من سبيل، وهنا يظهر الغرض من هذه الوصيّة.

الإمام الكاظم عليه السلام

جده: الإمام محمد الباقر عليه السلام.

أبوه: الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

أمّه: حميدة بنت صاعد المغربي.

ولد بأبواء - بين مكة والمدينة - يوم الأحد في السابع من شهر صفر سنة ١٢٨. وأولم الإمام الصادق عليه السلام عند ولادته فأطعم الناس ثلاثة أيام.

صفته: أزهر اللون، ربع القامة، كث اللحية.

كناه: أبو إبراهيم، أبو الحسن، أبو علي، أبو إسماعيل.

ألقابه: العبد الصالح، الكاظم، الصابر، الصالح، الأمين، باب الحوائج، ذو النفس الزكية، زين المجتهدين، الوفي، الزاهر، المأمون، الطيب، السيد.

نقش خاتمه: الملك لله وحده.

أولاده: علي الرضا عليه السلام، إبراهيم، العباس، القاسم، إسماعيل، هارون، الحسن، أحمد، محمد، حمزة، عبد الله، إسحاق، عبيد الله، زيد، الحسن، الفضل، سليمان.

بناته: فاطمة الكبرى، فاطمة الصغرى، رقية، حكيمة، أم أبيها، رقية الصغرى، كلثم، أم جعفر، لبابة، زينب، خديجة، عليّة، آمنة، حسنة، بريهة، عائشة، أم سلمة، ميمونة، أم كلثوم^(١).

شاعره: السيد الحميري.

بوابه: محمد بن الفضل.

ملوك عصره: المنصور، محمد المهدي، موسى الهادي، هارون الرشيد.

عاش عليه السلام فترة من عمره في ظلمات السجون، فقد سجنه المهدي العباسي

(١) هذه رواية الشيخ المفيد عليه الرحمة، وزاد بعضهم على ذلك.

الطبقة الأولى من القضاة / النبي والأئمة (ع)..... □ ١٨١

ثم أطلقه وسجنه هارون الرشيد في البصرة عند عيسى بن جعفر، ثم نقله إلى بغداد عند الفضل بن الربيع، ثم عند الفضل بن يحيى، ثم عند السندي بن شاهك^(١).

وفاته: قبض يوم الجمعة، في الخامس والعشرين من شهر رجب، سنة ١٨٣هـ متأثراً بسمّ دسّه إليه هارون الرشيد.

مدة إمامته: خمس وثلاثون سنة.

قبره: دفن عليه السلام في جانب الكرخ، في مقابر قريش، وقبره اليوم ينافس السماء علواً وازدهاراً، على أعتابه يتكدّس الذهب، ويزدحم عنده الألوف من المسلمين من شرق الأرض وغربها لزيارته، والتطواف حول ضريحه الأقدس.

وبعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام سنة ١٤٨هـ وبدأ عصر الإمام الكاظم عليه السلام، كان يمارس نشاطه بالمدينة في المسجد النبويّ تعليمًا وفتوى وقضاء، حتّى أشخصه هارون الرشيد من المدينة إلى البصرة وحبسه فيها.

(١) المدة التي قضاها عليه السلام في سجون هارون أربع سنين، وفي بعض الروايات أنها أكثر من ذلك.

الإمام عليّ الرضا عليه السلام

جده: الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

أبوه: الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

أمّه: تكتّم - أو الطاهرة - وتكنّى بـ «أمّ البنين».

ولادته: ولد في المدينة المنورة يوم الخميس ١١ ذي القعدة سنة ١٤٨هـ^(١).

كنيته: أبو الحسن.

ألقابه: الرضا، الصابر، الرضيّ، الوفيّ، الصادق، الفاضل.

نقش خاتمه: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

زوجاته: سبيكة - من أهل بيت مارية زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّ ولده

إبراهيم - أمّ حبيبة بنت المأمون العباسي.

أولاده: الإمام محمّد الجواد عليه السلام.

شعراؤه: دعل الخزاعي، أبو نؤاس، إبراهيم بن العباس الصولي.

مؤلفاته: (٢).

بوابه: محمّد بن الفرات.

ولاية العهد: بويح له بولاية العهد في ٥ شهر رمضان سنة ٢٠١هـ^(٣).

السكة الرضوية: بعد البيعة للإمام عليه السلام بولاية العهد ضربت باسمه الدراهم

والدنانير^(٤).

(١) هذه رواية الشيخ المفيد عليه الرحمة ومن تابعه. وهناك رواية للشيخ الصدوق في ١١ ربيع الأول سنة ١٥٣.

(٢) ذكرها السيد عليه السلام في أعيان الشيعة: ٤٠٣ / ٣ - ١٨٠ - ١٩٠ بتفصيل.

(٣) أورد في كشف الغمّة: ٢٧٨ نسخة العهد الذي كتبه المأمون للإمام الرضا عليه السلام، وتوقيع الإمام عليه السلام، وقد شاهده عند بعض سدنة حرم الإمام عليه السلام.

(٤) ذكر الأستاذ عبد القادر أحمد اليوسف في كتابه الإمام الرضا عليه السلام وليّ عهد المأمون ص ٦٢-٦٦ الكتابة التي كانت على الدراهم والدنانير التي ضربت باسم الإمام عليه السلام، ناقلاً عن مصادر عربية وغيرها. كما ذكر أرقام الموجود منها في متاحف العالم.

ملوك عصره: هارون الرشيد، الأمين، المأمون.

وفاته: توفي يوم الثلاثاء ١٧ صفر - أو آخر صفر - سنة ٢٠٣هـ متأثراً بسم

المأمون.

مدة إمامته: ٢٠ سنة.

عمره: ٥٥ سنة.

قبره: في خراسان ينافس السماء علواً وازدهاراً، على أعتابه عليه السلام يتكدس

الذهب، ويزدحم المسلمون من شرق الأرض وغربها لزيارته، والصلاة عنده، والتطواف حول ضريحه الأقدس.

نشاطه

كان الإمام الرضا عليه السلام بالمدينة يتخذ المسجد النبوي الشريف مركز تدريسه

وإفتائه، وقضائه بين أتباعه ممن هم على خط آل البيت عليه السلام، وكذلك في بيته كما كان أمر الأئمة السابقين عليه السلام.

روى الحاكم النيسابوري في كتابه «تاريخ نيسابور»: إن الإمام الرضا عليه السلام

«كان يفتي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن ثيف وعشرين سنة»^(١).

روى الطبرسي عن أبي الصلت الهروي أنه قال: لقد سمعته «يعني الإمام

الرضا» يقول: كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون فإذا أعياء الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم، وبعثوا إليّ بالمسائل فأجيب عليها»^(٢).

(١) تاريخ التشريع الإسلامي للدكتور الفضلي صفحة ١٦٢، نقلاً عن أعيان الشيعة للأمين.

(٢) إعلام الوري بأعلام الهدى: ج ٢ ص ٦٤.

الإمام محمد الجواد عليه السلام

جدّه: الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

أبوه: الإمام عليّ الرضا عليه السلام.

أمّه: سبيكة - من أهل بيت مارية أمّ إبراهيم زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله -.

ولادته: ولد بالمدينة في ليلة الجمعة ١٩ شهر رمضان سنة ١٩٥ هـ.

صفته: أبيض معتدل.

كنيته: أبو جعفر، ويقال: أبو جعفر الثاني تمييزاً له عن الإمام الباقر عليه السلام.

ألقابه: الجواد، القانع، المرتضى، النجيب، التقيّ، المنتجب، المختار،

المتوكّل، المتقيّ، الزكيّ، العالم.

نقش خاتمه: نِعَمَ القادر الله.

زوجاته: سمانة المغربيّة، أمّ الفضل بنت المأمون.

أولاده: الإمام عليّ الهادي عليه السلام، موسى.

بناته: فاطمة، أمّامة.

شعراؤه: حمّاد، داود بن القاسم الجعفري.

بوابه: عمر بن الفرات، عثمان بن سعيد السّمان.

ملوك عصره: المأمون، المعتصم العباسيّين.

أشخصه المعتصم العباسيّ من المدينة فورد بغداد لليلتين بقيتا من المحرمّ

سنة ٢٢٠ هـ.

وفاته: توفّي يوم السبت، آخر ذي القعدة سنة ٢٢٠ هـ ببغداد، متأثراً بسمّ

دسّه إليه المعتصم العباسيّ على يد زوجته أمّ الفضل.

قبره: دُفن عليه السلام مع جدّه الإمام الكاظم عليه السلام، وقبره اليوم ينافس السماء علواً

وازدهاراً، على أعتابه يتكدّس الذهب، ويتنافس المسلمون من جميع المعمورة

على زيارته، والتبرّك بقبره الشريف، والصلاة والدّعاء عنده.
مدّة إمامته: سبعة عشر سنة.

نماذج من قضاء الإمام محمّد بن عليّ الجواد بالمدينة:

١- لما مضى الرضا عليه السلام، جاء محمّد بن جمهور القميّ، والحسن بن راشد، وعليّ بن مدرّك، وعليّ بن مهزيار، وخلق كثير من سائر البلدان إلى المدينة، وسألوا عن الخلف بعد الرضا عليه السلام، فقالوا: بصريا -وهي قرية أسّسها موسى ابن جعفر عليه السلام- على ثلاثة أميال من المدينة -.

قال رجل: يا بن رسول الله ما تقول في رجل طلق زوجته عدد نجوم السماء؟

قال: تقرأ القرآن؟

قال: نعم.

قال: اقرأ سورة الطلاق إلى قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَدَةَ لِلَّهِ﴾، يا هذا لا طلاق إلا بخمس: شهادة شاهدين عدلين، في طهر من غير جماع، بإرادة وعزم.
ثم قال بعد كلام: يا هذا هل ترى في القرآن عدد نجوم السماء؟
قال: لا^(١).

٢- قال أحمد بن أبي دواد -قاضي القضاة في عهد المعتصم- إن سارقاً أقرّ على نفسه، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء، وأحضر محمّد بن عليّ عليه السلام، فسألنا عن القطع في أيّ موضع يجب.
فقلت: الكرّسوع -وهو طرف الزند الناتئ ممّا يلي الخنصر-.

فقال: وما الحجّة في ذلك؟

فقلت: لأنّ اليد هي الأصابع، والكفّ إلى الكرّسوع؛ يقول الله تعالى في

١٨٦ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

التيَم: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ واتفق معي على ذلك قوم، وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق، لأن الله تعالى لما قال: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ دلّ على أنّ حدّ اليد هو المرفق.

فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال عليه السلام: قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين.

قال: دعني ممّا تكلموا به، أي شيء عندك؟ قال: اعفني من هذا. قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.

فقال: أمّا إذا أقسمت عليّ بالله، فأنّي أقول إنّهم أخطأوا فيه السنّة، فإنّ القطع يجب أن يكون عن مفصل أصول الأصابع، فيترك الكفّ. قال: وما الحجّة في ذلك؟

قال: «قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (السجود على سبعة أعضاء: الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين) فإذا قطعت يده من الكرّسوع، أو المرفق، لم يبق له يد سجد عليها. وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، وما كان لله لم يقطع.

أعجب المعتصم بذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف^(١).

كان الإمام الجواد عليه السلام يمارس نشاطه في «المدينة المنورة» وفي بغداد تعليماً وإفتاءً ورعايةً لشؤون الشيعة، ولكنّه بين مدٍّ وجزر بسبب ما فرضته عليه الخلافة العبّاسيّة من رقابة تشتدّ حيناً وتخفّ أخرى، وكان الإمام الجواد عليه السلام يقيم بالمدينة المنورة^(٢).

الإمام عليّ الهادي عليه السلام

جده: الإمام عليّ الرضا عليه السلام.

أبوه: الإمام محمد الجواد عليه السلام.

أمّه: سمانة المغربيّة.

ولادته: ولد بصريا^(١) - قرية في نواحي المدينة - في منتصف ذي الحجة سنة

٢١٢هـ -^(٢).

كنيته: أبو الحسن.

ألقابه: النقيّ، الهادي، النجيب، المرتضى، العالم، المتقيّ، الفقيه، الأمين،

المؤمن، الطيّب، المتوكّل العسكري، الناصح.

نقش خاتمه: الله ربّي وهو عصمتي من خلقه.

زوجته: سليل^(٣).

أولاده: الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الحسين، محمد، جعفر، عليّة.

حفيدة: الإمام المهدي عليه السلام.

مجيئه إلى سرّ من رأى: استقدمه المتوكّل العبّاسي إليها، فمكث فيها عشرين

سنة وتسعة أشهر.

شعراؤه: العوفي، الديلمي، محمد بن إسماعيل الصيمري، أبو تمام الطائي،

أبو الغوث أسلم بن مهوز المنبجي، أبو هاشم الجعفري، الحمانيّ.

(١) قيل: صربة، تعرف الآن بـ«سريا» تقع بالوالي جنوب شرق الحرم النبوي، والمشهور عند أهل المدينة أنّها مزرعة الإمام الباقر عليه السلام كان يفلحها ويقول: إنّنا أهل البيت أكفّاننا من كد أيدينا، ويجوارها مقبرة قديمة يقال: إنّ بها أمّ الإمام الرضا عليه السلام.

(٢) ويروي ابن عيّاش أنّها كانت في الخامس من رجب، وفي كشف الغمّة وعيون المعجزات سنة ٢١٤هـ.

(٣) ويكفي في جلالها: أنّها كانت المفزع للشيعة في نقل الأحكام أيام الشدّة.

بؤابه: عثمان بن سعيد، وابنه محمد بن عثمان.

اعتقاله: عاش مدة من عمره في سجون الظالمين، ولا تزال آثار تلك السجون التي سجن عليه السلام فيها باقية إلى اليوم.

ملوك عصره: المعتصم، الواثق، المتوكل، المنتصر، المستعين، المعزّ العباسيين.

وفاته: توفي يوم الاثنين الثالث من رجب سنة ٢٥٤هـ^(١) متأثراً بسُمّ المعتزّ العباسي.

قبره: دُفن في داره بسرّ من رأى - سامراء - وقبره اليوم ينافس السماء علواً وازدهاراً، تعلوه أكبر قبّة ذهبية في العالم، استعمل في بناءها ٧٢٠٠٠ طابوقة ذهبية^(٢) ويزدحم المسلمون من شرق الأرض وغربها لزيارته والتسليم عليه، والصلاة في حرمه المشرق، وقد اعتُدي عليها من قبل زمرة آثمة وهدمتها، ثمّ طالت أياديهم الآثمة على المنارتين بعد عام من هدم القبّة، وكلّ الدلائل تشير إلى أنّ أمريكا وأذناها وراء ذلك العمل الشنيع.

مدة إمامته: ٣٤ سنة.

عمره: ٤٢ سنة.

فتوى الإمام الهادي عليه السلام

روى المجلسي^(٣) نقلاً عن «مناقب آل أبي طالب» لابن شهر آشوب قال: قال أبو عبد الله الزيادي: لما سُمّ المتوكل نذر الله إن رزقه العافية أن يتصدّق بمال كثير. فلما عُوفي، اختلف الفقهاء في المال الكثير.

(١) وذهب اليعقوبي ومن تابعه إلى أنّ وفاته عليه السلام كانت لثلاث بقين من جمادي الآخرة.

(٢) أنظر دليل سامراء ص ٢٧، ويقول السيّد جعفر بحر العلوم في كتابه تحفة العالم: ٧٣ / ٢: إنّ عدد الطابوق الذهبيّ المستعمل في بناء القبّة ٢٧٧٢٨ عدا الكتائب والحواشي.

(٣) البحار: ٥٠ / ١٦٢ - ١٧٢.

فقال له الحسن حاجبه: إن أتيتك يا أمير المؤمنين بالصواب، فما لي

عندك؟

قال: بعشرة آلاف درهم، وإلا ضربتك مائة مفرقة.

قال: قد رضيت.

فأتى أبا الحسن الهادي عليه السلام فسأله عن ذلك. فقال: قل له: يتصدق بثمانين

درهما. فأخبر المتوكل.

فسأله ما العلة؟ فأتاه، فسأله قال: إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ

اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾^(١) فعدّنا مواطن رسول الله ﷺ فبلغت ثمانين موطناً.

فرجع إليه فأخبره، ففرح وأعطاه عشرة آلاف درهم^(٢).

(١) التوبة: الآية ٢٥.

(٢) تاريخ التشريع الإسلامي للدكتور الفضلي: ص ١٨٨-١٨٩.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

جده: الإمام محمد الجواد عليه السلام.

أبوه: الإمام علي الهادي عليه السلام.

أمّه: سليل^(١).

إخوته: محمد، الحسين، جعفر.

ولادته: ولد في المدينة في الثامن من ربيع الآخر سنة ٢٣٢هـ.

صفته: أسمر، أعين، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، له جلالة وهيبة^(٢).

كنيته: أبو محمد.

ألقابه: الزكي، الهادي، العسكري، التقى، الخالص، السراج، الصامت، الرفيق، المرضي.

نقش خاتمه: سبحان من له مقاليد السماوات والأرض.

مجيئه إلى سر من رأى: جاء مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام، وبقي بها حتى وفاته. زوجته: نرجس، أو مليكة بنت يشوعا بن قيصر - ملك الروم - وأمّها من ولد الحواريين، تنسب إلى وصي المسيح عليه السلام شمعون.

ولده: الإمام المهدي (عجل الله فرجه).

شاعره: ابن الرومي.

بوابه: عثمان بن سعيد العمري، وابنه محمد بن عثمان.

ملوك عصره: المعتز، المهدي، المعتمد العباسيين.

اعتقاله: عاش مدة من عمره في سجون الظالمين، ولا تزال آثار تلك

(١) ويكنى في جلالته أنها كانت المفزع للشعبة في أخذ الأحكام أيام المحنة.

(٢) هكذا وصفه أحمد بن عبيد الله بن خاقان.

السجون باقية إلى اليوم.

وفاته: توفي صلوات الله عليه يوم الجمعة الثامن من ربيع الأول سنة ٢٦٠.

قبره: دفن مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام في داره بـ«سر من رأى» وقبره اليوم

ينافس السماء رفعة وازدهاراً، تعلوه أكبر قبة ذهبية في العالم، استعمل في بنائها

٧٢٠٠٠ لبنة ذهبية^(١)، ويزدحم المسلمون من شرق الأرض وغربها للزيارة،

والتسليم عليه، والصلاة عنده، والدعاء في مرقده المقدس؛ وقد اعتُدي عليها من

قبل زمر آئمة وهدمتها، ثم طالت أياديهم الآئمة المنارة بعد عام من هدم القبة،

وكلّ الدلائل تُشير إلى أنّ أمريكا وأذناها وراء ذلك العمل الشنيع.

(١) أنظر دليل سامراء ص ٢٧، ويقول السيّد جعفر بحر العلوم رحمته الله في كتابه تحفة العالم ٢ / ٧٣: إنّ عدد الطابوق الذهبي في بناء القبة ٢٧٧٢٨ عدا الكتائب والحواشي.

الإمام المهدي (عجل الله فرجه)

اسمه: محمد.

أبوه: الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

جدّه: الإمام عليّ الهادي عليه السلام.

أُمّه: نرجس أو مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وهي من ولد

الحواريين تنسب إلى وصيّ المسيح شمعون^(١).

كنيته: أبو القاسم، كنية رسول الله صلى الله عليه وآله.

ألقابه: المهدي، القائم، المنتظر، صاحب الزمان، الحجة الخاتم،

صاحب الدار.

ولادته: ولد عجل الله فرجه في ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ في سرّ

من رأى (سامراء).

صفته: ناصح اللون، واضح الجبين، أبلج الحاجب^(٢)، مسنون الخد^(٣) أقنى

الأنف^(٤) أشم أروع^(٥) كأنه غصن بان، وكأنّ صفحة غرته كوكب دريّ، بخدّه

الأيمن خال، كأنه فاة مسك على بياض الفضّة، برأسه وفرة^(٦) سمحاء سبطة

تطالع شحمة أذنه، له سمت، ما رأت العيون أقصد منه، ولا أعرف حسناً

وحياءاً^(٧).

(١) روضة الواعظين: ١ / ٢٥٣.

(٢) أبلج الحاجب: مفترق الحاجب.

(٣) مسنون الخدّ: طويل الخدّ.

(٤) أقنى الأنف: مستوي الأنف.

(٥) الأشم: مرفوع الرأس، والأروع: من يعجبك بحسنه.

(٦) الوفرة: ما سال من الشعر على الأذن.

(٧) أنظر بحار الأنوار: ١٣ / ١١٥.

غيبته الأولى: وتسمّى الصغرى، مدّتها تسع وستون سنة، نصب فيها سفراء بينه وبين شيعته، فكان عبّّل الله فرجه يتّصل بهم، وتخرج توقيعاته إليهم، وهم: الأول: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو العمري الأسدي (وكيل الإمام الهادي والعسكري عليه السلام).

الثاني: ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد المتوفى سنة ٣٠٤ هـ.

الثالث: أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي المتوفى سنة ٣٢٦ هـ.

الرابع: أبو الحسن عليّ بن محمّد السمري المتوفى سنة ٣٢٩ هـ^(١).

غيبته الثانية: وتسمّى الكبرى. بدأت بعد موت عليّ بن محمّد السمري سنة ٣٢٩ هـ وحتى يأذن الله له بالخروج.

نقش خاتمه: أنا حجّته وخاصّته.

رايته: مكتوبٌ عليها (اليعة لله).

أنصاره: ثلثمائة وثلاث عشرة رجلاً - عدل أهل بدر - وهم خواص أصحابه، وأصحاب الأولوية، وعوّاله فيما بعد على الأمصار.

محلّ ظهوره: مكّة المكرّمة.

محلّ بيعته: بين الركن والمقام.

جيشه: عشرة آلاف.

دولته: تشمل العالم بأسره، وقد تواتر الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله بأنّه عليه السلام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

مدة ملكه: أكثر الروايات تصرّح أنّ مدّة ملكه عليه السلام أقلّ من عشر سنين.

(١) كانت إقامتهم عليهم السلام في بغداد، وقبورهم في أماكن متفرّقة منها، عليها أضرحة مشيّدة، ومساجد عامرة.

الطبقة الثانية من قضاة المدينة المنورة
وكلاء النبي ﷺ والأئمة بإصلاح

- ١ - حذيفة بن اليمان .
- ٢ - أبو أيوب الأنصاري .
- ٣ - سهل بن حنيف .
- ٤ - القاضي قثم بن العباس .
- ٥ - تمام بن العباس .
- ٦ - تميم بن عبد عمرو المازني .
- ٧ - سلمة بن دينار .
- ٨ - أبو الفرج النهرواني .
- ٩ - عيسى بن سعيد بن قيس الأنصاري .

١- حذيفة بن اليمان القطعي العبسي أبو عبد الله حليف بني عبد الأشهل توفي بالمدائن في ٥ صفر من سنة ٣٦هـ، وذلك بعد بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام بأربعين يوماً، وكانت بيعته لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٣٥هـ. وفي الاستيعاب: مات حذيفة سنة ٣٦هـ، والأول أصح.

روى ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة جارية بن ظفر اليمامي بسنده عنه أن داراً كانت بين أخوين فحظرا في وسطها حظراً ثم هلكا، فادّعى عقب كلّ منهما أن الحظار له واختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأرسل حذيفة بن اليمان ليقضي بينهما، فقضّى بالحظار لمن وجد معاقد القمط تليه، ثم رجع فأخبر النبي صلى الله عليه وآله فقال: أصبت أو أحسنت.

(تفسير ذلك) أن الحظار هو الحاجز بين الملكين من قصب ونحوه شبه الحائط. والقمط: ما يربط به ذلك القصب من حبل ونحوه، فمن كانت أطراف تلك الحبال معقودة ممّا يليه فالحظار له.

٢- أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد الخزرجي البخاري والي المدينة النبوية

توفي غازياً في بلاد الروم في ملك معاوية سنة ٥٠ أو ٥١ أو ٥٢هـ وهو الأكثر كذا في الاستيعاب. وفي تهذيب التهذيب عن أبي زرعة الدمشقي سنة ٥٥هـ، وفي مروج الذهب سنة ٤٥ ولم يقله غيره، وفي الاستيعاب: دُفن قرب سور القسطنطينية وقبره معلوم إلى اليوم معظم يستسقون به فيسقون فيه.

في الكنى روى عن مجاهد أن خيل المسلمين جعلت تقبل وتُدبر على قبره حتى عفى أثره «خافوا من نبشه». وقال البغوي: قبر ليلاً. وعن مجاهد: أن الروم قالت للمسلمين صبيحة دفنهم أبا أيوب: لقد كان لكم الليلة شأن، فقالوا: هذا رجل

من أكابر أصحاب نبينا محمد ﷺ وأقدمهم أسلاماً وقد دفنائه حيث رأيتم، والله لئن نبش لا ضرب لكم ناقوس في أرض العرب ما كانت لنا مملكة.

قال مجاهد: كانوا إذا أمحلوا كشفوا عن قبره فمطروا. وقال أبو القاسم عن مالك: بلغني عن قبر أبي أيوب أن الروم يستصحون به ويستسقون. وقال ابن حبان: قال: إذا أنا مت فقدموني في بلاد العدو ما استطعتم ثم ادفنوني، فمات وكان المسلمون على حصار القسطنطينية فقدّموه حتى دُفن إلى جنب حائط.

كان أبو أيوب صحابياً من السابقين إلى الإسلام أنصارياً خزرجياً مخلصاً في ولاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ مختصاً به، شهد معه جميع حروبه بعدما شهد مع النبي محمد ﷺ حتى مات غازياً في بلاد الروم، وكان شاعراً مجيداً وامتاز بأنه صاحب منزل رسول الله ﷺ يوم الهجرة فلم ينزل النبي ﷺ عند أحد وقد عرضت عليه القبائل النزول كلما مرّ بواحدة منها حتى أخواله فلم يقبل.

وفي الإصابة: من السابقين شهد العقبة وبدراً وما بعدها وشهد الفتوح ودوام الغزو واستخلفه عليّ على المدينة لما خرج إلى العراق ثم لحق به وشهد معه قتال الخوارج. قال ذلك الحكم بن عتيبة.

٣- سهل بن حنيف والي المدينة المنورة^(١)

سهل بن حنيف بن واهب بن الحكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث ابن عمر بن خنّاس، ويقال ابن خنساء بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك الأوسي الأنصاري أبو سعيد أو أبو سعد أو أبو عبد. توفي بالكوفة سنة ٣٨هـ وصلى عليه عليّ ﷺ فكبر ستّاً، وروى خمساً. وقال: إنه بدري.

وقال ابن الأثير في الكامل: توفي سنة ٣٧هـ في قول.

(١) تاريخ أمراء المدينة المنورة، لعارف أحمد عبد الغني ص ٤٤.

«وحنيف» كزبير.

وفي المستدرك في رواية ابن إسحاق في تسمية من شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ من بني ضبيعة سهل بن حنيف بن واهب بن غانم بن ثعلبة بن مجدعة ابن حارث بن عمرو، وعمرو الذي يقال له بجدة «اه».

وفي رواية الحاكم: مات سهل بالكوفة بعد انصرافهم من صفين.

وفي الخلاصة: سهل بن حنيف بالحاء المهملة المضمومة كبر عليه أمير المؤمنين عليه السلام خمساً وعشرين تكبيرة في صلاته عليه، رواه الكشي عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام.

وروى الكشي عن محمد بن مسعود حدثني أحمد بن عبد الله العلوي، قال: حدثني علي بن محمد، عن أحمد بن محمد الليثي، عن عبد الغفار، عن جعفر ابن محمد عليه السلام: أن علياً عليه السلام كفّن سهل بن حنيف في برد أحمر حبرة.

وعن محمد بن مسعود حدثني أحمد بن عبد الله العلوي حدثني علي بن الحسن الحسيني عن الحسن بن زيد أنه قال: كبر علي بن أبي طالب عليه السلام على سهل ابن حنيف سبع تكبيرات وكان بدرياً، وقال: لو كبرت عليه سبعين لكان أهلاً.

وعن محمد بن مسعود حدثني محمد بن نصير حدثنا محمد بن عيسى بن أبي عمير عن حماد عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام: كبر علي عليه السلام على سهل بن حنيف وكان بدرياً خمس تكبيرات ثم مشى به ساعة ثم وضعه ثم كبر عليه خمس تكبيرات أخرى فصنع به ذلك حتى بلغ خمساً وعشرين تكبيرة. انتهى ما ذكره الكشي في ترجمة سهل بن حنيف^(١).

وقد عدّ الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول ﷺ سهل بن حنيف، وفي أصحاب علي عليه السلام سهل بن حنيف الأنصاري وقال: عربي، وكان واليه على المدينة، يكنى أبا محمد.

(١) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ص ٣٦، الرقم ٧٣ - ٧٥.

وقال الفضل بن شاذان: إنّه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام ومن الباقيين على منهاج نبيهم، من غير تغيير ولا تبدل.
وعده البرقي مع أخيه عثمان من شرطة الخميس، وروى ما يدلّ على أنّهم من أهل الجنّة وهو أحد الاثني عشر الذين أنكروا على الخليفة الأوّل.
فلما سار عليّ عليه السلام إلى البصرة استخلفه على المدينة، وبعد وقعة الجمل حضر معه صفّين، ثمّ ولّاه على فارس، ثمّ ولّاه على المدينة، ثمّ عاد إلى الكوفة وتوفّي بها.

٤ - قثم بن العباس بن عبد المطلب والي المدينة على قول

قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف: ابن عمّ رسول الله ﷺ وأمير مكّة، وأمّه لبابة ابنة الحارث الهلالية، أوّل امرأة أسلمت بعد خديجة، له صحبة ورواية، ممّن أرفده النبي ﷺ خلفه، ثمّ كان آخر من خرج من لحده عليه السلام (قاله خليفة)، وقال الزبير بن بكار: استعمله على المدينة، ثمّ إنّه سار أيام معاوية مع سعيد بن عثمان بن عفّان في فتح ما وراء النهر، فاستشهد بمرقند، ولم يعقب. وقد روى عن النبي ﷺ، وكان يشبه به، وعن أخيه الفضل، وعنه أبو إسحاق السبيعي (قاله الحاكم) كان أخا الحسن بن عليّ من الرّضاة، وكان آخر الناس عهداً بالنبي ﷺ وهو في التهذيب، وأوّل الإصابة، وابن حبان.
وقال الزبير في الشعر الذي أوّله:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبیت يعرفه والحلّ والحرمُ
قاله بعض شعراء المدينة في قثم، وزاد أبياتاً منها:

كم صارح بك مكروب وصارخه

يدعوك يا قثم الخيرات قثم^(١)

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي، ج ٢، ص ٣٨٤، وقريب منه في تاريخ أمراء المدينة لعارف أحمد عبد الغني: ٤٦ - ٤٧.

٢٠٠ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام لعامله على مكة والمدينة قثم بن العباس: «أما بعد: فإنّ عيني بالمغرب كتب إليّ يُعلمني أنّه وجّه على الموسم أناس من أهل الشام العمي القلوب، الصّمّ الأسماع، والكُمه الأبصار، الذين يلتمسون الحقّ بالباطل، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق، ويحتلبون درّها بالدين، ويشترون عاجلها بآجل الأبرار والمتّقين، ولن يفوز بالخير إلّا عامله، ولا يجزي جزاء الشرّ إلّا فاعله، فأقم على ما في يدك قيام الحازم الصليب والناصح اللّبيب، والتابع لسلطانهِ المطيع لإمامه، وإيّاك ما يُعتدّر منه، ولا تكن عند النّعماء بطراً ولا عند البأساء فشلاً، والسلام»^(١).

٥- تَمَام بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي والي المدينة المنورة

تَمَام بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله: وأصغر بني أبيه، وفي صحبته اختلاف، يروي عن أبيه، وعنه ابنه جعفر، ذكره ابن حبان في ثقاته.

قال الزبير: كان من أشدّ الناس بطشاً، وأمّه أمّ ولد، وليس له عقب، وكان إمراً صدق.

وقال ابن عبد البر: ولّاه عليّ بن أبي طالب على المدينة، وذلك أنّه حين خرج -يريد العراق- استخلف سهل بن حنيف على المدينة، ثمّ عزله، واستجلبه لنفسه وولّاهها تماماً، ثمّ عزله وولّاهها أبا أيّوب الأنصاري، فشخص أبو أيّوب نحو عليّ، واستخلف على المدينة رجلاً من الأنصار، فلم يزل عليها، حتّى قتل عليّ عليه السلام. ذكره خليفة من خيّاط^(٢).

(١) ملامح من الفكر الإداري عند الإمام عليّ عليه السلام لحسن محمّد الشيخ: صفحة ٩٠-٩١.

(٢) التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٢٤.

الطبقة الثانية من قضاة المدينة المنورة / وكلاء النبي والأئمة (ع) □ ٢٠١

في الاستيعاب: أمّه أمّ ولد روميّة تُسمّى سبأ وشقيقه كثير بن العباس روى عن النبي ﷺ وكان والياً لعلّي بن أبي طالب على المدينة؛ وذلك أنّ عليّاً لمّا خرج عن المدينة يُريد العراق استخلف سهل بن حنيف على المدينة، ثمّ عزله واستجلبه إلى نفسه، وولّى المدينة تَمّام بن العباس ثمّ عزله، وولّى أبا أيّوب الأنصاري فشخص أبو أيّوب نحو عليّ واستخلف على المدينة رجلاً من الأنصار فلم يزل عليها حتّى قُتل عليّ؛ ذكر ذلك كلّ خليفة بن الخياط.

٦- تميم بن عبد عمرو أبو الحسن المازني والي المدينة المنورة

ولاه عليّ بن أبي طالب عليه السلام على المدينة حين خرج وهو يريد البصرة، قاله ابن حبان في ثقاته. وفي اللسان: تميم بن عمرو، أبو حنش^(١).

وفي أعيان الشيعة^(٢): تميم بن عمرو يكتنّى أبا حبيش أو أبا جيش - ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب عليّ عليه السلام وقال: كان عامل أمير المؤمنين عليه السلام على مدينة الرسول ﷺ حتّى قدِمَ سهل بن حنيف، انتهى.

وفي لسان الميزان: تميم بن عمرو أبو حنش ذكره الطوسي في رجال الشيعة وقال: أخذ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وولّى له ولاية (انتهى). ولا ريب أنّ أبا حنش وأبا حبيش قد صحّف أحدهما بالآخر).

وقال السخاوي: عمارة بن أبي حسن الأنصاري المازني المدني، روى عن أبيه وعن عمّه، وعنه ابنه يحيى والزهري. قال ابن إسحاق: واسم أبي حسن تميم بن عمر، واستعمله عليّ عليه السلام على المدينة حين خرج إلى العراق. وقال ابن عبد البر: عمارة له صحبة وأبوه كان عقيّاً بدرياً، انتهى.

وذكره ابن منده في الصحابة وروى عن أبي أحمد .. قال له صحبة عقيبي

(١) التحفة اللطيفة: ج ١ ص ٢٢٥.

(٢) أعيان الشيعة: ج ٣ ص ٦٤٠.

٢٠٢ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

بدري، قال شيخنا: وذلك أنه جعل اسم أبي حسن عمارة، وكذا فعل أبو القاسم البغوي وابن حبان، وهو إنما عمارة بن أبي حسن، فأبوه حسن هو الذي شهد العقبة وغيرها، وابنه عمارة يحتمل أن يكون أورد له حديثاً من رواية عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي حسن عن أبيه عن جدّه، فالضمير في جدّه يعود على يحيى، فيكون بن عمارة عن جدّه أبي حسن، ويكون من مسند أبي حسن لا من مسند عمارة، وكذا عنده ابن منده في ترجمة أبي حسن على الصواب، والله أعلم^(١).

٧- سلمة بن دينار القاضي نائب الإمام زين العابدين عليه السلام

يكنى أبا حازم، الأعرج، الأفرز، الثمار المدني القاضي، مولى الأسود ابن سفيان المخزومي روى عن جماعة منهم سهل بن سعد الساعدي، وأبو أمامة بن سهل، وسعيد بن المسيّب، وابن عمرو وغيرهم وثقه أحمد وأبو حاتم، والعجلي والنسائي، وقال ابن خزيمة: ثقة لم يكن في زمانه مثله.

وقال ابن سعيد: كان يقضي في مسجد المدينة بعث إليه سليمان بن عبد الملك الزهري في أن يأتيه فقال للزهري: إن كان له حاجة فليأت، وأمّا أنا فما لي إليه حاجة، وقد عدّه الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام^(٢).

٨- القاضي أبو الفرج النهرواني

مدنيّ لم أعر على معلومات تسلّط الضوء على شخصيّته أكثر من كونه يروي قصّة زواج الحسين بن زيد بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي تربّى في دار الإمام الصادق عليه السلام.

حكى القاضي أبو الفرج النهرواني بسنده عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن حسين بن زيد، أنه كان نشأ في حجر أبي عبد الله. يعنى: جعفر بن محمّد عليه السلام،

(١) التحفة اللطيفة ٢: ٣١٢، الرقم: ٣١٢٤.

(٢) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي: ج ٢، ص ٢٩٩.

الطبقة الثانية من قضاة المدينة المنورة / وكلاء النبي والأئمة (ع) □ ٢٠٣
فلما بلغ مبلغ الرجال، قال له أبو عبد الله: ما يمنعك أن تتزوج فتاة من فتيات قومك؟ قال: فأعرضت عن ذلك، فأعاد عليّ غير مرة، فقلت له: من ترى أن أتزوج؟ فقال: كلثوم بنت محمد بن عبد الله الأرقط، فإنّها ذات جمال ومال. إلى آخر القصة^(١).

٩- القاضي عيسى بن سعيد المدني، توفي سنة ١٤٤ هـ

هو عيسى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني أبو سعيد المدني القاضي المتوفى سنة ١٤٤ هـ، روى عنه الأوزاعي والسفيانان وخلق كثير.

قال ابن المدني: له ثلاثمائة حديث خرّج له البخاري في الأدب المفرد.

قال ابن سعد: «ثقة حجة»^(٢).

كان معاصراً للإمام جعفر الصادق عليه السلام.

(١) المغانم المطابة في معالم طابة: ٢٩٢ - ٢٩٤.

(٢) كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، لأسد حيدر، ج ١.

الطبقة الثالثة

سلالة ابن أبي البركات صاحب صدقات النبي ﷺ

- ١- القاضي يحيى البركات
- ٢- القاضي حسين بن يحيى الحربي
- ٣- القاضي محمد بن أبي البركات
- ٤- القاضي محمد المعمر
- ٥- القاضي أحمد بن محمد بن أحمد
- ٦- القاضي عبيد الله الأمير

القاضي يحيى البركات

يحيى المدعو بركات قاضي المدينة ابن الحسين صاحب صدقات النبي ﷺ ^(١).

يقول الشريف ضامن بن شذقم: والقاضي وجيه الدين «يحيى بن محمد المعروف بابن الجلال، وقد أذنوا له في التدريس والإفتاء بعد ملازمته لهم وعلمهم بحقيقة علو رتبته، وعظم ارتفاع درجته، وكان البدر بن فرحون يعترف بفضيلته مع غزارة علمه» ^(٢).

القاضي حسين بن يحيى الحربي ^(٣)

هو: الحسين قاضي المدينة وخطيبها ابن يحيى المدعو بركات ابن الحسين صاحب صدقات النبي ﷺ ابن عبد الله الأزرق ابن محمد المعمر ابن أحمد الحربي ابن الحسين غضارة بن عيسى موتم الأشبال ابن حمزة «أبو عمارة» المهنا بن داود بن الحسين بن مالك بن منيف بن شيحة بن داود بن القاسم بن عبد الله بن طاهر بن قاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى النسابة بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن الحسين بن علي عليه السلام.

القاضي محمد بن أبي البركات

هو محمد بن أسعد بن علي بن أبي الغنائم معمر بن عمر بن علي بن أبي

(١) عمدة الطالب لابن عنية: ٣٢٩.

(٢) تحفة الأزهار وزلال الأنهار، المجلد الأول، صفحة ٣٧٥.

(٣) كتاب بحر الأنساب، المسمى بالمشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف للسيد أحمد بن عميد الدين، ومجموعة الرسائل الكمالية صفحة ٤٦٦ نقلاً عن كتاب: تحفة الزهرة الثمينة لابن شذقم علي بن حسن المتوفى سنة ١٠٢٢ هـ: ومن عقبهم عبد الله بن حربي بن أحمد بن رشيد بن شفيع بن جماز بن زهير بن سليمان، وعمدة الطالب لابن عتبة وغيرهم، ص ٣٢٨-٣٢٩. وأعيان الشيعة للسيد الأمين، المجلد السادس، الجزء السادس والعشرون.

الطبقة الثالثة / سلالة ابن أبي البركات صاحب صدقات النبي (ص) □ ٢٠٧

هاشم الحسين النسابة ابن أبي العباس أحمد القاضي بن أبي الحسن بن علي
المحدث ابن أبي إبراهيم بن أبي الحسن المحدث ابن الحسن بن محمد الجواني
نسبة إلى الجوانية قرية بالمدينة قرب أحد ابن عبيد الله الأعرج ابن الحسين
الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام .. وصفه عمدة الطالب
بالنقيب القاضي النسابة. المجلد الثالث من أعيان الشيعة.

يقول الشريف ضامن: «إنَّ أبا البركات محدداً احتجب عن العالم مشغولاً
بالعبادة للملك العالم، إلى أن أدركته المنية بالمدينة لأوّل جمعة من شهر شعبان،
وقيل رمضان سنة ٧٤٣ هـ، وقبره بإزاء قبر إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

القاضي محمد المعمر

هو أبو عليّ محمد المعمر بن أحمد بن غضارة بن عيسى موتم الأشبال،
قاضي المدينة، عاش مائة وعشرين سنة، ومن أولاده عبد الله الأزرق بن محمد
المعمر (٢).

لم أقف له على تاريخ ولادة، أو وفاة في كتب الأنساب والتراجم والسير
التي طالعها.

القاضي أحمد بن محمد بن أحمد

هو أبو العباس أحمد جدّ شيخ الشرف (٣) ابن أبي الحسن محمد بن أبي
جعفر النسابة أحمد بن أبي الحسن عليّ المحدث الفاضل النسابة ابن أبي علي
إبراهيم بن محمد المحدث ابن الحسن بن محمد الأكرم ابن عبد العزيز بن فضل الله

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار للشريف ضامن بن شديم المجلد الأوّل صفحة ٣٧٥.

(٢) كتاب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

(٣) جاء في كتاب: أخبار الزينبات ليحيى بن الحسن بن جعفر الحجّة في مقدّمته لآية الله السيّد
شهاب الدّين الحسيني المرعشي النجفي أنّ: كلمة شيخ الشرف تُطلق على جماعة من الشرفاء
العظماء وعلماء النّسب، وذكر منهم المؤلّف: يحيى بن الحسن. كتاب أخبار الزينبات، صفحة ٤٧.

٢٠٨ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

ابن عليّ بن أحمد بن جعفر بن أحمد العقيقي بن جعفر بن عبد الله بن الحسين
الأصغر بن زين العابدين عليه السلام «المجلد الثالث لأعيان الشيعة نقلاً عن عمدة الطالب،
وقد وصفه بالقاضي العالم.

القاضي عبيد الله الأمير

هو: عبيد الله الأمير قاضي الحرمين ابن الحسن بن عبد الله بن العباس^(١).

(١) ابن عنبه في عمدة الطالب : ص ٣٩٨.

الطبقة الرابعة من قُضاة المدينة
سكّان الجوانيّة

- ١- أحمد القاضي
- ٢- أبو العبّاس أحمد القاضي
- ٣- القاضي أبو العبّاس أحمد

أحمد القاضي

هو أحمد بن أبي علي إبراهيم بن محمد المحدث بن أبي الحسن المحدث صاحب الجوانية ابن محمد الجواني ابن عبيد الله الأعرج ابن الحسين الأصغر ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وصفه في عمدة الطالب بالنسابة، وقال: روى عنه شيخ الشرف العبدلي^(١) وهو الذي يعينه إذا قال حدثني خالي^(٢).

أبو العباس أحمد القاضي

هو أحمد القاضي ابن أبي الحسن بن علي المحدث ابن أبي علي إبراهيم ابن أبي الحسن المحدث ابن الحسن بن محمد الجواني نسبة إلى الجوانية قرية بالمدينة قرب أحد^(٣) ابن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام^(٤).

(١) يُطلق لقب: «العبدلي» على جماعة من ذرية عبيد الله الأعرج ابن الحسين الأصغر ابن الإمام زين العابدين عليه السلام، وذكر منهم الشريف أبو الحسن علي العبدلي المختاري جد السادة المختارّة ببلدة سبزوار، وغيره ممّن ذكرهم. «المقدمة لكتاب أخبار الزينيات: ٤٨ - ٤٩».

(٢) المرجع أعيان الشيعة، المجلد الخامس الجزء الحادي والعشرون.

(٣) الجوانية: بالفتح وتشديد ثانية، وكسر النون وباء مشدّدة: موضع، وقيل قرية قرب المدينة إليها ينسب بنو الجواني العلويون، منهم أسعد بن علي حفيد القاضي أحمد ويُعرف بالنعوي وكان بمصر وابنه محمد بن أسعد النسابة، قال البكري: كأنها تُنسب إلى جوان: أرض من عمل المدينة من جهة الفرع، والصواب قول النووي: موضع قرب أحد، في شامي المدينة، لذكرها في منازل يهود بالمدينة، وكانت لهم آطام حرار، والريان صار لبني حارثة، فالجوانية هناك بطرف الحرّة الشرقية، ممّا يلي الشام «وفاء الوفاء».

والذي في معجم ما استعجم للبكري: الجوانية، كأنها منسوبة إلى جوان أرض من عمل المدينة، لآل الزبير بن العوام، مذكورة في رسم الفرع، ولما ذكر الفرع قال: وعاوز منذر بن مصعب بن الزبير بعض أصحابه بماله على عين النهر «بالفرع» إلى مال لأخيه بالجوانية ينتهي ولم يحدّد موضعها، ولم يقل إنّها من جهة الفرع، وإنّما ذكر المعاوضة بها عن مال في الفرع.

المغانم المطابة في معالم طابة للفيروز آبادي، صفحة ٩٧.

(٤) أعيان الشيعة نقلًا عن عمدة الطالب.

القاضي أبو العباس أحمد

هو أبو العباس أحمد جدّ شيخ الشرف ابن أبي الحسن محمد بن أبي جعفر النسابة أحمد بن أبي الحسن عليّ المحدث الفاضل النسابة بن أبي عليّ إبراهيم ابن محمد المحدث ابن الحسن بن محمد الأكرم ابن عبد العزيز فضل الله بن عليّ ابن أحمد بن جعفر بن محمد العقيقي^(١) بن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن زين العابدين عليه السلام. أعيان الشيعة نقلاً عن عمدة الطالب.

(١) العقيق بفتح أوّله وكسر ثانيه، وقافين بينهما مثناة تحتية: اسم لكلّ مسيل ماء شقّه السيل في الأرض، فأنهره ووسّعه. وعلم لواد عظيم، عليه أموال المدينة وهو على ثلاثة أميال من المدينة، أو ميلين أو ستة، أو سبعة (١) .. والأعقة كثيرة، وكلّ عقيق يُنسب لجهة من الجهات، أمّا عقيق المدينة فهو وآد عليه أموال المدينة يقع على مسافة ميلين أو ثلاثة أميال وقيل سبعة على ما ذكر ياقوت الحموي - وكان عامراً بالقصور، والأبنية، والسكّان في الجاهلية، فقد روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ركب إلى العقيق ثمّ رجع فقال: - يا عائشة جئنا من هذا العقيق، فما ألين موطنه، وأعذب ماء.

قالت: يا رسول الله، أفلا ننقل إليه؟

فقال: كيف وقد ابنتي الناس - أي أنّه ملك غيرنا من الناس -.

ولأهل العقيق أخبار مستحسنة في الكتب، وأشعار رائعة، ويبدو أنّ العقيق ظلّ معموراً إلى أواسط زمن العباسيين لانتساب الكثير إليه كمحمد بن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن عليّ بن الحسين عليه السلام بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام - المعروف بالعقيقي -.

ويقول ياقوت الحموي عن محمد بن جعفر أنّ له عقباً، وفي ولده رياسة، ومن ولده أحمد بن الحسين بن أحمد بن عليّ بن محمد العقيقي. أبو القاسم كان من وجوه الأشراف بدمشق، ومدحه أبو الفرج الوأواء، ومات بدمشق سنة ٣٧٨هـ ودفن بالباب الصغير .. (١).

وفي عقيق المدينة يقول الشاعر:

إني مررتُ على العقيق، وأهله يشكون من مطر الربيع نزورا
ما ضرّكم أن كان جعفر جاركم أن لا يكون عقيقكم ممطوراً^(٢)

(١) موسوعة العتبات المقدسة، قسم المدينة المنورة، ج ١، ص ٨٢-٨٣.

(٢) المغانم المطابة في معالم طابة : ٢٦٦

الطبقة الخامسة

آل مهنا

١- القاضي عبد الوهاب بن سنان

٢- القاضي سنان بن عبد الوهاب

٣- القاضي مهنا بن سنان

٤- القاضي علي بن سنان

٥- القاضي حسن بن علي بن سنان

٦- القاضي هاشم بن علي

٧- القاضي قاسم بن سنان

٨- القاضي عيسى بن سنان

٩- القاضي طفيل

١٠- القاضي كتيله بن علي يحيى

القاضي عبد الوهّاب بن سنان بن نميلة الوحادي المدني

هو عبد الوهّاب بن سنان بن نميلة الوحادي المدني كان قاضياً بالمدينة وهو رأس عائلة آل سنان الذين تعاقبوا على سدة القضاء بالمدينة المنورة.

يقول عبد الرحمن مديرس نقلاً عن ابن فرحون وغيره: «كان القضاء في المدينة قبل العصر المملوكي بأيدي الشيعة الإمامية من بني سنان، وتولّى القضاء كما هي الخطابة عدد من أفراد هذه الأسرة ممّن بينهم جدّ لأسرة عبد الوهّاب بن نميلة السابق الذكر وخلفه في منصبه ابنه سنان، كما تولّى بعض أبناء سنان منصب القضاء، ومن بينهم عليّ الذي لم يكن أحد من أهل السّنة يجسر على عقد نكاح، ولا يفصل في خصومة إلّا بعلمه، وبعد أن يعطي بعض المال نظير موافقته على ذلك فيكتب لأحد فقهاء السّنة بأن يعقد نكاح فلان على فلانة. وممّن تولّى من أبناء سنان القضاء أيضاً عيسى وقاسم، ونجم الدّين مهنا، الذي ذكر ابن فرحون، أنّه «كان هو القاضي في الحقيقة من بين سائر قرابته، وبه يُنات الحلّ والعقد، وإليه ترجع محاكمات الشيعة وأنكحتهم وعقودهم».

واستمر القضاء في أيدي الشيعة الإمامية من بني سنان حتّى أواخر القرن السابع الهجري، أي في الفترة الأولى للعصر المملوكي سنة ٧٠٠هـ^(١).

وفي «التحفة اللطيفة للسخاوي، ج ٢، ص ٢٢٤» يقول: «عبد الوهّاب بن نميلة - بنون مصغراً - الحسيني الوحادي المدني، والدسنان الماضي، قاضي المدينة وخطيبها من الإمامية».

وفي (عمدة الطالب لابن عتبة صفحة ٣٧١): «وأما عبد الوهّاب بن المهنا ممّن ولده قضاة المدينة منهم: شمس الدّين سنان قاضي المدينة ابن عبد الوهّاب قاضيها ابن نميلة قاضيها ابن محمّد بن إبراهيم بن عبد الوهّاب المذكور».

(١) المدينة المنورة في العصر المملوكي لعبد الرحمن مديرس المديسي صفحة ٢٢٨-٢٢٩.

وفي كتاب «المستطابة من نسب سادات طابة» للعلامة السيّد النقيب بدر الدّين الحسن بن عليّ الشّدقي الحسيني يقول: عبد الوهّاب كان قاضي المدينة الشريفة خَلَفَ إبراهيم قاضيها، ثمّ إبراهيم خَلَفَ محمّداً قاضيها، ثمّ محمّد خَلَفَ نميلة قاضيها، ثمّ نميلة خَلَفَ عبد الوهّاب قاضيها، ثمّ عبد الوهّاب خَلَفَ سناناً قاضيها، ثمّ سناناً خَلَفَ أربعة بنين...»^(١).

القاضي سنان بن عبد الوهّاب «كان قاضياً سنة ٦٤٨ أو ٦٥٤»

قال السخاوي: سنان بن عبد الوهّاب بن نميلة بن محمّد بن إبراهيم بن عبد الوهّاب بن مهنا الأكبر، والد حسن أوّل أمراء المدينة وباقي نسبه في حسين، القاضي شمس الدين أبو هاشم الحسيني الوحادي، نسبه لعبد الواحد المدنيّ قاضيها وابن قضاها الذي لم يعقب منهم غير صاحب الترجمة. كتب إلى دمشق رسالة بكائنة النار التي خرجت شرقي المدينة في ليلة الأربعاء ثالث جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين وستّمائة، أودعها عنه أبو شامة في أخبار الدولتين ثمّ ابن فرحون برمتها، وكان يخطب على المنبر ويترضى عن الصحابة ثمّ يذهب إلى بيته، فيكفر عن ذلك بكبش يذبحه ويتصدّق به، يفعل ذلك كلّ جمعة عقب الصلاة. قلت: وهذا لكونه من الشيعة، فالحكم كان بأيدي سنان، ثمّ آله، ثمّ السراج عمر ابن أحمد بن الخضر أحد أئمّة السّنة وبه زالت تلك الشيعة كما سيأتي، وقد رأيت من ذرية سنان هذا بالمدينة شخصاً على الهيئة يقال له: سرواح بن مقبل. وأمّا صاحب الترجمة فله من الولد: عليّ وعيسى وقاسم والنجم مهنا وهاشم ويعقوب، فلهاشم حسن ويوسف»^(٢).

(١) المستطابة: ٦٠.

(٢) التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٨-٤٢٩.

كتاب القاضي شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني قاضي المدينة:

نقله ابن فرحون ملخصاً له من كتاب «ذيل الروضتين في أخبار الدولتين» المطبوع، للشيخ الإمام العلامة الحافظ المؤرخ ذو التصانيف المفيدة شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن إسماعيل - الشهير بأبي شامة - الدمشقي الشافعي، ويقول ابن فرحون: إنَّ الدمشقي نقله من رسائل وصلت إلى دمشق من المدينة^(١).

نصَّ ابن فرحون لكتاب شمس الدين الذي كتبه لأصحابه بالشام وهو: «لَمَّا كان ليلة الأربعاء ثالث شهر جمادى الآخرة أحد شهور سنة أربع وخمسين وستمئة حدث في المدينة في الثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها، وباتت باقي تلك الليلة تزلزل، ثمَّ استمرت تزلزل كلَّ يوم ليلة مقدار زلزلت مرّة ونحن حول الحجرة الشريفة اضطرب لها المنبر، حتَّى إنَّا سمعنا منه صوتاً للحديد الذي فيه.

قلت: وكان المنبر على غير هذه الصفة اليوم. واضطربت قناديل الحرم الشريف. وزاد القاشاني. ثمَّ في اليوم الثالث وهو يوم الجمعة، زلزلت الأرض زلزلة عظيمة إلى أن اضطرب منام المسجد بعضه ببعض، وسمع لسقف المسجد صرير عظيم، ثمَّ بعد ذلك انقطعت الزلازل وانبجست من الأرض نار عظيمة كان ابتداؤها مثل مسجد رسول الله ﷺ ثمَّ تزايدت حتَّى صارت مثل المدينة العظيمة، وما ظهرت لأهل المدينة إلَّا ليلة السبت فأشفقوا منها إشفاقاً عظيماً.

قال القاضي سنان: وطلعت إلى الأمير، وكان عزَّ الدين منيف بن شيخة، وقلت له: قد أحاط بنا العذاب أرجع إلى الله تعالى، فأعتق كلَّ ممالكه، وردَّ على الناس مظلهمهم - زاد القاشاني - وأبطل المكسوس.

قال سنان: ثمَّ قلت للأمير: أنزل إلى النبي ﷺ فهبط، وبتنا في المسجد ليلة

(١) تاريخ المدينة المسمَّى: نصيحة المشاور وتعزية المجاور، لابن فرحون، ص ١٧٣-١٧٥، وعنه السخاوي في التحفة اللطيفة ١: ٤٢٩.

الجمعة، وليلة السبت ومعنا جميع أهل المدينة، حتّى النساء والصغار، ولم يبق أحد في النخيل، حتّى جاء إلى الحرم الشريف وبات الناس يتضرّعون ويبكون ويصلّون، وأحاطوا بالحجرة الشريفة، كاشفين رؤوسهم وأقروا بذنوبهم وابتهلوا إلى الله عزّ وجلّ واستجاروا بنبيّه ﷺ وأخلصوا إلى الله تعالى وتاب كلّ من في المدينة.

ثمّ ظهرت النار لها ألسن تصعد في السماء أكثر من علوّ ثلاث منائر، ثمّ ظهر لها دخانٌ عظيم في السماء ينعقد حتّى يصير كالسحاب الأبيض، وبقيت السماء كالعلقة والناس في مثل ضوء القمر والسنة النار حمر طالعة تظهر في الليل مثل المشاعل، وأيقن الناس بالهلاك، وبقيت على حالها تلتهب التهاباً عظيماً وهي كالجبل العظيم وكالمدينة عرضاً، يخرج من وسطها مهود وجبال نيران تصعد في السماء تهوى فيها، تخرج كذلك، ثمّ تعود وحسّه كالرعد، وبقيت كذلك أيّاماً، ثمّ تعود، وحسّه كالرعد، وبقيت كذلك أيّاماً، ثمّ سالت سيلاً ناراً في وادي أحيلين، موضع مشرق المدينة بالحرّة وراء قريظة على طريق السوارقية مسيرة من الصبح إلى الظهر، وتزايد ذلك السيل من النار وسدّ الطريق ثمّ طلع إلى الحرّة وهو بحر نار يجري، وفوقه حرّة تسير إلى أن قطعت وادي الشظاة وسدّت طريق الماء، والحجارة مع النار تتحرّك وتسير وهي تأكل الحجارة وتُذيّبها، ثمّ صار يخرج من النار حجارة ترمي بها خلفها وأمامها حتّى بنت لها جبلين خلفها وأمامها، وكذلك انسدّ ذلك السيل مع وادي الشظاة حتّى حاذى جبل أحد، وكادت تقارب حرّة العريض، وخاف الناس منها خوفاً عظيماً ووجلت القلوب، ثمّ سكن قتيها الذي يلي المدينة وطفيت ممّا يلي العريض بقدرة الله تعالى.

ورجعت تسير في الشرق، واستمر عظيمها وزيادتها في تلك الحرّة وهي ترمي بشرر كالقصر وتأكل الأرض والحجارة.

٢١٨ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم
وقال السخاوي ^(١): ذكر جمال الدين المطري أن عز الدين سنجر ^(٢) أخبره
أن الأمير منيف بن شيحة بعثه لَمَّا خرجت النار شرقي المدينة ليكشف خبرها،
فقرَّب منها، فلم يجد لها حرّاً ولا ألماً ورآها تأكل الحجر دون الشجر.
وذكر أنه وضع فيها سهماً فوقع فيها النصل ولم يتغيّر العود، وأنه أدار السهم
فاحترق الريش فقط، وقدر طول ذلك الوادي من النار بأربعة فراسخ وعرضه
أربعة أميال، وعمقه قامة ونصف قامة، وهو يجري على وجه الأرض، وتخرج
منها مهاد وجبال صفار فتسير على الأرض، وهو صخر يذوب حتّى يبقى مثل
الآنك، فإذا جمد صار أسود وقبل الجمود لونه أحمر، وأمّا النار الكبيرة فهي جبال
نيران حمر، والأمم الكبيرة التي سالت النيران منها من عند قريظة، وكان ضوءها
يُرى بمكة المشرقة والشمس والقمر من يوم طلعت ما يطلعان إلّا كاسفان.
وقال سنان في آخر كتابه: وما أقدر أصف عظمها، وما فيها من الأهوال:
قال القاشاني ^(٣): وكتبت هذا الكتاب، ولها شهر في مكانها لا تتقدّم
ولا تتأخّر.

وذكره السيّد محسن الأمين، فقال: شمس الدين سنان بن عبد الوهّاب بن
نميلة بن محمّد بن إبراهيم بن عبد الوهّاب بن المهتّا واسمه حمزة بن داود بن
القاسم بن عبيد الله الأعرج بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، توفي سنة
٦٤٨هـ.

وفي عمدة الطالب: كان قاضي المدينة.

(١) ذكره في التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٩ (٦٦٧١) نقلاً عن ابن فرحون.

(٢) راجع حوله: تاريخ أمراء المدينة لعارف محمّد عبد الغني: ٦٤٦-٦٥٦ هـ.

(٣) يُعرف بأنّه من أسرة عراقية قدمت المدينة لدعم صمود التشيع بعد أن عمل الأيوبيون والمماليك
على تحجيمه.

وفي الدرر الكامنة كانت الخطابة والقضاء بالمدينة المنورة مع آل سنان بن عبد الوهّاب بن نميلة إلى أن ولي المنصور قلاوون الخطابة بالمدينة الشريفة سراج الدين عمر بن أحمد الأنصاري المصري فقدمها سنة ٦٨٢ فانتزعها من أيدي الرافضة، ثم جاء تقليده من الناصر بولاية القضاء فأخذ الخلعة وتوجّه بها إلى الأمير منصور بن جمار وقال له جاءني مرسوم سلطاني بكذا وأنا لا أقبل حتّى تأذن فقال: رضيت بشرط أن لا تتعرّض لحكّامنا ولا لأحكامنا، فاستمر على ذلك وبقي آل سنان على حالهم وغالب الأمور الأحكاميّة مُناطة بهم حتّى الحبس والأعوان والاستحلاب .. إلخ».

فلما كانت سنة ٦٨٢ هـ أخذ العباسيون الخطابة من آل سنان، واستمرّ آل سنان حكّاماً على حالهم، وكان لإمام السنّة إمام يصليّ بهم الصلوات فقط^(١)، فأول من خطب السراج ..»^(٢).

وفي الذريعة لتصانيف الشيعة^(٣) ورد ذكر اسم القاضي شمس الدّين بن سنان في معرض ترجمة الشاعر السيّد صادق الفحّام بن محمّد بن الحسن (الحسين) بن هاشم (هشام) بن عبد الله بن هاشم بن قاسم بن شمس الدين بن أبي هاشم سنان، قاضي المدينة ابن القاضي عبد الوهّاب بن القاضي كتيلة بن محمّد ابن إبراهيم بن عبد الوهّاب، كلّهم قضاة المدينة ابن الأمير أبي عمارة المهنا (جدّ آل المهنا) ابن الأمير أبي هشام داود بن الأمير أبي أحمد القاسم بن الأمير أبي عليّ عبيد الله بن الأمير أبي الحسين طاهر المحدث، ممدوح المتنبّي ابن يحيى النسابة بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج ابن الحسين الأصغر

(١) هذه روح التسامح الإسلامي، وهذا التعايش السلمي وقبول التعددية، ونبد العنف والإقصاء والتغيب للآخرين.

(٢) تاريخ المدينة لابن فرحون، ص ٢٠٨-٢٠٩ الطبعة الأولى.

(٣) الذريعة: ج ٢ ص ٥٧٩، الرقم: ٣١٩٣.

ابن الإمام السجّاد عليه السلام الخ.

والصحيح «نميلة» وهذا اشتباه من الناسخ.

قصة ثورة بركان المدينة للمرة الثانية أيام القاضي سنان بن عبد الوهّاب

ابن نميلة بن مهنا كما يرويها الشريف ضامن بن شذقم الحسيني^(١):

قال جدّي حسن المؤلّف طاب ثراه: قد (حدثت) في إمارة أبي الحسين منيف عزّ الدّين وقضاء سنان بن عبد الوهّاب بن نميلة بن محمّد بن إبراهيم بن عبد الوهّاب بن مهنا الأعرج الحسيني، وخلافة المعتصم بالله بن المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله العباسيّ أهاويل عظيمة، وأخاويل عجيبة، وهي من الله عزّ وجلّ نعم جزيلة، وعقونيلها^(٢) سليمة، فمنها: (ما وقع يوم الاثنين مستهل شهر جمادي الآخرة سنة ٦٥٤هـ حصل بالمدينة النبويّة زلزلة خفيفة، فلم تزل تعلو بالامتداد، وفي اليوم الثاني اشتدّت بالانتشار والازدياد إلى ضحى يوم الجمعة من النهار، فأشفقت العالم وأنفقت الغنائم من زعزعتها للجدران، فماجت من دويّها الأرض والجبال، لها صوت كالرعد، وبأثرها ليومها سالت وادي حيائيين بالحاء المهملة، والياء المثناة، بعدها ألف ثمّ يائين مكرّرة ثلاث مرّات بالأوّل وضع الهمزة في أوّل، اسم موضع في الحرّة الشريفة بدرب ديبب النحل لجنب الشمال، يسار المتوجّه إلى السوار قبّه. وقيل من حبس وسيل -هما جبلان صغيران أحمران في بلاد بني سليم، وقيل على مرحلة متوسطة من المدينة للذهاب إلى الهيل بالمغرب من مساكن بني قريظة - ثمّ اشتدّت النار من المشرق أخذت إلى قرب حيائيين ترى على صفة البلدة العظيمة لها سور وشراريف وإبراج ومواذن ورجال تقودها يخرج من مجموع ذلك كالنهر أزرق وأحمر، لها دويّ كالرّعد، وغليان كغليان

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار: ٢ / ٣٥١-٣٥٣.

(٢) عقونيلها: هكذا يقول محقّق الكتاب في النسختين.

البحر، صاعدة في الجوّ قد أثر لهيبها بالنيرين لا يطلعان إلّا كاسفين وعيناها كالجبال الراسيات، والتلال المجمعة السيرات، يظنّ الناظر قد سلبت عنهما بهجة الإشراق، أو عدماً من الآفاق، قد بلغ الطول منها أربعة فراسخ، والعرض أربعة أميال، والعمق قامة ونصف.

فأرسل الأمير منيف إليها رسلاً لتكشف الخبر عنها فلم تقرب الخيل من لهيبها فترجلوا عليها وساروا إليها فأروها بشر كالقصر، ولم يجدوا لها حيلة مع عظمتها وشدة ضوئها، ولم يظفروا بحيلة أمرها، فجردّ علم الدّين سنجر غلام منيف، فوصل إليها قرب غلوتين بالحجر، ولم يستطع التجاوز من حموها وحذقها بالأحجار كالمسامير.

قال علم الدّين سنجر: فأخذت سهماً من كنانتي وقذفتها إليها فأحرقت النصل وأسلمت العود، ثمّ قلبته وأدخلته ممّا يلي الريش فأكلته حسب، وهي سائرة إلى المشرق سيراً ذريعاً لا تمرّ على جبل إلّا جعلته دكّاً دكّاً، ولا شجر إلّا قلّعته وكلّ شيءٍ تمرّ عليه سحقته إلّا اليابس من الشجر أعفته، وحجر ضخّم نصفه خارج الحرم أحرقته ونصفه الداخل فيه أعفته.

قلت: عفوها عن ذلك وسحقها له من كونه من الحرم، إكراماً لنبيّه ﷺ.

قال: وهي تسوق الجموع حتّى بلغت به جبل وعيرة فسدت به وادي الشظا بتلك الأحجار المسبوكة بقدر ارتفاع رمح طويل، فبلغ طرفها الشرقي الجبال وطرفها الشامي ممّا يلي الحرم جبل وعيرة محاذ لجبل أحد، مع طرف وادي تبع المسمّى بوادي الشظا، فلمّا شخص منه قال هذه قناة الأرض، أي ممّا يلي المدينة ومن أعلاه عند السدّ نار الحرّة يسمّى الشظا أيضاً.

قال عبّاس بن درباس:

وانك عمري هل أتاك طعانيا سلكي على وادي الشظا تنانيا

قال في القاموس: وكان هذه النار قرب حرّة العريض وقبر أبي يعلى حمزة

٢٢٢ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

ابن عبد المطلب، فاستقرت تجاه الحرم النبوي، على مشرفه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ومع هذا كان يأتي المدينة نسيماً بارداً، تغزل النساء على ضوئها على الأسطحة وكذا الكتاب يكتبون الكتب، قال: فأعتق الأمير جميع مماليكه وردّ على الناس مطالبهم، وأبطل المكوس عنهم، وبات ليلة الجمعة والسبت والأحد بالمسجد النبوي بجميع أهل المدينة، النخالة^(١) والنساء والأطفال متضرّعين مُعترفين بالذنوب والعصيان تائباً عما صدر منه سابقاً متوسلاً بالنبوي وآله الأئمة عليهم السلام، فلم تزل تلك النار على تلك الحال إلى مضيّ ثلاثة أشهر آخرها أول شهر رمضان سنة ٦٥٤هـ.

القاضي نجم الدين مهنا بن شمس الدين بن سنان^(٢) « كان في منصب القضاء ٧٢٠هـ » .

في أعيان الشيعة: هو نجم الدين مهنا بن سنان بن عبد الوهاب بن الأمير أبي عمارة حمزة المعروف بالمهنا بن طاهر بن يحيى النسابة ابن جعفر الحجة ابن عبيد الله الأعرج ابن الحسين الأصغر ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام كان قاضي المدينة المنورة وكان جملة من أجداده قضاتها.

وفي أمل الأمل: السيّد نجم الدين مهنا بن سنان بن عبد الوهاب الحسيني المدنيّ فاضل فقيه محقّق له مسائل إلى العلامة وللعلامة جواباتها.

ويقول السيّد محسن الأمين: وتُعرف هذه المسائل بالمسائل المدنيّات سأل عنها العلامة الحلّي لما زار أئمة العراق عليهم السلام وأجابه عنها العلامة، وهي تدلّ على فضله، وقد مدحه العلامة في جوابها مدحاً بليغاً.

قال في أولها: هذه مسائل ورسائل من العبد الفقير إلى رحمة ربّه مهناً

(١) هذا أقدم توثيق أقفُ عليه للقب: «نخلي، أو نخالة». عبد الرحيم.

(٢) المستطابة في نسب سادات طابة: ٦٠-٦١.

ابن سنان بن عبد الوهّاب الحسيني غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين إلى الشيخ العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهر الحليّ. المملوك مهنا ابن سنان بن عبد الوهّاب الحسيني يقبل أبواب الحضرة العالية المولوية العالمية العاملة العابدية الزاهدية الورعية الناسكية الجمالية لازالت تقبل وتخدم، ولما كانت الحضرة الجمالية قد كملت فضائلها وحسنت شمائلها وظهرت دلائلها اشتهر فضلها عند القاطن والمجتاز وعمّ ذلك أهل الحجاز، وكان المملوك ممّن سمع فطرب وانتشى وما شرب، فكان كما قال الشاعر:

ولما بدا لي ذكركم في مسامي تعشّقكم قلبي ولم يرْكُم طرفي

فكان المملوك يودّ أنّه يقضي في الحضرة الجمالية عمره ويفوز بخدمتها دهره لكن حالت حوادث الأيّام دون هذا المرام، فلمّا أذن الله سبحانه للمملوك بالأسعد سهّل طريقه إلى هذه البلاد وأوصله بفضله إلى بغداد، فلمّا قرّب من الحضرة الجمالية زاد شوقه إليها وتمنّى أن لا يكون حطّ رحله إلّا عليها، لكن للمملوك ببغداد علاقة وهو ملتزم بمن معه من الرفاق وقد كان في خاطر المملوك مسائل يودّ لو وصلت إلى الحضرة العالية وكان يحول دون ذلك بُعد البلاد القاصية فلمّا تصدّق الحقّ سبحانه على المملوك بقرب الديار ولم يحلّ ظلام الليل بضوء النهار كتب المملوك إلى سيّده بعض ما كان يحتاج إليه ويعرضه بين يديه ونسي المملوك كثيراً وما سطره وما أنسانيه إلّا الشيطان أن أذكره فسيّر المملوك هذه الكرايس وهو يسأل من صدقات مولانا النظر إلى ما فيها بعين الإغضاء والمسامحة، فإنّ المملوك ليس هو من أهل المكافحة ولكّنه سائل متعلّم وبأذبال أهل العلم ملتزم، وفي ضمن الكرايس عدّة مسائل يشرفها مولانا بالجواب فنفوز بالعلم ويفوز مولانا بالثواب، ولكن ذلك بخطّ يده العالية وعبارته الشافية ليعدّ ذلك المملوك أفضل ما ظفر به زيارة المشاهد المشرفة في سفرته ويفتخر بذلك بين أهل رتبته، وقد أكثر المملوك وجاء في سؤاله بالغث والسمين ليستخرج

٢٢٤ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

بذلك نفائس الجوهر الثمين وما مثل المملوك في هذه المسائل إلا كما قال بعض الأوائل:

ظفرت بالكنز فاحمل من نفائسه وقد وقفت ببحر العلم فاغترف
مع أن المملوك لا بدّ إن شاء الله تعالى من المثل بين يدي مولانا مشياً على
الأقدام، فإنّ السعي إليه من واجبات الإسلام وهو المقصود بقول الشاعر فيما
مضى من الأيام.

تمام الحج أن تقف المطايا على ليلئ ويقرئها السلام
لكن سيّر المملوك المسائل إلى الحضرة العالية لأجل ثلاثة أشياء، أحدها:
أنّ المملوك عند النظر إلى سيدي يحصل له من الفرح والسرور ما يغنيه عن طلب
الزيادة؛ لأنّ النظر إلى وجه العالم عبادة. الثاني: أنّه يخشى أن يعرض له النسيان
لما هو ذاكره الآن. الثالث: أنّه لا يدري هل يطول في جوار الحضرة العالية المقام
أم تمنعه من ذلك حوادث الأيام، فوجبت المبادرة إلى هذا لأنّه من أهمّ الواجبات
ومن أعظم القربات. أنهى المملوك ذلك، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيّدنا
محَمَّد وآله وسلّم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

جواب العلامة الحلّي لأسئلة السيّد مهناً

يقول العبد الضعيف الفقير إلى الله تعالى حسن بن يوسف بن عليّ بن المطهر
الحلّي: بعد حمد الله على آلائه والشكر على جزيل نعمائه وحسن آلائه والصلاة
على أشرف أنبيائه محمّد المصطفى وعلى المعصومين من أبنائه. فإنّ الله سبحانه
ميّز نوع الإنسان عن غيره من أنواع الحيوان على تفاوت بين أشخاصه في الكمال
والنقصان وخصّ بطرق الكمال أجلّ البريّة محمّد النبيّ وعترته المرضيّة صلوات
الله عليهم أجمعين صلاة باقية إلى يوم الدّين.

ولما كان من سلالة تلك الذريّة العلويّة وأولاده العترة الهاشميّة من كملت

نفسه في قوتها العلميّة والعملية وهو السيّد الكبير النقيب الحسيب النسيب المعظم المرتضى؛ مفخر السادة وزين السيادة، معدن المجد والفخار والحكم والآثار، الجامع للقسط الأوفى من فضائل الأخلاق الفائز بالسهم المعلى من طيب الأعراق، مزين ديوان القضاء بإظهار الحقّ على المحجة البيضاء عند ترفع الخُصماء، نجم الحقّ والملة والدين مهنا بن سنان الحسيني القاطن بمدينة جدّه رسول الله ﷺ، الساكن مهبط وحي الله، سيّد القضاة والحكام، رئيس الخاص والعام، شرف أصغر خدمه وأقلّ خدامه برسائل في ضمنها مسائل دالة على جودة قريحته وكمال فطنته وكاشفة عن حدسه الصائب وفكره الثاقب طالباً لجوابها المشتمل على دخول الدار من غير بابها، واقتضت حكيم متنافيين وأثرين متضادين حسن الأدب وإساءته، باعتبار طاعة السائل ومخالفته وقد غلب ذكر الجواب تحصيلاً للذة الخطاب فإن وافق نظره الشريف فهو المطلوب وإلا فهو بستر العوار أولى.

ثم ذكر الأسئلة وأجوبتها، وهي مائة وأربع وسبعون مسألة، أولها: ما يقول سيّدنا الإمام العلامة أحسن الله إليه وأسبغ نعمه عليه في المؤمن هل يجوز أن يكفر والعياذ بالله، من بعد إيمانه أم لا يجوز؟

وما حجة من يقول إنّه لا يكفر مع قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ الآية.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ ءُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ...﴾ الآية إلخ.

وقال العلامة في آخر أجوبة جملة من المسائل: لما كانت امتثال أمر من تجب طاعته وتحرم مخالفته من الأمور الواجبة والتكاليف اللازمة، سارع العبد الضعيف حسن يوسف بن المطهر الحلّي إلى إجابة التماس مولانا السيّد الكبير الحسيب النسيب المرتضى الأعظم الكامل المعظم فخر العترة العلوية سيّد الأسرة

٢٢٦ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

الهاشمية أوجد الدهر وأفضل أهل العصر الجامع لكاملات النفس والمؤيد بنظره الثاقب إلى حضرة القدس نجم الملة والحق والدين، أعاد الله على المسلمين بركة أنفاسه الشريفة، وأدام عليهم نتائج مباحثه الدقيقة إلخ.

ويعقب الأمين بقوله: ويعبر عنه في كثير من الأسئلة بقوله: قال سيدنا الإمام العلامة، فانظر إلى شدة تواضع العلامة لهذا السيد حتى بلغ به الحال. إلى أن قال: شرف أصغر خدمه وأقل خدامه برسائل في ضمنها مسائل. وما كان ذلك منه إلا لكون هذا السيد من الذرية الطاهرة ومن أهل العلم والفضل والتقوى والصلاح. وكان العلامة يعظم الذرية كثيراً وأوصى ولده بذلك مؤكداً في وصيته التي في آخر القواعد.

وعليها حواشي بخط فخر المحققين ولد العلامة بيده، فالحق يُقال إنها من نفائس الكنوز وكان في النية استنساخ هذه المسائل وأجوبتها لكن عاق عن ذلك ضيق الوقت والاشتغال بما هو أهم.

يروى السيد مهنا بن سنان عن العلامة الحلبي وعن ولده فخر المحققين، ويروى الشهيد الأول عنه عن العلامة الحلبي. ووصفه الشيخ نعمة الله بن خاتون العاملي في إجازته السيد بدر الدين حسن بن علي بن شدم الحسيني المدني بالسيد العالم نجم الدين مهنا بن سنان الحسيني المدني حليف ديوان القضاء بالمدينة المنورة.

ومثله في إجازة أخرى له إلا أنه قال: حليف دار الحكم والقضاء بمدينة سيد الشفعاء. صورة إجازة العلامة له.

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى حسن بن يوسف المطهر الحلبي: قد أجزت للمولى السيد الكبير الحسيب النسيب المعظم المرتضى سيد الأشراف مفخر آل عبد مناف نجم الحق والملة والدين مهنا بن سنان العلوي الحسيني أدام الله

إفضاله وأعزّ إقباله وبلّغه في الدارين آماله وختم بالصالحات أعماله، أن يروي عني جميع ما صنّفته من الكتب في العلوم العقلية والنقلية وجميع ما أصنّفه وأمليه في مستقبل الزمان إن وفق الله تعالى.

ثمّ عدّ كتبه في الفقه والأصول والنحو الحكمة وغيرها وهي ثلاثة وخمسون كتاباً، ثمّ قال: وأجزت له أدام الله أيامه أن يروي جميع ما رويته وأجيز لي روايته في جميع العلوم العقلية والنقلية، وكذا أجزت له أن يروي عني جميع ما صنّفته ورويته وأجيز لي روايته وثبت عنده روايتي له من جميع المصنّفات والروايات. وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى حسن بن يوسف بن عليّ بن المطهر أعانه الله تعالى على طاعته ووفقه للخير وملازمته في شهر المحرم سنة عشرين وسبع مائة بالحلة، والحمد لله وحده وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين^(١).

النقل من الذريعة

وقال صاحب الذريعة^(٢): هو السيّد نجم الدّين مهنا بن سنان بن عبد الوهاب الحسيني المدنيّ المجاز من ولده فخر المحقّقين أيضاً كتبها له في الحلة في ذي الحجة سنة ٧٠٩ هـ.

المجيز هو آية الله العلامة الحلّي الشيخ جمال الدّين الحسن بن سديد الدّين يوسف بن زين الدّين عليّ بن المطهر الحلّي المولود في التاسع والعشرين من شهر الصيام سنة ٦٤٨ هـ والمتوفّى في يوم السبت الواحد والعشرين من المحرم سنة ٧٢٧ هـ^(٣).

(١) أجوبة المسائل المهنائية ص ١٥٥-١٥٧.

وكتب العلامة الحلّي إجازة أخرى له، وهي مذكورة في أوّل أجوبته له الثانية. أجوبة المسائل المهنائية: ١١٥ - ١١٧، كما كتب ابن العلامة الحلّي الشيخ محمّد فخر المحقّقين للسيّد مهنا إجازة، وهي أيضاً مذكورة في أجوبته لأسئلته. أجوبة المسائل المهنائية: ١٦٢.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج ١ ص ١٧٨، الرقم: ٩١٠.

(٣) أمّا التحفة اللطيفة فليس له فيها ترجمة؛ لأنّه ينتهي بحرف الميم. وكذلك ترجم له العسقلاني،

مؤلفاته:

١- المسائل المدنيّات ويقال لها (أسئلة المهنائية) للسيد مهنا المدني سأها أربع مرّات وقد أجاب عنها ثلاث مرّات الشيخ حسن بن يوسف المطهر المشهور بالعلامة الحلّي ومرة رابعة أجاب عنها ولده الشيخ محمد بن الحسن فخر المحقّقين، طبعت كلّها في مطبعة الخيّام بقم سنة ١٤٠١ هـ في ١٨٨ صفحة بتحقيق الشيخ محيى الدّين المامقاني .

وليعلم أنّها ليست أسئلة بحتة بسيطة يمكن مثلها من كلّ فرد، بل أسئلة علميّة تخصّصيّة، فلذا قال الشيخ البحراني صاحب الحقائق: إنّ العلامة رضوان الله عليه لم يوفها حقّها من الأجوبة، كما لا يخفى على من راجعها، مع دقّة تلك المسائل واحتياجها إلى مزيد بحث وتحقيق^(١).

٢- كتاب: حسن الخلال. ذكره الكفعمي في حواشي كتابه المعروف بالمصباح.

كرامة وفضيلة للقاضي مهنا بن سنان

قال الشريف ضامن بن شدم الحسيني: قال السيّد عليّ بن عبد الله الداودي الحسني السمهودي في جواهر العقدين بسنده المتّصل إلى الشيخ شهاب الدّين أحمد بن يونس القسنطي المغربي عن بعض مشايخه قال: إنّ رجلاً من أعيان المغاربة عزم من بلاده إلى الحجّ والزيارة، فدفع إليه رجل من أهل الخير

→ وقال الطهراني في أعلام الشيعة في المائة الثامنة ص ٢٢٤: «والإجازات كلّها موجودة فيها المدح والثناء الكثير، ويظهر منها أنّه كان مرجعاً للأحكام والقضاء في المدينة..» أجوبة المسائل المهنائية: ص ١٣.

(١) لؤلؤة البحرين: ٢٠٨ - ٢٠٩ في ترجمة المجيز.

والصلاح مائة دينار، فقال له خُذْ هذا المبلغ أوصله إلى المدينة المنورة ثم ادفعه لأحد من السادة الأشراف بني حسين صحيحي النسب ليكون لي به صلة بجدّهم رسول الله ﷺ يوم الفرع الأكبر «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ» إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»^(١) فأخذ المال، فلمّا ورد المدينة فسأل عن السادة بني حسين وصحة نسبهم ف قيل له: لا شبهة في صحّة نسبهم غير أنّهم من الشيعة الرافضة حمير اليهود، يبغضون أهل السنّة، ويتظاهرون بالسبّ علانيةً، فالقاضي والخطيب وإمام المسلمين منهم، وأمر البلاد بيدهم، ليس لأحد في ذلك مدخل أبداً، قال: فكرهت دفع المال لهم، فمكثت مُفكِّراً في أمري وما أوصاني به صاحب المال، فاجتمعت بأحدهم وسألته عن مذهبه، فقال: نعم صدق القائل فكنا شيعة عليّ مذهب آبائنا وأجدادنا عن رسول الله ﷺ، قال: فتيقّن ذلك عندي، فبقيت واقفاً باهتاً مفكراً، فقلت له: يا سيّدي لو كنت من أهل السنّة لدفعت إليك ما معي من المبلغ وقدره كذا وكذا.

فشكى إليّ شدّة فاقته وكثرة اضطرابه، والتمس منّي بعضه، فقلت: حاشا، قال: كلّاً أن أبيع مذهبي والحوالي بدنيا دنيّة، ولي ربّ غنيّ يكفيني. فمضيت عنه فرأيت في منامي تلك الليلة كأنّ القيامة قد قامت والناس يجوزون على الصراط فأردت الجواز فأمرت سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام بمنعي فمُنعت واستعّثت فلم أجد لي مُغيثاً، فرأيت رسول الله ﷺ مُقبلاً فاستعّثت به وقلت: يا رسول الله إني من أمتك وبنتك منعني من الجواز. فقال ﷺ: لِمَ منعته؟ قالت ﷺ: لأنّه منع ابني رزقه، فالتفت إليّ وقال: لِمَ منعته ابنها رزقه؟ قلت: لأنّه شيعي المذهب مُبغض لأهل سنّتك، متظاهراً بسبّ أصحابك رضي الله عنهم، قال: وما أدخلك بين ولدي وأصحابي؟

فانتبهت من نومي فزعاً مرعوباً، فأخذت جميع المبلغ المودوع عندي

٢٣٠ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم
وأضفت إليه من مالي مائة دينار، ومضيت بذلك كله إلى سيدي ومولاي مهنا بن
سنان فقبلت يديه فحمد الله عز وجل وشكره وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال لي:
يا هذا العجب منك، إنني قد التمسيت منك بالأمس منه يسيراً فأصررت بالمنع
والآن أتيتني بالجميع وزيادة عليه، أن هذا لشيء عجيب، وأمرٌ غريب، ناشدتك
هل رأيت في منامك جدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله وجدتي فاطمة الزهراء عليها السلام فأمرأك
بدفعه إليَّ بعد أن منعأك من الجواز على الصراط؟ فقلت: نعم، والله هكذا
يا بن رسول الله ^(١).

القاضي علي بن سنان

هو القاضي علي بن سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الوحادي
الحسيني المدني ^(٢).

قال ابن فرحون: «كان إذا عقد في البلد عقد نكاح بغير إذن علي بن سنان
وأمره، طلب الفاعلين لذلك وعزَّزهم وسلَّط عليهم الشرفاء، وكان المجاورون
وأهل السنة إذا أرادوا عقد نكاح أو فصل حكومة على مذهبهم يأتون والذي ليعقد
لهم، أو يصلح بينهم.

فيقول لهم: لا أفعل حتَّى يأتيني كتاب ابن سنان، فيذهبوا إلى علي بن سنان
فيعطونه ما جرت به عادته، فيكتب لهم إلى والذي ما صورته: «يا أبا عبد الله اعقد
نكاح فلان بن فلانة»، أو «أصلح بين فلان وفلان».

كان علي بن سنان قاضياً في إمارة أبو فليته القاسم بن مهنا بن حسين بن
مهنا الحسيني، الذي كان أمير المدينة في أيام الخليفة المستضيء بأمر الله، وكان
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب يستصحبه معه في غزواته حتَّى حضر معه

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار، المجلد الثاني من صفحة ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) ابن فرحون، صفحة ٢١٢، والتحفة اللطيفة نقلاً عن ابن فرحون، ج ٢، ص ٢٧٨.

أكثر فتوحاته^(١).

القاضي حسن بن عليّ بن سنان «من قضاة آخر القرن الثامن»

هو الحسن بن عليّ بن سنان، ويلقّب عزيز، لم أعثر له على تاريخ ولادة أو وفاة في كتب السّير والتراجم التي طالتها يدي.

يقول ابن فرحون: «في سنة ٧٤٥ هـ أنّ الشيخ الإمام العلامة تقيّ الدّين عبد الرحمن بن جمال الدّين بن عبد المؤمن بن أسيد بن عبد الملك الهوريني الشافعي المصري استنابه في الحكم عنه، فسلك مع الناس سبيل السياسة وسدّد الأحكام، وجرى على الصلح بين الخصوم، فمال إليه أهل المدينة، ومالوا عن قضاة الإماميّة واعتزلوهم وتركوا المحاكمة عندهم، حتّى إنّ القاضي حسن بن سنان الملقب عزيز، صار يجلس على باب زقاقنا فإذا رأى الخصمين دعاهما إليه فلا يلتفتان إليه..»^(٢).

وقال السخاوي: «الحسن بن عليّ بن سنان يُلقّب عزيز: أحد قضاة الإماميّة، هو وأبوه، له ذكر في عبد الرحمن بن عبد المؤمن الهوريني»^(٣).
كان معاصراً للأمير الحسيني طفيل بن منصور الحجازي وكانت إمارته من سنة ٧٢٨-٧٧٥ هـ^(٤).

القاضي هاشم بن عليّ

هو هاشم بن عليّ، أو ابن يعقوب بن سنان بن عبد الوهّاب بن نميلة

(١) راجع: هامش تاريخ المدينة لابن فرحون للمحقّق حسين محمّد شكري: ص ١٩٤؛ المستطابة في نسب سادات طابة: ص ٦١.

(٢) ابن فرحون، صفحة ٢٠٣، والنقل بالمعنى.

(٣) التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٧٩، ج ٢، ص ١٣٧.

(٤) المستطابة: ٦١.

الوحادي المدني^(١).

عاصر الأمير الشريف ودّي بن جماز ويقال إدّي بالهمزة بدل الواو ابن هبة الله بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهتّا بن حسين ابن مهتّا بن داود بن القاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين «ابن عبيد الله الأعرج» ابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) الحسيني الهاشمي من آل البيت أمراء المدينة توفي سنة ٧٥٢ هـ.

وفي الدرر الكامنة في ترجمة ودّي: كان خارجاً عن المدينة فأنف من طول الغربة فجمع قوماً وهجم المدينة في ربيع الأوّل سنة «٧٢٧ هـ» بعد أن حاصرها أسبوعاً وأحرق الباب ففرّ طفيل أميرها وصادر الناس حتّى اشتدّ الغلاء بالمدينة واقتقر جماعة من المياسير، فأخذ طفيل عسكرياً من مصر وقدم ففرّ ودّي ثم حضر إلى القاهرة وترافع هو وطفيل إلى الناصر ثمّ سجن ودّي وأعيد طفيل إلى المدينة ومعه بعض الأمراء، ثمّ أفرج عنه رمضان سنة ٧٣١ هـ ورتّب له راتب، ثمّ أضيف إلى طفيل في إمرة المدينة، ثمّ أفرد بها سنة ٧٣٧ هـ ثمّ عزل سعد بن ثابت سنة «٧٥٠ هـ» فجمع جموعاً وهجم المدينة وأخذ أموال الخدّام ونهب المدينة، حتّى لم يبق بها أحد لا يحتاجه وخرج هارباً ثمّ قبض عليه وسجن في السنة المتقدّمة فمات بالسجن.

القاضي قاسم بن سنان بن عبد الوهّاب «القرن الثامن الهجري»

هو القاضي قاسم بن سنان بن عبد الله كان إذا حضر بالمدينة وسعى بالصلح بين بني عليّ وبني جعفر، وكان أحد أصحاب الرأي واللسن^(٢).

(١) المستطابة: ٦١؛ ابن عنبه يقول: هاشم بن يعقوب، صاحب التحفة أشار إليه في المجلّد الأوّل من باب الألف ووعده بترجمته في باب الواو ولكن الجزء الثاني المطبوع ينتهي بباب الميم.
(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لعمدة النسابين جمال الدّين أحمد بن عليّ الحسنّي المعروف بابن عنبه.

وفي التحفة: القاسم بن سنان بن عبد الوهّاب أحد قضاة الشيعة...^(١).
وقال صاحب أعيان الشيعة: «القاسم بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله
القاضي بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام»^(٢).
قال ابن فرحون: «قاسم بن شمس الدين بن سنان بن عبد الوهّاب».

القاضي عيسى بن سنان «من قضاة القرن التاسع»

هو عيسى بن سنان بن عبد الوهّاب بن نميلة.
يقول صاحب التحفة: وقد رأيت من ذرية سنان هذا بالمدينة شخصاً على
الهيئة يقال له: سرواح بن مقبل، وأمّا صاحب الترجمة فله من الولد: عليّ،
وعيسى، وقاسم، والنجم مهنا، وهاشم ويعقوب، فلهاشم حسن، ويوسف^(٣).
وقال أيضاً: عيسى بن سنان بن عبد الوهّاب بن نميلة: قاضي الشيعة
الماضي اسمه في أبيه^(٤)،^(٥).

القاضي الطفيل حيّ سنة ٨٢٩ هـ

القاضي طفيل تولّى القضاء بالمدينة المنورة في إمرة ثابت بن نفيّر بن هبة
ابن جماز وذلك في سنة تسع وعشرين وثمانمائة، وكان ثابت كلّما جاءه حكم من
الأحكام يرسل به غالباً إلى طفيل، مع وجود القاضي الشافعي الذي كان استنزل
شخصاً من أقارب خشرم، اسمه مانع، فأجاره، وسبب وصول الطفيل إلى سدة
القضاء هو الخلاف الذي وقع بين ثابت وأخيه عجلان من جهة وابن عمّهما خشرم

(١) التحفة اللطيفة للسخاوي: ج ٢، ص ٣٧٦.

(٢) المستطابة: ص ٦١. لعلّ نسبته تارةً إلى عبد الله من قبيل النسب إلى الجدّ، وكذلك الحال النسبة
إلى شمس الدين أو سنان.

(٣) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة: ج ١ ص ٤٢٩.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٥) المستطابة: ص ٦١.

٢٣٤ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم
من جهة أخرى تعرضت فيه المدينة للنهب والسلب ونزوح بعض السكّان منها^(١).

القاضي كتيلة^(٢) بن الحسين بن زيد الشهيد

هو أبو الحسن عليّ بن يحيى بن الحسين بن زيد الشهيد^(٣).

وفي الذريعة: هو كتيلة بن محمّد بن إبراهيم بن عبد الوهّاب بن الأمير
عمارة المهثّا بن الأمير أبي هشام داود الأمير أبي أحمد القاسم بن الأمير أبي عليّ
عبيد الله بن الأمير أبي الحسن طاهر المحدث؛ ممدوح المتنبّي ابن يحيى النسابة
ابن الحسن بن جعفر الحجّة بن عبيد الله الأعرج ابن الحسين الأصغر بن
الإمام السجّاد عليه السلام^(٤).

(١) راجع: التحفة اللطيفة ج ١ ص ٢٢٩.

(٢) لعلّ اسم كتيلة تكرر في عقب الإمام زين العابدين عليه السلام أحدهما بالمدينة والآخر بالعراق والله
أعلم، وأيضاً «كتيلة» نسبة كما جاء في كتاب «زهرة المقول» للسيد زين الدّين بن عليّ الشدّقي
صفحة ١٧٣.

(٣) كتاب تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب لشيخ الشرف العبيدلي: ص ٢٠١.

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: المجلّد الثاني، الجزء التاسع، لمؤلفه آقا بزرگ الطهراني.

الطبقة السادسة من أشرف بني حسين

- ١- القاضي محمد شمس الدين
- ٢- القاضي أبو تراب محمد
- ٣- القاضي أبو عبد الله الحسين
- ٤- القاضي شرف الدين بن اسحاق
- ٥- قاضي القضاة إسماعيل بن محمد بن شرف الدين
- ٦- القاضي إبراهيم بن عبد الوهاب
- ٧- القاضي محمد بن إبراهيم
- ٨- القاضي نميلة بن محمد
- ٩- عبد الوهاب بن نميلة
- ١٠- سنان بن عبد الوهاب
- ١١- هاشم بن سنان
- ١٢- قاسم بن سنان
- ١٣- نور الدين علي بن سنان
- ١٤- القاضي فخر الدين عيسى بن القاضي هاشم
- ١٥- القاضي يعقوب
- ١٦- القاضي نجم الدين يوسف

القاضي محمد شمس الدين

يقول الشريف ضامن: فزين العابدين بن محمد باقر خلف محمد شمس الدين الشهير بقاضي ضياء الدين. ولم يذكر أين مارس وظيفة القضاء؛ علماً بأنه ذكر أحد أحفاده وهو: عبد الواسع الذي تولّى قضاء سمنان في زمن الشاه خدابنده..^(١).

القاضي أبو تراب محمد

قاضي القضاة محمد بن محمود بن الإمام الحسن عليه السلام كان سيّداً جليلاً القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، عالماً فاضلاً كاملاً، قاضي القضاة، مدبراً حاشية العدل والإنصاف، حافظاً لعلوم الأنساب^(٢). لم يذكر المصدر المدينة التي مارس فيها القضاء.

القاضي أبو عبد الله الحسين

كان نقيب النقباء وقاضي القضاة النجباء، ناشراً للأعلام المولوية، رافعاً رايات الملكية، مقيماً للعدل والإنصاف بين الرعية، مانعاً لذوي الخلاف، مؤيداً للشريعة النبوية، كلّت الألسن عن مدح القاضي من مدائح الإفهام... فمدحه القاضي العلامة أبو بكر الأرجاني بقصائد مشهورة في الآفاق عند الفضلاء الكرام. مات سنة .. وقبره بإزاء قبر والده^(٣). أقول: إن ترجمة ضامن بن شدقم له تدلّ على أنه شيعي المذهب، وذكره

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار: ج ١، ص ١٨٩.

(٢) تحفة الأزهار وزلال الأنهار: ج ١، ص ٢٦٥.

(٣) تحفة الأزهار وزلال الأنهار، ج ١، ص ٢٦٨.

ولغيره من القضاة الحسينيين بأنهم دفنوا بجوار قبر والدهم؛ فلعلّه يعني بالوالد الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام هو الوالد الأكبر لسلالة الحسينيين؛ والله أعلم.

القاضي شرف الدين بن إسحاق^(١)

قاضي القضاة إسماعيل^(٢)

هو إسماعيل قاضي القضاة بن محمد القاضي شرف الدين.

القاضي إبراهيم بن عبد الوهاب.

القاضي محمد بن إبراهيم.

القاضي نميلة بن محمد.

القاضي عبد الوهاب بن نميلة.

القاضي سنان بن عبد الوهاب.

القاضي هاشم بن سنان

القاضي قاسم بن سنان

القاضي نور الدين علي بن سنان^(٣)

يقول الشريف ضامن بن شذقم الحسيني: إنّ عبد الوهاب بن الأمير أبي عمارة المهنا الأكبر كان قاضي المدينة الشريفة، خلف إبراهيم قاضيها، ثم إبراهيم خلف محمداً قاضيها، ثم محمد خلف نميلة قاضيها، ثم نميلة خلف عبد الوهاب قاضيها، ثم عبد الوهاب خلف سنان قاضيها، ثم سنان خلف أربعة بنين: هاشماً

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار: ج ١، ص ٢٦٨.

(٢) تحفة الأزهار وزلال الأنهار: ج ١، ص ٢٦٩.

(٣) نميلة القاضي ابن محمد القاضي والد القاضي عبد الوهاب... المستطابة: ص ٦٠.

٢٣٨ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

وقاسماً قاضيتها ومهناً ونور الدين علي القاضي، فهؤلاء كانوا قضاة المدينة المنورة وليس اليوم لهم بها بقية بعد كثرة وثروة وحكومة وصوله ودولة ومهابة بصلاح وتقوى وعلم وفضل وسماحة وسيرة حسنة، كذا ذكره مؤرخوا المدينة سابقاً ولاحقاً، وقد ذكره والدي علي بن حسن ابن علي بن شذقم في مشجره^(١).

وفي المستطابة ذكر المؤلف السيد النقيب الحسن أن:

[٤ -] فخر الدين عيسى بن القاضي هاشم.

[٥ -] ويعقوب بن هاشم أخو عيسى قاضي أيضاً.

[٦ -] ونجم الدين يوسف بن هاشم أخوهم قاضي.

كلهم قضاة بالمدينة^(٢).

(١) تحفة الأزهار ٢ : ٢٠٧ .

(٢) المستطابة : ٦١ .

الطبقة السابعة
قضاة من أقطار إسلاميّة والمدينة

- ١- القاضي عليّ بن النعمان الإمامي
 - ٢- القاضي عليّ بن يوسف الإمامي
 - ٣- القاضي يوسف الشر بشير المغربي
- دور المرجعية في وظيفة القضاء

القاضي علي بن نعمان الإمامي^(١)

هو علي بن النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون، أبو الحسن بن أبي خيفة المغربي القيرواني الإسماعيلي، نزيل القاهرة وقاضي الحرمين وغيرهما من الإمامية، وأنه ولي الديار المصرية والشامية والحرمين وغيرهما، حتى مات في رجب سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، ودفن في داره بالحمراء وهو في رفع الأمر، ومولده في ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، بالمغرب، وكان فتياً في عدة علوم منها علم القضاء والقيام به بوقار وسكينة، وعلم الفقه والعربية والأدبية والشعر وأيام الناس، شاعراً مجيداً في الطبقة العليا، ومن نظمه:

رب خود عرفت في عرفات	سلبتني بحسنها حسنات
حرمت حين أحرمت نوم عيني	واستباححت حشايا باللحظات
وأفاضت مع الحجيج ففاضت	من دموعي سوابق العبرات
ولقد أدرمت عليّ القلب جمرأً	محرقاً إذا مشت إلى الجمرات
لم أنل من منى منى النفس حتى	خفت بالخيف أن تكون وفاتي

أشرك العزيز العبيدي بينه وبين أبي طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الزهلي قاضي مصر في الحكم، فلما تعطل سفر أبي طاهر فوَّض له المعزّ القضاء مستقلاً في صفر سنة ستّ وستين وثلاثمائة، وكان في سجلّه القضاء بالديار المصرية والشامية والحرمين والمغرب وجميع مملكة المعزّ، والخطابة والإمامة والعيار في الذهب والفضة والموازين والمكايل، واستمرّ على أحكامه وافرّ الحرمة عند العزيز حتى مات، وصلى عليه العزيز، وأقامت مصر ثمانية عشر يوماً بدون قاض؛ لأنّ أخاه محمد بن نعمان كان مريضاً^(٢).

(١) أقول: وهناك اختلاف في أنه إسماعيلي أو إثناعشري.

(٢) التحفة اللطيفة: ج ٢ ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

عليّ بن يوسف بن عزيز المدني الإمامي

قال السخاوي: عليّ بن يوسف بن عزيز المدني الإمامي ... : وعنه الأتقشهرى كيفة السلام على رسول الله ﷺ، ووصفه بالقاضى المشاور، صفى الأشراف، صفى الدين، وقال: أصلح الله سريره كما أصلح علانيته، وإنه أملاه عليه بالحرم الشريف المدني من لفظه. وذكره ابن صالح فقال: كان فقيهاً ذا جاه ومال ودربة ودراية حسن الملتقى والهيئة بشوشاً قاضياً لحاجة سائله من أهل السنة، معظماً عند أهل المدينة المجاورين وغيرهما، حاكماً يرجع إليه الوالى في الصلح بين الناس^(١).

يوسف الشربشعير

شيخ الشيعة وفقههم، وكان جدّهم مغربياً سنّياً، تزوّج من بنات المدينة ومات عن أولاد صغار، فنشأوا في مذهب أمّهم، ثم كثروا وانتشروا وتمذهبوا بمذهب الشيعة وغلوا فيه^(٢).

كان القاضي يوسف الشربشعير معاصراً للأمير جمّاز^(٣)، الذي حاول إرجاع الإماميّة إلى ما كانوا عليه من تولّهم مناصب القضاء بالمدينة، وأذن له أن يحكم بين الغرماء، وظهرت كلمتهم، وارتفعت رايّتهم، وأظهر الأمير لي وللمجاورين الجفاء والغلظة في الكلام، فسافر الناس في أثناء السنة -والكلام لا يزال لابن فرحون - إلى مصر وتحذّثوا بذلك فبلغ السلطان فاغتاظ لذلك، وبلغه أيضاً ما جرى للشيخ ضياء الدين الهندي من الضرر في القلعة، فبعث مع الموسم

(١) التحفة اللطيفة: ج ٢ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٢) نصيحة المشاور: ص ١٥٩ .

(٣) كان الأمير جمّاز موجود سنة ٦٨٧ هـ .

شخصين أشقرين شقيين فقتلاه، وانتقل إلى رحمة الله شهيداً فباءاً بذنبه»^(١).

كل فقيه مفتي وقاضٍ^(٢)

جاء في مقبولة عمر بن حنظله عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام: «ينظران مَنْ كان منكم مَمَّنْ قد روى حديثنا ونظرَ في حلالنا وحرامنا وعرفَ أحكامنا فليرضوا به حكماً فَإِنِّي قد جعلته حاكماً»^(٣).

وفي معتبرة سالم بن مكرم الجمال قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِياكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، ولكن أنظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم فَإِنِّي قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه»^(٤).

وفي كتاب قضاة المدينة للشيخ عبد الله الزاحم - رئيس محاكم المدينة سابقاً - فصل استعرض فيه الشروط التي يجب أن تتوفر في القاضي التي ذكرها العلماء واصفاً إياها بأنها «تدع الفقيه القاضي في راحة من أمره في تفصيل الأحكام وتجليتها...» والشاهد أنه جعل كلمة قاضي مرادفة لكلمة فقيه، إذن فالفقيه مفتي وقاضي من المسلّمات.

والأصل في القضاء أن يكون بالجعل الإلهي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام المعصوم عليه السلام لقوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(٥).

فالنبي، أو الإمام يفوض أمر القضاء لمن يجد فيه الأهلية لذلك، لما جاء في صحيح سلمان بن خالد: «اتّقوا الحكومة فَإِنَّهَا للإمام العالم بالقضاء العادل في

(١) نصيحة المشاور: ص ٢١٠.

(٢) التجديد في الفكر الإسلامي لشمس الدين، ص ٣١.

(٣) وسائل الشيعة للحرّ العاملي، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي.

(٤) المصدر السابق، الباب ٣.

(٥) سورة ص: الآية ٢٥.

المسلمين للنبيّ أو وصيّ النبيّ»^(١)، وقد اختلف العلماء في الدرجة العلمية لمن يتولّى القضاء، فمن قائل: لا بدّ أن يكون مجتهداً مطلقاً، وقالت طائفة أخرى أن يكون مجتهداً متجزّء، وقالت طائفة ثالثة يكفي الفقيه الحافظ وعنده فراسة؛ لكثرة القضايا واتّساع المدن وكثرة السكان. وكان الفقهاء في عهد النبيّ ﷺ والأئمة المعصومين ﷺ وكلاء لهم يفتّون وكانوا منتشرين في معظم البلاد الإسلامية على مستوى خطّ آل البيت ﷺ كانوا فقهاء وكان الناس يرجعون إليهم وكانوا يستغنون بالرجوع إليهم عن الاتّصال بالإمام المعصوم ﷺ وكانوا يفتونهم .. كانوا فقهاء مجتهدين، وكانوا لا يفتون بالنصّ، وإنّما يفتون بأرائهم كما يفهمونها من النصوص ..^(٢).

حول المرجعية:

يقول الشيخ شمس الدّين: المرجعية تاريخياً كانت شخصاً، سواء كانت نبياً أو إماماً معصوماً، وفي عصر الغيبة الكبرى أصبحت لهذا الفقيه أو ذاك الفقيه، تعلم أحكام الشريعة والدّين في الحدّ الأعلى (ما فرّقت فيه بين مرجع الدّين ومرجع الشريعة) هذا أمرٌ لازم للمسلمين منذ بعثة الرسول ﷺ واستمرّ بعده في عهد المعصومين ﷺ إلى نهاية الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر عجلّ الله فرجه، وبعد ذلك انتقلت هذه المرجعية في الغيبة الكبرى للإمام عجلّ الله فرجه عن طريق وكلائه المشهورين نواب الحجة عجلّ الله فرجه.

إذن وفي مختلف المراحل وجود الفقيه لم يكن غائباً عن المرجعية لا في زمن الرسول الأكرم ﷺ ولا في زمن الأئمة ﷺ، الفقيه كان موجوداً في زمان الرسول ﷺ كان هناك فقهاء ومراجع. وفي زمان الأئمة ﷺ كان هناك فقهاء

(١) المصدر السابق، ج ١٣، باب ٣.

(٢) تجديد الفكر الإسلامي لشمس الدّين ملخّص من ٤٦-٤٧.

٢٤٤ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم ومراجع خارج مركز النبوة وخارج مركز المدينة أو خارج المكان الذي يكون فيه النبي صلى الله عليه وآله أو خارج إقامة محل إقامة المعصوم عليه السلام في المدينة أو الكوفة أو في بغداد أو في سامراء .. كان أصحاب الأئمة عليهم السلام وخواصهم العلماء والمتفقهون .. وكان الناس يرجعون إليهم. كانوا فقهاء مجتهدين، كانوا لا يفتون بالنص، وإنما يفتون بآرائهم كما يفهمونها من النص .. كان هؤلاء الفقهاء هم مراجع محيطهم، ولو انتقل فقيه من محيطه إلى محيط آخر لكان فقيهاً في المحيط الآخر..»^(١).

المرجعية ودورها في إنعاش وظيفه القضاء بالمدينة

للمرجعية الدينية دورٌ تقوم به نيابةً عن الإمام المهدي عليه السلام مُمثّلةً في الفقيه الذي حاز شروط المرجعية. كانت وظائف المرجعية العلمية والإدارية تتمثل في:

- ١- إدارة شؤون التعليم الديني في مركزه الرئيسي وفي المراكز الفرعية.
- ٢- قيام المرجع نفسه بالتعليم العالي بإلقاء المحاضرات وعقد المجالس للمناظرات والإملاءات.

٣- تشديد المدارس لسكن ودراسة الطلاب.

٤- إجراء المشاهرات المالية لمعيشة الأستاذة والطلبة.

٥- تعيين القضاة والخلفاء في الأمصار.

٦- الفتيا والردّ على الأسئلة والاستفسارات^(٢).

ولعلّ هجرة الأسرة العراقية من القيشانيين كانت بدعم وتوجيه من المرجعية، وقد وصفهم ابن فرحون بأنهم كانوا أهل مال عظيم، فصاروا يؤلفون ضعفة الناس بالمال ويعلمونهم قواعد مذهبهم، ولم يزلوا على ذلك حتّى ظهر مذهبهم وكثر المشتغلون به، وعضده الأشراف في ذلك الزمان، وأن القاضي سراج

(١) تجديد الفكر الإسلامي لشمس الدين: ص ٤٦-٤٧.

(٢) تاريخ التشريع الإسلامي، الدكتور عبد الهادي الفضلي، صفحة ٣٢٤-٣٢٥.

الدِّينَ الدِّمَنُهورِي لم يسلم من مضايقاتهم له إلا بعد أن تزوّج بنت القيشاني الذي كان رئيس الإماميّة وفتيها.

وعلى نفس السياق تكون زيارة القاضي نجم الدِّين للمرجعية في زمانه بالعراق العلامة الحلّي رحمته الله وعرضت عليه المسائل التي اشتهرت بالمسائل المهتائية وأجوبتها والرسائل المتبادلة بينهما، وإجازته له.

ومن نظائر اهتمامات المرجعية بالقضاء ما نقرأه في ترجمة القاضي الشيخ عزّ الدِّين عبد العزيز بن تحرير المعروف بابن البرّاج أنّه من طرابلس الشام، وأنّه من تلامذه الشيخ الطوسي زعيم الحوزة في زمانه، وأنّ الشيخ الطوسي عيّنه قاضياً في طرابلس مدّة عشرين أو ثلاثين سنة، وهو سبب تلقيبه بالقاضي.

قال الشيخ القمي في «الكنى والألقاب ١ / ٢٢٤»: «لُقّب بالقاضي لكونه قاضياً في طرابلس مدّة عشرين أو ثلاثين سنة...».

كان سبب استقلال الأشراف الحسينيين الإماميين من آل سنان بالقضاء لفترة قصيرة بالمدينة المنورة هو انشغال المماليك والأيوبيين؛ لأنّ صلاح الدِّين الأيوبي كان يصحب معه في غزواته الأمير أبو فليته القاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا الحسيني الإمامي يتبارك به، حتّى حضر معه أكثر فتوحاته^(١).

وهذا السكوت المشبوه خروجاً على مبدأ المماليك والأيوبيين الذين دأبوا على محاربة التشيع، فالإدارة السياسيّة لدولة المماليك عملت على تعزيز مكانة أهل السنّة في المدينة بإرسال القضاة والخطباء والأئمّة.

والمحاولة التي بذلها الأيوبيون لتغليب مذهب السنّة على مذهب الشيعة هي التشجيع على هجرة السنّة إلى المدينة وسمّوهم بالمجاورين، وخاصّة العلماء وأتاحوا لهم فرصة عقد حلقات التدريس والتعليم في المسجد النبويّ والأربطة والتكايا حتّى قويّ مذهب التسنّن وضعف مقابل ذلك التشيع بفعل الأيوبيين.

(١) أنظر التحفة اللطيفة: ج ٢، ص ٣٧٨ وغيرها من كتب التاريخ.

٢٤٦ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم
تشجّع المجاورون واندفعوا لأسباب نفعية تارةً وسياسية تارةً أخرى، أو
علمية أو مذهبية أو وظيفية، كـرغبة بعضهم في التدريس في الحرم النبوي أو
إحدى المدارس أو الأربطة الموقوفة على بعض المذاهب أو لتولّي بعض الوظائف
الدينية كالقضاء والخطابة والإمامة، وما تحمله تلك الوظائف من طابع
سياسي..^(١).

وممن أدركتهم من المرجعيّات الدينية التي يرجع إليها شيعة المدينة
المنورة:

آية الله السيّد أبو الحسن الأصفهاني، ثمّ آية الله مرتضى آل ياسين، ثمّ
السيّد محسن الحكيم، فالسيّد أبو القاسم الخوئي قدّس الله أرواحهم، ثمّ
السيستاني - دام ظلّه -.

والذين سمعت بهم أو أدركتهم وكلاء لهؤلاء المراجع مثل: الشيخ حسن بن
مجلّي، والشيخ محمّد بن حسن مجلي والشيخ عليّ مجلي، والشيخ أحمد
الثميري، وسالم بن معلا الجزائري، والشيخ مبارك بن حسين العبيدي، والشيخ
عليّ بن أحمد العمري، والشيخ جبر بن أحمد جبر الجبد، الشيخ محمّد بن عليّ
الهاجوج، والشيخ عطية بن حسن ناجي الداودي، الشيخ محمّد بن عليّ العمري،
والشيخ حسين بن محمّد سلمي العيساوي، وغيرهم^(٢).

(١) المدينة المنورة في العصر المملوكي لعبد الرحمن مديرس المديسي، ص ١٩٣.

(٢) أنظر كتاب: أهل الدار والإيمان للمؤلف.

الطبقة الثامنة

القضاة العرفية

القضاء العرفي

كانت الجزيرة والمدينة المنورة بالذات كما عرفت من بعض المعّرين ومن أدركتهم من القضاة أنّ القضاء بالمدينة نوعان، وهذا كان سائداً في بلاد العرب منذ الجاهلية، وحتى الإسلام.

١- قاضي العرفيّة.

٢- قاضي الشرعيّة.

قضاة العرفيّة يتّصفون بالذكاء والفتنة وحِدّة الذهن وسرعة البديهة، مع الخبرة، والتجربة، ومعرفة كثير من الوقائع وأيام العرب وحروبهم، وكيف تحلّ ويُحسم أمرها، وقد اشتهر منهم كثير عنيت بذكرهم بعض كتب أيام العرب وكتب الأنساب، وممن أذكر من مشاهير قضاة العرفيّة «ابن عايطي» شيخ مشايخ قبيلة حرب، وله قصّة مشهورة وهي:

أنّه ذبح رجلاً، واستنكف أن يدخل على أحد من الناس فتجلى وهام على وجهه في الصحراء، وقد أجهده الظمأ والجوع، فرأى بيتاً من الوبر، فقصدته ضيفاً على صاحبه، وكان صاحب البيت شيخ عشيرة، فنظر المضيف إلى ضيفه، فرأى فيه علامات النبوغ، فأعطاه فنجان القهوة بعد أن ملأه ليختبره، وعند بعض قبائل الحجاز لصبّ القهوة مقدار معيّن متعارف عليه، فأخذ المضيف فنجان القهوة ووضعه أمامه رافضاً احتساء القهوة؛ لأنّ ملئ الفنجان ضربٌ من الإهانة؛ فسأله المضيف قائلاً له: إنّ عند قبائل حرب قضاة عرفيّة؟

فردّ عليه الضيف: نعم.

قال المضيف: كيف تقضون في القالة العمياء إذا جائتكم؟!

الضيف: رفع فنجان القهوة من الأرض وأماله نحو اليمين دافقاً بعض ما فيه،

ثم إلى اليسار ودفق شيئاً ممّا فيه، حتّى استوى المقدار المتبقّي على القانون والعرف قائلاً: هكذا نفعل!

المضيف: نهض من مجلسه وعانق الشيخ ابن عايطي قائلاً له: أنشدك بالله أأنت ابن عايطي؟
الضيف: نعم.

وقصة أخرى: من قضاة العرفية الشريف حيدر بن مرتضى الجعفري. رفع قضية ضدّ شخص ما عند الشيخ عليّ بن مجلي^(١). قائلاً له: إعتدى عليّ في المائيّة التي لا هي له، ولا هي لي؛ إمّا يجيب -بمعنى يحضر- حجة مطوية، أو شهود حيّة، أو يمين بالله.

قال له الشيخ عليّ بن مجلي: حكمت يا ولدي فأنت قاض. وسمعت قصة من الشريف فواز بن عقاب عليه السلام بمكة في شهر رجب عندما جاء للعمرة ضمن حملة نظّمها والذي عليه السلام عام ١٣٨٨ هـ.

يقول: إنّ امرأتين سافر زوجها وهما حاملتان، فولدت إحداهما ذكراً والأخرى أنثى، فكلّ واحدة ادّعت أنّ الولد لها، فاضطرّ زوجها أن يرفع القضية على قاضي العرفية، فأخبر القاضي بالمشكل فطلب القاضي الرجل أن يحضر زوجته ويجلسا في مكان قريباً من مجلس الحكم، وأنّ القاضي يملأ مجلسه بالرجال الأجانب، ثمّ يقول للمرأتين إنّ من تدّعي أنّ الولد لها تشمّر عن ساقها وتمرّ من أمامه في المجلس، فقبلت إحداهما بهذا ورفضت الأخرى، فحكم للتي رفضت بالولد الذكّر، وللأخرى بالبنت.

وممنّ اشتهر بالقضاء العرفي، حتّى صار مجلسه مضرب الأمثال هو: «ابن طريف» وهو من بني عليّ من قبيلة تسكن العوالي من الشيعة الإماميّة، واشتهرت

٢٥٠ □ قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

قبيلتهم بإنجاب قضاة العرفية، وقد ذكر ذلك عاتق البلادي في كتاب: «نسب قبائل حرب» يقول: ابن طريف أو بنو طريف، فُخذ من بني عليّ يُقال لأحدهم: ابن طريف كانت لهم شهرة في القضاء، وكانت القضية التي تصدر من عند ابن طريف لا تقبل النقض، ولذا ضربوا المثل المعروف (مصدرة من عند ابن طريف)^(١).

وممن اشتهر بالقضاء العرفي في العصور المتأخرة عند النخيليين: الشيخ جزا بن سبتي، ولعلّه يعود في أصله إلى البلادية، والشيخ عباس حمزة الوتيشي، والشيخ حمزة رشيد الداودي الخزرجي.

قضاة العرفية من الأشراف

يقول السيّد النقيب بدر الدين الحسن الشدقي: إنّ من قضاة العرفية: هليل بن سهل، كان قاضياً في العرف، معتمداً على قضاائه عند الأعراب هو ومسلم ابن عمّه، يُقال لهم: آل مسافر^(٢).

(١) نسب حرب: ص ٢٥٩.

(٢) المستطابة: ص ٦٦.

هل القضاة أبطال قوميون أو نفعيون مصلحيون

في نشرة «الرسالة» التي تصدر شهرياً من المنطقة الشرقية العدد الرابع والخمسين السنة الرابعة ذي القعدة ١٤٢٨ هـ . جاء في مقال مطوّل أنّه في آخر شعبان نشبت أزمة بين وزارة العدل وقضاة المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية هدّد فيها القضاة بالاستقالة الجماعية إذا لم تعدل اللائحة المعمول بها سابقاً، وقد وعدهم الوزير بالتعديل بعد حوار جرى بين الطرفين في زيارتهم للوزارة.

فإن كان القطيف والأحساء فيهما محاكم للأحوال الشخصية (الأوقاف والموارث) فإنّ المدينة المنورة محرومة من هذا الحقّ، وقد تقدّم سكّان المدينة من الشيعة للملك عبد الله يطالبونه بمنحهم هذا الحقّ الذي أقرّته لائحة حقوق الإنسان الدوليّة في العالم، فكلّ الأقليات في العالم تتمتع بهذا الحقّ إلّا المدينة المنورة، فالطائفة يفرض عليها إعطاء العصب في الموارث وإيقاع الطلاق بثلاث طلقات في مجلس واحد وقبول طعن السنّي في شهادة الشيعي لتشيّعه فقط .

المدينة المستهدفة

استعراض موجز لما تعرّضت له المدينة النبويّة
وسكانها من قهرٍ وإذلال

تأليف:

عبد الرحيم حسن محمّد حربي

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع
لكلّ مقهور،
لكلّ مقموع،
لكلّ مسلوب ومحروم من أبسط الحقوق الإنسانية،
إلى المعذبين في الأرض.

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيّدنا ونبيّنا وحبيب قلوبنا وطبيب نفوسنا وشفيع ذنوبنا محمّد الأمين وأهل بيته الغرّ المحجلّين وصحبه الأكرمين.

مرّت الأُمّة الإسلاميّة بظروف تكاد تكون فريدة في نوعها، لم تعان الشعوب والأُمم الأخرى ما عانى المسلمون وبخاصّة الشيعة.

مرّت الشيعة بعصور ازدهار تتمثّل في عصر الأئمّة عليهم السلام حتّى زمن الغيبة الكبرى للإمام المهديّ عليه السلام، ثمّ تلت ذلك فترة ركود وخمول بسبب انشغال الشيعة بالكفاح من أجل البقاء، ولم تتعرّض طائفة من الطوائف لما تعرّضت له الشيعة خاصّة، فنكبة المسلمين بالتتار والمغول عامّة على جميع المسلمين، وقد كان نصيب الشيعة الأوفر، وانفرد الشيعة بالحقّد الأيوبي والمملوكي، فقد سكب هؤلاء حميم غضبهم عليهم أشدّ ما يكون الغضب، فأحرقوا المكتبات وقتلوا العلماء، وشرّدوا البعض، وهدّموا الحسينيّات، وأتلفوا الكتب، ولهذا قلّ التراث والفكر والتأريخ والأدب والعقائد للشيعة بعد عصر المفيد والكليني والصدوق والطوسي. وهذا الرعيل الأوّل من العلماء الأفذاذ الذين أعادوا للتشيّع كوة من نور،

وبصيصاً من أمل، ثم يأتي العثمانيون، وكانوا أشدّ عنفاً، وأكثر ضراوةً من سابقهم؛ لأنّهم متعصبون، ولأسباب سياسيّة تتمثّل في العداء المستحكم بينهم وبين جيرانهم الصفويّين، فكلّما استعاد الصفويّون جزءاً من أراضيهم على حدود الدولة العثمانيّة صوّبوا جام غضبهم على الشيعة في كلّ مكان، فقد قضاوا على التشييع، حيث لم يبق له أثر أو عين في بلاد المغرب.

وفي الحجاز حيث شنت الحامية التركيّة حملة شنيعة على الشيعة في المدينة المنورة، وأبرقت للباب العالي والسلطان العثماني بأنّها طهرت المدينة المقدّسة من الرجس والنجس الشيعة، فتقام الأفراح في اسطنبول ابتهاجاً بذلك، وتعبيراً عن نشوة الفرح والسرور، حتّى إذا ما زحزح الكابوس التركي عن كاهل الأُمّة الإسلاميّة، ملأ الفراغ الذي تركه العثمانيّون للأوروبيّين، فاحتلّوا البلاد الإسلاميّة، واقتسموها، وأخذوا يثأرون لحقدهم الدفين، وقد رفعوا الصليب شعاراً.. فاستيقظ المسلمون على إثر هذه الصفعة الموجهة وانطلقت شرارة الثورة من العراق.

وكانت ثورة الرميثة بمثابة الدرس للعالم العربي، فانطلق الأحرار في مصر، والسودان، وسوريا ولبنان يطالبون بالاستقلال والحرّيّة، وقد تمّ لهم ذلك، وأفاقوا حتّى وجدوا أنفسهم يعيشون في انفصام وانفصال عن ماضيهم، وأنهم في حقبة لم يكن لهم فيها تاريخ أو تراث.

فبدأ المخلصون يفكّرون في ذلك، حتّى رأينا صاحب كتاب **أمل الأمل** يكتب محاولات بسيطة، ويليه المظفّر بكتاب **تاريخ الشيعة**، ثمّ الأمين في كتاب **خطط جبل عامل**، ثمّ الشخص في كتاب **رجال من هجر**، ثمّ جعفر المهاجر في كتاب **التأسيس في تاريخ الشيعة في لبنان وسوريا**.

وهذه محاولة متواضعة أقدمها بين يديك أخي القارئ، فهي جهد المقلّ، وهي المحاولة الأولى من نوعها في الكتابة عن شيعة الحجاز.

وقد ترددت كثيراً في إصداره؛ تحسباً لما قد يتكرر ما حدث للكتاب الأول من ضجة كبيرة وجدلٍ طويل، وقد أخذت تلك الضجة وذلك الجدل أشكالاً عديدة من الردود، فأكثر من النصوص والاقتباسات؛ لأنَّ استهداف المدينة التي قال رسول الله ﷺ في حقها: «من تعرّض للمدينة بسوء يذيه الله، كما يذيب الملح في الماء» أمر يصطدم مع مشاعر القارئ، فتركته يستنطق النصوص ويسمع لها وهي تعبر عن نفسها، كما وردت عند صاحبها ليعرف إلى مدى وصل انقلاب الأُمَّة، وتنكرها لمدينة احتضنت الإسلام، وقدمت فلذات أكبادها لدعمه وانتشاره.

فإن وقّفت فالحمد لله، وإن أخطأت فمن نفسي وتقصيري، ورحم الله من أهدى إليَّ عيوبي.

عبد الرحيم حسن محمد حربي

الباب الأول :

المدينة المنورة قديماً وحديثاً

المدينة هي ثانية مدن الحجاز القديمة، وأهمّ مدينة حجازيّة تاريخيّة بعد مكّة المكرّمة من حيث السعة والتجارة، عدا مدينة جدّة حديثاً فهي أكبر من مكّة والمدينة، وهي المركز التجاري للمملكة العربيّة السعوديّة، مثل الدّمّام بالمنطقة الشرقيّة. والمدينة قديماً أهمّ مدينة حجازيّة من حيث المحاصيل الزراعيّة، أمّا حديثاً فبسبب الجفاف وموجة التصحّر التي تجتاح العالم، فقد تقلّصت نسبة الزراعة فيها وانتقلت إلى القرى المجاورة لها؛ بسبب زحف العمران عليها؛ وبسبب ندرة المياه الجوفيّة بها، وزيادة عدد السكّان. ولعلّ البعض فضّلها على مكّة المكرّمة من حيث القدسيّة ومن هؤلاء كان الخليفة عمر الخطّاب رضي الله عنه ^(١).

وتقع المدينة بين خط عرض ٢٥° شمالاً، وعلى خط طول ٤٠° شرقي

(١) موسوعة العتبات المقدّسة، قسم المدينة المنورة: ص ٧.

جرينتش. وتقع المدينة بين حرّتين حرّة «واقم» في الشرق، وحرّة «الويرة» في الغرب، وبها جبال مثل أحد، وسلع، وسليح، والأصغرين، وتحيط بها القرى التابعة لها إداريّاً، مثل قباء، وقربان والعوالي، وقيل كثير من الأحاديث والشعر في بعض جبالها وقراها، ومثلاً للعوالي.

العوالي

في المعجم الوسيط للطبراني: عن ابن عباس: إنّ الرجل من أهل العوالي كان يدعو الرسول ﷺ فيجيب ويقول: لو دعيت إلى كراع لأجبت.

وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة قالت: كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم، ومن العوالي، فيأتون في العباة فيصيبهم الغبار والعرق، فيخرج منهم الريح، فأتى النبي ﷺ إنساناً منهم وهو عندي فقال ﷺ: لو أنّكم تطهّرتُم يومكم هذا.

وفي رواية: كان الناس مهنة أنفسهم، فكانوا إذا راحوا إلى الجمعة راحوا في هيئتهم فقيل لهم: لو اغتسلتم يوم الجمعة.

وفي صحيح مسلم: عن أنس قال: كان النبي ﷺ يصليّ العصر والشمس مرتفعة حيّة، فيذهب الذاهب إلى العوالي فيأتي العوالي والشمس مرتفعة. وهذا يدلّ على أنّه ﷺ كان يصليّها في أوّل وقتها.

وفي الكافي ج ١ ص ٤٥٠ من باب وفاة النبي ﷺ، كيفيّة الصلاة على النبي ﷺ عن أبي جعفر عليه السلام... حتّى صلىّ عليه أهل المدينة وأهل العوالي.

وفي الكافي في باب حجّ النبي ﷺ ج ٤ ص ٢٢٥: عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ رسول الله ﷺ أقام بالمدينة عشر سنين لم يحجّ، ثمّ أنزل الله عزّ وجلّ عليه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ...﴾^(١) الآية. فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي.

وفي مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٢٦٤ في ذكر وفاة النبي ﷺ... حتّى صلىّ

عليه أهل المدينة وأهل العوالي.

وفي شرح نهج البلاغة ج ١٤ ص ٢٢٤، في قصّة غزوة أحد: ثمّ صَلَّى ﷺ بالناس العصر وقد حشد الناس وحضر أهل العوالي، ورفعوا النساء إلى الآطام، فحضرت بنو عمرو بن عوف بلغها والنبيت بلغها وتلبّسوا السلاح.

وفيه أيضاً، ج ١٥ ص ٥٧: في ذكر غزوة حمراء الأسد: فنزل رسول الله ﷺ فدخل المسجد فصلّى ركعتين، والناس قد حشدوا، ونزل العوالي، حيث جاءهم الصريخ، ودعا بفرسه على باب المسجد.

وعن ابن عساكر في تأريخه برقم ٢٧١: حدّثنا جهم بن أبي جهم، قال: لما مات الحسن بن علي بعثت بنو هاشم إلى العوالي صائحاً يصيح في كلّ قرية من قرى الأنصار بموت الحسن ﷺ، فنزل أهل العوالي ولم يتخلف أحدٌ عنه. وفي المغازي للواقدي، وإمتاع الأسماع للمقريزي في ذكر غزوة أحد ومشاورة الرسول ﷺ لأصحابه: وحضر أهل العوالي ورفعوا النساء في الآطام...

وفي سنن النسائي، في باب عيادة المرأة للرجل المريض وعكسه: مرضت امرأة من أهل العوالي فكان النبي ﷺ أحسن شيء عيادة.

كما نزلت الآية الكريمة ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾^(١) في قوم من أهل العوالي مقيمين واقتتلوا بالنعال والجريد؛ وفي أهل قباء نزل قوله تعالى: ﴿يُجِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(٢)؛ لأنهم كانوا يضيفون إلى التجمر بالحجارة التنظيف بالماء.

جبل أحد

ومما قيل شعراً في جبل أحد، وسلع، قول الشاعر محمّد بن

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٣.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٨.

عبد الملك الفقعسي :

ألا ليت شعري هل أبیتن ليلة
وهل أحد باد لنا وكأنه
يخب السراب الضحل بيني وبينه
فإن شفائي نظرة إن نظرتها
بسلع، ولم تغلق عليّ دروب
حصان أمام المقربات جنب
فيبدو لعيني تارةً ويغيب
إلى أحد والحرتان قريب

ومن شعر لقيس بن ذريح، وقد غنته ذات مرة حباة جارية يزيد بن عبد
الملك، وكانت من أحسن الناس وجهاً، وصوتاً على ما أورد ياقوت عن
الأصمعي، وكان يزيد شديد الكلف بها، وكان منشؤها المدينة المنورة، فغنت :

لعمرك إنني لأحبّ سلعا
تقرّ بقربه عيني، وإنني
حلفت بربّ مكّة والمصلّي
لأنت على ثنائي فاعلميه
لرؤيته ومن أكناف سلع
لأخشى أن يكون يريد فجعي
وأيدي السابحات غداة جمع
أحبّ إليّ من بصري وسمعي

أسماء المدينة المنورة

للمدينة أسماء كثيرة، فمن أسمائها يثرب، وهو الاسم التاريخي الذي كان
يُطلق على المدينة النبوية قديماً، وقد اختلف المؤرّخون واللّغويون في أصل هذا
الاسم، واعتبره البعض من مشتقات التثريب، وهو الإفساد والتخليط لغةً، وجعلوا
هذا علّة تغيير اسمها، وقيل إن اسم يثرب هو اسم الأرض من ذلك الصقع^(١).

وقيل: إن هذا الصقع هي منطقة «الجرف» من باب إطلاق الجزء على الكلّ،
وقيل: هو اسم المدينة نفسها، وقد زعم آخرون أن «يثرب» قد سميت باسم أوّل
من سكنها من ولد سام بن نوح، وزعم غيرهم أنّها سميت باسم رجل من
العمالقة^(٢).

وقال ابن النجّار في سلسلة من الأقوال: للمدينة في التوراة أحد عشر

(١) تاج العروس مادة (ثرب).

(٢) موسوعة العتبات المقدسة، قسم المدينة: ص ١٣.

إسماً، وقد أوصلها صاحب كتاب وفاء الوفا نيف وتسعين اسماً. أمّا يا قوت الحموي فقد أحصى أسماء المدينة فوجدها تسعة وعشرين اسماً، وهي: المدينة، وطيبة، وطابة، والمسكينة، والعذراء، والجابرة، والمحبة، والمحبة، والمحبوبة، ويثرب، والناجية، والموفية، وآكلة البلدان، والمباركة، والمحفوفة، والمسلمة، والمجنة، والقدسيّة، والعاصمة، والمرزوقة، والشافية، والخيرة، والمحوبة، والمرحومة، وجابرة، والمختارة، والمحرمة، والعاصمة، وطبابا^(١).

ويقول القزويني: إنّ من خصائص المدينة أنّ من دخلها يشم رائحة الطيب، وللطر فيها رائحة لم توجد في غيرها، وعلى هذا فالراجح أن يكون النبي ﷺ قد أطلق عليها اسم «طيبة» لهذا السبب^(٢).

ومصادق ذلك ما سمعته ممن شغل منصب سدانة القبر النبوي الشريف، أنّه عندما يحفر بالقرب من القبر الشريف، مثلاً عندما حفر في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز لإحداث باب جديد من جهة الشرق سمّي بباب البقيع، انتشرت رائحة زكية عطريّة شديدة، غير الروائح المعهودة، سمعت ذلك من الشريف سعد.

تمصير المدينة وسكانها

كلّ ما ورد عن نشأة المدينة الأولى وسكانها الأقدمين لا يتجاوز المزاعم والأساطير والحكايات^(٣)، فهناك من يزعم بأنّ أوّل من نزل المدينة بعد غرق قوم نوح، قوم يُقال لهم: صعل وفالج، فغزاهم داود النبي ﷺ وأخذ منهم مائة ألف عذراء^(٤).

وهناك من يزعم بأنّ بني عييل؛ وهم من العرب البائدة، كانوا أوّل من نزل يثرب، وعييل هذا - كما تزعم تلك الأساطير - أنّه ابن عوض إرم بن سام بن نوح، قد كان أمير قبيلة العرب العادية.

(١) معجم البلدان مادة «المدينة».

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد: ص ١٠٧.

(٣) موسوعة العتبات المقدسة / قسم المدينة: ص ٢١.

(٤) الدرّة الثمينة في تاريخ المدينة لابن النجار: ص ٣٢٣.

ويقول المسعودي: إنّ يثرب وهو ابن قامة بن مهليل بن إرم بن عييل، قد نزل هو وولده ومن تبعه فيها، فسمّيت به يثرب، فهلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر وآفات، فقال شاعرهم:

عين جودي على عبيد^(١) يرجع بأمان فيضانها بانسجام
عمروا يثرباً وليس بها سقرو لا صارخ ولا ذو سنام
غرسوا لينها^(٢) بمجرى معين ثمّ حفوا السيل بالأرحام

ويقول محمد ليبب البتانوني في رحلته الحجازيّة: إنّ لنا في يهوديّة السكّان ما يؤيّد قول من ذهب إلى أنّ موسى عليه السلام في طريقه إلى فلسطين أرسل فرقة من قومه لتكشف له تلك الجهة، فساروا إليها وبلغهم موته فبنوا مدينة «أثر ييس» وأقاموا فيها^(٣).

وعلى هذا فبالإمكان اعتبار ابتداء عمران يثرب من سنة ألف وستّمائة قبل المسيح عليه السلام أو ألفين ومائتين وعشرين قبل الهجرة، وكان العماليق - على هذا الرأي - هم الذين بنوا المدينة، وزرعوا فيها الزروع، وغرسوا النخيل، وعمرّوا الدور والأطام «الحصون» واتّخذوا بها الضياع^(٤).

الأوس والخزرج سكّان المدينة

وفي هذا الوقت أو قبله كان قوم من القحطانيّين وهم الأوس والخزرج قد نزحوا من اليمن، ونزلوا يثرب، ولنزوحهم من اليمن قصص وحكايات. وكلّ ما يمكن استخلاصه هو أنّ الأوس والخزرج وهم أبناء حارثة بن ثعلبة قد هاجروا من اليمن إلى المدينة واستوطنوا يثرب، كما فعل اليهود قبلهم، بناءً على وفرة مياهها ورغد العيش فيها، فتعايش الأوس والخزرج مع اليهود معايشة سلميّة فيها

(١) هكذا ورد الإسم في الطبعة التي أخذت منها، والراجع أن يكون عبيلاً، وليس عبيداً. الكلام لصاحب الموسوعة.

(٢) اللين: كلّ شيء من النخل سوى العجوة (المنجد).

(٣) دائرة معارف القرن العشرين، مادة «يثرب».

(٤) المصدر السابق.

الحلف، حتّى جاء الإسلام وهاجر الرسول ﷺ إليها واستقرّ بها، وخان اليهود العهد والمواثيق التي كانت بينهم وبين النبي ﷺ الأمر الذي اضطرّ النبي ﷺ إلى محاصرة بني النضير حتّى أجلاهم، ثمّ حاصر بني قريظة حتّى قضى عليهم^(١).

الأسطورة

ومن جملة الأساطير التي ملئ بها التاريخ العربي والإسلامي قديماً وحديثاً، فهي تقول وتشرح الكيفيّة التي تغلب بها الأوس والخزرج على اليهود، وكانت الأسباب الموضوعيّة تعذّرت على بعض المؤرّخين، فلدجأوا إلى حبكة الأساطير لتكون تبريراً لتمريرها، فالتأريخ الحقّ نقض واستقراء، وتغوير عن الأسطورة والهراء، وتجريد عقلي كامل، فيجب على الكاتب أن يسند معلوماته إلى الواقع بعيداً عن موحياته ومعطياته...، والقصة تقول:

إنّ مالك بن العجلان الخزرجي كان رئيساً لقبيلتي الأوس والخزرج، وأنّه كان لبني إسرائيل في المدينة ملك يقال له: الفيطون. ويقول ياقوت: بل إنّه «الفيطون» استناداً إلى ما جاء في كتاب ابن الكلبي، وكان اليهود والأوس والخزرج يدينون له، وكانت له فيهم سنة، ألاّ تتزوّج امرأة منهم إلّا أدخلت عليه قبل زوجها، حتّى يكون هو الذي يفتضّها، إلى أن زوّجت أخت لمالك بن العجلان فيها، لابن زيد السالمي الخزرجي.

فلما كانت الليلة التي تُهدى فيها إلى زوجها، خرجت على مجلس قومها كاشفة عن ساقها، وأخوها مالك في المجلس، فقال لها: قد جئت بسوء بخروجك على قومك، وقد كشفت عن ساقك. قالت: الذي يُراد بي الليلة أعظم من ذلك؛ لأنّني أدخل على غير زوجي، ثمّ دخلت إلى منزلها، فدخل إليها أخوها وقد أرمضه قولها فقال لها: هل عندك من خبر؟ قالت: نعم، فماذا؟ قال: أدخل معك في جملة النساء على «الفيطون»، فإذا خرجن من عندك ودخل عليك ضربته بالسيف حتّى يبرد. قالت: افعل.

فتزيّ بزّي النساء، وراح معها، فلما خرجت النساء من عندها دخل «الفتيون» عليها، فشدّ مالك بن العجلان بالسيف وضربه حتّى قتله، وخرج هارباً إلى الشام وقصد فيها أبا جبيلة - وقيل بل فرّ إلى اليمن وقصد تبع الأصغر بن حسان - وشكا إلى أبي جبيلة ما كان من «الفتيون» وما كان يعمل في نسائهم، وذكر له أنّه قتله وهرب، وأنّه لا يستطيع الرجوع خوفاً من اليهود.

فعاهده أبو جبيلة أن لا يقرب امرأة، ولا يمسّ طيباً، ولا يشرب خمرًا، حتّى يسير إلى المدينة ويدلّ من بها من اليهود، وأقبل سائراً من الشام في جمع كثير مظهراً أنّه يريد اليمن حتّى قدم المدينة، ونزل بذى حرض، ثمّ أرسل للأوس والخزرج أنّه على المكر باليهود، وهو عازم على قتل رؤسائهم، وأنّه يخشى متى علموا بذلك أن يتحصّنوا في آطامهم، وأمرهم بكتمان ما أسرّه إليهم، ثمّ أرسل إلى وجوه اليهود أن يحضروا طعامه ليحسن إليهم ويصلهم، فأتاه وجوههم وأشرافهم ومع كلّ واحد خاصّته وحشمه، فلما تكاملوا أدخلهم في خيامه، ثمّ قتلهم عن آخرهم، فصارت الأوس والخزرج من يومئذ أعزّ أهل المدينة، وقمعوا اليهود، وسار ذكرهم، وصار لهم الأموال والآطام^(١).

ومّا يدلّ على زيف هذه الأسطورة ما تحمله في ثناياها من تناقض، فمالك بن العجلان يغار ويثور؛ لأنّ أخته كشفت عن ساقها في مجلسه، ولا يغار من فعل «الفتيون» لو لا استشارة أخته له.

وفي كتب التراجم التي ترجمت لسعد بن عباد تقول: إنّ رسول الله ﷺ قال لسعد: كيف بك يا سعد لو ترى رجلاً على بطن امرأتك؟

فقال سعد على الفور: أقتله يا رسول الله!

وكثير ممّا كتب عن واقعة الحرّة أرجع سبب هزيمة الثوّار إلى أنّهم تركوا مواقعهم المتقدّمة على الجبهات، وهرعوا إلى داخل المدينة؛ لأنّ قائلاً قال لهم: إنّ جيش الشام دخل المدينة وهجم على أعراضكم.

(١) القصة في معجم البلدان مادة «مدينة»، والدرة الثمينة في تأريخ المدينة، وغيرهما.

مميّزات المدينة في الجاهليّة والإسلام

انفردت المدينة النبويّة بخصائص ميّزتها بين كثير من المدن العربيّة القديمة قبل الإسلام، وقد زاد الإسلام من مميّزاتها بعد هجرة النبيّ ﷺ إليها، وقد تحدّث عنها المؤرّخون كثيراً بأنّها بلدة طيّبة مباركة، كثيرة الخيرات، عذبة المياه، وافرة النخيل والثمار، ومن خصائصها التي عُرفت في تاريخها القديم: أنّ من دخلها يشمّ رائحة الطيب، وللعطر فيها فضل رائحة لم توجد في غيرها - على ما ذكر القزويني.

وفي الأخبار والأساطير التي وردت في تاريخ العرب، ما جاء في أمالي القالي عن خنافر بن التوأم الحميري، أنّه أوصى له (رثيه)، أي الشيخ الذي كان يظهر له، ونصحه بأن يتّجه إلى يثرب واصفاً إياها بذات النخل. ويعقّب صاحب كتاب موسوعة العتبات المقدّسة بقوله: فإذا شككنا في ظهور الشيخ فليس من شكّ في صحّة وصف المدينة.

وخصّ الإسلام المدينة بفضائل وميزات لم يخصّ بها غيرها من المدن، ومما خصّ الله به المدينة أن جعلها حرم رسوله ﷺ وجعل فيها من البركة ما لم يجعله في بلد آخر، ومن فضائلها: أنّها سيّدة البلدان، وهي دار الإيمان، وقبّة الإسلام، ومأزر الإيمان، تحرسها الملائكة، وحفظها الله من الدجّال والطاعون، وهي تنفي الخبث، كما ينفي الكير خبث الحديد.

وبارك الله في صاعها ومدّها وفي ثمرها جعل فيه الشفاء كالبرني والعجوة، وأنّ محبّها مؤمن، ورغب رسول الله ﷺ في الموت فيها وفي سكنائها، وجعل الشفاء في تربتها، وأنّ من يحدث فيها حدثاً أو يؤوي محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وقد أحدث بها الأمويّون - ما سيمرّ عليك فيما بعد -، ومن مميّزاتها أن تتضاعف فيها الحسنات، وأنّ من أخاف أهلها فقد أخاف رسول الله ﷺ، ومن آذاهم أو أرادهم بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء، وقد شوهدت وقائع كثيرة من هذا القبيل.

ومن أراد التوسّع في معرفة فضل المدينة فليقرأ كتاب فضائل المدينة

المنورة، تأليف: الدكتور خليل إبراهيم ملّا خاطر.

من فضائل المدينة في الإسلام

لَمَّا تَأَمَّرَتْ قَرِيشٌ عَلَى قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَتْ خَطَّتُهُمْ أَنْ يَخْتَارُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًّا جَلَدًا، وَيَعْطُوهُ سَيْفًا حَادًّا، وَتَجْتَمِعُ هَذِهِ الْعَصَابَةُ مِنَ الشَّبَابِ عِنْدَ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَعِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ دَارِهِ لِيَضْرِبُوهُ ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَيَتَشَتَّتْ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ بَنُو هَاشِمٍ الْمَطَالِبَةُ بِدَمِهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ يَخْبِرُهُ بِمُؤَامَرَةِ قَرِيشٍ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ ابْنُ عَمِّهِ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَنَامَ فِي فِرَاشِهِ، وَيُخْرِجَ هُوَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا، وَهِيَ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى مَا ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾^(١).

قال ابن عباس - رضي الله عنه - كان النبي ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ رواه أحمد^(٢) والترمذي والحاكم - وصحّاه - والبيهقي وغيرهم. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لكل نبي حرم، وحرمة المدينة، اللهم إني أحرمها بحرمك أن لا يؤوي فيها محدث، ولا يختلي خلاها، ولا يعصده شوكةا، ولا تؤخذ لقطتها إلا لمنشد. رواه أحمد وأبو نعيم^(٣).

وسترى أخي القارئ - ماذا أحدث الأمويون ومن هم على خطهم بالمدينة وبأهلها، فلو أن الرسول ﷺ أوصاهم بذلك لما زادوا على ما فعلوا شيئاً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وعن سهل بن حنيف - رضي الله عنه - قال: أهوى رسول الله ﷺ بيده إلى المدينة، فقال: إنها حرم آمن. رواه مسلم وأحمد والطبراني.

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٠.

(٢) مسند أحمد: ج ١ ص ٤٧٩، ح: ١٩٤٨، الدرر المنثور: ج ٤ ص ١٩٨ وغيرهم كثير.

(٣) مسند أحمد: ج ١ ص ٦٨٢، ح: ٢٩٢٣، وكنت العمال ج ١٢، ص ٢٣٧، ح: ٣٤٨٣١، ومجمع الزوائد: ج ٣ ص ٣٠١، والجامع الصغير للسيوطي ص ٤٤٩، ح: ٧٣٣٠.

ويقول ملاً خاطر: إنّ الذي جعل المدينة حراماً هو الله تعالى، ولم يحرمها النبي ﷺ من عنده، وقد أظهر الله تعالى هذا التحريم على لسان رسوله ﷺ (١). وقد خصّ الله المدينة بفضائل لم يخصّ بها غيرها من المدن حتّى مكّة المكرّمة، وإليك هذه المناظرة بين الخليفة عمر بن الخطّاب وعبدالله بن عياش يستدلّ بعض الرواة منهما على تفضيل المدينة على مكّة، فقد روي أنّ الخليفة عمر ابن الخطّاب قال لعبدالله: أأنت القائل: إنّ مكّة خيرٌ من المدينة؟ فقال عبدالله بن عياش: هي حرم الله وأمنه، وفيها - أي مكّة - بيته، فقال عمر: لا أقول في حرم الله وبيته شيئاً، أأنت القائل... إلى آخره، وقالها ثلاث مرّات.

وفي (المنتقى) قال محمّد بن عيسى: ولو أقرّ له ابن عياش بذلك لضربه الخليفة عمر - يريد به تأديبه - على تفضيل مكّة على المدينة لاعتقاده - أي لاعتقاد عمر بن الخطّاب - تفضيل المدينة على مكّة، أو هو يرى ترك الأخذ في تفضيل إحداها على الأخرى، إلّا أنّ الوجه الأوّل أظهر لما اشتهر من أخذ الصحابة في ذلك دون نكير، وهذا تصريح من الخليفة عمر بأنّ المدينة أفضل من مكّة (٢).

أقول: وقد أحدث عمر بالمدينة، عندما شارك في أحداث السقيفة، وهجم على بيت الزهراء ﷺ وأضرّم النار على بابها، وأسقط جنيهاً ﷺ في تلك الحادثة.

(١) فضائل المدينة المنورة: ج ١ ص ٦٥.

(٢) الموسوعة: ج ١ ص ٤٥ نقلًا عن المدخل لابن الحاج: ج ٢ ص ٣٣.

فضائل أهل المدينة في الجاهليّة والإسلام

«الناس معادن، فيأركم في الجاهليّة، فيأركم في الإسلام»

فضائل أهل المدينة في الجاهليّة

إنَّ أهل المدينة يحبُّون الغرباء، ويكرمون الضيوف، ويحبُّون المهاجرين إليها^(١).. وقد قيل لبعض المدتيين: ما بالكم أنتم أطيب الناس صوتاً؟ فقال: مثلنا كالعيذان خلت أجوافها فطاب صوتنا^(٢). ومن مميّزات أهل المدينة رجحان عقولهم، وأخذهم الأمور بالموازين العقلية.

ويقول مرتضى العسكري: ومثل هذه الأخبار عن أهل المدينة ورجالاتها تشهد بتميّزها منذ العصور القديمة، حتّى العصر الإسلامي^(٣).

ويعقب جعفر الخليلي قائلاً: ويبدو من تصفّح الأخبار واستعراض التاريخ أنَّ أهل يثرب كانوا أكثر تبصراً بالأمور، وأكثر إدراكاً لقيمة العقل، وأقلّ تعصّباً للتقاليد الموروثة، على رغم تعصّب الأوس والخزرج - كلٌّ لآله وأسرته وقبيلته - وليس أدلّ على فهم (المدتيين) ووعيهم من قبول الدعوة الإسلامية وهي دعوة جاءت لتهدم كلّ معتقداتهم، وتزيل من الوجود كلّ تقاليد الموروثة، وتقلّب حياتهم رأساً على عقب لو لم يكونوا على شيء من الوعي والتروّي وتحكيم العقل في الأمور العامة^(٤).

ويقول ابن سعد: فاستجابوا لله ولرسوله، فأسرعوا، وآمنوا، وصدّقوا، وآووا، ونصروا، وواسوا، وكانوا والله أطول الناس أسنةً وأحدّهم سيوفاً^(٥).

(١) بلوغ الأدب للآلوسي: ج ١ ص ١٨٨.

(٢) المقريزي. المصدر السابق.

(٣) كتاب: «خمسون ومائة صحابي مختلف»، القسم الأول: ص ٣٣٥.

(٤) موسوعة العتبات المقدسة / قسم المدينة: ص ٥١ - ٥٢.

(٥) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٠٤.

ومثل هذا الإيمان الصادق، ومثل هذه الشجاعة التي لم تبال بمجموع العرب في تأليبهم على البشريين، ومثل هذه الشهامة التي لاحت من أهل المدينة في إيواء النبي، لأمر ليس من السهل قبولها ما لم يكن لدى سكان هذه المدينة من سالف الزمن من المثل العالية والطيبة، وسمو الأخلاق ولو بنسبة محدودة معيّنة جعل للمدينة وسكانها ميزة محسوسة وملموسة بين المدن العربيّة الأخر في الأزمان السالفة^(١).

وبالنسبة لأمثالها من المدن العربيّة القديمة هو أنّ أغلب المدن والقرى قد افتتحت بالسيف. أمّا المدينة فقد افتتحت بالقرآن كما جاء في الأخبار. ولا بدّ أنّ السجايا والفضائل التي اتّصف بها أهل المدينة كانت تراكميّة من موارث أجيالها المتقدّمة؛ لأنّ اكتساب هذه الصفات لا يمكن أن يأتي مرّة واحدة وبين عشية وضحاها، وحين جاء الإسلام صقلها، وهذبها، وهضم الطيّب منها، وصبّه في بوتقته وطرح الرديء من أخلاق الجاهليّة، فكان للمدينة وسكانها من الأنصار شأنٌ بحيث أكثر القرآن والسنة النبويّة من الثناء عليهم^(٢).

فضائل أهل المدينة في الإسلام

١ - قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾^(٣).

٢ - عن أبي التّياح قال: سمعت أنساً رضي الله عنه يقول: قالت الأنصار يوم فتح مكّة - وأعطى قريشاً: والله إنّ هذا لهو العجب؛ إنّ سيوفنا لتقطر من دماء قريش، وغنائمنا تردّ عليهم. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله، فدعا الأنصار، قال: فقال: ما الذي بلغني عنكم؟ - وكانوا لا يكذبون - فقالوا: هو الذي بلغك، قال: أو لا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيوتكم؟ لو سلكت

(١) الخليلي. المصدر السابق: ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد: ص ١٠٩.

(٣) سورة الحشر: الآية ٩.

الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم. أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

٣- عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءً من الأنصار. فقال أبو هريرة: ما ظلم بأبي وأمي، آووه ونصروه - أخرجه النسائي في المناقب.

٤- وروي عن كعب بن مالك أنه قال: إن آخر خطبة خطبناها رسول الله ﷺ قال: يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون، وأن الأنصار قد انتهوا، وإنهم عييتي التي آوي إليها، فأكرموا محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم. حديث صحيح.

٥- وروي أيضاً عن أنس بن مالك أنه قال: إن الأنصار اشتدت عليهم السواني؛ فأتوا النبي ﷺ فقال: لا تسألوني اليوم عن شيء إلا أعطيتكم، فلما سمعوا ما قال النبي ﷺ قالوا: ادع الله لنا بالمغفرة، قال: اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار. حديث صحيح.

٦- عن البراء قال سمعت رسول الله ﷺ أو قال قال النبي ﷺ: الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحب الله، ومن أبغضهم أبغضه الله.

٧- عن هشام بن زيد قال: سمعت أنس بن مالك يقول: مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبيكون فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد قال: فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشتي وعييتي، وقد قضاوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم. أخرجه البخاري.

٨- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: خرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة متعطفاً بها على منكبيه وعليه عصاة دسما، حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس فإن الناس يكثرون وتقل الأنصار، حتى يكونوا

كالملح في الطعام فمن ولي منكم أمراً يضرّ فيه أحداً، أو ينفعه فليقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم. أخرجه البخاري.

٩- عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: الأنصار كرشي وعييتي، وإنّ الناس سيكثرون، ويقلّون، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم. أخرجه البخاري ومسلم في الفضائل والترمذي في المناقب، والنسائي.

الباب الثاني : المدينة المستهدفة

«الجالب إليها كالمصدق عليها».

الرسول الأعظم ﷺ

المدينة المستهدفة في عصر الخلفاء

كانت المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية، تتبعها الولايات وتصرّف شؤونها في عهد النبي ﷺ وشرطاً من خلافة أبي بكر، أما باقي عصر الخلفاء - عدا خلافة الإمام عليّ عليه السلام^(١) - فقد استأثر المهاجرون بالمناصب القيادية في الدولة الإسلامية، وغيّبوا أهل المدينة وحجّموهم، وخلخلوا المجتمع المدني للإخلال بالتوازن التركيبي له، من خلال إرسال النخبة الممتازة منهم ومن أبنائهم إلى

(١) عاصمة الخلافة الإسلامية أيام حكم الإمام عليّ عليه السلام كانت الكوفة، وقد سئل عن سبب نقله العاصمة الإسلامية إلى العراق، فقال: إنّ الأموال والرجال بالعراق وأنّ لأهل الشام وثبة أحبّ أن أكون قريباً منهم. الأخبار الطوال للدينوري و ص ١١١.

يقول نهاد الغادري: إنّ السبب هو صراع البيئات، نقلها من الصحراء إلى الأرض الخصبة أرض السواد.

يقول الدكتور الوائلي رحمه الله: في العراق المثلث الحضاري العريق: الكوفة والتنجف والحيرة؛ هذا هو سبب نقل الإمام عليه السلام عاصمة الخلافة الإسلامية من المدينة إلى العراق، لأنّها أي العراق كانت مهداً لحضارات قديمة مثل: السمرورية، والبابلية، والكلدانية. فتتلاقح الحضارات، أو كما قال.

الفتوحات في الشام، وإفريقيا، وبلاد فارس، وتصنيفهم تصنيفاً جديداً مغايراً لتصنيف رسول الله ﷺ لهم في العطاء بتقديم المهاجرين عليهم، وحشدوا المدينة بالأمويين والقرشيين ليشكّلوا جبهة معارضة في وجه التيار الإسلامي المحافظ.

المدينة في العصر الأموي

كانت الدولة الإسلامية تُدار من المدينة العاصمة الأولى للإسلام، ثم أصبح الولاية في هذه الفترة يختارون لها فيها - بعد أن كانت هي التي تختارهم لها، وتقيمهم عليها وعلى غيرها من بلدان العالم الإسلامي - ولم يقف الأمر عند ذلك، فقد أخذت تدفع إلى دمشق خراجها ممّا كان يسمّى الصوافي من الحنطة والتمر. يروي بعض المؤرّخين أنّ معاوية اشترى بعض المزارع بالمدينة بثمان بخس، وكان المسؤول عنها هو «ابن مينا» جمع الغلال من الحنطة والتمر - وكانت تغلّ مائة وخمسين ألف وسق من التمر، ومائة ألف وسق من الحنطة، وكانت الغلال شحيحةً في المدينة وأسواقها، فاعترضه بعض أهل المدينة من الخزرج ومنعه من إخراجها، فاشتكى إلى والي المدينة عثمان بن محمّد، فأرسل عثمان معه بعض الجند ليحموه، ويعينه على إخراج الغلال، فتناول ابن مينا على الناس وأغلظ لهم القول، فلم يحتملوه، وضربوه ومن معه من الشرطة، وطردوهم ومنعوه من أخذ الغلال^(١).

يقول الكاتب أسد حيدر: كانت المدينة المنورة مصدراً للفتيا ترجع إليهم الأئمة في مهمّات التشريع الإسلامي؛ لأنّها مركز العلم، وفيها أصحاب الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ والتابعين لهم بإحسان، وقد لاحظت الدولة الأمويّة من قبل هذه المهمة التي يجب أن تلاحظها، وهي اتّجاه الأنظار إلى المدينة؛ لأنّها الجامعة الإسلاميّة ويخشى على الدولة خطرها، فكانت تحذّره أشدّ الحذر^(٢).

(١) تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢٥٠، وفاء الوفا: ج ١ ص ١٢٨.

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ج ١، ص ١٧٤.

وعندما تولّى الأمويون الحكم، وحولوه إلى ملك عضوض، ونقلوا عاصمة ملكهم إلى دمشق، فحولوا الخلافة إلى ملك يتوارثونه، وبنوا المسجد الأموي لينافس المسجد النبوي، وكانوا يأخذون خراج المدينة من صوافيها، وينقلونه إلى الشام لإجاعة أهلها. قال ابن الأثير في الكامل: أمر معاوية بمنبر النبي ﷺ أن يحمل إلى الشام، وقال: لا يترك هو وعصا النبي ﷺ بالمدينة. وطلب العصا وهو عند سعد القرظ، فحرّك المنبر فكسفت الشمس حتى رويت النجوم بادية، فأعظم الناس ذلك، فتركه.

قيل أتاها جابر وأبو هريرة وقالوا له: يا أمير لا يصلح أن تخرج منبر رسول الله ﷺ من موضع وضعه، ولا تنقل عصاه إلى الشام، فانقل المسجد، فتركه، وزاد فيه ستّ درجات، واعتذر ممّا صنع. ولما وليّ عبد الملك بن مروان همّ بالمنبر، فقال له قبيصة بن ذؤيب: أذكرك الله أن تعقل، إنّ معاوية حرّكه فكسفت الشمس، قال رسول الله ﷺ: «من حلف على منبري إثماً فليتبوأ مقعده من النار» فتخرجه من المدينة وهو مقطوع الحقوق عندهم بالمدينة. فتركه عبد الملك، فلما كان الوليد ابنه وحجّ همّ بذلك، فأرسل سعيد بن المسيّب إلى عمر بن عبد العزيز فقال: كلّم صاحبك لا يتعرّض للمسجد ولا لله والسخط له، فكلّمه عمر، فتركه^(١).

قال السيّد محسن الأمين^(٢): روى البرقي في المحاسن، أنه بلغ عبد الملك أنّ سيف رسول الله ﷺ عند عليّ بن الحسين عليه السلام فبعث يستوهبه منه ويسأله الحاجة، فأبى عليه، فكتب إليه عبد الملك يهدّده، وأنه يقطع رزقه من بيت المال، فأجابه عليه: أمّا بعد، فإنّ الله أَمَنَ للمتّقين المخرج من حيث يكرهون، والرّزق من حيث لا يحتسبون. وقال جلّ ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِبُّ كُلَّ خَوَانٍ كَفُورٍ﴾^(٣) فانظر أيّنا أولى بهذه الآية.

(١) الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٤٦٣.

(٢) أعيان الشيعة: ج ١ ص ٦٣٥.

(٣) سورة الحجّ: الآية ٣٨.

وجاء في «وفاء الوفا» قال: «أحدث إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة في سلطان هشام بن عبد الملك، وهو يومئذٍ وال له على المدينة داراً، أخذ بها سوق المدينة، وسدّ بها وجوه الدور والشوارع في السوق، وكتب إلى هشام يذكر له عليها وعظيم قدرها، فكتب إليه هشام يأمره بإمضائها وإمضاء عين السوق، وكان أحدثها في سكك أهل المدينة، ودخلت في بعض منازلهم، فكتب إليه أن أمضها وإن كانت في بطونهم».

أقول: هكذا كان الأمويون يقمعون الشعوب، ويصادرون حرياتهم وممتلكاتهم إذا تعارضت مع مصالحهم، فإنهم اتّخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، وحسبك من ذلك العبارة المشهورة عن خلفائهم: إنّ سواد العراق بستانٌ لقريش.

وقال السهمودي: قال ابن زبالة: فمضى بها رأى بالدار، حتّى سدّ بها وجه دار العبّاس. وعدّد هو دوراً لبعض الصحابة فسدّها؛ ونقل أيضاً في ذلك: والذي هاج هشام بن عبد الملك على بناء داره؛ لأنّ والي المدينة خال هشام بن عبد الملك، ولأنّ معاوية بن أبي سفيان بنى دارين بسوق المدينة. وقال بعد ذلك: إنّ هشام بن عبد الملك بناها وأخذ بها السوق كلّها.^(١)

وقال السهمودي نقلاً عن ابن زبالة، قال: فبينما الناس لا يدرون بموت هشام إلى أن جاء ابن المكرم الثقفي من الشام يريد بموته، رسولاً للوليد بن يزيد ويبيشرهم بالعطاء، فصاح حيث دخل الثنية: ألا إنّ هشاماً الأحول قد مات، فوثب الناس على الدار فهدموها، وعلى عين السوق فقطعوها.^(٢)

ويعلق الشيخ عبد العزيز المدني على هذه الإجراءات التعسّفية قائلاً: ومما

(١) وفاء الوفا: ج ١، ص ٧٤٩ - ٧٥٠.

يقول عبدالله العلاتلي في كتاب «الإمام الحسين» صفحة ٢٧: يتمادى بنا الظنّ إلى أنّ المروائيتين فكّروا بصرف الناس عن المقدّسات الإسلاميّة؛ التي تنزل من الإسلام منزلة الشعيرة بإنشاء المسجد الأموي بأبتهته العظيمة في دمشق.

(٢) وفاء الوفا: ج ١، ص ٧٥٢.

يلفت نظر المرء ويجعله يدقق في الأمور جيداً، هو ما يظهر من أن حرص بني أمية على هذه الأفعال، إنما هو للفت أنظار المسلمين عن مآثر الرسول ﷺ، وآثاره المباركة، وكذلك التعدي على حق الرعية والإسلام، وصرف الأنظار عن مدينته الطيبة وعاصمة الإسلام، ولحمل المسلمين على التوجه بهم إلى عاصمتهم الأموية الشام، لتوكيز الدولة الأموية على حساب الدولة الإسلامية، كفعل إيرهة الأشرم الذي حاول صرف الناس عن بيت الله الحرام في مكة جبراً؛ ليحج إلى كنيسته التي بناها في اليمن^(١).

وفي تاريخ المدينة الشامل: إن إبراهيم بن هشام تولى إمارة المدينة... فاستغل منصبه في تملك بعض الأراضي في المدينة شمالاً وجنوباً، واستعمل فيها العبيد والموالي، وزرعها واستثمرها^(٢).

الانحراف الأموي في المجال الاقتصادي

لقد تصرف الحكام بالأموال العامة، وكأنها ثروات شخصية لهم، فكانوا ينفقونها حسب رغباتهم وأهوائهم على ملذاتهم وشهواتهم، وكان للجواري والمغنيين نصيب كبير في بيت المال، وكان الحكام يعيشون قمة الترف والبذخ، ويبدون أموال المسلمين، والثروة الوطنية على شهواتهم ولهوهم، وعلى المقرئين لهم، في وقت كان كثير من الشعب يعيشون تحت خط الفقر، ويعانون من الحرمان، وازداد التمييز الطبقي حينما عطل مبدأ التكافل الاجتماعي.

لم تكن لمعاوية سياسة اقتصادية في المال حسب المعنى المتداول، فشاع الحرمان الاقتصادي، ولم ينفق معاوية على أهل يثرب أي شيء من المال؛ لأن فيهم كثيراً من الشخصيات المعارضة للأسرة الأموية والطامعة في الحكم. كان من الأسر التي تحقد على الأمويين: أسرة الزبير، وأبي بكر، وأسرة

(١) التاريخ الأمين لمدينة سيد المرسلين: ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٢) التاريخ الشامل: ج ١ ص ٤١٣.

عمر، وهذه الأسر كانت حاقدة على الأمويين، وتتآمر عليهم، وتعمل جاهدة في وضح النهار، وفي غلس الليل على الإطاحة بالحكم الأموي^(١).
يقول المؤرخون: إنَّ معاوية أجبرهم - أي الأسر السابقة - على بيع أملاكهم فاشتراها بأبخس الأثمان^(٢).

وقد أرسل قيماً لأملاكه لتحصيل وارداتها، فمنعوه عنها وقابلوا حاكمهم عثمان بن محمد؛ وقالوا له: إنَّ هذه الأموال لنا كلّها، وأنَّ معاوية آثر علينا في عطائنا، ولم يعطنا درهماً حتّى مضى الزمان ونالتنا المجاعة^(٣)، فاشتراها بجزء من مائة من ثمنها، فردَّ عليهم حاكم المدينة بأقصى القول وأمره^(٤).

وليست بعيدة عن الأذهان قصّة فذك والعوالي، وهي أعرف من أن تُعرف؛ سيّست قضية فذك، حيث صار بعض خلفاء بني أميّة يردّها، ويأتي بعده آخر يمنعها، وثالث يسلمها لبني هاشم، ورابع يسلبها منهم، وبضع نخیلات لأرامل من بني هاشم كنّ يقتتن منها، فقطعت، حتّى مسّ بيوت بني هاشم الفقر، فالعويّات كنّ يتناوبن على عبادة واحدة يلبسناها عند الصلاة.

أمّا استهداف المدينة في العصر الأيوبي والمملوكي كان استهدافاً للعقيدة والسياسة، وسنعرض لذلك في باب «المدينة الصامدة».

استهداف العثمانيين للمدينة

إنَّ العثمانيين كانوا يعيشون شعوراً مزدوجاً بالنسبة لمكّة والمدينة، حيث كانوا يعتقدون أن تمسّكهم بمكّة والمدينة يضمني على حكمهم صبغة القداسة،

(١) في السيرة والتاريخ: ج ٢ ص ٦٣٥. مختارات حسن المجاهد.

(٢) يقولون: التّاريخ يعيد نفسه، وهذا عين ما يمارس في أيام العثمانيين مع سكّان المدينة.

(٣) هذا عين ما حصل لشيعة المدينة، فقد مّورس عليهم الإرهاب الفكري والجسدي والتجويح حتّى اضطرّوا لبيع بيت عامر برأس خروف، وحوشاً يشتمل على عشرين داراً بمجلاد من التمر في أيام الترك.

(٤) حياة الإمام الحسن: ج ٢ ص ١٢٣ من كتاب أعلام الهداية.

ولكن الصراع النفسي الذي يحدث في نفوسهم بين إحياء القومية الطورانية، وبين الوحدة الإسلامية، جعلهم يتصرفون تصرفاً قلقاً إزاء الحرمين الشريفين، فقد عمل السلطان الأشرف قايتباي على عمارة المسجد النبوي الشريف ووسّعه عام ٨٧٩ هجري، وتمّت توسعة أخرى أيضاً أيام السلطان عبد الحميد عام ١٢٥٥ - ١٢٧٧ هجري، ومدّوا سكة حديد الحجاز إلى المدينة، وأنشأت بعض الأوقاف في مصر والأناضول، والبلقان على سكاّن الحرمين، وأسست المدارس والمكتبات.

والسلطان سليم هو أوّل من ربّ صدقة الحبّ لأهل الحرمين، ففي سنة ٩٢٤ هجري وصل من السويس إلى جدة سفن تحمل سبعة آلاف أردب من القمح جهّزها «خايز بك» نائب السلطان بمصر، منها ألفي أردب لأهل المدينة^(١) والخمسة الباقية لأهل مكة، وأخذ سلاطين آل عثمان يزيدون هذه الصدقات كلّما تولّى سلطان جديد، حتّى وصلت إلى اثني عشر ألف أردب لمكة، وثمانية آلاف لأهل المدينة^(٢).

استهداف المدينة في العصر الحديث^(٣)

يقول الجبرتي في تأريخه عن يوم ١٥ رجب ١٢٢٠ هجري «٩ أكتوبر / ١٨٠٥م»: إنّ سعود الكبير استولى على المدينة، وأخذ تلك الذخائر، فيقال أنّه عبّى «سحاحير» من الجواهر المحلّة بالألماس والياقوت العظيمة القدر، ومن

(١) فكان الإقطاعيون يحرمون النخليين من هذا الاستحقاق، ومن دخول جنازهم في المسجد النبوي للصلاة عليها، وشهادتهم على السنّي غير مقبولة وشهادة السنّي عليهم مقبولة، وحرمانهم من التوظيف في المناصب الدبلوماسية، وعدم الترقي في المناصب العسكرية، وحرمانهم من الوصول إلى رئاسة الأقسام ومديرية الإدارات، إلّا من يفلت من هذه القبضة الحديدية، وكلّ هذا يُمارس في وضع النهار حتّى هذه الساعة، علماً بأنهم الأخلص للوطن، والأجدر بالعمل، والأكثر حباً وولاءً للقيادة.

(٢) أعلام الحجاز، لمحمّد علي مغربي: ج ٤، ص ٢٠٤.

(٣) لمّل تسمية القرن الثالث عشر - ونحن في الخامس عشر - بالعصر الحديث فيها شيء من التسامح التعبيري.

ذلك أربعة شمعدانات من الزمرد، وبَدَل الشمعة قطعة ألماس مستطيلة يضيء نورها في الظلام، ونحو مائة سيف قرابتها ملبسة بالذهب الخالص، ونزل عليها ألماس وياقوت، ونصاها من الزمرد واليشم ونحو ذلك، وسلاحها من الحديد الموصوف، وكل سيف منها لا قيمة له (أي لا يُقدَّر بثمن)، وعليها دمغات بإسم الملوك والخلفاء السالفين وغير ذلك.

وذكر البرزنجي حادثة اعتداء على القبة والحجرة الشريفة: إن جماعة من العُصاة الذين عدوا على الحجرة الشريفة، والقبة التي كانت بصحن المسجد، ونهبوا جميع ذلك، منهم جمار بن هبة بن جمار بن منصور الحسيني^(١) أمير المدينة المنورة، حين ورد الأمر بتولية ثابت بن نفيّر سنة إحدى عشرة وثمانمائة ولم يصل الخبر بذلك إلا بعد وفاة ثابت، فأظهر جمار الخلاف، والعصيان، وجمع جموعاً من المفسدين، وأباح نهب بعض بيوت المدينة، ثم دخل المسجد، وكسر باب القبة التي كانت بصحن المسجد، وأخذ جميع ما فيها من قناديل الذهب والفضة، بلغت زنتها - على ما ذكره العلامة ناصر الدين المراغي في قائمة بخطه، ونقله عنه تلميذه العلامة الشريف السهودي في «وفاء الوفاء» - سبعة وعشرين

(١) انفرد بهذه الرواية ولم يروها غيره من المؤرخين، وهي أيضاً تتعارض مع السيرة الذاتية للأمير جمار، والبرزنجي معروف بتعامله على الشيعة وبني هاشم، وهذان البيتان أكبر دليل على ذلك:

لم يحترق حرم الرسول لحادثٍ	يخشى عليه وما به من عار
لكنما أبدي الروافض لامست	تلك الرسوم تطهّرت بالنار

ووجد أيضاً على جدار المسجد النبوي هذين البيتين:

قل للروافض بالمدينة ما بكم	لقيا دكم للذمّ كلّ سفية
ما أصبح الحرم الشريف محرّقا	إلا لسبّكم الصحابة فيه

وقد علّق على هذه الأبيات محقق الكتاب الأستاذ أحمد سعيد بن سلم: فذكر أن الشريف السهودي - رحمه الله تعالى - سبباً للحريق المذكور، وذلك أن الاستيلاء على المسجد الشريف كان للروافض، وأسأوا الأدب، قال: ولذا وجد على بعض جدران المسجد النبوي عقب الحريق الأوّل (ص ٦٥، وقال في هامش صفحة ٦٦) هذه الرواية أقرب ما تكون إلى الخرافة، ولا يمكن أن نربطها بحدث تاريخي كهذا، فضلاً عن أن تكون حجة، وسبباً قوياً. كتاب: نزّهة الناظرين، ص ٦٥ - ٦٦.

قنطاراً عدا الصناديق، وما كان فيها من قناديل الذهب، ونحوها...

إلى أن يقول: ومنهم الأمير عزيز بن هيازع بن هبة الحسيني الجمازي، أخذ جانباً ممّا في القبة المذكورة في سنة أربع وعشرين وثمانمائة زاعماً أنّه على سبيل القرض، وامتنح بعض قضاة المدينة بسبب ذلك، ثمّ حمل إلى القاهرة ومات بها مسجوناً، ومنهم برغوث بن بتير بن جريس الحسيني، ودبوس بن سعد الحسيني الطفيلي عدياً على الحجرة الشريفة ليلة السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ستين وثمانمائة، وتسوّروا جدار المسجد... ثمّ يستطرد ويقول: إنهم رفعوا جميعاً إلى مصر، إلّا ما تجدد في آخر سنة إحدى وثمانين وثمانمائة إلى آخر سنة أربع وثمانين، حتّى صرفوه في صالح المسجد والمدينة...

ويقول البرزنجي في موضع آخر من كتابه النزهة: إنّ سعود الكبير أخذ جميع ما اجتمع في الحجرة الشريفة من قناديل الذهب والفضة والمباخر، والقماقم والجواهر الثمينة، واللؤلؤ ونحو ذلك الواردة من الملوك والسلاطين، وغيرهم على تعاقب السنين... وأنّه كسر من القناديل شيئاً كثيراً، وفرّقها على جماعته المرابطين... في سبيل الشيطان في القلعة وأبراج الأسوار وغيرها، وأعطى منها لبعض أهل المدينة من الذوات المشخّصة، وإنّما قبلوه خوفاً منه وسكّ الباقي مشاخص، سكّها له رجل من المدينة يسمّى أحمد حبيب، وكان صائغاً، وقد أجبره على ذلك، وكانت تلك المشاخص لا تفرق عن المشاخص الأصلية، وكانت تصرف بالحجاز^(١).

وليس من المستغرب أن تتعرّض الحجرة الشريفة للنهب، والمذخرات الثمينة للسلب، فقد سنّ ذلك الأمويّون الذين نهبوا صوافي النبي ﷺ ونهبوا نحلة الزهراء ﷺ فدك والعوالي، ونهب العثمانيّون كثيراً من مقتنيات الحجرة الشريفة، وباع أحمد عبد الغفور عطار - كما سمعنا - قطعة ثمينة من مذخرات الحجرة الشريفة على المتحف الألماني.

المدينة في عهد الملك فهد

زار جلالة المغفور له الملك فهد بن عبد العزيز المدينة المنورة عام ١٤٠٣ هجري (أكتوبر ١٩٨٢م) وأمر بتوسعة مسجد الرسول ﷺ توسعة كبرى، وفي يوم الجمعة التاسع من شهر صفر عام ١٤٠٥ هجري (٢ نوفمبر عام ١٩٨٤م) وضع حجر الأساس لمشروع التوسعة، وسبقته الزيارة الأولى في ١٤ / ١ / ١٤٠٣ هجري، ونفذ نفق المناخة عام ١٤٠٣ هجري، وافتتحت مكتبة الملك عبد العزيز في ١٦ / ١ / ١٤٠٣ هجري، وافتتح الملك فهد التوسعة اللاحقة في ٢ / ٢ / ١٤٠٩ هجري.

تطوير المنطقة المركزية

أصدر الأمر السامي الكريم رقم ٢٠١٠١٠٢ بتاريخ ٢٧ / ١٢ / ١٤١٠ هجري، وتكوّنت لجنة تنفيذية لمتابعة أعمال تطوير المدينة برئاسة خادم الحرمين الشريفين، غير أنّ عمليّات التوسعة والتنمية قضت على كثير من المعالم الأثرية والأنماط المعماريّة التقليديّة للمدينة مثل الأحوشة والأزقة والسقائف، لكنّها أضحت كأجمل المدن العالميّة.

سمعنا أنّ جلالة الملك عبدالله بن عبد العزيز - حفظه الله - ينوي أن يجعل محطة القطار بالمدينة متحفاً؛ فيشتري ما هو موجود من مدّخرات الحجرة الشريفة التي هي في المتاحف في بعض دول العالم، ويُعاد إلى المدينة، فإنّ ذلك سيكون رافداً ومصدراً آخر من مصادر الدخل الوطني، فتنوّع مصادر الدخل، ويؤمّن المستقبل الاقتصادي للوطن.

وممّا يستفاد منه اقتصادياً مثلاً: الآبار المأثورة مثل: بئر أريس، والغرس، والبصة، وبئر الخاتم، وتُقام بجوارها حمّامات، وبرك للاغتسال بمائها ويتداوى به كما كان سابقاً وكان كثير من سكّان المدينة إذا أُصيب أحدهم بالحصى، أو البهق، أو الجرب، اغتسل بدلو، أو دلوين بماء بئر حاء، أو البصة، أو عملت له نشرة فيُشفى بإذن الله.

المدينة الصامدة

«مَنْ أَهَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَقَدْ أَهَافَ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ»

الرسول الأعظم ﷺ

تمهيد

إِنَّ الْمَدِينَةَ مَأْزَرَ الْإِيمَانِ وَمَصْدَرُ الْإِشْعَاعِ، وَأَنْ أَهْلَهَا كَرِهُوا الَّذِينَ خَرَجُوا فِي سِيرَتِهِمْ عَنْ خَطِّ الْإِسْلَامِ الْأَصِيلِ، وَسَلَكُوا خَطَّ الْقَيْصَرِيَّةِ وَالْكَسْرِيَّةِ، وَجَعَلُوا الْخِلَافَةَ مَلَكاً عَضُوضاً.

عَزَّ ذَلِكَ عَلَى آلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى أَنْصَارِهِ، فَعَارِضُوا مَا وَسَعَتْهُمْ الْمَعَارِضَةُ؛ تَارَةً بِاللِّسَانِ، وَأُخْرَى بِالسَّانِ، حَتَّى انْتَشَرَتْ فِكْرَةُ عَدَمِ صِلَاةِ بَنِي أُمَيَّةَ لِحُكْمِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ سَابِقَةٌ فِي الْإِسْلَامِ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ كَانُوا يَنَاهِضُونَ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ، إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ، وَلَمْ يَسْلَمْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَرُونَ أَنَّهُمْ غَاصِبُونَ لِلْخِلَافَةِ^(١).

«لَمْ تَكُنِ الْمَدِينَةُ وَلَمْ يَكُنِ الْأَنْصَارُ مِنْ هَوَى مُعَاوِيَةَ، وَقَدْ أَغْمَدُوا سِوْفَهُمْ بَعْدَ مَقْتَلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَانْتَقَالَ الْخِلَافَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَلَكِنْ يَظْهَرُ أَنَّهُمْ لَمْ يَغْمَدُوا أَلْسِنَتَهُمْ»^(٢)، فَكَانَتِ الْمَدِينَةُ مَرْكَزَ الْمَعَارِضَةِ لِلْأُمَوِيِّينَ.

وَكَانَ الْأُمَوِيُّونَ، وَكُلُّ ذِي هَوَى أُمَوِيٍّ يَبْغِضُونَ الْأَنْصَارَ إِلَى السَّاعَةِ، وَحَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ - كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ الْعَلَاثِلِيُّ - وَكُلُّ ذَنْبِهِمْ أَنَّهُمْ آوَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَنَصَرُوهُ، وَقَرِيشاً طَرَدْتَهُ، وَرَفُضْتَ دَعْوَتَهُ، وَتَأَمَّرَتْ عَلَى قَتْلِهِ.

يَقُولُ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: قَدِمَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى مَكَّةَ حَاجّاً سَنَةَ ٨٢ هَجْرِي، فَأَمَرَ أَبَانَ بْنَ عَثْمَانَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ سِيرَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَغَازِيهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانَ:

(١) الفتنه الكبرى لطله حسين .

(٢) الشعر والغناء في المدينة ومكة : ص ٢٨ .

هي عندي، قد أخذتها ممن أثق به. فأمر سليمان عشرة من الكتاب بنسخها، فكتبوها في رق، فلما صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر للأنصار في العقبين وفي بدر، فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، فإما أن يكون أهل بيتي غمضوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا. والحديث طويل.

وينقل صائب عبد الحميد عن المدائني عن ابن شهاب: إن خالد القسري أمره بأن يكتب له السيرة، فقال ابن شهاب للقسري: إنه يمرّ بي شيء من سيرة عليّ ابن أبي طالب، فأذكره؟ قال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم.

إنّ الأمويين يحملون الكتاب والمؤرخين على تحريف التراث، وتزييف الحقائق للغضّ والطعن في خصومهم، فهم انتقائيون يرفضون الروايات والأحاديث الصحيحة، ما دامت على خلاف مشتهياتهم ومخططاتهم، ويستقنون من الأحاديث والأخبار ما يوافق توجهاتهم فقط، ويوجهون الكتاب والمحدثين للطعن ويجيزون الكذب على خصومهم^(١).

فقد شكّل معاوية لجنة رباعية للقيام بهذه المهمة للكذب على الإمام عليّ عليه السلام وأهل بيته، واتخذوا أساليب متعدّدة لتحريف الحقائق مثل: الطعن في السند، الترجيح بلا مرجّح، التحريف للنصوص والأخبار، التفسير المغلوط، والحذف والتحوير عند النقل، والبتّر من النصوص على قدر الحاجة.

الانحراف السياسي عند الأمويين

أولاً: يقول العلّائي: إنّ الحزب الأموي أخطر حزب استطاع أن يحرك الجماهير ويسيطر على حركة الشارع، فأحدث فيهم الاضطراب والغليان، وأهدافه كانت من أخطر الأهداف، وهي تتناول الوضع السياسي والاجتماعي من كلّ الأبعاد، وأهمّ نظريّاته حصر السلطات العليا في أسرته، وهذا عين الاستبداد والتسلّط، والحكم العشائري، وتقرير مبدأ الملكية المستبدّة في السلطة، ونظام

(١) تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي نقلًا عن الأغاني: ج ٢٢ ص ٢١، أخبار خالد ابن عبد الله القسري.

الوراثة، وتسليط العنصر العربي على الشعوب، وفرض العرب طبقة أرستقراطية، وفرض نظام إداري مقتبس من النظم الأجنبية؛ فهذا فرض نظام إصلاحي من الخارج بعيداً عن موروثات الأمة، فهي غير مشتقة من طبيعة الحياة العربية والتشريع الإسلامي الجديد... فإن الأمة، أي ساستها وموجهوها إذا انسلخوا من أصولهم، وانقلعوا من جذورهم، وتعرّوا من مواريتهم، فإنهم حتماً يصيرون إلى بلبله لا تستقرّ، واضطراب لا ينتهي.

فهم حوَّروا نظام المال إلى ما يؤيّد سلطتهم عليه وإطلاق أيديهم فيه، فلا شفافية، ولا محاسبة دقيقة على المال والثروة الوطنية، وفرضوا نظام الإقطاع، وعمّموا الطبقيّة التي حاربها الإسلام الذي ساوى بين السادة والعبيد، وبارك الديمقراطية في بعض آلياتها وأجندتها التي تكرّس للعدالة، وتشجيع المساواة، وحاولوا القضاء على الطبقة الدينيّة، وحاربوا التعدّدية، ومنعوا التعايش، وقبول الآخر، وكرّسوا لأحادية المنهج والتفكير، وكان حربهم للطبقة الدينيّة المرموقة التي ساهمت في بناء الشريعة؛ لأنّها كانت تحوّل بينهم وبين أغراضهم، وقاموا بتسميم المعنوية الجديدة التي خلقتها الديانة الجديدة، وتشجيع المجون، والحياة اللاهية بكل أشكالها^(١).

ثانياً: اتّبع الحكّام الأمويون سياسة تحويل الخلافة إلى ملك يتوارثونه، فكان عبد الملك ينكّل بالمعارضين لسياسته؛ وقد حاول بعض الصحابة أن يغيّروا موقفه وأن يحملوه على فرض العطاءات لأهل المدينة^(٢)، وأمر أحد حاشيته أن يخطب ويذمّ أهل المدينة واتّهمهم بأنهم أهل الخلاف، واتّبع أبناؤه الوليد وسليمان سياسة أبيهم، والتزموا بوصيته في قتل الرافضين للبيعة، والتي جاء فيها: أدع الناس إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا^(٣). وكان نصيب المدينة

(١) كتاب الإمام الحسين للعلاني: ص ٢٤٢ - ٢٤٣ بتصرّف.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ١٣١.

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٧٨.

وحظّها الأوفر من هذا القهر والقمع ومصادرة الحرية.

وحين تولّى عمر بن عبد العزيز الحكم حدث انفراج نسبي في السياسة الأمويّة، وقام ببعض الإصلاحات ومنح الحرية النسبيّة للمعارضين، وألغى بدعة سبّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وردّ إلى أهل البيت عليهم السلام بعض حقوقهم، واعترف بالممارسات الخاطئة لأسلافه من الحكّام، حتّى امتدحه الإمام الباقر عليه السلام على ذلك^(١).

العصبية القبليّة

أحيى معاوية العصبيّات القبليّة، وقد ظهرت في الشعر العربي صورة مريّة ومؤلمة من ألوان الصراع الذي كانت السلطة الأمويّة تختلقه لإشغال الناس عن التدخّل في الشؤون السياسيّة؛ وقال المؤرّخون: إنّ معاوية عمد إلى إثارة الأحقاد القديمة بين الأوس والخزرج؛ محاولاً بذلك التقليل من أهمّيتهم، وإسقاط مكانتهم أمام العالم العربي والإسلامي، كما في الحوار الذي جرى بين معاوية وعمر بن العاص، في محاولة إلغاء لقب «الأنصار»^(٢) عنهم، وتحريضه كثيراً من الشعراء لهجاء الأنصار والإيقاع في أعراضهم، فأبوا عليه ذلك لمكانتهم في الإسلام، ولم يجبه إلى طلبه إلّا الشاعر النصراني «الأخطل» الذي قال في هجائهم:

ذهبت قريش بالسماحة والندی واللؤم تحت عمائم الأنصار^(٣)
صار المجتمع الإسلامي عُشّاً تفرخ فيه الأحزاب، وتنشأ فيه التكتلات، فنشأ حزب الشعب، وحزب عليّ عليه السلام أو الحزب المحافظ، والحزب الشعبي، وحزب أهل المدينة، وحزب طلحة والزبير، وحزب أبناء عمر بن الخطّاب، والحزب الأموي المنشقّ^(٤).

(١) البداية والنهاية: ج ٩ ص ١٦١.

(٢) كتاب: أهل الدار والإيمان: ص ٦٤.

(٣) ديوان الأخطل: ص ٧.

(٤) الإمام الحسين: ص ٢٤٨ - ٢٥٣.

انتشار الظلم وفقدان الأمن

قام الحكم الأموي على أساس الظلم والقهر والعدوان والتصفيات الجسدية وتغييب النخب، وتحجيم المناضلين وقياداتهم، فمُنذ أن برز معاوية وزمرته كقوة في العالم الإسلامي برز وهو باغ على خليفة المسلمين وإمام الأمة بعد رسول الله ﷺ، وأسرف في ممارساته الظالمة التي جلبت الويل للأمة، فقد سفك الدماء واستعمل شرار الخلق لإدارة الأمور يوم تفرّد بالحكم، بل وقبل أن يتسلّط على الأمة كانت كلّ العناصر الموالية له تشيع الخوف والقتل، حتّى قال الناس في ولاية زياد بن أبيه: «أنج سعد، فقد هلك سعيد»^(١)

ومن جانب آخر أمعنت السلطة الأموية في احتقار فئات وقطاعات كبيرة من الأمة بنظرة استعلائية قبلية^(٢)، كما مارس معاوية في سياسته التي ورثها يزيد أنواع الفتك والتعذيب والتهجير للمسلمين وخاصة من عرف منهم بولائه لأهل البيت ﷺ، وشوّه القيم الإسلامية، ومحا ذكر أهل البيت، فغيّر الصورة الصحيحة للرسالة الإسلامية، والتركيب الاجتماعي للمجتمع المسلم. فأشاعوا الفِرقة بين المسلمين، والتمييز بين العرب وغيرهم، وبثّ روح التناحر القبلي، والعمل على تقريب قبيلة دون أخرى. سياسة «فرّق تسد» فشجّعوا على تأجيج روح الصراع القبلي والقطري والعنصري والعِرقي والأيدلوجي.

وكان الأمويون لا يولّون على المدينة إلّا أغلظ الناس أكباداً، وأوحشهم سلوكاً، وما يزورها خليفة منهم إلّا يغلظ لأهلها في القول، ويقيم الخطباء الذين يصنعون صنيعته^(٣).

فاختار معاوية رجلاً جلدأً صليباً قاسي القلب غليظ الكبد جافي الطبع من قريش، هو بسر بن أرطاة، فأمره أن يختار الجند على عينيه، ففعل، ثمّ توجّه إلى

(١) الطبري: ج ٧ ص ٣١٩، وابن عساكر: ج ٣ ص ٢٢٢، والاستيعاب: ج ١ ص ٦٠، وابن كثير: ج ٧ ص ٣١٩.

(٢) العقد الفريد: ج ٢ ص ٢٥٨، وطبقات ابن سعد: ج ٦ ص ١٧٥، ونهاية الأرب: ج ٦ ص ٨٦.

(٣) الفتنة الكبرى لطف حسين.

بلاد العرب، وأوصاه أن يقسوا على أهل البادية من شيعة عليّ عليه السلام حتّى يملأ قلوبهم ذعراً، وأن يأتي المدينة فيهرب أهلها حتّى يروا أنّه الموت، ثمّ يأتي مكّة فيرفق بأهلها ولا يروّعهم^(١).

وقد روي أنّ مروان بن الحكم خطب الناس، فذكر مكّة وأهلها وحرمتها، ولم يذكر المدينة وأهلها وحرمتها، فناداه رافع بن خديج، فقال: ما لي أسمعك ذكرت مكّة وأهلها وحرمتها، ولم تذكر المدينة وأهلها وحرمتها، وقد حرّم رسول الله صلى الله عليه وآله ما بين لابتيها، وذلك عندنا في أديم خولاني، إن شئت أقرأتك، قال: فسكت مروان، ثمّ قال: قد سمعت بعض ذلك^(٢).

كان الأمويّون ينظرون إلى المدينة نظرة خوف وحذر؛ لأنّهم يعلمون أنّها لم تكن يوماً في صفّ معاوية، أو من بعده من الأمويّين، فقد اتّحد موقف المهاجرين والأنصار الذين لم يخرجوا من المدينة على بيعة عليّ عليه السلام^(٣).

سير معاوية بن أبي سفيان جيشاً إلى المدينة، قوامه ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة بسر بن أرطاة، فقدم الجيش إلى المدينة ودخلها، فلمّا استقرّ الأمر ببسر أمر مناديه أن ينادي في أهل المدينة بالصلاة جامعة، فتحادر الناس إلى المسجد النبوي، فصعد بسر بن أرطاة المنبر، ونعى عثمان بن عفّان، ودعا للأخذ بثأره، وقال: يا أهل المدينة لولا ما عهد إليّ معاوية ما تركت بها محتملاً إلّا قتلته، ثمّ طلب منهم البيعة لمعاوية، وأرسل إلى بني سلمة يقول لهم: والله ما لكم عندي من أمان ولا مبايعة حتّى تأتونني بجابر بن عبد الله، فأخبر جابراً، فذهب جابر إلى أمّ المؤمنين أمّ سلمة واستشارها في الأمر...

وانتقل بسر إلى دار الإمارة التي كان فيها أبو أيّوب الأنصاري، ثمّ أخذ يتتبّع من بقي فيها ممّن شارك في الثورة على عثمان، حتّى قبض على عدد كبير من أهل المدينة، وقتلهم بعد أن أعطاهم الأمان غداً بهم، وهدم دور من فرّ منهم،

(١) الفتنة الكبرى، عليّ وبنوه: ص ١٣٧.

(٢) معالم دار الهجرة: ص ٣٤.

(٣) التاريخ الشامل: ج ١ ص ٤٤٥.

أو كان خارج المدينة ممن لحق بالإمام عليّ عليه السلام، فخاف الناس منهم، وأصابهم هلعٌ شديد، وذعرٌ رهيب، وقد فرّ بعضهم من المدينة خوفاً على حياته، وخوفاً أن يفترى عليهم، ويتّهموا ظلماً بمشايعة قتل عثمان ويقتلوا^(١).

اجتمع الأنصار في مسجد بني ظفر، فرآهم ثابت بن قيس بن الحطيم بن عدي بن الخزرج عند رجوعه من المدائن إلى داره، بعد أن كان والياً عليها من قبل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وجدّهم مجتمعين يريدون أن يكتبوا إلى معاوية في حقوقهم من أول ما استخلف، وذلك أنه حبس حقّهم سنتين أو ثلاثاً فلم يعطهم شيئاً، فقال: ما هذا؟ فقالوا: نريد أن نكتب إلى معاوية، فقال: ما تصنعون أن يكتب إليه جماعة! يكتب إليه رجل مثا، فإن كانت كائنة برجل منكم، فهو خيرٌ من أن تقع بكم جميعاً وتقع أسماؤكم عنده؛ فقالوا: فمن ذاك الذي يبذل نفسه لنا؟ قال: أنا، فقالوا: فشأنك، فكتب إليه وبدأ بنفسه فذكر أشياء فيها: نصرة النبي ﷺ وغير ذلك. وقال: حبست حقوقنا، واعتديت علينا، وظلمتنا، وما لنا إليك ذنبٌ إلّا نصرنا للنبي ﷺ، فكان من نتيجة الكتاب أن ردّ معاوية حقوقهم^(٢).

وبعد وقعة الحرة نصب كرسيّ لمسلم بن عقبة، وجيء بالأُسرى من أهل المدينة، فكان يطلب من كلّ واحدٍ منهم أن يبايع ويقول: إئتني عبدٌ مملوك ليزيد بن معاوية يحكم فيّ وفي دمي وفي مالي وفي أهلي ما يشاء. وكلّ من كان يمتنع ولم يُبايع بالعبودية ليزيد، وكان يصرّ على القول بأنّه عبد الله سبحانه وتعالى كان مصيره القتل^(٣)، وجيء له بيزيد بن عبد الله - جدّته أمّ سلمة زوج النبي ﷺ - مع محمّد بن حذيفة العدوي، فطلب إليهما أن يبايعا، فقالا: نحن نبايع على كتاب الله وسنة نبيّه، فقال مسلم: لا والله لا أقبلكم هذا أبداً، فقدّمهما، فضرب أعناقهما.

ورواية أخرى هي: بعد أن انهزم جيش الثوّار.. أمر مسلم بن عقبة جنوده بالتجوّل، والتفتيش عن الذين أمر يزيد باعتقالهم من أهل المدينة، ممّن اعتبرهم

(١) وفاء الوفا: ج ١ ص ٤٦.

(٢) أعيان الشيعة، المجلّد الرابع: ص ١٦، نقلًا عن ابن عساكر في «تاريخ دمشق».

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٤ ص ١١٨، و مروج الذهب: ج ٣ ص ٧٠.

الرؤوس المدبّرة والعناصر المحرّكة للثورة، وذهب بنفسه إلى قبا معقل الثوّار، فأعطى الناس الأمان، وطلب منهم الحضور لأخذ البيعة على أنّهم عبيد ليزيد بن معاوية يحكم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم ما يشاء، وأظهر قسوة شديدة، ولم يقبل ممّن استدعاهم المبايعة على كتاب الله وسنّته، أو سيرة الشيخين، بل البيعة على أنّهم عبيد ليزيد بن معاوية، وحيء برجلين من قریش هما: يزيد بن عبد الله بن زعّة، ومحمّد بن أبي الجهم، فقال لهما: بايعا على أنّكما أعبد ليزيد. فقال القرشيّان: نبايعك على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، فقال مسلم: لا والله لا أقبلكم هذه أبداً، وأمر بضرب أعناقهما^(١).

وقتل يزيد بن وهب؛ لأنّه قال: أبايع على سنّة عمر، وعندما هدّده بالموت إلّا أن يبايع بأنّه عبدٌ ليزيد، مع ذلك لم يقبل منه فقتله. فقد قتل آلافاً من أهل المدينة، غير الذين قتلوا في جبهة القتال، ودعي بصديقه القديم معقل بن سنان، وكان معقل أحد القادة المدافعين عن المدينة، وقد نجا من القتل، فجاؤوا به، فأظهر له الودّ، وأمر أن يُسقى عسلاً بالثلج، فلمّا شرب معقل واطمأنت نفسه، وظنّ أنّه سينجو من القتل، قال له مسلم: أما والله لا تشرب بعدها شراباً، حتّى تشرب من شراب الحميم، فقال له معقل بن سنان: أنشدك الله والرحم، فلم يصغ له؛ وذكره بحديثه معه في الشام، عندما وفد على يزيد، وخرج من عنده متوعداً بخلع البيعة، ثمّ أمر به فقتل^(٢). وقد أوغل مسلم في جريمته هذه، حتّى قتل الكثير ممّن قدر عليهم من قادة المعارضة وأبطال الثورة، وعفى عمّن أعطى البيعة ليزيد بالعبوديّة.

صعد عبد الملك بن مروان منبر المدينة، فقال مخاطباً أهل المدينة، ومهدداً لهم: ألا وإنّي لا أداري أمر هذه الأمّة، إلّا بالسيف، حتّى تستقيم قناتكم، وإنّكم تحفظون أعمال المهاجرين الأوّلين ولا تعملون مثل أعمالهم، وإنّكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم، والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا

(١) الطبري: ج ٥ ص ٤٩٢.

(٢) الطبري: ج ٥ ص ٤٩٢.

موقف آخر مخزي لعبد الملك من أهل المدينة □ ٢٩٣
إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ^(١).

هذا هو أسلوب الأمويين مع الشعوب الإسلامية؛ قمع وقهر وإرهاب فكري ومصادرة للحريات الشخصية والحريات العامة، فأين غابت حرية الرأي وحرية المعارضة السلمية، يهدد الشعب قائلاً: والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ!

وتروي المصادر التاريخية: أَنَّ عبد الملك بن مروان حجَّ، وعرج على المدينة، وقد كان منع عطاءهم، وعندما وصل المدينة، ونزل في دار أبيه، صعد المنبر في مسجد رسول الله ﷺ وخطب الناس وتهددهم وتوعدهم، وقام بعده خطيب من حاشيته، فذمَّ أهل المدينة، واتهمهم بأنهم أهل الخلاف والخروج على الطاعة، وبأنهم يسيئون الظنَّ بالخليفة وأهل بيته، وذكرهم بما فعلوه يوم الحرَّة، وشبَّههم بالقرية التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن العظيم: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢)، فردَّ ابن عبد الله أحد التابعين من أهل المدينة على الخطيب وكذَّبه، وكاد الحرس أن يبطشوا به^(٣).

موقف آخر مخزي لعبد الملك من أهل المدينة

في إمارة هشام بن إسماعيل المخزومي في خلافة عبد الملك، شهدت المدينة قسوة الوالي على آل عليٍّ عليه السلام وآل الزبير، فقد كتب هشام أن يلعن علياً عليه السلام وعبد الله ابن الزبير على المنابر، وكان هشام ينال منهما في خطبه، فيتأذَّى الكثيرون من ذلك، وتطوَّر الأمر، فأرسل إلى هشام يأمره بأن يحمل آل الزبير على لعن عبد الله ابن الزبير وآل عليٍّ على لعن عليٍّ عليه السلام، فأرسل إليهم هشام

(١) التمدن الإسلامي: ج ٤ ص ٨٣.

(٢) سورة النحل: الآية ١١٢.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ٣٣١.

يأمرهم بذلك فرفضوا واشتدّ عليهم، فأصرّوا على رفضهم لو أدّى بهم الأمر إلى القتل، وكتبوا وصاياهم. واستمرّت القسوة عليهم إلى أن توقّى عبد الملك، وانتهت إمارة هشام.

وتروي المصادر: أنّ الوليد قد عرف من أمر هشام وقسوته على أهل المدينة، فأمر أن يوقف للناس ليستوفي كلّ صاحب مظلمة حقّه، وكان هشام يخاف من آل عليّ أن يقتصّوا منه، وبالأذات الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام لأنّه قسى عليه كثيراً، وكان يقول: لا والله ما كان أحد من الناس أهمّ إليّ من عليّ بن الحسين؛ ولكن عليّ بن الحسين عليه السلام كان مثال الرجل الزاهد العابد والمحتسب ما يلاقيه عند الله.

فعندما بلغه عزل هشام وإيقافه للناس، جمع أبناءه وحاشيته وقال لهم: إنّ هذا الرجل قد عزل، وأمر بوقفه للناس، فلا يتعرّض له أحد منكم؛ فقال له ابنه عبدالله ابن عليّ: يا أبتِ ولم؟ والله إنّ أثره عندنا لسيّء، وما كنّا نطلب إلّا مثل هذا اليوم، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: نكله إلى الله؛ فلم يعرض له أحد من آل الحسين عليه السلام. فلمّا انتهى إيقافه رأى هشام عليّ بن الحسين عليه السلام ماراً فناداه معجباً بخلقه الرفيع قائلاً: الله أعلم حيث يجعل رسالته^(١).

هذا ديدن أهل البيت النبويّ عليه السلام الخلق الرفيع، والصفح الجميل، والسموّ فوق الجراحات، لم تعرف الدنيا أناساً كأهل البيت عليه السلام، فقد جمعوا المكارم، وحازوا الفضائل، واشتملوا بالمجد من جميع أطرافه.

قال سفيان: جاء رجلٌ إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: إنّ فلاناً وقع فيك وآذاك، فقال له: فانطلق بنا إليه، فانطلق معه وهو يرى أنّه سينتصر لنفسه، فلمّا أتاه قال له: يا هذا إنّ كان ما قلته فيّ حقّاً فالله يغفر لي، وإن كان ما قلته فيّ باطلاً فالله تعالى يغفر لك^(٢).

(١) الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ٢٢٠.

(٢) كشف الغمّة: ١٩٨، صفوة الصفوة: ج ٢ ص ٥٣، نور الأبصار: ص ١٢٦.

وكان يوماً خارجاً فلقيه رجل فسبّه، فثارت إليه العبيد والموالي، فقال ﷺ لهم: مهلاً، ثم أقبل على ذلك الرجل وقال له: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل، فألقى إليه خميصة^(١) كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول ﷺ^(٢).

في عهد هشام بن عبد الملك ازداد الإرهاب الفكري واشتدّ التنكيل بأهل البيت ﷺ، وأتباعهم، وسائر المعارضين، والتجأ الكثير إلى العمل السري للإطاحة بالنظام الأموي، فشهدت المدينة شيئاً من القسوة على آل علي^(٣).

المدينة في إمارة عثمان بن حيان

عُيّن عثمان بن حيان أميراً على المدينة لتنفيذ سياسة محدّدة لم يكن عمر ابن عبد العزيز لينفّذها، فعزل عمر وتولّى مكانه عثمان لإلغاء الحرية السياسيّة النسبيّة التي تمتّع بها الشعب أيام عمر، ومطاردة كلّ من خرج من العراق هارباً من الحجاج، وبدأت الشدّة في جميع تصرّفات الأمير الجديد في الأسواق والشوارع، وفي الخصومات^(٤).

وعندما تولّى الخلافة يزيد بن عبد الملك عزل عمر بن عبد العزيز، وجعل على المدينة عبد الرحمن الضحّاك، فأعاد سياسة سلفه الأسبق عثمان بن حيان المري، فشدّد الرقابة على الهاشميين، وبثّ العيون في المجالس والأسواق، وراقب التجّار القادمين، وخاصّةً من العراقيين الذين يتطلّعون إلى آل البيت، وأظهر الجفاء لأبناء الأنصار واشتدّ عليهم. لم يظهر من أهل المدينة ما يستدعي شدّة الضحّاك، وكان الهاشميون بعد وفاة عليّ بن الحسين ﷺ منهمكين في

(١) الخميصة: كساء أسود له علمان، فإن لم يكن معلماً فليس بخميصة. من كتاب: مجموعة لعليّ محمّد علي دخیل، هامش صفحة ٢٢٦.

(٢) المصدر السابق مجموعة لعليّ محمّد علي دخیل.

(٣) التاريخ الشامل للمدينة: ج ١ ص ٣٩٠ - ٣٩١.

(٤) التاريخ الشامل: ص ٤٠٢ نقلاً عن الطبري: ج ٦ ص ٤٨٦.

دروس العلم، وفي مزارعهم، وأعمالهم الخاصّة، ولم يكن أحد يخرج عن الطاعة في شيء، ولكن ابن الضحّاك لم يغيّر سياسته في أهل المدينة، حتّى ضجّ الكثيرون منهم، وتكلّم فيه الشعراء وذمّوا شدّته^(١).

المدينة في إمارة إبراهيم بن هشام

كان إبراهيم بن هشام أميراً فيه شدّة وقسوة، ويبدو أنّ تصرّفه كان لأسباب شخصيّة، كما أنّه استفاد من منصبه في تملّك بعض الأراضي في المدينة، شمالاً وجنوباً، واستعمل فيها العبيد والموالي، وزرعها، واستثمرها^(٢).

المدينة في إمارة خالد بن عبد الملك بن الحارث

لم يكن خالد بن عبد الملك بن الحارث يختلف عن إبراهيم بن هشام في الشدّة، وقد بدأ منذ أيّامه الأولى بمراقبة أحفاد عليّ عليه السلام ليضمن ولاءهم الكامل للدولة^(٣).

إمارة الوليد بن عتبة على المدينة

تولّى الوليد بن عتبة الإمارة سنة إحدى وستين للهجرة، فأمر بالقبض على المعارضين للحكم الأموي والموالين لابن الزبير، فقبضوا على ثلاثمائة رجل وأودعهم سجن المدينة، وأخذ من يظنّ أنّهم يميلون إلى ابن الزبير، فيسوقهم إلى السجن أيضاً، فاضطرب جوّ المدينة، وساد القلق بين الناس، وخافوا أن يؤخذوا بالظنّ والشكّ^(٤).

(١) التاريخ الشامل: ج ١ ص ٤٠٧ - ٤٠٩، نقلاً عن الطبري: ج ٧ ص ١٤، ٥٧٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ج ١ ص ٤١٨، نقلاً عن الطبري.

(٤) المصدر السابق: ج ١ ص ٣٤٨.

الإحراف الأخلاقي في النظام الأموي

لقد حوّل الأمويّون الأنظار إلى الغزوات، وحشدوا جميع الطاقات البشريّة والماديّة باتّجاه الغزوات، وذلك من أجل إشغال المسلمين عن التحدّث حول الأوضاع المنحرفة، والممارسات الخاطئة، وعن التفكير في العمل السياسي أو الثوري.

وكان سليمان يسابق بين المغنّين، ويمنح السابقين الجوائز الثمينة، ويجزل العطاء للمغنّيات، ولمّا ازداد عدد المغنّين في عهده^(١) لأنّ ملوك بني أميّة وجدوا أنّ اسلوب القمع والإرهاب الفكري والتصفيات الجسديّة والتغيب والتحجيم لم ينجح في إطفاء شعلة الثورة، وإخماد الجذوة الإسلاميّة، وروح المعارضة في نفوس المدنّيين، لجأوا إلى اسلوب ماكر، اسلوب تمييع الشعب، وتذويب الشباب بإشاعة الخلاعة والمجون ينشر أسباب الترف، والغناء، فكانت المدينة أهمّ مراكز الغناء في العصر الأموي^(٢).

ومن أشهر المغنّين في المدينة: طويس، وسائب خاتر، ومعبد، وابن عائشة، ويونس الكاتب، ومالك بن أبي السمع الطائي. ومن المغنّيات، فقد كانت المدينة مكتنّزة بالمغنّيات كثرة مفرطة، ومن أشهرهنّ عزة الميلاء، وجميلة، وسلامة القس، وسلامة الزرقاء.

وغيرهم كثير وكثير جدّاً من المغنّين والمغنّيات، وكان خلفاء بني أميّة يغدقون عليهم من الأموال الطائلة والهبات الغالية، والشعب في المدينة يعاني من الفقر والجهل والمرض ما لا يوصف^(٣).

(١) الأغاني: ج ٤ ص ٢٧٢.

(٢) الشعر والغناء في المدينة ومكّة: ص ٢٦.

(٣) إنّ مروان الثاني آخر خلفاء بني أميّة سأل أحد المشتركين في ثورة قامت بالمدينة سنة ١٢٧ هجري: كيف أنّ خمور المدينة وجواربها لم تقعه عن الالتحاق بها. «موسوعة العتبات المقدّسة»، قسم المدينة.

ومن يرجع إلى أخبار المغنّين في كتاب الأغاني، يجد خلفاء الأمويّين منذ الوليد بن عبد الملك يستقبلونهم استقبلاً، لعلّه يتفوّق على استقبالهم الشعراء، إذ كانوا يجيزونهم جوائز جزيلة. ومما يروى في هذا الجانب: أن يزيد بن عبد الملك وفد عليه معبد، ومالك بن أبي السمح، وابن عائشة، فأمر لكلّ منهم بألف دينار، وقد توسّع الوليد بن يزيد في جوائز المغنّين، فيقال إنّهُ أعطى معبداً اثني عشر ألف دينار، وقد استقدم جميع مغنّي الحجاز، وأجازهم جوائز كثيرة^(١).

وصحّ عن النبي ﷺ أنّه قال: ليكوننّ في هذه الأُمّة رجلٌ يُقال له الوليد، لهو شرٌّ على هذه الأُمّة من فرعون على قومه. وقد أيّد الأوزاعي أنّه هو الوليد بن يزيد^(٢).

وقد تمادى هذا الطاغية الخليفة في الدعارة، فكان أوّل من حمل المغنّين من البلدان، وجالس الملهيين، وأظهر الشراب والملاهي والعزف، قد انتشر في عصره الفساد، وانعكف الناس على تعايطي الخمر وشربها، وكان مولعاً بها، وقد وصفها بأدقّ وصف بقوله:

وصفراء كالزعران	سباها لنا التجر من عسقلان
ترك القذاه وعرض الاثاء	ستر لها دونه مس البنان
لها حبب كلّما صفقت	تراها كلمعة برق يمانى ^(٣)

وبلغ من مجونه، أنّه أراد أن يبنى فوق البيت الحرام قبة يشرب فيها الخمر ويشرف منها على الطواف، ولكن الله حال بينه وبين ذلك، وقصم ظهره، وأخذه أخذ عزيزٍ مقتدر، فقد ظهر عليه يزيد بن الوليد مع جماعة من أهل بيته، فقتلوه واحتزّوا رأسه ونصبوه بدمشق^(٤).

(١) الشعر والغناء في مكّة والمدينة: ص ٧٦.

(٢) الكامل: ج ٥ ص ٥٧.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ج ٣ ص ١٤٧.

(٤) الأُمالي: ج ١ ص ٨٩.

ومن خلاعة هذا الماجن المستهتر، أنَّ ابن عائشة القرشي غناه بقوله :

إِنِّي رَأَيْتُ صَبِيحَةَ النُّحْرِ حُوراً نَفِينِ عَزِيمَةِ الصَّبْرِ
مِثْلَ الْكَوَاكِبِ فِي مَطَالِعِهَا عِنْدَ الْعِشَاءِ أَطْفَنَ بِالْبَدْرِ
وَخَرَجْتَ أَبْغِي الْأَجْرَ مُحْتَسِباً فَرَجَعْتَ مَوْفُوراً مِنَ الْوَزْرِ
فَطَرِبَ حَتَّى فَقَدَ صَوَابِهِ، وَالتَفَتَ إِلَى ابْنِ عَائِشَةَ قَائِلاً: أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ، يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعَدَ بِحَقِّ عَبْدِ شَمْسٍ، أَعَدَ. فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ،
بِحَقِّ أُمِّيَّةٍ أَعَدَ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، فَأَخَذَ يَتَخَطَّى آبَاءَهُ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، وَهُوَ يُقَسِّمُ
عَلَيْهِ بِهِمْ لِيُعِيدَهَا عَلَيْهِ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ مَراراً، وَهُوَ ثَمَلٌ لَا يَعْقِلُ قَدْ أَفْسَدَتِ الْخَمْرُ
عَقْلَهُ وَانْكَبَّ عَلَى ابْنِ عَائِشَةَ، فَجَعَلَ يَقْبَلُ أَطْرَافَهُ وَأَعْضَاءَهُ عَضْواً عَضْواً، حَتَّى
انْتَهَى إِلَى عَوْرَتِهِ، وَبَعْدَ صِرَاعٍ طَوِيلٍ دَامَ بَيْنَهُمَا اسْتِطَاعَ هَذَا الْخَلِيعُ - الْمَسْمُومُ بِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ، وَخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ - تَقْبِيلَ عَوْرَةِ ابْنِ عَائِشَةَ بِصُورَةٍ مُخْزِيَةٍ تَنْدِي مِنْهَا
خَجْلاً وَجْوهَ الْإِنْسَانِيَّةِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَزَعَ ثِيَابَهُ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهِ، وَبَقِيَ مَجْرُداً بِأَدْيِ الْعَوْرَةِ
حَتَّى أَتَوْهُ بِثِيَابٍ غَيْرِهَا فَلَبَسَهَا ثُمَّ مَنَحَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، وَحَمَلَهُ عَلَى بَغْلَتِهِ، وَطَلَبَ لَهُ
أَنْ يَرْكَبَهَا عَلَى بَسَاطِهِ، ثُمَّ وَدَّعَهُ قَائِلاً: تَرَكْتَنِي عَلَى أَحَرٍّ مِنْ جَمْرِ الْغَضَا.

من العقيق إلى الريفيرة الفرنسية

«إنَّ المقامرة وأنواع اللصب وإدمان شرب العرق وتعاطي المَفْذَرَات كانت

توجد في المدينة كلّها» الرحالة روطي سنة ١٨٧٨م

عمل الأمويّون على تذيب الشخصية الإسلامية للمدينة، وتمييع شبابها؛ لأنّ المدينة كانت عاصمة الإسلام، وبها بقيّة الصحابة والتابعين، وأبناء الأنصار. كانت المدينة تشكّل مركز الثقل في المعارضة الإسلامية ضدّ النظام الأمويّ التسلّطيّ القمعيّ المنحرف، فاستخدموا سلاحاً مأكراً، وهو استخدام المغنّين والمغنّيات والمختّنين والماجنين من جميع الأمصار من الروم والفرس والديلم والترك والشركس، وأغدقوا عليها الأموال من الفتوحات، فشاعت في المدينة حياة الترف، والميل إلى اللّهُو والعبث والمجون، يرى ذلك الأمويّون فيبذلون في سبيل انتشاره واتّساع رقعته حتّى شمل بعض الشيوخ والعلماء والفقهاء والزهاد، وقصّة الإمام مالك بن أنس ليست بعيدة عن الأذهان.

استهدف الأمويّون المدينة، ورعى ذلك الخلفاء بالتوجيه والتبريك، وعمّقه بالممارسات الأُمراء والمترفون من الأمويّين والقرشيّين. فكرّست الأجيال الوضع القائم الذي نشأت عليه، حتّى مثّلت هذه الظاهرة التراكميّة جانباً من حياة المدنيّين اليوميّة، يمارسونه بكلّ بساطة وعفويّة، حتّى القرن الرابع عشر الهجريّ قبل الصحوّة الإسلاميّة، حيث لا يوجد البديل، فكثير من الشباب والشابات، حتّى بعض الشيوخ من الرجال يتسلّون بالهمهمة، والدمدمة أثناء العمل، والراحة بما يسمّى «الكسرة والموال» منظوماً ومنثوراً.

وتجري بينهم مباريات، ومساجلات بكلّ الصور والأشكال بالمعارضة

والمناقضة والتجديد في الفكرة والأسلوب؛ وأما الكسرة رغم أنها بلغة محلية عامية، لها كل ما للشعر الفصيح من قواعد وأحكام؛ كالوزن والقافية والروي، ولها عيوب الشعر الفصيح من الوقص والأقواء والزحافات والعلل، ويعرف هذه القواعد كثير ممن يمارسون هذا اللون من النظم على شكل الإجمال بدون المسميات العلمية، وبالقطرة والسليقة.

كان الفلاح إذا صعد إلى أعلى النخلة، أو معلّم البناء اعتلى السقالة «يطلع» -مصطلحهم- بالكسرة، أو الموال، ويصدح كالبلبل على الشجرة، تمتلئ شرفات المنازل، وستر السطوح بالسيدات طرباً لهذا الصوت، وبحناً عن مصدره، وتبأرى السيدات بإهداء باقات الورد، وأباريق الشاهي التي بالورد والنوامي والنعناع، وقلل الفخار المملؤة بالماء البارد والمبخر بالمستكي.

وقد أدركت من هؤلاء المنشدين محمد موسى البيه، وعبّاس دوخان، وسمعت عن أبو مليح؛ قالت إحدى الهاشميات: عندما سمعت البيه يتغرّل بها، وقد لمحها بطريق الصدفة:

البيه تهَيّض مّا شاف وأنا تهَيّضت من الكسرة
أحمد الله أني من الأشراف وما جعل في قلبي حسرة

كلّ هذه المظاهر تُمارس بعفوية، وطهارة قلب، ونظافة أردان، وعفة لسان، فهي جزء من حياة المدنيين اليومية -إلا ما شاء ربك- وليس من وراء ذلك أي دوافع إلا الانسجام مع الواقع الاجتماعي في ممارسة التركة التي خلّفها البيت الأموي، ولم تخل البيوت من تلاوة القرآن والدأب على الأذكار.

وهذه حادثة تصوّر مدى تطبّع المدنيين بهذا اللون من الترف الفكري: ففي عام ١٣٨٢ هجري كانت إحدى حملات الحجّ للمدنيين بعرفة، في اليوم التاسع من ذي الحجة، ذلك اليوم العظيم، كان الحجّاج متّجهين إلى القبلة في غاية الخشوع والابتهاال والضراعة إلى الله بالدعاء والاستغفار، والتسبيح والتهليل، وبعد الانتهاء

من أعمال يوم عرفة كانوا يرددون قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(١) وإذا بأحد الحجاج المشاركين واسمه «عبّاس عبد العزيز الصاوي» يرفع صوته منكرًا على القارئ قراءته الآية بالشكل الذي سمعه فيقول: لا. لا. لا يا الشيخ الكاف مكسور؛ يعني أنّ في الوزن خللاً، قياساً على وزن الكسرة، أو الموال.

وانبرى آخر ليصحح النطق للشيخ عملياً قائلاً: يا من يجيب المنظر.. فانقسم الداعون إلى قسمين: قسمٌ يضحك من هذه المهزلة، وقسمٌ يستغفر ويبيد التآثم والحرَج والإحساس بالذنب في هذا المشعر العظيم، تقع هذه المهزلة ويُقاس القرآن الكريم على الموال.

ولكنّ هذه هي تركة البيت الأموي، وقد كرّسها العثمانيون بأن فتحوا دارين للبغاء العلني بالمدينة إحداهما في «العطن» والأخرى في «باب الجمعة» خلف البقيع تسمّى دور المسانير؛ يسمّون الأشياء بغير مسمياتها.

صمود المدينة في العصر العباسي

المدينة في عصر أبي العباس السفّاح

يقول الكشي: بعد أن تولّى أبو العباس السفّاح الحكم، وصار أول حاكم عباسي قام بتعيين الولاية في البلاد الإسلامية، فعين عمّه داود بن علي بن العباس والياً على يثرب ومكة واليمن، وقد خطب داود أول تولّيه المنصب خطاباً في أهالي المدينة، وتضمّن خطابه التهديد والوعيد بالقتل والتشريد، قائلاً: أيّها الناس أغرّكم الإهمال، حتّى حسبتموه الإهمال، هيهات منكم، وكيف بكم؟ والسوط في كفيّ والسيف مشهر.

حتّى يبيد قبيلة وبعض كلّ مثقف بالهام

وكان تعيين داود بن علي عمّ السفّاح والياً على المدينة، له الأثر السلبي على حركة الإمام الصادق (عليه السلام)؛ فقد بادر هذا الأحق بمواجهة الإمام عن طريق اعتقال مولى الإمام (المعلّى بن خنيس) والتحقيق معه لغرض انتزاع أسماء الشيعة؟ وقد امتنع هذا المخلص، وصمّ على الشهادة، ولم يذكر أي اسم، حتّى استشهد (عليه السلام).

عن أبي بصير قال: فلما وليّ داود المدينة، دعا المعلّى، وسأله عن شيعة أبي عبد الله فكنمه، فقال: أتكنمني؟! أما أنّك إن كنتمني قتلتك.

فقال المعلّى: أبالقتل تهدّدي؟! والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعت قدمي عنهم، وإن أنت قتلتني لتسعدني ولتسقين، فلما أراد قتله، قال المعلّى: أخرجني إلى السوق، فلما اجتمع الناس قال: أيّها الناس إشهدوا أنّ ما تركت من مال عين، أو دين، أو أمة، أو عبد، أو دار، أو قليل، أو كثير فهو لجعفر بن محمّد، فقتل (١).

ونقل صاحب كتاب «الشامل»: إن إمارة داوود بن عيسى، وبعض المصادر داوود بن علي، وصل داوود إلى المدينة أميراً، فأصبحت المدينة عاصمة لإمارة واسعة تضم معظم شبه الجزيرة العربية، فقد أضيفت إليها مناطق مكة، والطائف واليمن، فرتب الأمور فيها، ثم ذهب إلى الحج، وبعد عودته إلى المدينة كثر عن أنيابه، وأظهر الشدة والعسف لأهلها، وخطب فيهم قائلاً: أيها الناس، حتى م يهتف بكم صريخكم، أما أن لراقدكم أن يهب من نومه ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١) أغركم الإهمال حتى حسبتموه الإهمال؟ هيهات منكم، وكيف بكم والسوط بكفي والسيف مشهر، وتمثل بالبيتين:

حتى يبيد قبيلة وبعض كل مثقف بالهام

ويقمن ربّات الخدور حواسراً يمسن عرض دوائب الأيتام

ثم أمر بالقبض على جميع الأمويين، وكان بعضهم قد فر من المدينة، واختبأ في بعض بيوتها عند مجيء داوود، حتى إذا مرت الأيام الأولى ولم يعاقب داوود أحداً منهم اطمأن، وعاد إلى بيته وحياته العادية، فأخذ مع من أخذ، وأسرع عبد الله بن الحسن إلى داوود بن علي يتشفع فيهم، ويسأله ألا يقتلهم، ولكن داوود أبى، وأمر بقتلهم^(٢).

صمود المدينة في أيام المنصور

في أيام المنصور العبّاسي كان والي المدينة رياح بن عثمان، وقد أمره المنصور أن يأخذ أهلها بالشدة، وألا يرحم علويّاً من بني هاشم فيها، وقد فعل، فاشتط في معاملة الحجازيين، وحبس كثيراً من العلويين^(٣).

(١) سورة المطففين: الآية ١٤.

(٢) التاريخ شامل للمدينة المنورة: ج ٢ ص ٥.

(٣) تاريخ مكة للسباعي: ج ١ ص ١٢١.

دخل المنصور المدينة المنورة محتجاً بأداء فريضة الحج، وما الحج أراد ولكن أراد أن يعرف حقيقة الأمر، عندما يقوم بمهمة الفتك بآل محمد ﷺ؛ وها هو يدخل المدينة، وبنو الحسن في سجن رياح، فأمر بالقبض على من بقي منهم^(١).

قابل المنصور أهالي يثرب، بمزيد من الاضطهاد والتعذيب والجور، وسلبهم جميع مقوماتهم الاقتصادية، فقطع عنهم الميرة من البرّ والبحر^(٢). وأراد بهذه الحرب الاقتصادية أن يشغلهم بالبؤس والجوع، ويضربهم بالفقر والفاقة، حتّى يشغلهم عن مناهضته بالبحث عن لقمة العيش، وقد ولى عليهم رياح بن عثمان المري^(٣)؛ وكان فظاً غليظ القلب، تنفر منه النفوس لشراسة طبعه.

وحينما ولّاه المنصور جمع الناس، وصعد المنبر، فأعلن لهم سياسته الإرهابية، قائلاً: يا أهل المدينة أنا الأفعى بن الأفعى، ابن عثمان بن حيّان، وابن عمّ مسلم بن عقبة المبيد خضراءكم والمُفني رجالكم، والله لأدعنها بلقعا لا ينبع فيها كلب. فقطع عليه بعض الحضور الغيورين قائلين: والله يا ابن المجلود حدّين لتكفنّ أو لنكفّنك عن أنفسنا.

فرفع الطاغية رسالة إلى الخليفة العبّاسي يعرفه فيها بخروج أهل المدينة عن الطاعة ومفارقة الجماعة، ولما انتهى إليه الكتاب كتب لأهل المدينة رسالة ملأها بالإنذار والوعيد والتهديد، وأمر عامله أن يتلوها عليهم، فلما وصلت إليه، جمعهم وقرأها عليهم، وقد جاء فيها: «يا أهل المدينة، إنّ واليكم كتب إليّ يذكر غشّكم

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ج ١ ص ٢٧.

(٢) ابن الأثير: ج ٥ ص ٢٦١.

(٣) قال رسول الله ﷺ: (شرّ قبائل العرب بنو أمية، وبنو حنيفة، وثقيف، وبنو حنيفة هم قوم مسيلمة الكذاب، ونافع بن الأزرق، ونجدة بن عويمر، من أئمة المارقين) تاريخ الإسلام التقافي والسياسي لصائب عبد الحميد: ص ١٣٩، فبني مرّة دائماً يستنجد بهم للفتك بأهل المدينة في كلّ العصور. انظر «ابن فرحون»، و«المدينة في العصر المملوكي».

وخلافكم وسوء رأيكم، واستمالتكم عن بيعة أمير المؤمنين، وأمير المؤمنين يقسم بالله؛ لئن لم تنزعوا ليدلنكم بعد أمنكم خوفاً، وليقطعن البرّ والبحر عنكم، وليبعثنّ عليكم رجالاً غلاظ الأكباد، وبعاد الأرحام ينو^(١) قعريوتكم، يفعلون ما يؤمرون، والسلام».

واندفع جمعٌ من الغيارى والأحرار إلى معارضته قائلين: كذبت يا ابن المجلود حدّين، ثمّ إنّهم رموه بالحصى من كلّ جانب، فوّلّى خائفاً إلى مقصورته فأغلقها عليه، واعتصم بها، فدخل عليه أيّوب بن سلمة المخزومي أحد أذناب السلطة، وهو يدعوه إلى التنكيل بالثائرين، قائلاً: أصلح الله الأمير، إنّما يصنع هذا رعاع الناس، فاقطع أيديهم، وأجلد ظهورهم.

وأشار عليه بعض الحاضرين من الهاشميين بعدم الاعتناء بمقالة هذا العبد الذي تنكّر لوطنه وأبناء بلاده، وأشاروا عليه أن يرسل خلف الوجوه والأشراف فيقرأ عليهم كتاب المنصور، فانبرى إليه حفص بن عمر بن عبد الله بن عوف الزهري، وأبو عبيدة بن عبد الرحمن الأزهر فقالا له: كذبت والله ما أمرتنا فعصيناك، ولا دعوتنا فخالفناك. ثمّ التفت إلى ممثّل المنصور ورسوله: أتبلّغ أمير المؤمنين عنّا؟

فقال: ما جئت إلّا لذلك.

قل له: أمّا قولك: إنّك تبدّل المدينة وأهلها بالأمن خوفاً، فإنّ الله عزّ وجلّ وعدنا غير هذا، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَيَبْدِلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(٢) فنحن نعبده لا نشرك به شيئاً^(٣).

بهذا الأسلوب الجاف، وبهذه القسوة العنيفة خاطب المنصور أهالي

(١) كذا في الأصل، وفي الهامش «بنون» ويقول المحقّق: لعلّ الصحيح «بثورون» في قعر بيوتكم.

(٢) سورة النور: الآية ٥٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج ٣ ص ١١٠ - ١١١، و تاريخ مكنة للسباعي: ج ١ ص ١٢١.

المدينة، فلم يحترم جوارهم لرسول الله ﷺ ويتعبد الله بعدم ترويعهم، كما جاءت به الأحاديث، ولم يراع ما لآبائهم من سابقة في الفضل في إقامة هذا الدين وتدعيم أسسه.

تنكيل المنصور بالسادة العلويين

بعد أن تأكد المنصور عن طريق المعلومات التي كانت تصله من استخباراته بأن السادة الحسينيين يخططون للثورة على النظام التسلطي المستبد، انتظر موسم الحج، فلما حان الوقت سافر هو وحاشيته إلى بيت الله الحرام، وبعد انتهائه من مناسك الحج عاد إلى المدينة، وقد صحب معه عقبة بن مسلم الجاسوس الذي عينه لمراقبة تحرك آل الحسن.

وكان قد أوصاه قبل سفره فقال له: إذا لقيني بنو الحسن، وفيهم عبدالله فأنا مكرمه ورافع محلّه وداع بالغذاء، فإذا فرغنا من طعامنا فلاحظتك، فامثل بين يديه، فإنه سيصرف عنك بصره، فاستدر حتى ترمز ظهره بإيهام رجلك، حتى يملأ عينيه منك.

ولما وصل المنصور إلى المدينة استقبله الحسينيون، وفيهم عبدالله بن الحسن، فأجلسه المنصور إلى جنبه، ودعا بالغذاء، فأصابوا منه، فقام عقبة^(١) ونفذ ما عهد إليه المنصور، وجلس أمامه، ففرع منه عبدالله، وقال للمنصور أقلني أقالك الله.. فصاح به: لا أقالني الله إن أقلتك^(٢).

وأمر بأن يُكبّل بالحديد، ويزجّ في السجن، فكبّل مع جماعة من العلويين وحبس في بيت مروان، وأرادوا من عبدالله بن الحسن أن يخبر بمكان ولديه

(١) الجاسوس: هو عقبة بن مسلم بن نافع الأزدي الذي قدم المدينة من عند المنصور، وسأل عن عبدالله بن الحسن حتى وصل إليه، فادّعى التشيع لآل الحسن، وأنه موفود من مؤيديه وأنصاره، وأنه يحمل إليه أموالاً وهدايا قيمة ليتقوى بها آل الحسن، ويستعدوا للخروج على المنصور.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٤ ص ٣٧١.

محمّد ذي النفس الزكيّة وأخيه إبراهيم، وإن لم يخبر بمكانهما سوف يتعرّض للانتقام والقتل. وبقي السادة الحسنيّون لمُدّة ثلاث سنين، وفي سنة ١٤٢ سافر المنصور مرّةً أخرى إلى الحجّ؛ لغرض تدارك الوضع في المدينة، والوقوف أمام التصعيد الثوري هناك، وبعد أن أنهى مناسكه اتّجه نحو الربذة التي تبعد ثلاثة أميال عن المدينة^(١).

وبعد وصوله إليها أمر بإشخاص السادة الحسنيّين، ومَن معهم من العلويّين إليه، وقد تكفّل عقبة بن مسلم بعملية إخراجهم من السجن، والسير بهم نحو الربذة.

وبعد إخراجهم من السجن، ووضع الحديد في أيديهم، وجيء بهم إلى مسجد رسول الله ﷺ حيث ازدحم الناس عليهم، وهم بين باكٍ ومتأسّف، والشرطة تشتم، وقد طلبت من الناس أن يشتموهم، لكن الذي حدث كان على العكس من ذلك، إذ أخذ الناس يسبّون عقبة بن مسلم والمنصور، ويترخّمون على العلويّين^(٢).

بغا الكبير

هو قائد تركي سَفّاح؛ استقدم ليشغل منصب الحاكم العسكري بالمدينة، يقاوم الثورات التي يشعلها العلويّون في وجه النظام العبّاسي، كان يتعقّب رموز العوالي بأسمائهم. ذكر ذلك الطبري.

معاناة أهل المدينة من رياح المري، وخاصّة العلويّين أيّام المنصور
جاء رياح إلى المدينة وتسلم الإمارة من سلفه محمّد بن خالد القسري،

(١) هي القرية التي ولد فيها الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه ونفاه إليها عثمان بن عفّان، وفيها قبره.

(٢) مقاتل الطالبين: ص ٢١٩ - ٢٢٠.

وهو معباً تعبئة شديدة ضدّ المدينتين عامّة، وبني الحسن خاصّة، فعند وصوله إلى المدينة ذهب إلى عبدالله بن الحسن في السجن وهذّده، وعيّن رجالاً شرسين للبحث عن محمّد بن عبد الله ذي النفس الزكيّة، وأخيه إبراهيم الإمام؛ لأنّ الأمير الذي سبقه قد فشل في القبض عليهما، وحسم الموضوع لصالح المنصور ونظامه الاستبدادي الفاسد الذي يقمع المعارضة التي تطالب بالإصلاح، وإن كانت لا تؤمن بالعنف وحمل السلاح بل بالمظاهرات والإضرابات والعصيان المدني.

استعان رياح برجال من القبائل، وأخذ يتصرّف كمن فقد أعصابه؛ فقبض على أبناء عمّ محمّد وأبناء خاله وأبناء خالاته وأبناء عمّاته، وأخذ يشتمهم في خطبة الجمعة، ونال من محمّد ذي النفس الزكيّة وأخيه إبراهيم الإمام مرّةً نيلاً شديداً، وذكر أمّهما وأفحش لها، فأنكر الناس عليه أقواله ورفعوا أصواتهم بالتسييح، منكرين عليه ومنذّدين بهذا الأسلوب^(١).

وبدأ أعوان رياح يجوبون الأحياء في شيء من الفظاظة، فاستاء الناس من الأمير الجديد وأعوانه، ومالت قلوبهم أكثر وأكثر إلى آل الحسن، لأنّ الفطرة السليمة تأبى العنف، ولا تقرّ الإقصاء، فأخذوا يتحدثون عن المعاناة التي يلاقيها المسجونون ظلماً، فهذا العدد الكبير من أقارب محمّد بن عبدالله لا ذنب لهم - والكلام للدكتور عبد الباسط بدر - ولم يظهر أحد قط مخالفاً للخليفة أو الأمير، ومع ذلك سجنوا وأهينوا وعُذّبوا^(٢).

وعندما حان موعد الحجّ لعام أربع وأربعين ومائة، وسمع الناس أنّ الخليفة المنصور سيحجّ في هذا العام، واستعدّ بعضهم للقائه، واستعطافه على المظلومين، لكن المنصور لم يمرّ بالمدينة؛ وفي عودته من مكّة، سار ونزل الربرة، وأرسل إلى رياح يأمره بإخراج آل الحسن وتسييرهم بأغلالهم الثقيلة إليه في الربرة.

(١) التاريخ الشامل للمدينة المنورة: ج ٢ ص ٢٢، نقلاً عن الطبري: ج ٧ ص ٥٣٦.

(٢) المصدر السابق: ج ٢ ص ٢٢.

وشهدت المدينة يوماً حزيناً، رأت فيه مظاهر القسوة البشعة، فقد أخرج من السجن عبدالله بن الحسن متغيّر اللون، وقد صدئ الحديد في يديه ورجليه، وأخرج معه بقيّة المسجونين من الهاشميين مغلولين، وحُمّلوا على جمال بلا هودج. إنّها حالة تشبه سبايا كربلاء أسرة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام عندما حُمّلوا على نوق عجف بلا غطاء ولا وطاء إلى الكوفة ثمّ إلى الشام.

ويُنقل عن الطبري قائلاً: وجاءت نسوة من آل هاشم ليروا ذويهم، فلم يتمالكوا أنفسهم من النحيب والصراخ، ودمعت عيون الناس، ووقف عبدالله بن جعفر وراء ستر من شعر يرقب هذا المشهد المؤلم، فانهمرت دموعه غزيرة، لكنّه لم يكن يملك شيئاً، وسار بعض أهل المدينة يشايعون آل الحسن ويدعون لهم^(١). وخرج الركب من المدينة وعادوا المشايعون وصدورهم تغلي، فقد نجح رياح بتصرّفاتة الهوجاء في تأليب الناس عليه، وتهيئتهم للانضمام إلى آية ثورة قادمة، وعلم محمّد وإبراهيم بالأمر، فتنكّرا في زيّ الأعراب، وأدركا الركب في الطريق، واستطاعا أن يصلا إلى أبيهما ويحادثاه، فاستأذناه في إعلان الثورة فاستمهلهما، حتّى يتمكّنا من الأمر، وكان آخر وصيّة أوصاهما بها هي: إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين، فلا يمنعكما أن تموتا كريمين.

ومضى الركب إلى أبي جعفر في الربرة، وطلب عبدالله بن الحسن مقابلته فرفض، وأدخل محمّد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان (الدياج) فأغلظ له القول، ثمّ أمر بجلده، وجلد عدداً آخر معه، ومضى أبو جعفر في قافلته إلى الكوفة، وسار وراءهم موكب المسجونين في عذاب كبير. وبعد مدّة جاءت الأخبار إلى المدينة أنّ آل الحسن الذين رحلوا إلى الكوفة قد سجنوا في سجن بالهاشميّة^(٢).

وتحت عنوان ملحمة المدينة الثانية، يواصل المؤلّف حديثه قائلاً: تواردت

(١) المصدر السابق: ج ٢ ص ٢٢ - ٢٣، نقلاً عن الطبري: ج ٧ ص ٥٤١.

(٢) المصدر السابق: ج ٢ ص ٢٣.

الأخبار عن تعذيب المسجونين، وقتل بعضهم بقسوة، وما أشبه الليلة بالبارحة في أبو غريب، وجوانتاناما، فقد عذب المسجونون، وخاصة محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان (الدياج) ولا ذنب له في الأمر على الإطلاق.

وجاءت الأخبار بقتل عبدالله بن الحسن وبلغت ابنه، فاشتد الأمر عليهما، وجاءهما أشياءهما يستعجلانهما الثورة، فلم يعد مجالاً للصبر، ونمت الأخبار إلى أمير المدينة رياح، فاشتد في طلب محمد بن عبدالله وأخيه. وحوصر محمد عدّة مرّات، وتدلى في الآبار، وسقط طفل له من بعض الشعاب في إحدى مطارداته فمات. وعجّت المدينة برجال رياح يراقبون ويفتّشون، وكان رياح يقود دوريات البحث بنفسه في مرّات كثيرة^(١).

وقد ترتّب على هذه المطاردة والملاحقة كثير من الترويع والرعب لأهل المدينة المنكوبين بمثل هذه الإجراءات التعسّفية، فأكثر فترات تاريخ المدينة لم تسلم من الرعب والإرهاب والتشريد والتجويع، وكأنّ النبي ﷺ أو صاهم بذلك، فلو كان أو صاهم بذلك لما زادوا على ما فعلوا شيئاً. كيف وهو ﷺ القائل: إنّ إبراهيم عليه السلام حرّم مكة ودعا لأهلها، وإني حرّمت المدينة، كما حرّم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدّها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة^(٢).

وعن عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أحرّم ما بين لابتي المدينة أن تقطع عضاها، أو يقتل صيدها». وهذا رياح السفاك اعتدى على آل رسول الله ﷺ وعلى أحفاد الأنصار بالمدينة، ورسول الله ﷺ حرّم خلاها أن يختلى، وصيدها أن ينفر.

قهر المدنيّين أيّام المهدي

اختار الخليفة العبّاسي المهدي أميراً شرساً على المدينة هو عمر بن عبد

(١) المصدر السابق: ج ٢ ص ٢٤.

(٢) تحقيق النضرة: ص ١٥، نقلاً عن صحيح مسلم.

العزیز العمري، فشدّد المراقبة على الهاشميين، وجمعهم، وحذّرهم، وهدّدهم، وجعل بعضهم يضمن بعضاً^(١). وكان يرصد حركاتهم وسكناتهم ويحاسب كلّ كفيل عن مكفوله لو تغيب عن التواجد بالمدينة. فهذه المراقبة الشديدة والمحاسبة المستقصية عليهم أثارت حفاظ العلويين، فازداد إحساسهم بالظلم، فأخذوا يفكّرون في الثورة والعصيان.

المدينة والطولونيون

قامت الدولة الطولونية في مصر على يد مؤسسها أحمد بن طولون الذي حاول بسط نفوذه إلى المدينة، بعد أن قويت شوكته، فانتزع الحجاز من العباسيين، وكانت سلطتهم إسمية، لا تتعدى الخطبة على المنابر^(١).

المدينة المنورة والدولة الأخشيديّة

في آخر النصف الأول من القرن الرابع الهجري دخلت المدينة المنورة تحت نفوذ الإخشيديين سنة ٣٣٠، وكانت سيطرة الإخشيديين عليها تمثل نقلة جديدة في حياة المدينة، نعمت فيها بالأمن والأمان؛ فقد رعى الإخشيديون قدسيّة المدينة، ووصيّة رسول الله ﷺ بأهلها، فأغدقوا على أمراء المدينة الأموال الكثيرة، فنعم الشعب بالرفاه والاستقرار.

المدينة المنورة في عهد الفاطميين

تأسست الدولة الفاطمية في المغرب العربي، ثم امتدّ سلطانها حتّى شمل مصر والشام والحجاز، والحجاز موطن أجداد الفاطميين، فلا غرو أن يغدقوا على الحرمين الشريفين وأهلهم الهدايا والعطايا، فقد أكرم الفاطميون أهل الحجاز عامّة وأهل المدينة خاصّة^(٢)، فأعادوا إلى المدينة المنورة اعتبارها، فشجّعوا على إحياء المولد النبوي الشريف، واحتفلوا بالأعياد والمناسبات الإسلامية، كغزوة بدر الكبرى، وعيد الغدير، وإحياء مراسيم عاشوراء ذكرى مصرع الإمام

(١) التاريخ الشامل للمدينة المنورة: ج ٢ ص ١٢٦.

(٢) المصدر السابق: ج ٢ ص ١٣٦.

الحسين عليه السلام وأهل بيته، واهتموا بآثار الإسلام، فبنوا المساجد الأثرية، أو أعادوا ترميمها، وأشادوا القباب، ونصبوا الأضرحة على قبور أهل البيت عليهم السلام، والصحابة، وأحياوا كل ما اندرس من معالم وآثار الإسلام ونبیه عليه السلام.

المدينة المنورة في عهد الأيوبيين

تأسست الدولة الأيوبيّة على أنقاض الدولة الفاطميّة، وبطبيعة الاختلاف الفكري والعقائدي بين الدولتين، بدأ الأيوبيّون يعملون على النقيض ممّا عمله الفاطميّون، ولولا انشغال صلاح الدّين بالنصارى، وبيت المقدس... فقد وطّن كثيراً منهم في البلاد العربيّة.

حاول صلاح الدّين وهو يتحرّك في سياق خلافة مع الفاطميّين أن يمارس ضغطاً على الأمير الشيعي في المدينة القاسم بن مهنا الحسيني، على أن يحذف من الأذان «حيّ على خير العمل» وهذه هي من صميم أذان النبي صلى الله عليه وآله وقد أذن بها في عهد النبي صلى الله عليه وآله وخلافة أبي بكر، وفترة من خلافة عمر، ثمّ أمر عمر ابن الخطّاب بإلغائها، مع تشريعات أخرى أحدثها، مثل «الصلاة خير من النوم». فذهب الشيعة إلى أنّ «حيّ على خير العمل» جزء من الأذان والإقامة، وقد قال الإمام زين العابدين عليه السلام إنّهُ هو الأذان الأوّل؛ أي على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كما أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، وقال الإمام الباقر عليه السلام: كانت هذه الكلمة (حيّ على خير العمل) في الأذان، فأمر عمر بن الخطّاب أن يكفّوا عنها مخافة أن تثبط الناس عن الجهاد ويتّكلوا على الصلاة^(١).

وحكى سعد الدّين التفتازاني في حاشيته على «شرح العضد»، عن عمر أنّه كان يقول: ثلاث كنّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنا أحرمهنّ وأنهى عنهنّ: متعة الحجّ، ومتعة النكاح، وحيّ على خير العمل.

وروى البيهقي بسندٍ صحيح عن ابن عمر أنّه كان يؤذّن بـ «حيّ على خير العمل».

وقال ابن حزم: وقد صحّ عن ابن عمر، وأبي أمامة، أنّه كانوا يقولون: حيّ على خير العمل^(١).

وروى المحبّ الطبري في أحكامه عن زيد بن أرقم: أنّه أذّن بـ «حيّ على خير العمل».

وقال الشوكاني، نقلاً عن كتاب الأحكام: وقد صحّ لنا أنّ حيّ على خير العمل كانت على عهد رسول الله ﷺ يؤذّن بها، ولم تطرح إلّا في زمان عمر. وهكذا قال الحسن بن يحيى^(٢).

وروى محمد بن منصور في كتابه الجامع عن ابن محذور، أحد مؤذّني رسول الله ﷺ أنّه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقول في الأذان: حيّ على خير العمل.

وفي الشفاء، عن هذيل بن بلال المدائني قال: سمعت ابن محذور يقول: حيّ على خير العمل^(٣).

وفيه أيضاً عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ خير أعمالكم الصلاة، وأمر بلالاً أن يؤذّن: حيّ على خير العمل.

وقال برهان الدّين الشافعي في سيرته: ونقل عن ابن عمر، وعن عليّ ابن الحسين عليه السلام أنّهما كانا يقولان: حيّ على خير العمل، بعد حيّ على الفلاح^(٤).

حاول الأيوبيّون جاهدين على تغيير هويّة الشعب المدني، وتحويله عن مذهب أهل البيت عليه السلام المذهب الإمامي الاثنا عشري، أنّهم شجّعوا على هجرة

(١) المحلّى: ج ٣ ص ١٦٠.

(٢) نيل الأوطار: ج ٢ ص ٣٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) البحر الزخار: ج ١ ص ١٩٢.

أهل السنّة إلى المدينة، وسمّوهم بالمجاورين، وخاصّة العلماء، وأتاحوا لهم فرصة عقد حلقات التدريس والتعليم في المسجد النبوي وفي الأربطة والتكايا حتّى قوى مذهب التسنّن، وضعف مقابل ذلك التشيّع بفعل الأيوبيين، فشجّع الأيوبيّون المجاورين، واندفعوا لأسباب نفعيّة تارةً، وسياسيّة تارةً أخرى، أو علميّة، أو مذهبيّة أو وظيفيّة، كرغبة بعضهم في التدريس في الحرم النبويّ، أو إحدى المدارس، أو الأربطة الموقوفة على بعض المذاهب، أو لتولّي بعض الوظائف الدينيّة؛ كالتقضاء والخطابة والإمامة، وما تحمله تلك الوظائف من طابع سياسي^(١).

(١) المدينة المنورة في العهد المملوكي: ص ١٩٣.

الممالك في الحجاز

«مَنْ تَعَرَّضَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ يُذِيبَهُ اللَّهُ، كَمَا يُذِيبُ الْمَلْعُ فِي الْمَاءِ»

الرسول الأعظم ﷺ

لعلّ الممالك كانوا يرقبون عن كذب الممارسات الخاطئة التي مارسها أسلافهم من العباسيين والأيوبيين، وأفرزت الثورات العلوية والانتفاضات الشعبية، والعصيان المدني الذي أثقل كاهل هذه الأنظمة الاستبدادية الفاسدة وزلزل كيانها، وعجل في الإطاحة بها، فابتعدوا عن القمع، وأسلوب التصفيات الجسدية بالقتل والسجن والتعذيب والتحجيم؛ لأنّ العنف يولد العنف، ولجأوا إلى استراتيجية مكررة، وأجندة قائمة على التكتيك؛ لأنّهم أيقنوا أنّ الحلّ الأمني غير كاف لإخماد ثورات العلويين، فلا بدّ من الحوار معهم، وإعطائهم بعض مطالبهم المشروعة.

«استعانت السلطة المملوكية ببعض القبائل التي لم تذكر أسماؤها ضدّ أمراء مكة والمدينة، فقد أرسل السلطان المملوكي جقمق^(١) سنة ٨٤٦ هجري إلى جماعة من عرب نجد، يطلبهم إلى القاهرة؛ ليوليّ كبيرهم إمرة المدينة؛ لكونهم من أهل السنة، قمعاً للرافضة، وأن يمشوا إلى مكة والمدينة؛ ليخلصوا أهلها من الشيعة والرافضة^(٢)».

(١) هو الذي منع جناز الشيعه من دخول المسجد النبوي للصلاة عليها، ولا تزال أوامره سارية المفعول، حتّى كتابة هذه الأسطر، «فإنّا لله وإنا إليه راجعون» مسلم يُحرّم من حقوقه حيّاً وميتاً. ولديّ رسالة متّبع فيها موضوع الجنائز، أين كان يصلّي عليها أيام الرسول ﷺ وبعده، وكلّ ملابس هذه القضية، حتّى الساعة.

(٢) إنّ التاريخ يكرّر نفسه - كما يقولون - فكلّ المناصب المهمّة بالمدينة ومكة بأيدي النجديّين كالقضاء والإمامة والتدريس والوعظ والإرشاد بالحرّمين وفقاً على نجد إلّا ما شاء ربّك!!

ويُتَّضح من النصِّ السابق أنَّ السلطان المملوكي قد بدأ عهده بمحاولة التخلُّص من أمراء المدينة الإمامية، وأمراء مَكَّة لأنَّهم من الزيدية المخالفين له في المذهب، عن طريق بعض قبائل نجد المناهضين لهم^(١).

كانت الإمامة والخطابة خلال العصرين الفاطمي والأيوبي بيد الشيعة الإمامية، وأوَّل من تولَّى الخطابة في العصر الأيوبي منهم أسرة آل سنان بن عبد الوهاب الحسيني الوحادي، ثمَّ تلاه في منصبه ابنه شمس الدِّين أبو هاشم سنان، الذي لم يعقب غيره، وأنجب شمس الدِّين: علي، وعيسى، وقاسم، والنجم مهنا، ويعقوب، كما أنجب هاشم: حسناً ويوسف، وقد تولَّى بعض أبنائه الإمامة والخطابة والقضاء، ومن هؤلاء نجم الدِّين مهنا بن سنان الذي كان على علاقة حسنة بالمجاورين^(٢).

إنَّ الأداة السياسيَّة لدولة المماليك عملت على تعزيز مكانة أهل السنَّة في المدينة بإرسال القضاة والخطباء والأئمَّة، بالإضافة إلى دور القاضي السراج، نجد القاضي المصري شرف الدِّين أبي الفتح محمَّد الشافعي المعروف بابن الأميوطي قد تصدَّى للشيعة، وأضعف شوكتهم، وكان كما يقول ابن فرحون فيه: «شدَّة على الأشراف، له هيبة عظيمة، سقاهاهم المرَّ، وأذاقهم الصبر، وأمَّا سطوته على الإمامية وتوبيخه لهم في المحافل، وسبِّهم على المنابر فأمرٌ مشهور، لا يحتاج إلى وصف ولا تكاد السنين تبديد ذكره، وكان إذا قام في الأمر لا يرجع عنه ولو خوف في عاقبته وكان متمسكاً بالسنَّة، يتبع أشدَّها ويحمل نفسه على أشقَّها» غير أنَّ المذكور لم يستطع مع ذلك أن يعزل قضاة الإمامية عن منصب القضاء في المدينة. كما شارك بعض المجاورين في التصديِّ لمذهب الإمامية ومحاولة إضعافه، ومن هؤلاء الصاحب زين الدين أحمد بن محمَّد بن علي المعروف بابن

(١) المصدر السابق: صفحة ٨١ نقلاً عن العيني «حوادث وتراجم».

(٢) المصدر السابق: ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

حنا المصري الذي تصدَّى لفقهاء الشيعة وقضاتهم من آل سنان والقيشانيين^(١)؛ فهابوا مكانه من السلطان وأذعنوا واستعملوا التقية - كما يقول ابن فرحون - حتَّى رجعوا فيما زعموا كلَّهم سنيّة. ويتّضح من ذلك أنّ لهيئة الدولة المملوكيّة ونفوذ علمائها أثراً كبيراً في إضعاف شأن فقهاء الإماميّة.

ويقول المديرسي: من دراسة الأحوال السياسيّة والمذهبيّة، يتّضح أنّ أغلب الحسينيّين في المدينة من أمرائها وأعيانها كانوا إماميّة المذهب، غير أنّ بعضهم مالَ إلى مذهب أهل السنّة والجماعة^(٢).

وينقل المؤلّف عن طبقات البرهان إبراهيم بن فرحون قوله: إنّهُ بهمة وسياسة عبد الله بن فرحون أزال الله تعالى أحكام الطائفة الإماميّة من المدينة فعزلت قضاتهم، وانكسرت شوكتهم وخمدت نارهم. فابتداءً من سنة ٧٤٦ هجرية / ١٣٤٥م في آخر القرن السابع كان أتباع المذهب الإمامي يمثّلون ٤١٪، وفي آخر القرن الثامن صار أتباع المذهب الإمامي يمثّلون ١٤٪^(٣).

ويقول المديرسي: ويلاحظ بدء انحسار نفوذ المذهب الإمامي خلال القرن الثامن الهجري نتيجة جهود السلطة المملوكيّة، وفقهاء المذاهب الأخرى، والمجاورين^(٤)، وبعد القرن الثامن الهجري صارت النسبة تقريباً ٦٪، ويلاحظ

(١) هي أسرة من العراق نسبةً إلى مدينة «قسقاس» يرجع إليها نسب السيّد محسن الأمين؛ والشيخ عمر منصور والأديب عبد الرحمن رفة يرجعون تقوية التشيع بعد إضعافه في العصر الحديث إلى «النحاحيس» وهم جراجرة من حرب.

(٢) المدينة المنورة في العصر المملوكي: ١٩٣ - ١٩٤ بتلخيص.

(٣) المصدر السابق: ص ١٩٩.

(٤) المصدر السابق: ص ١٩٩.

إنّ المقولة المشهورة عند إخواننا، بل أنفسنا - على رأي السيّد السيستاني من النخب والمنقّفين بالمدينة: إنّ النحاحيس هم الذين عملوا على تقوية التشيع في المدينة بعد أن ضعف ووهن، والفكرة لا تعني شيئاً عندي، غير أنّي بحكم المعنى برصد تاريخ الشيعة والتشيع بالمدينة أحبُّ أن أتأكّد من صحّة هذه المقولة، فقد عرفت من معمرّي النحاحيس، عبد الواحد نحاس

مما تقدّم أنّ المذهب الإمامي الإثنى عشري بدأ في الانحسار التدريجي منذ النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، نرى أنّ نفوذه قد ضعف وانحسر بصورة حادة، وربما اقتصر انتشاره بين العامة وخاصّة الفلاحين^(١).

نشأة المذاهب الإسلاميّة

لو سبرنا أغوار التاريخ الإسلامي ما وجدنا لهذه الشرنقة الضيقة في حصر الإسلام في مذاهب فقهية أو عقائدية محدودة، والإسلام يدعو إلى التعددية، واحترام الآخر. لكن أول من روج وأصل لهذا التوجّه الفكري الأحادي الذي لا يقبل بالتعايش السلمي؛ ولا يسلم لثقافة الحوار والانفتاح على الآخر، وتوسيع مساحة التسامح الديني، بل يكرّس لتسويد منهج واحد، ورفض الآراء الأخرى هو المتوكّل العباسي الذي تبنّى مذهب أهل الحديث وسّمّاهم «أهل الحديث» والمحدثين، وسّمّاهم أهل السنّة والجماعة، وكان فعله السياق لما بدأه المنصور، الذي ساءه أن يرى المرجعية الفكرية للأمة الإسلامية متمركزة في الأئمة من ذرية الحسين عليه السلام، فقرّر تأسيس مذهب في مقابلهم، وأمر مالك بن أنس أن يكتب له كتاب «الموطأ» ليلزم به المسلمين، وحصر الفتوى بمالك، ومنع أئمة أهل البيت عليهم السلام وفقهاء المدينة أن يفتوا ما دام مالك موجوداً، حتّى صار قراره مثلاً: «لا يفتين أحد ومالك في المدينة».

أمّا مذهب أبي حنيفة لم يروج له ولم يحتمل المسلمون على اتّباعه لأسباب

→ كان صاحب مقهى بالمناخة وصديقاً للوالد - رحمهما الله - وحسن وحسين نحاس أخوان مؤمنان تقيان ورعان زاهدان فقيران كانا من بائعي الخضار بسوق المدينة المركزي وهما أتيان؛ صحيح أنّ الأخ الأكبر سنّاً حسن نحاس كان يسكن في زقاق الطيّار،

وكان عنده مجلس حسيني كلّ ليلة جمعة، وخطباء المنبر من التخليين، والمشهور على ألسنة التخليين حتّى في كتب التاريخ: إنّ حاملي لواء التشيع بالمدينة هم التخالوة.

(١) المصدر السابق: ص ٢٠٠.

سياسية، لأنّ أبا حنيفة رأى أنّ بيعة محمد ذي النفس الزكية بيعة شرعية بكلّ المقاييس، وكذلك محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤) لم يكن في ذلك الوقت صاحب مذهب بعد، ومثله أحمد بن حنبل (ت ٢٤١)، فالمذاهب الأربعة ماسادت وانتشرت إلّا بسبب دعم وتسييس بعض الحكّام.

أمّا مذهب أهل البيت عليهم السلام فقد تأصل وتجدّر بقوة الدفع الذاتي والأصالة الفكرية والعقائدية التي يستبطنها في مكوّناته الذاتية، فقد بذلت المحاولات الكثيرة لتخيه وإقصائه عن الساحة الإسلامية، فلا اعتراف برموزه الفكرية والعقيدية، ولا بفقهه وفقهائه، بل يشطّ الأمر عندما تتعامل بعض بلاد المسلمين مع التشيع باعتباره قضية أمنية، فيقبض على من يدعو للتشيع أو يتمذهب به^(١).

تبجّح ابن فرحون

يقول ابن فرحون: إنّ شيخ الحرم ظهير الدّين مختار الأشرفي تولّى المشيخة بعد سعد الدّين الزاهري الذي كفّ بصره، كان الأوّل يضطهد الأشراف وعموم الشيعة، وقد انتزع من الأشراف بعض أملاكهم التي كانت بأيديهم من الأوقاف وآباءهم من قبلهم كالمارستان، والفرن والحوش الذي بإزائه ودار المدرسة الشهابية ونخيل وغير ذلك^(٢).

إلى أن يقول ابن فرحون: - كان شيخ الحرم عزّ الدّين دينار فيه من الشدّة في الدّين على الأشراف ما كان في ظهير الدّين وزيادة، وأنّ القاضي شرف الدّين أبو الفتوح محمد بن القاضي عزّ الدّين أبي عبدالله محمد بن الشيخ كمال الدّين، كانت له شدّة على الأشراف، وكان له هبة عظيمة سقاهاهم المرّ وأذاقهم الصبر، وأمّا سطوته على الإمامية وتوبيخه لهم في المحافل وسيّهم على المنبر، فأمرّ مشهور

(١) شيعة القطيف والإحساء عراقه الماضي وتطلّعات المستقبل: ص ٥٨.

(٢) تاريخ المدينة لابن فرحون: ص ٤٧.

لا يحتاج إلى وصف، ولا تكاد السنين تبديد ذكره، وكان القاضي شرف الدين في المسجد النبوي يخطب على منبر النبي ﷺ فرأى رجلاً من الإمامية يتنقل، فضربه لأنه يتنقل؛ زيادة على تحية المسجد، ويؤدي ظهر الجمعة أربعاً في أثناء ذلك التنقل؛ لأنهم لا يعتقدون إقامة الجمعة إلا خلف إمام معصوم^(١)، وهذا كان عاداتهم معه ومع غيره، فنهاهم عن ذلك فانتهوا، إلا من قوي تشييعه وتعصبه، فكان يصيح عليهم وهو على المنبر ويأمر بجرحه إلى عنده فيضربهم^(٢).

هذه هي إفرازات عدم الانفتاح على الآخر، وتضييق مساحة التسامح الديني، وقمع الرأي الآخر باسم الدين تارةً، واسم البدعة تارةً أخرى، ومحاولة تسويد منهج واحد وتعميمه، والطعن في الآخر بدعوى الابتداع، وتوجه ديني لا يقبل بالآخر أن يعيش معه.

التسلط والقهر

يحكي ابن فرحون عن نفسه نافخاً أوداجه، يصف ممارساته الحاقدة مع الأشراف وعامة الشيعة الإمامية، وهو يستغل مركز القوة من السلطان المملوكي ليجبرهم على التخلي عن منصب القضاء، فيقول: بلغني أنهم اجتمعوا بالأمير طفيل، وشكوا عليه ما يلقونه مني، فقال لهم: إذا سكت عنكم وعن أحكامكم فلا تطلبوا منه غير ذلك... ولم أزل معهم كذلك حتى خمل ذكرهم، وماتوا أحياء، ولم يبق لهم في البلد أمر ولا نهى إلا في الشيء التافه والأمر النادر.

ويقول في موضع آخر: ولقد أدركت من حكامهم فوق عشرة من آل سنان ومن الصفيان الذين كانوا عند رباط المعين، كلهم يحكم ويفصل الخصومة، إلا أن

(١) أما الآن؛ بفضل فتح باب الاجتهاد عندهم، فقد أفتى مراجعهم بجواز صلاة الجمعة، بل بوجوبها التخييري بين الظهر والجمعة خلف إمام عادل.

(٢) «تاريخ المدينة»، لابن فرحون: ص ٤٤ - ٢١٨ باختصار شديد.

الحكم كان له إذا حكم عليه القاضي من آل سنان، أو يقول: ارفعني إلى الفقيه فيرفعه ولا يراجعه، وكان الفقيه (علي) يصلح ويسدّد من غير أن يتطلّع لشيء بخلاف القضاة يومئذ، ثم لم يزل أمرهم يتقاصر، وعددهم يقلّ حتّى مات كبارهم، وشددت على الإماميّة في نكاح المتعة ونكّلت بفاعلها، وحملت الناس على مذهب مالك، وأخملت البدعة وأظهرت السنّة وعزّرت من تكلم في الصحابة رضي الله عنهم، فلم يزد الناس إلّا طاعةً وإقبالاً. وأنّ القاضي بدر الدّين حسن القيسي الشافعي المصري الذي تولّى القضاء بعد القاضي تقيّ الدين قد شدّد على الأشراف، وكتب إلى السلطان يشكو من طفيل، كما فعل القاضي شرف الدّين مع طفيل أيضاً.

ولما استقرّ الأمير سعد بن ثابت في المدينة، بدأ يمنع آل سنان وغيرهم من التعرّض للأحكام وعقد الأنكحة وغيرها، وردّ الأمر جميعه لأهل السنّة؛ تقرّباً إلى قلوب السلطنة (المملوكيّة) بإظهار السنّة وأهلها، وإخمال البدعة وأهلها، وأمر بالنداء بالمدينة في يوم الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة أحد أشهر سنة خمسين وسبعمئة: أن لا يحكم في المدينة مع القاضي شمس الدّين غير فلان، ومن تعرّض لذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه. فمن يومئذ انقطع أمرهم ونهيمهم بالكلية، وظهر علم أهل السنّة^(١).

هذه صورة معتمدة من صور كثيرة عاشتها مدينة الرسول ﷺ وسلالة أهل بيته وأتباعهم الذين يسировون على خطّ أهل البيت، فقد دفعوا الثمن باهضاً من الدم والمال والعرض، فأين هو التعايش السلمي الذي دعا إليه الإسلام قائلاً: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢) الآية، فأين قبول الآخر أو احترامه، وأين غابت أو غيّبها الانتهازيون ثقافة الحوار؟ فقد فرضوا منطق القوّة وقوّة السلطان على منطق الحقّ

(١) تاريخ المدينة المنورة، نصيحة المشاور وتعزية المجاور: ص ٢٢٢ - ٢٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

وسلطان العدالة، وبهذه المعاملة الظالمة لبعض شرائح المجتمع المسلم، فهم المستشرقون، أو أرادوا أن يفهموا الإسلام، وبهذه الأعمال تجرّأوا على رسم الصور المضحكة للرسول ﷺ وهدم قبة العسكريين رضي الله عنه، وصدّروا لنا ما كانوا قد استوردوه منّا في فجر الإسلام من العدل والمساواة والحرية، وهذا ما جرّأ البابا على اتّهام الإسلام بأنّه انتشر بالسيف والعنف.

دور الأتراك العثمانيين

بقيت المدينة تعيش في ظلّ العهد التركي عيشة وادعة هادئة، لا تعباً إلا قليلاً بالعالم الخارجي، ونادراً ما كان يأتي ذكرها في حدثٍ مهمٍّ، وقد ساعد على ذلك وضعها الديني الخاصّ وكون الدخول إليها محرّماً على غير المسلمين^(١). «كان العثمانيون أحنافاً متعصبون، يصادرون الحرّية الشخصية للشعوب الخاضعة للحكم العثماني»^(٢).

جاء الأتراك إلى الحجاز، وهم يحملون تركة من سبقهم في العمل على تغيب الشيعة، وعلى نفس المخطط يتحرّكون. وفي «تاريخ مكة» «للسباعي: أنهم أحناف متعصبون يحاربون التشيع لأسبابٍ سياسية.

ويقول الأستاذ محمّد بك المحامي: كانت مدينة تبريز مصدر إزعاج للسلطين العثمانيين، أربع مرّات تنفصل عن الدولة العثمانية، وفي كلّ مرّة يلجأ السلطين العثمانيون إلى الانتقام من الشيعة، وفي أيّام الشاه عبّاس وقعت نزاعات كثيرة بين الفرس والترك، وفي كلّ مرّة تصل آثارها، وتمتدّ يد النقمة في كلّ مكان، حتّى في الحجاز مكة والمدينة^(٣).

أغوات الحرم

أوّل من استقدم الأغوات من أفريقيا إلى المدينة ومكة، وتسليمهم إدارة الحرم النبويّ هو صلاح الدّين الأيوبي، لأسبابٍ سياسية ومذهبيّة ليحلّوا محلّ

(١) موسوعة العتبات المقدّسة، قسم المدينة المنوّرة: ص ١٩٦.

(٢) الدولة العثمانية دولة إسلاميّة مفترى عليها

(٣) تاريخ الدولة العلية العثمانية: ص ١٨٨ - ١٨٩.

الأشراف في خدمة المسجد والحصول على الامتيازات التي كان الأشراف ينعمون بها من الهدايا والهبات التي يقدمها الزوّار بقصد الأجر والثواب، وما يأخذونه مقابل ما يقدمونه من خدمات للزوّار، وقد شكى ابن فرحون من هذا، ولم يستطع زحزحتهم عن هذه المرتبة المشرفة، لما كانوا يتمتعون به من مكانة قويّة لم تضعف بعد، فالعثمانيون دعموا وجود الأغوات، حتّى تشكّلت منهم طبقة اجتماعيّة مترفة تشكّل مركز قوى، تتحكّم أحياناً في مجرى الأحداث بالمدينة، ولهم مكان خاصّ شمال المسجد يسمّى «دكّة الأغوات» ولا تزال موجودة حتّى الآن يجلس أصحاب الوردية منهم، مقابل محراب التهجد للإمام عليّ عليه السلام ومحراب الزهراء عليها السلام الذي يقع داخل بيتها.

وبحكم أعمالهم في المسجد النبوي الشريف وما يملكون من الثروة والجاه، أضفى عليهم هالة كبيرة من الاحترام، ويتقاضون من زوّار الحجرة المشرفة، ومن أمّهات المواليد الذين يدخلونهم الحجرة النبويّة؛ لأنّ من عادات أهل المدينة سنّة وشيعة: أنّ المرأة إذا ولدت تظلّ في بيتها أربعين يوماً، وبعدها تخرج بوليدها لزيارة الرسول ﷺ وتعطي الأغا الموكل بالحجرة شيئاً من النقود، فيتناول منها الطفل، ويدخله إلى حجرات زوجات الرسول ﷺ من باب فاطمة عليها السلام ويضعه في دارها دقيقة أو أقلّ، أو أكثر، ثمّ يعود به إلى أمّه.

نكبة بني علي عام ١١١١ هجرية

تنقسم المدينة المنورة إدارياً إلى قسمين: قسم شمالي فيه كثافة سكّانية سنّية، مع جيوب صغيرة هنا وهناك في العيون والسيح والجرف، وقسم جنوبي فيه كثافة سكّانية شيعيّة هم الأشراف الحسينيّون وبنو عليّ، والنخالة وشيعة من قبائل شتّى، وبعض السنّة. وكان النصف الجنوبي للمدينة يعيش منفصلاً عن الدولة التركيّة، فكانوا يحكمون أنفسهم حكماً ذاتياً، على الطريقة العشائريّة، فليس للحكومة سلطان عليهم.

وقد وردت روايات في التاريخ أنّ الوفود الرسميّة إذا جاءت المدينة، وأراد الوفد أن يزور مسجد قبا، أو بني قريظة، ومشربة أمّ إبراهيم، لا يستطيعون ذلك إلّا بعد المفاوضة مع أهل العوالي، وأخذ الموافقة منهم، مع الرضوخ لشروط أهل العوالي، مثل إلقاء السلاح، وعدم اصطحاب الجنود.

قال صاحب كتاب التاريخ الشامل للمدينة: بنو عليّ فخذ من قبيلة حرب يقيم معظمهم قرب المدينة المنورة، ويقيم عددٌ قليلٌ منهم داخل المدينة، وقد عانى أهل المدينة والمسافرون منها وإليها من بعض أفخاذ قبيلة حرب الذين يتعرّضون للقوافل المسافرة، كما عانت المدينة نفسها منهم الكثير، لذلك كان في نفوس أهل المدينة الكثير عليهم.

ومع أنّ فخذ بني علي لم يرد ذكره في المرات التي هُوجمت فيها المدينة، إلّا أنّ الكثيرين كانوا يعتقدون بتواطئ أبناء هذا الفخذ مع أقاربهم في الهجوم على المدينة ونهبها أو في مناصرة المهاجمين وإيوائهم بعد غاراتهم أو حين مطاردتهم^(١). وقد تطوّرت مشاعر أهل المدينة بعد الغارات المتوالية في مطلع

(١) إنّ التهمة على بني علي بأنهم أي بني علي يؤون أقاربهم من حرب أمّلتها ظروف سياسيّة لتبرير قمعهم وتحجيمهم؛ لأنهم يشكّلون شوكة في جنب النظام العنصري الطائفي، علماً بأنّ القيادة العليا في العاصمة تضع شروطها وتختار من ترسله إلى المدينة وفقاً لهذه الشروط، وهي دولة مترامية الأطراف لا تستطيع متابعة ومحاسبة من يعينهم فهم يتصرفون باجتهادهم الشخصي؛ لا دستور مدوّن ولا قانون محترم، أضف إلى ذلك تأثير وضغط مراكز القوى التي تشكّلت بحكم حركة التاريخ سواء من هم من أصل تركي، أو من يحملون ضغائن وأحقاد طائفية، فيتخذ القرار الجائر على ضوء هذه المؤثرات، فشنت هذه الهجمة الشرسة الظالمة عليهم بقصد إضعافهم وتقنين قوتهم، لا سيما وأنّ المحرك القوي لها هو شيخ الحرم آنذاك (شاهين أحمد أغا) يتحرك من منطق مذهبي.

وصاحب كتاب التاريخ الشامل زاد على عبارة المؤرخين بكلمات فيها تشويه لسمعة بني علي مثل قوله: مناصرة المهاجمين، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: رحم الله شيعتنا لقد أودوا فينا ولم نؤذ فيهم. فهذه ضريبة الولاء لأهل البيت والسير على خطّهم، ولا بدّ أن يغمز في معتقده، أو خلقه، أو يُسلب ماله، أو يُنتهك عرضه.

القرن الثاني عشر، وكان الاحتكاك بهذه الأفخاذ كفيلاً بتفجير الضغائن وإحداث المصادمات، ويذكر المؤرخون أنه في سنة ١١١١ هجرية بلغ ذلك الاحتكاك ذروته مع فخذ بني علي، وكان لشيخ الحرم آئذ (شاهين أحمد أغا) مشاركة فعالة في هذه الفتنة، ولا نجد سبباً مباشراً للصدام الذي وقع ذلك العام، وربما يكون السبب حادثة احتكاك مع أشخاص معيّنين من بني علي، مالبث أن تحوّل إلى نزاع شامل، تعاضد فيه عدد كبير من أهل المدينة ضد بني علي، وثمة تقارير بهذه الفتنة رُفعت على دار الخلافة، ولا بدّ أنها موجودة ضمن الوثائق العثمانية، ولكنها لم تعرض ولم تترجم بعد، وسيؤدّي ظهورها إلى كشف الأسباب المباشرة والحقيقة لها، وإلى أن يتمّ ذلك لا نملك إلا أن نقول:

إنّ المشاعر قد تألّبت في المدينة ضدّ بني علي المقيمين داخل المدينة وخارج سورها، وأنّ شاهين أحمد أغا أسهم في تأجيجها، وقد تفجّرت هذه المشاعر، فحمل أهل المدينة السلاح، وانضمّ إليهم عدد من العساكر، وهاجموا بني علي، وأوقعوا فيهم إصابات شديدة، فانسحب بنو علي شرقاً، وتبعهم أهل المدينة حتّى بلغوا حرّة بني قريظة، وكان الوقت صيفاً والحرّ شديداً، فقتلوا عدداً منهم، وأسروا عدداً آخر.

فتابع بنو علي فرارهم شرقاً وجنوباً، فأمر شاهين أحمد أغا بالكفّ عنهم والرجوع إلى المدينة. غير أنّ بعض أهل المدينة أرادوا أن يجهّزوا على بني عليّ ويقضوا على قوّتهم نهائياً، فطلبوا أن يتابعوا القتال، حتّى يستسلم المقاتلون، فيأسروهم ويقضوا على شوكتهم نهائياً خاصّةً وأنّهم أحيط بهم، فأبى شاهين أحمد أغا، وأصرّ على العودة إلى المدينة، ولكي يحملهم على طاعته والرجوع إلى المدينة أمر بإهراق الماء الذي يحمله الناس معهم.

ورجع بمن أطاعه، وكانوا كثيرين، وبقي الآخرون في أرض المعركة، واشتدّ حرّ الشمس على الجميع، وسقط بعضهم من أذى الشمس وحرّها ومن

العطش، ثم فوجئ أهل المدينة بجموع من الأعراب تدهمهم وتسلبهم ما يحملون من أسلحة وأموال، وكان مع الأعراب قرب من المياه^(١) تحملها نساؤهم من خلفهم، بينما كان العطش يأخذ من أهل المدينة مأخذه، فضعت مقاومتهم وتشبثوا في المنطقة لاهئين، وأمسك الأعراب عدداً كبيراً منهم، وتبعوهم إلى المدينة، ولم تكن فيها مقاومة تُذكر بعد أن تشبثت الرجال، فتابعوا النهب والسلب، وعاثوا بالبساتين فساداً، وأخذوا ما وجدوه من تمر وحنطة، فخرج العسكر من القلعة، وردّوا الأعراب بالبنادق، فانسحب الأعراب حاملين معهم غنائمهم، وتقاطر أهل المدينة منهمكين منهويين.

يقول الكاتب: كانت نتائج الواقعة قاسية جداً على بني عليّ، وعلى أهل المدينة أنفسهم^(٢)، فبعد أن ضرب أهل المدينة ضربةً قاصمةً جاء الأعراب ففتكوا بالطرفين^(٣) ونهبوا ما وصلت إليه أيديهم، وقد حنق الناس على شاهين أغا وعدّوه سبب النكبة التي حلّت بالناس؛ لأنّه بإهراقه الماء عرّضهم للعطش الشديد، وأضعف مقاومتهم، ومكّن الأعراب من البطش بهم، فكتب فيه الشكاوى

(١) عند أتباع أهل البيت عليهم السلام من النصوص الصحيحة، وفي التاريخ كثير من الوقائع الصحيحة أنّهم إذا تعرّضوا لحالة ظلم وقهر شديدين، لا سيّما إذا كانوا في الصحراء، وتحزّرت نفوسهم من كلّ متعلّقات الدُّنيا، وأيقنوا أنّ الهلاك قادم لا محالة، وأنّ القدرة الوحيدة التي تستطيع تخليصهم هو الله عزّ وجل، كما في قصّة الرجل الذي سأل الإمام الصادق عليه السلام عن الله، فقال له: هل اتّفق أن ركبت سفينة وتعرّضت للغرق؟ فقال: نعم، فقال: هل خطر ببالك أن شيئاً يمكن أن ينقذك؟ قال الرجل: نعم، قال الإمام عليه السلام: ذلك هو الله. ولعلّ بنو عليّ أيقنوا الهلاك فنادوا: يا صالح.. يا صالح.. يا صالح، أو يا أبا صالح.. لا شك أنّ الله يُغيثهم بالإمام محمّد المهدي (عج) فيأتيهم على صورة أعرابي، ولا شكّ عندي أنّ هذه النجدة التي أتتهم كانت هو الإمام المنتظر المهدي أبو صالح (عج) وإلا فمن أيّ القبائل هم. لم يستمهم التاريخ، قال: أعراب، وكيف دخلوا المدينة، وخرجوا منها، وأين الحامية التركية؟؟ ولم يُقتل منهم أحد، ولم يُأسر منهم أحد، إنّه الإمداد الغيبي، إنهم جُنّد الله!!

(٢) ما أشبهها بمعركة أحد، هزيمة للمسلمين، ثم انتصار كاسح.

(٣) هذه الكلمة تلبّيس للحقيقة.

إلى الأمير سعد بن زيد والي دار الخلافة، فجاء أمر الخلافة بعزل شاهين أغا من مشيخة الحرم^(١).

يوم من أيام بني عليّ

بنو عليّ؛ ديارهم الأصلية المدينة المنورة في ضواحيها، لكن الضغوط الشديدة عليهم، ألجأت بعضهم إلى الهجرة إلى القصيم، ولا يزال بنو عمومهم يعيشون في القصيم، ومنهم الكاتب المعروف (حمد الجاسر)، ولعلّ التشييع الموجود الآن في عقر السلفية يرجع إلى هذه القبيلة.

وكانت لهذه القبيلة وقائع وأيام مشهورة، منها واقعة «عرجاء» وهي كما رواها البلادي: عندما نزل بنو عليّ عليّ عرجاء في ديار عتيبة، جمعت عتيبة معظم قبائل «برقا» و«روق» وكانوا كثيرين جداً، حتّى أنّ مؤرّخ الواقعة شكّ في صحّة الرواية: أنّ جميع هذه القبائل الكثيرة تجتمع على قبيلة صغيرة العدد، وكانت بينهم معركة غير متكافئة في العدد والعتاد، ومع ذلك كان النصر حليف بني عليّ، على الرغم من أنّ حلفاءهم من مطير قد نقضوا الحلف قبل بدء المعركة، وانسحب بنو عليّ بعد معركة دامية من الصباح حتّى المساء تكبّد فيها خصمهم ٩٠ قتيلاً، وبنو عليّ ١٥ قتيلاً؛ وعادت عرجاء إلى عتيبة، وقال شاعرهم قصيدة بهذه المناسبة، ذكر منها البلادي الأبيات التالية:

بليتنا يا صانع الكرزان^(٢) عساك يا الظالم ضعيف
اصبر بهذي من بعد سلطان^(٣) من دون عجلات العطيف

(١) نقلاً عن الأخبار الغربية: ص ٣ - ٤، و تحفة المحيّن: ص ٦٢، نسب حرب، للبلادي: ص ١٦٥، النقل من التاريخ الشامل للمدينة: ص ٣٧٦ - ٣٧٨.

(٢) يقصد أنّ آل حميد من ضاع الكرزان من البقوم، وليس كذلك، ولكنّه قول خصم، أمّا الكرزان فهم من سراء القوم (هامش قبيلة حرب للبلادي).

(٣) أبناء من حميد، قتلوا في المعركة. نسب حرب: ص ١٧١.

إلى أن يقول:

حنّا حرائبنا بني عثمان^(١) وشهودنا ولد الشريف^(٢)

إنّ ذوي درويش بن سبتي من قبيلة «الشرمة النخلية» ومشیخة القبيلة فيهم يتوارثونها كابراً عن كابر، وشيخ القبيلة هو الشيخ سالم بن صالح بن سالم بن درويش بن سبتي البلادي، فهم من قبيلة الكاتب والمؤرّخ عاتق بن غيث البلادي؛ والله أعلم.

لابدّ من صنعاء وإن طال السفر

الأشراف وبنو عليّ والنخليّون؛ هذا الثالث الخطير يعكّر صفو جوّ المدينة، فلا بدّ من تصفيتهم، أو على أقلّ تقدير تحجيمهم وتغيبهم عن الساحة الإسلامية، لذا فيجب أن يذكروا بأسوأ الصفات، ويُنعتوا بأبشع النعوت، لهم أبواز وذبول. ذكر المدائني عن ابن شهاب أنّ خالد القسري أمره بأن يكتب له السيرة النبويّة، فقال ابن شهاب للقسري: إنّه يمرّ بي شيء من سيرة عليّ بن أبي طالب، فأذكره؟ قال: لا، إلّا أن يكون في قعر الجحيم^(٤).

وكثير ممّا كُتب عن الأشراف الحسينيّين، وبنو عليّ، وجهم، والنخليّين بنفس النّفْس والمنهج، يذكرون المثالب ويضخّمون الهفوات، ويخفون الحسنات، وصدق من قال: أخفى أعداء عليّ بن أبي طالب فضائله حسداً، وأخفاها محبّوه خوفاً، ووصلنا منها ما ملأ ما بين الخافقين.

فالأشراف سلالة أهل البيت عليهم السلام، سلبوهم استحقاقهم في قيادة الأمّة، ونهبوا أموالهم، وجردّوهم حتّى من لقب سيّد وشريف، فكانت سيرتهم في

(١) الدولة العثمانية.

(٢) الأشراف. نفس المصدر.

(٣) نسب حرب للبلادي: ص ١٧٠ - ١٧١.

(٤) تاريخ الإسلام، نقلًا عن الأغاني: ج ٢٢ ص ٢١، أخبار ابن عبد الله القسري.

الإمارة اقتتالاً مع بعضهم البعض، ومع الآخرين، وسلباً لمدّخرات الحجرة الشريفة، ونهباً لبيوت المدينة، إلى آخر المنظومة من التّهم والتشنيعات، حتّى عملهم بسنة جدّهم رسول الله ﷺ يخطّونهم عليه.

وبدعة ابن جبير سنة يمتدح عليها فأكثر من كاتب كتب عن المدينة وسيرة أمرائها الأشراف، يذكر هذه الحادثة، وهو يدري، ويريد أن لا يدري أنّه يردّ على رسول الله ﷺ؛ لأنّ الردّ على هذا الخطيب الذي عمل بسنة رسول الله ﷺ هو يستبطن الردّ على الرسول ﷺ، والرادّ على الرسول هو رادّ على الله تعالى:

إنّ ابن جبير في رحلته إلى المدينة سنة ٥٨٠ هجري رأى خطيب المسجد النبويّ جلس بعد الخطبة الأولى، وقام عبيده والمردة يدورون بين الصفوف ويجمعون من الحاضرين الأموال النقديّة والعينيّة، حتّى تجمّع كومٌ عظيم، فقام وخطب الخطبة الثانية.. وذنب هذا الخطيب أنّه على مذهب غير مرضي^(١).

أمّا سكّان أبو ضباع، فقد قال فيهم محمّد صادق باشا صاحب «الرحلات الحجازيّة» قولاً فاحشاً ما أنزل الله به من سلطان، فيقول عنهم: إنّهم يبيحون الجمع بين الأختين، ولا يوجبون على المطلّقة عدّة، ويقتلون الصيد في الحرم، ويصلّون الصبح أداءً بعد شروق الشمس، ولا يصلّون المغرب إلّا قريباً من العشاء، ويبغضون كثيراً من الصحابة كالأعجام، ويضعون في أكفان موتاهم خبزاً معه إناء فيه ماء وقضبان من الخيزران أو من جريد النخل، ولهم نخيل وبساتين، وأغلبهم قطاع الطريق، والأمر عندهم بالشورى^(٢).

فهذه معلومات غير دقيقة مع خلط وزور وكذب وبهتان.

حسن القلعي

كان رجلاً من عوام الناس، متّصفاً بالدّهاء والحيلة، ومحبواً بقوة التحلّل

(١) رحلة ابن جبير: ص ١٧٩.

(٢) الرحلات الحجازيّة: ص ٢٠٣.

والشدّة، فوصل إلى رتبة ضابط في الجيش، وكان ذا قامّة قصيرة جدّاً، يمشي مضطرباً، لأنّه كان شبه أعرج، برغم ما كان عنده من قوّة البدن ورهبة في الصوت. وبعد عدّة سنوات من الكفاح الشاقّ استطاع هذا الرجل أن يصبح سيّد المدينة غير المتنازع، وكان في خدمته فوج من الحرس المختلط المتألف من البدو والمغاربة وسكّان المدينة، كما كان في جانبه جميع رعايا المدينة وعوامّها، فأخذ يستبدّ بالناس ويظلم الحجاج فيبتزّ أموالهم، ويصادر ممتلكاتهم، ويستولي على مخلفات المترفين منهم، كما يصادر العدّة أو الأموال التي كانت تحوّل من اسطنبول إلى العتبة المقدّسة في كلّ سنة، حتّى جمع ثروة جسيمة وأموالاً طائلة. وقد رويت عنه قصص غريبة تدلّ على وحشيّته ونذالته، ومنها أنّ أرملة ثريّة جاءت من اسطنبول ذات يوم مع ابنتها لزيارة القبر المطهر، فقبض عليها وأجبرها على التزوّج منه، وما مرّ يومان على الزواج حتّى وجدت المسكينة ميّنة في بيته، فاستولى على أموالها، وبعد مدّة من الزمن أجبر ابنتها على الخضوع له والتزوّج منه أيضاً! ومع أنّ أمره قد رفع إلى اسطنبول عدّة مرّات فإنّ السلطان لم يجد نفسه قادراً على طرده أو الاقتصاص منه، ولم يكتف بذلك بل صار يتعرّض لقوافل الحجاج ومواكبهم الرسميّة، فيبتزّ منها الأموال والرسوم حتّى اضطرّ موكب الحجّ السوري إلى العودة، قبل الوصول إلى المدينة في سنة من السنين.

وحينما أخذ السلفيّون^(١) يهاجمون الحجاز في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، ويتوجّهون نحو المدينة، ازداد حسن القلعي عتوّاً وغنفاً، ولم تعرف لتعسّفه وجوره أيّة حدود في السنوات الثلاثة التي سبقت استيلاء السلفيّين على المدينة، وصارت المخازن والدكاكين تُسرق خلال الليل من قبل البدو العاملين

(١) إنّني سمعت كثيراً من المسؤولين في وطننا الحبيب يقولون: إنّ الوهايّة ليست مذهباً، وإنّما هي طريقة لفهم السلف الصالح، وأمانة النقل تقتضي أن أكتب كلمة «الوهايّة» أيضاً للمثل القائل: ناقل الكفر ليس بكافر. ولكنّي مع هذه المبرّرات كرهت أن أكون عوناً للمتحاملين على الفكر السلفي، كيف وأنّ بعض الشرائع المتشدّدة في تراجع صادق وميل إلى الوسطيّة.

في خدمته، ولما وجد نفسه عاجزاً عن الوقوف في وجه السلفيين والصمود لهجماتهم استسلم لهم بشرط أن يبقى في منصبه، فوعده بذلك وتم له ما أراد، فقد وضعت حامية سلفية في القلعة، وأجبر أغا الحرم والأترك الذين كانوا موجودين في المدينة على الانسحاب منها، بعد أن لم يكونوا فيها سوى أشباح لا أثر لها. وهكذا بقي حسن القلعي حاكماً على المدينة في ظلّ السلفيين، وعندئذٍ أخذ يتطرّف في تحمّسه للمذهب السلفي الجديد، ويضغط على السكّان في سبيل اعتناقه بأقصى الوسائل وأعنف الطرق، ولم يكن سعود ليحترم المدينة كما كان يحترم مكة^(١)، ولذلك أعفى المكيين من الرسوم والزكاة، وشدّد في استيفائها من أهل المدينة بواسطة حسن القلعي^(٢). هذه هي المدينة المظلومة. أحياناً الخلفاء والملوك يختارون لها الولاية أغلاظ الأكباد، وأحياناً الأحداث، وحركة التاريخ تصنع هؤلاء الولاية، والله المستعان.

سعود الكبير وحصار المدينة

يقول الجبرتي في تاريخه عن يوم ١٥ رجب ١٢٢٠ هجري (٩ أكتوبر ١٨٠٥ م) وفيه:

وردت الأخبار بأنّ السلفيين استولوا على المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم بعد حصارها سنة ونصف من غير حرب، بل تحلّقوا حولها، وقطعوا عليها الوارد، وبلغ الأردب الحنطة بها مائة ريال فرانسا، فلما اشتدّ بهم الضيق سلّموها، ودخلها السلفيون ولم يحدثوا بها حدثاً، غير منع المنكرات

(١) هذه عقيدة كثير من المسلمين، وإن كنّا نختلف معهم في هذا.

(٢) هذه شهادة من المؤرّخين أجمعوا على أنّ السعوديين لم يشنّوا حرباً داخل المدينة على أهلها، وهذا مؤشّر واضح على أنّهم يعرفون للمدينة حرمتها، وأنّ رسول الله ﷺ حرّمها كما حرّم الله مكة لإبراهيم عليه السلام.

وشرب التبنك في الأسواق، وهدم القباب ما عدا قبة الرسول^(١).

ويقول الرحالة فيليبي: استولى ابن سعود على المدينة، بعد أن حاصرها ردحاً من الزمن، وقد شهد هو نفسه - أي فيليبي - في رابع جيش الأمير محمد ثالث أنجال ابن سعود يتوجّه في طريقه إلى المدينة^(٢)، وحاصر رجال ابن سعود المدينة ما يقرب من خمسة وعشرين يوماً، وسّموا أهلها الناكثين^(٣).

ويقول الدكتور عبد الباسط بدر: اجتمع أعيان المدينة وقادة الفرق وشيخ الحرم والقضاة... وبعد مداولات كثيرة استقرّ رأي الجميع على مكاتبة الأمير السعودي سعود بن عبد العزيز مباشرةً وتجاوز المحاصرين وطلب الأمان للمدينة وأهلها... وكتب المجتمعون رسالة وقّعها شيخ الحرم والقضاة وعدد من الأعيان، منهم أحمد الطيّار وحسن القلعي قائد النوبتجية والقلعة، وخرج وفد صغير من المدينة المنورة إلى الدرعية بالأمان، وقابل الأمير سعود، فرحّب بهم الأمير وأكرمهم، وقبل مبايعتهم وإعطاهم الأمان اشترط عليهم تطهير المدينة المنورة من مظاهر الشرك والبدع الضالة ولا سيما القباب على القبور... فقبل الوفد ذلك وعادوا بخطاب الأمان إلى المدينة. وفي الوقت نفسه جاءت الأوامر إلى أتباع الحركة الإصلاحية بتأمين أهل المدينة ودخولها سلباً وإزالة القباب ومظاهر الشرك فيها، وكان جلّ اهتمامهم بالضواحي كالعوالي وقبا^(٤)، فبني في العوالي قصرًا يربط فيه الإخوان الذين دخلوا المدينة، وصار القصر مركز نشاطهم الديني والعسكري، وكان ممّن نزل هذا القصر الشيخ عثمان بن عبد المحسن أبو حسين والشيخ قرناس بن عبد الرحمن، صاحب مدينة الرس، للقضاء على المذاهب

(١) من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي: ص ١٠٤.

(٢) هذا في الدورة الثالثة.

(٣) مجلّة الفورة الإسلامية، العدد ٧٤ رمضان ١٤٠٦ هجري.

(٤) ذلك لكثافة الشيعة هناك.

السائدة فيها، وإحلال المذهب السلفي مكانها^(١).

وفي عام ١٢٥٤ هجري غارت قبائل حرب على العوالي، وكتب محافظ المدينة محرم بك يستنجد بمحافظ ينبع درويش بك^(٢).

مجزرة أوزون علي باشا

من الأحداث التي يتحدث عنها من أدركتهم من معمرى النخيلين بحرقه ومراة الهجمة الشرسة لأوزون علي باشا على العوالي وهي: إن أحد القناصة لم تذكر الرواية اسمه، وممن يكون؛ كان في كل صباح يتسلق شجرة سدر كبيرة تقع بالمزرعة المعروفة بالطايبة بجوار مسجد بلال الجديد، ويطلق رصاص بندقيته على بعض المارة ممن يسرون في شارع المناخة، يصطاد به الناس، ولا أحد يعرف من أين يأتي هذا الرصاص الذي يصطاد الناس.

فتفتت أذهان بعض الحانقين عن فكرة جهنمية هي: أن صبغت مجموعة من أغلفة الرصاص باللون الأخضر الذي يشبه لون القبة للرسول ﷺ بمباركة من محافظ المدينة^(٣) وأرسلت إلى العاصمة، مع وفد يمثل المدينة، ويشرح تفاصيل القضية بأن هذه أغلفة رصاص يسدد إلى قبة الرسول ﷺ وترشق به القبة المقدسة من أهل العوالي الرافضة، ولا بد من تطهير المدينة منهم، فجاءت النجدة من

(١) هذا هو الإقصاء بعينه، والتغيب للتوجهات الآخر ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ و﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، هذه مصادر للحرثيات، وقمع للتوجهات المغايرة، ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

(٢) التاريخ الشامل: ج ٢ ص ٤٧٦.

(٣) معروف أن الشيعة أكثر المسلمين حباً وولاء لرسول الله ﷺ وأهل بيته، ولذلك يتهمون بالعلو في حثيم، وهم أول من شجب واستنكر واتخذ التدابير اللازمة لمقاطعة الدولة التي سمحت لصحف بلادها يرسم صور مضحكة وساخرة للرسول ﷺ وأنكروا وشجبوا تفجير أكبر قبة في بلاد الإسلام التي يرقد تحتها إمامان من أئمة المسلمين.. كيف يفعلون ذلك بقبة الرسول؟!

البلاد المجاورة للمدينة بعد الموافقة، فأعدَّ الأمير جيشاً من الجند النظاميين ومن المتطوعين، ووضعوا لحوافر الخيل لباداً كي لا يسمع وقع حوافر الخيل على صخور الحرّة، فداهموا العوالي مع الفجر عن طريق عروة، وقتل من النخليين ثلاثة آلاف وخمسمائة لحية - أي رجل - غير الأطفال والنساء.

وتقول الرواية: إنَّ بني علي قد سلموا من هذه الواقعة، لأنَّهم استطاعوا أن يلودوا بالفرار^(١). وقد أشار إلى هذه الحادثة بصورة غامضة الأستاذ محمّد حسين زيدان في محاضرة له بالنادي الأدبي بالمدينة المنورة بتاريخ ٨/٣/١٤٠٩ هجري على سبيل الاعتذار.

علي بن سمير العلوي سنة ١٣٢٤ هجري

مما احتفظت به الذاكرة لمن أدركتهم من معمرّي النخليين حسين بن حسن أبو خلاف وزهير بن علي حمرون، يقولان: إنَّ الولاة الترك الذين يعيّنون على المدينة يختلفون في تعاملهم مع الناس والأحداث ومحرّكيها ومراكز القوى المتعدّدة بالمدينة تكتل شيخ الحرم وحوله الأغوات وعبيدهم، وقائد القلعة، والمفتي والقاضي... فإذا كانت إدارة المحافظ ضعيفة ظهر نشاط هذه القوى والتكتلات، فتلعب دورها في صناعة الأحداث، وأحداث التوتّرات، والاحتقانات في المجتمع المتعدّد الذي يشكّل كلّ ألوان الطيف في مكوّناته.

قالوا لي إنّه كان ضعيف الشخصية، تذبّوب شخصيته في هذه المكوّنات وصراعاتها، والقويّ يستقلّ بصنع القرار بدون مؤثّرات وضغوط خارجيّة، فكان أحد الولاة ولعله علي باشا مرمحين، أو عثمان باشا، أو حسن حسني باشا، في سنة من السنين - هذا الترديد من الرواة - تقول الرواية، والعهدة عليها، لعلّ بني علي استغلّوا انشغال خصومهم من الأهالي مع الولاة في صراعات هامشيّة،

(١) ممّن سمعت منهم: محسن بن حبيب المحيبي المحاربي رحمه الله.

وأرادوا أن يثأروا لأنفسهم، فصاروا يضايقون الأهالي الذين لهم مزارع في العوالي من الوصول إليها، فما احتمل الأهالي ذلك، فاجتمعوا في دار كبيرة في حيّ الساحة أرقى أحياء المدينة آنذاك، وخرجوا بقرار: أن يدعوا كبار بني علي إلى هذه الدار للتفاوض والوصول إلى حلول مرضية للطرفين، وكان عدد المتآمرين في حدود العشرين رجلاً، فوجهوا الدعوة لبني علي، فاجتمع كبار بني علي ليتشاوروا في الأمر.

وفي اليوم الموعد بدأت طلائع الأهالي تتقاطر إلى مكان الاجتماع، وهي دار كبيرة فيها قاعة تقع في صدر الدار، وبدأ بعدهم ما يقارب من أربعين شاباً مسلّحين يتوافدون إلى مكان الاجتماع ويصعدون إلى الدور العلوي من الدار، وكان الطّبّاخ أحد النخليين يطبخ لهم الغذاء أمام الدار، ويرى هذا المشهد بدهشة واستغراب، والمجتمعون يعتقدون أنّه من أحد الطباخين المواليد.

واجتمع بنو علي وتداولوا بينهم، فكان منهم من يقول: نجيب الدعوة، ونعرف ماذا يطلبون مثلاً. وآخر يقول: إنّ الأمر مريب لا نجيب الدعوة. وكان من بين الحضور رجلٌ مكفوف البصر اسمه علي سمير، قال: الرأي عندي؛ لا يذهبن أحدٌ منكم، وأعطوني طفلاً يميّز بين الأمور إذا سألته ماذا يرى يجيبني.

وفي اليوم الموعد جهّزوا له حماراً وغلاماً يميّز الأمور، فأردفوه مع العمّ علي سمير، وقد تعمّد التأخير قليلاً، فلمّا وصلا مكان الاجتماع نزل عن دابّته فربطه له الغلام وقاده إلى مكان الاجتماع، فاستقبله القوم بحرارة فأخذ مكانه في صدر المجلس، والقوم على أحرّ من الجمر من تأخّر بني علي، فسألوه: عمّ علي أين ربك؟! فأجاب قائلاً: هل كفّلتُموني بهم؟

انتظروا ساعة من الزمن، ولم يأت أحد، وكانت العادة عند عرب الجزيرة إلى قريب أنّهم لا يلبسون السراويل، فتعمّد الجلوس بالهيئة التي يبدو بها شيء من عورتهم! فقال له أحد الحضور: يا عمّ استر عورتك؛ فردّ عليه بدهاء، وهل في المجلس رجال؟! يشس القوم من نجاح خطّتهم، فأحضروا الطعام، وأكلوا جميعاً،

رياح الثورة العربيّة الكبرى تهبّ على ربوع الحجاز □ ٣٣٩
ثمّ انصرف كلّ إلى شأنه. وبمرور الأيام أخبر الطّبّاخ المسكين بما شاهده، فوصل
الخبر إلى بني علي، وعرفوا أنّها مكيدة مدبّرة لهم نجّاهم الله منها.

رياح الثّورة العربيّة الكبرى تهبّ على ربوع الحجاز

«إنّ نشوء حالة ثوريّة في وطن من الأوطان هو ظرف لا يصنعه طرف واحد، أو تنظيم معيّن مهما كانت كفاءته، وإنّما نشوء الحالة الثوريّة يجيء نتيجة أوضاع اجتماعيّة واقتصاديّة تتراكم فوق بعضها، ثمّ تطرأ حادثة، أو أحداث تقنع الكلّ أنّ الأمر الواقع قد يؤدّي إلى حدّ لا يرجى إصلاحه، وأنّه وصل بما لا يقبل الشكّ إلى طريق مسدود. وهكذا فإنّ الحالة الثوريّة في وطن لا يخلقها من العدم فرد بذاته أو جماعة بعينها، بالقصد أو بالتدبير، لأنّها تأريخيّة وعمليّة أكبر وأعمق من أيّ قصد أو تدبير، وكلّ ما هنالك أنّ هذه الحالة تصبح احتمالاً مفتوحاً لأيّ طرف أو تنظيم يستطيع تحليل عناصرها، وتشخيص عوارضها، والتصديّ لقيادتها في اللّحظات الحاسمة»^(١).

وكانت الدولة العثمانيّة في هذه الفترة تعاني كثيراً من الضعف والاضطراب، فهي تسير بقوة الدفع للمؤسّسين الأوّلين، وقد اشتهر اسمها بـ «الرجل المريض» فما كان من اضطرابات وقلاقل وحالة عصيان مدني في كثير من الولايات التابعة لها هو إيذان بانفجار الثورة العربيّة الكبرى بقيادة الشريف حسين.

إرباك وفوضى لإيجاد جيل جديد^(٢) للنظام الجديد

يقول صاحب التاريخ الشامل مع الاختصار: كانت بداية هذه الأحداث في

(١) ملفّات السويس: ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٢) إنّ بروتوكولات حكماء صهيون تقول: لن نستطيع السيطرة على العالم إلّا بإشاعة الفوضى؛ ووزيرة الخارجيّة الأمريكيّة قالت في إحدى زياراتها للعراق: إنّ هذه الاغتيالات والتفجيرات والأحزمة الناسفة بقصد إحداث فوضى لإعداد جيل جديد للنظام الجديد الذي سيقيم في العراق!!

عهد المحافظ علي باشا مرمحين الذي عُيِّن في أواخر ١٣٢٠ هجري، كان مرمحين شديد الغطرسة والاستبداد والتهوُّر، وقد أخاف أهل المدينة، وفرض الرسوم والضرائب، منها ليرة عثمانية ذهب على كل فرد من أهل المدينة، وتحوّلت النقمة إلى حركة مواجهة يقودها محتسب المدينة «رئيس البلدية» أنور عشقي.

وفي أحد الأيام بلغت النقمة ذروتها في نفوس جماعة من أهل المدينة فتجمّعوا خارج مقرّ المحافظة عند باب القلعة الصغير، وعندما خرج المحافظ من مكتبه شغبوا عليه وطلبوا منه بشيء من الحدة أن يقلع عن تصرّفاتة القاسية... وأطلق أحد الغاضبين النار عليه فلم تصبه... فأسرع المحافظ والتجأ إلى أقرب مبنى وكان «عشّ المحتسب» واحتشد المتظاهرون أمام مكتب المحتسب... وجاء الشيخ تاج الدّين ليحاول تهدئة الجماهير الهادرة... ولكن محاولاته باءت بالفشل... فخاف الشيخ تاج الدّين بعد أن سمع بالعيارات النارية تدوي بالقرب من رأسه... فاستعان المحافظ بعسكر القلعة، فجاءته النجدة... وفكّوا الحصار عنه... وأخرجوه من عشّ المحتسب تحت حراسة شديدة، وأوصلوه إلى بيته وشدّدوا الحراسة عليه، فلجأ الأهالي بعد ذلك إلى الإبراق إلى العاصمة والمطالبة بعزله...

فأرسلوا برقية إلى السلطان عبد الحميد... فاستجيب لهم... وعزل المحافظ مرمحين... ووصل محافظ جديد هو حسن حسني باشا... ولم يطل أمر المحافظ الجديد... فشغبوا عليه... وأرسلوا الشكاوى ضده، فجاء الأمر بعزله أيضاً، وعيّن شيخ الحرم عثمان فريد باشا محافظاً جديداً للمدينة إضافة إلى منصبه الأصلي في مشيخة الحرم^(١).

أقول: ليس الأمر أمر شغب، بقدر ما هو إرهاب للثورة القادمة من وراء

الأفق. كان المحافظ الجديد عثمان باشا يرقب تطوّرات الأحداث المتلاحقة عن كثب، بحكم وجوده في المدينة في مشيخة الحرم المطهر... فجاء إلى المنصب الجديد وهو يحمل في رأسه مخططاً إصلاحياً وآليات وورش عمل يتعامل به مع المستجدّات على الساحة المدنيّة، ولا سيّما مع رموز المجتمع الذين كانوا وراء الأحداث، والمحرّك الرئيسي لها...

وحدث أن سجن أحد أقارب رمز من الرموز واسمه «موسى بك كردي» وصارت تداعيات كثيرة... وانتشرت شائعات كبيرة تتحدّث عن النوايا السيئة للمحافظ الجديد... وانتفخت... وتنامت موجات الغضب الجماهيري.. وكانت نشوة النصر على المحافظين السابقين محرّكاً قوياً لتكرار التجربة...

وفي أواخر شهر ذي الحجة عام ١٣٢١ هـ طلبوا من المفتي عثمان داغستاني أن يستصدر قراراً بعزل عثمان باشا لرفعه إلى اسطنبول... لكنّ المفتي لم يتحمّس لذلك... فمارس المتظاهرون ضغطاً على مجلس الإدارة ليتّخذ القرار، فأصرّ الطرفان، وهذا أوّل الوهن للانشقاق في الصف الوطني، وخرجت كتلة ثالثة تدعى حماية المحافظ لأنّ له حقّ الجوار لأنّه يسكن في حيّهم.. كادت أن تقع حرب أهليّة.. وانتشرت الأخبار، وعملت الشائعات حتّى بلغت قادة الحامية في القلعة، وكان معظمهم غير راض عن عثمان باشا... ووصلت أوّل قافلة للحجّاج، وانشغل الثائرون بها، ومصدر آخر يقول: وصل المحمل الشامي وتدخل رئيسه بالصلح بين المتنازعين.

إنّ التوتّرات ومظاهر العصيان المدني الكثيرة والمتلاحقة أقلقّت العاصمة، وجعلتها تتدخل، وتتّخذ قراراً حاسماً، فأرسلت هيئة تحقيق إلى المدينة، وفي الوقت نفسه أرسلت برقيّات إلى القيادة العسكريّة في اليمن والشام بإرسال قوّات مسلّحة على وجه السرعة إلى المدينة ووضعها تحت تصرّف المحافظ... كلّ هذا والمدينة صامدة.

وفي الخامس والعشرين من شهر محرّم عام ١٣٢٢ هجري وصلت لجنة التحقيق... وأحضرت المتهّمين وبدأ التحقيق معهم... وفي نفس الوقت استدعي عدد من ضبّاط القلعة وثكنة العنبريّة، وبدأ التحقيق معهم بتهمة التواطؤ مع الأهالي، وعدم تنفيذ الأوامر، وعدم حماية المحافظ وإخماد الفتنة... وانتهت لجنة التحقيق إلى إدانة ٤٢ من الأهالي و ٤٠ من العسكر، وبرأت ساحة ٧٦ موقوفاً وبقية العسكريّين.. فسجن المتهّمون وهم ٨٢.

وبعد مضيّ ٧٢ يوماً من سفر لجنة التحقيق وصل الأمر من الباب العالي بنقل المتهّمين إلى سجن الطائف... كلّ اثنين على جمل مكبّلين بالأغلال... وبعد حوادث صدّ لهم في الطريق، رجعت القافلة إلى ينبع، وحمل المساجين في سفن أبحرت بهم إلى جدّة، ثمّ رحلوا إلى الطائف على الجمال... وفي جدّة تشفّع فيهم بعض سكّانها، فحلّت قيودهم وشدّت عليهم الحراسة حتّى الطائف. ويقول حسين أبو خلاف رحمه الله: البعض أودع في السجن، والبعض توفّي في الطريق، والبعض الآخر توفّي في السجن، حتّى صدر العفو وعاد الباقون - رحم الله الجميع -^(١).

وهذه المأساة المؤلمة أشبه بمأساة بني الحسن بن الحسن أيام المنصور العبّاسي.

صمود المدينة في عهد الأشراف

إنّ فترة حكم الأشراف تكاد تكون فترة لا يوجد فيها ما يستحقّ التسجيل لأنّها مدّة قصيرة لم يستقرّ فيها الأمر للأشراف، إذا استثنينا فترة الحصار التي فرضها السعديّون على المدينة، والحرب التي كانت تدور رحاها خارج المدينة،

(١) الحادثة كتبها بتصرّف واختصار من كتاب: التاريخ الشامل للمدينة المنورة: ص ٧ - ٢٢، وورد في هذه المأساة اسم عيد بنا، فهو رجل صعيدي كان حتملاً في سوق الحباية، قويّ يحمل كيساً رز كلّ كيس على كتف ويسير بهما.

الحصار المشهور بـ «حربة الشهرين» تعرّض فيها المدنيون لخوفٍ شديدٍ ومجاعة رهيبة، فمن يتسلّل ويخرج إلى عرضي السعودي بالجرف والعيون يأمن ويشبع بطنه، ومن يصبر ويصابر ويرابط مع الشريف داخل المدينة يتعرّض للجوع والخوف؛ لأنّ الإخوان يتسلّلون في جوف الليل إلى داخل المدينة للقيام بغارات خاطفة... حتّى سلمت المدينة.

يخبرني والدي ﷺ أنّه عندما وقع حصار ابن سعود للمدينة كانوا قد خطبوا لأخته «سلمى» واشتروا أثاث البيت للعريسين، وبسبب الحصار والاضطراب أخّروا موعد الزواج، فباع الأثاث بأربعين ريال مجيدي، وصار يتاجر بها ليوقّر شيئاً ما من المواد الغذائية للمحاصرين داخل المدينة، فكان يتسلّل في الليل هو وصديق آخر له إلى العيون، ويشترى من المواد الغذائية، ويدخلونها المدينة... وفي يوم من الأيام صباحاً رآهم الجنود الذين على المدفع المنصب على جبل سلع، فأطلقوا عليهم نار مدفعهم، وكانت «الدبول» فتحات مجاري المياه في العيون تسمّى الدبول، فنزلوا فيها وسلّموا... والمرّة الثانية كانوا يحملون معهم ثوماً؛ اشتراه والدي من صاحب المزرعة المعروفة الآن بالعيون المسنّاة بـ «العليا» لحسن جابر الفار النخلي، وعندما وصلوا بالقرب من المسرع، وإذا بدوريّة من الإخوان تقابلهم، وتوجّه بنادقها عليهم، فوقفوا وجلس والدي بالأرض كأنّه يريد التبول، وتحت قشعة من الحرمل حفر حفرة صغيرة ودفن فيها الأربعين مجيدي مهر أخته، وتقدّم بعد ذلك إلى الدوريّة فسلبوهم كلّ ما معهم حتّى ملابسهم، وانصرفوا وتركوهم، فعاد والدي إلى المكان الذي دفن فيه الريالات وأخرجها ودخلوا إلى المدينة سالمين.

صمود المدينة في الدورة الثالثة للسعوديين

فيصل الدويش^(١)

يقول خير الدين الزركلي: أمّا بالنسبة للأوضاع في المدينة المنورة، فلم يكن حرص السلطان عبد العزيز على دخولها بسلام أقلّ من حرصه على ما يصنع في جدة.

أرسل إليها من يدعوها إلى التسليم، وامتنعت حاميتها^(٢). وكان الجيش السعودي الذي يطرق المدينة المنورة بقيادة فيصل الدويش شيخ مطير^(٣) أحد كبار الإخوان المتحمسين الذين ما زال في أعماق نفسه لا يدرك كنه تصرّفات ابن سعود في سياسته العليا، فإنّ الحصار الطويل الأمد، والانتظار المملّ، وكذلك معاملة ابن سعود للحجازيين لما يناقض آراء الدويش، فلم يكن غريباً أن يخرق الأوامر الصادرة إليه، فيهاجم قرية العوالي على مقربة من المدينة، وينهبها ويقتل الرجال من سكّانها، وكان ينوي إنهاء القضية بسرعة رغم إرادة ابن سعود، ممّا أدّى إلى حدوث سوء تفاهم بين الاثنين، فلمّا رفض الدويش الرضوخ للأوامر عزله ابن سعود من القيادة، فانسحب مع قسم من جماعته الذين ظلّوا على ولائهم له إلى هجر «الارطاوية» وقد امتلأ قلبه بالحقّد والغضب الشديدين.

ويقول الدكتور عبد الباسط بدر: دخل شهر محرّم عام ١٣٤٤ هجري، وفي هذا الوقت كان فيصل الدويش متّجهاً إلى الشمال على رأس قوّة من الإخوان... فلمّا وصلت إلى أطراف العوالي خرج إليها بعض أهالي العوالي وشكّوا إلى

(١) أحد قوّاد جيش الملك عبد العزيز.

(٢) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز: ج ١ ص ٣٤٦.

(٣) رجال حول الملك عبد العزيز: ص ٢٠١ - ٢٠٢.

الدويش ما تعانیه المنطقة من الجوع والقتل والاضطراب الإداري، وشجّعوه على دخولها وتخليصها من أوضاعها الحالية، فأجابهم فيصل الدويش... إلى أن يقول: ومعلوم عن فيصل الدويش يميل إلى الحسم ولو باستخدام العنف^(١).

هذا إجماع مّمن أرّخ لهذه المجزرة الرهيبة على العوالي بأنّه لم يكن عن علم للسلطان عبد العزيز، ولا بأمر منه، أو رضى، لأنّ ذلك أغضبه وأدّى إلى سوء تفاهم بين الاثنين، فنشوة الانتصارات عند بعض القوّاد وحبّ السيطرة على المواقف يدفع بهم إلى مثل هذه التجاوزات، وإن كان فيها مخالفة صريحة لتوجّهات القيادة العليا، وسير الأحداث يثبت من الدورة الأولى للحكم السعودي أنّهم يراعون للمدينة حرمتها فلا يهاجمونها، بل يفرضون عليها حصاراً، إذا استثنينا أفدح حادثة وهي هدم القباب وإزالة الآثار بسبب التوجّهات الدينيّة الخاصّة بمشايخ السلفيّة، والقصة كما رويت لي:

في محرّم الحرام عام ١٣٤٢ هجري مع طلوع الفجر باغت رجال فيصل الدويش المدينة من قبا قادمون عليها من آبار علي، فداهموا البساتين والمنازل في العوالي، وقتلوا كثيراً من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال، وسمعت من شهود عيان لهذه الأحداث، أنّهم بقروا بطون الحبالى من النساء، وركلوا قدور الطعام بأرجلهم، وشعارهم اقتلوا الكفّار، واختلف الرواة في القول: إنّ أحد الجنود رأى مصحفاً من القرآن الكريم في أحد الدور وحمله إلى الدويش قائلًا له: كيف تقولون كفّاراً وهذا القرآن عندهم؟! ورواية تقول: إنّ قصّة القرآن كانت في هجمة «أوزون علي باشا»، والله أعلم.

وقمّة المأساة في هذه الهجمة الظالمة هي: أنّ جنود الدويش من الغطفط حاصروا مجموعة كانوا يدافعون عن أعراضهم، متحصّنين على سطح غرفة كانت في مزرعة «حسن خليفة لولو» في العوالي مقابل مستشفى الدار، كانوا يتبادلون

إطلاق النار مع الإخوان، وكان عددهم سبعة عشر رجلاً، فأخذوا يقاومون، فهجم الإخوان على الغرفة، وأحرقوا السقف بالنار ممّا اضطرّ بعضهم للقفز من على السطح إلى الأرض، فقتل، وبقي بعضهم على السطح حتّى سقط بهم، فاحترقوا ومات الجميع، وأذكر منهم: محمّد حسن أبو خلاف، ومصطفى بنجي. ويقول الشيخ حسين بن عتيق العمري: ومنهم ثلاثة من الزوالة واثنين من الأشراف الحسينيين.

الهجمة البربرية للدويش على العوالي هزّت الضمير العالمي

كانت خطة الملك عبد العزيز الاستيلاء على المدينة، لمكانتها في نفوس المسلمين. عرف ذلك الشريف شحات، فاجتمع بكبار المسؤولين بالمدينة، وأعدّوا خطة للدفاع عنها مشكّلة من الجنود النظاميين والمتطوّعين.

ويقول صاحب كتاب التاريخ الشامل:

وقُسمت المدينة إلى ستّ مناطق دفاعية تحت قيادة الضباط، وتمركز في كلّ منطقة عدد من الجنود، ومعهم المتطوّعين.

ويقول والذي: إنّ أكثر المتمركزين بالمراكز للدفاع عن المدينة هم النخليون، وسمعت كثيراً ممّن عاصر هذه الأحداث يقول: إنّ الملك عبد العزيز ﷺ عند زيارته الأولى للمدينة عام ١٣٥٦ هجري اجتمع بكبار المسؤولين في مقرّ الإمارة، وقال له أحد المتحذلقين: إنّ النخالة ذبحوا رجالك، فنظر الملك في أحد خواصّه، وأمره بأن يذهب مع القائل ليرى المكان الذي ذبح فيه رجاله، وبعد عودة المندوب همس في أذن الملك، فصرّح الملك قائلاً بصوت رفيع في الحضور: أنتم يا أهل المدينة رخوم ودناغيركم من حديد... النخالة وقفوا دون عانيهم.

نصب ابن سعود العرضي في العيون والزهرة، وحاصر المدينة بقيادة صالح

ابن عدل، فحاصر المذكور المدينة.. ثم أردف بالنشمي.. فاضطرّ بعض الناس يخرجون إلى عرضي السعودي بالجرف، وفتح والدي دكانه، أو مطعم هناك بالشراكة مع أبو جراب، بعد أن ترك المسابلة؛ لأنّه تعرّض فيها لخطر الموت.. ثم ضاق صدره بالأوضاع الصعبة في المدينة بسبب الحصار فأخذ أمّه وأخته، وقد سلّمت مكّة لابن سعود، فذهب إلى مكّة، وأنزلوهم في قلعة أجياد جنوب الحرم المكي... وفي محرّم عام ١٣٤٤ هجري هاجم فيصل الدويش العوالي^(١).

ويقول صاحب التاريخ الشامل للمدينة: والمعروف عن فيصل الدويش أنّه يميل إلى الحسم ولو باستخدام العنف.

وقد فعل ما فعل، ممّا سبق ذكره من مجزرة رهيبة في العوالي، غير أنّ أحداث البقيع وهدم القبة وإزالة الآثار الإسلامية كانت بمثابة غطاء، حجب رؤية المؤرّخين والراصدین للأحداث عن تدوينها والحديث عنها، فانصرفت أنظار المؤرّخين عن مأساة العوالي إلى مأساة البقيع، عدا بعض الإشارات والتلميحات الخاطفة.

وشاعت أخبار أحداث المدينة في العالم، وبدأت الاحتجاجات من جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي... فأبرق الملك فؤاد إلى الملك عبد العزيز محتجاً على ما يحصل بالمدينة قائلاً: الحرب القائمة حول المدينة المنورة قد أقلقّت خواطر المسلمين قاطبةً، لما عساه يحدث من تأثيرها على الأماكن المقدّسة النبويّة التي نحبّها جميعاً ونحافظ على آثارها الكريمة، ولا يخفى على عظمتكم ما لهذه الأماكن من الحرمة التي توجب أن تكون بعيدة عن الأذى، رغم ما يقتضيه أي نزاع أو خلاف، ولكن ما نعتقده في شديد غير تكم الدينيّة ما يطمئن

(١) الصحيح ٤٣، لأنّ ٤٤، المدينة قد سلّمت لابن سعود. سمعت ممّن عاصر هذه الأحداث أنّه أربع سنوات «لم تكن محالة في العوالي» أي تعطلّت الفلاحة أربع سنوات؛ لأنّه قتل من قتل وغادر كثيرون إلى أبو ضباع والعراق.

قلوبنا والمسلمين على صيانة الحرم النبوي الشريف وآثار السلف الصالح في المدينة المنورة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(١).

وأرسل أيضاً شاه إيران برقية احتجاج... واتصل السفير الإيراني بالملك عبد العزيز، وطلب منه أن يسهّل زيارته للمدينة للاطلاع على حقيقة الأمر... فوافق عبد العزيز، واستقبل الوفد الإيراني بالمدينة أحسن استقبال... فزار الشريف أحمد بن منصور الذي كان يشغل في عهد الأشراف وظيفة «باب عرب» وهو منصب استحدث أيام الترك، وآخر واحد شغل هذا المنصب هو: ذياب ناصر، وزار الشريف شحات، وتفقد المسجد النبوي والبقيع وبعض الأماكن الأثرية بالمدينة.

وكان كثير من إخواننا السنة المصنّفين بالصوفيّة يشفقون إشفاقاً شديداً وينحون باللائمة على كلّ من يكتب، أو يثير الحديث عن آثار الإسلام بالمدينة، فكان اللوم شديداً على المرحوم عبيد الله كردي - عند تحقيقه وطبعه لكتاب آثار المدينة، للخيارى، وكذلك الحال عندما طبعت كتابي: مستدرک ما فات أهل الدار من الآثار، لأنّ ردّة الفعل تكون عنيفة بإزالة البقية الباقية من الآثار، وكان في سياق ذلك زيارة رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام للجمهوريّة الإيرانيّة هاشمي رفسنجاني، وصدى زيارته لبعض الآثار الإسلاميّة بالمدينة، وزيارته لفضيلة العلامة الشيخ محمّد بن علي بن أحمد العمري.

يقول المهندس يوسف الهاجري: انتشرت أخبار المجازر السعوديّة في الحجاز وهدم الآثار الإسلاميّة في أوساط المسلمين بسرعة كبيرة، عكست مدى التعاطف مع هذه المنطقة ومقدّساتها... وكان ممّن أبدى تحرّكاً سريعاً جمعيّة الخلافة الهنديّة التي أرسلت وفداً إلى الحجاز للاطلاع على الوضع عن كثب، وقد قاموا بإرسال تقرير إلى المسلمين الهنود لاطّلاعهم على الوضع في الحجاز...

وقد أجرى مندوبو جمعية الخلافة اتصالات مع الحكومة الحجازية التابعة للشریف علي قبل سقوط المدينة المنورة وجدة، يطلبون فيها التوسط بينهم وبين ابن سعود من أجل إنهاء حالة الحرب^(١).

وقد كانت جهود وحوارات جمعية خدام الحرمين الشريفين مع الحكومة السعودية كثيرة وطويلة... كي يبقوا على المدينة ولا يستهدفوها، فكانت بينهم كثير من المراسلات والحوارات.

وكانت ردود الفعل كثيرة ومتنوعة من جهات رسمية وغير رسمية، مثل احتجاجات جمعية الخلافة، والمؤتمر الشيعي لعموم الهند.

وصلت أخبار المعارك حول المدينة إلى وكالات الأنباء، مثل وكالة رويتر في القاهرة، ووزعته الوكالة على الإذاعات والصحف وانتشرت الأخبار بأن المدينة تشهد معارك ضارية بين السعوديين والهاشميين، وأن قصفاً شديداً ينصب على بيوت المدينة ومواقعها المقدسة..^(٢).

معركة السبلة

في يونيو ١٩٢٩م كتب فيصل الدويش إلى أمير الكويت رسالة يخبره فيها بأنه ترك هجرة الأرطاوية واتجه إلى الشمال، وطلب منه السماح له بأن يعسكر في الصبيخة مع قواته؛ لاتخاذها قاعدة لمحاربة ابن سعود. وفي السنة نفسها وقعت معركة السبلة التي انكسر فيها جيش فيصل الدويش كسرة كبيرة، وانهزم هزيمة منكرة؛ لأن الملك عبد العزيز استعان على قتالهم بسلاح متطور آنذاك؛ وهو الطيران، فقد شاركت في المعركة أربع طائرات بطيارها من بريطانيا. هجم الجيش السعودي على جماعة الدويش، وأصيب فيها فيصل الدويش

(١) البقيع: ص ١١٣ - ١١٤.

(٢) الشامل، المصدر السابق: ج ٣ ص ١٥٠.

بجروح عميقة.. فتوقفت الحرب.. وعندما عُوفي فيصل الدويش من جراحه شنَّ هجومه الثاني على ابن سعود، وقد قتل في هذه المعركة عزيز بن فيصل الدويش...

وفي صباح التاسع والعشرين من ديسمبر ١٩٢٩ م هاجم محسن الغرم، ومشعل بن طوالة، والعجيمي بن سويط معسكر الدويش قبل الفجر بساعتين، ف وقعت معركة خاطفة بين الطرفين هرب على إثرها فيصل الدويش وبعض المقاتلين معه إلى العراق بعد أن تركوا حلالهم وأموالهم، وقد قتل منهم خمسون رجلاً، لكن الإنجليز سلّموه هو ونايف بن حثلين وجاسر بن لامي للملك عبد العزيز منقولين بالطائرة من العراق إلى معسكر الملك عبد العزيز...

وعندما وصلوا، أمر الملك بإحضارهم أمامه، وعندما مثلوا أمامه، أخذ يسأل كل واحد منهم عن سبب تمردّه...، ثم وضعوا بعد ذلك في سيارّة وأرسلوا إلى الرياض وهم مقيّدون.. ووضعوا في السجن، ثم أرسلوا إلى ابن جلوي ليصفّيهم تصفية بدنيّة^(١).

ويقول الشيخ حسن فرحان المالكي في كتابه الشيخ محمّد بن عبد الوهاب داعية وليس نبياً: إنّ بعض علماء الوهابيّة كفّروا فيصل الدويش.

وهذا مصداق قول رسول الله ﷺ: من يتعرّض لأهل المدينة بسوء يُذيه الله، كما يذيب الملح في الماء. وأيضاً مصداق قول الإمام عليّ عليه السلام: مَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ.

عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم

هو من أسرة فضليّة من الفضول من بني لام من طيّ من أعالي نجد، ولد بالرياض سنة ١٢٩٧ هجري، تولّى إمارة المدينة المنورة، في العاشر من شهر

(١) «الشيعه في المملكة العربيّة السعوديّة»، الجزء الأول: ص ١٥٥ - ١٥٧، مع الاختصار.

ربيع الآخر سنة ١٣٤٦ هجري بعد عسير والطائف^(١).

إنَّ التركيبة السكانية للمدينة المنورة معقّدة بحكم أنَّ المدينة منطقة جذب، وهي بطبيعة قدسيّتها تجذب إليها المهاجرين من كلِّ أقطار العالم الإسلامي، فهي تشكّل ألوان الطيف في مكُوناتها، وقد تمثّلت فيها التعدّدية بكلِّ أجنّدها؛ وهذا ما جعل الأمن فيها في اضطراب دائم، فإدارتها تحتاج إلى رجل حكيم وحازم؛ فقد يكون فظاً غليظ القلب، وقد عرفت ذلك في فصل سابق أنَّ الحكّام كانوا يختارون لها ولاية أشدّاء أغلاظ الأكباد، فلم يكن ابن إبراهيم نشازاً في منظومة الولاية الذي تعاقبوا على المدينة، فقد تعسّف في إدارته، وقسا قسوة مفرطة في معاملته للمدنيّين، غير عابئ بنهي الرسول ﷺ عن التعرّض لأهل المدينة بظلم^(٢).

تروى قصص عن ابن إبراهيم: تصوّروا أنّه كان يأخذ السليم بالسقيم، والبريء بالمذنب، وإذا مثل أمامه خصمان يسمع لدعوى كلّ منهما، فيحكم لأحدهما، وقد يأمر بجلد الآخر بالجريد الأخضر، فإذا استغاث المحكوم عليه بالشرع ردّ عليه قائلاً: أنا الشرع. هذا ما شاع عنه عند معاصريه، إلّا أنّي للأمانة أذكر قصّة سمعتها من والدي رحمه الله مراراً وتكراراً، يقول: إنّ المزرعة المسماة بـ«عزّ العرب» وقف صويلح حربي بجوارها مزرعة أخرى مرهونة بخمسة جنيّهاً ذهب عند «حسن شريقي» من الأصابعة، وكان الناظر على أملاك صويلح حربي هو علي بن عوّاد حربي، فسافر إلى مكّة ووضع مكانه ابن عمّه حسن بن محمد حربي، فحلّ فصل الصيف وأثمرت النخيل، وصار الشريقي يجزّ العراجين للبسر، ويبيعهما، فمنعه والدي ولم يمتنع، فرفع القضية إلى أمير المدينة بالوكالة ابن إبراهيم، فاستمع إلى الخصمين وحكم للشريقي، فرفض والدي الحكم، وطلب

(١) رجال حول الملك عبد العزيز.

(٢) خطاب التكليف من المغفور له عبد العزيز، ما يلزمه بالعدل والشفقة، على الرعيّة مثل قوله على شرط أن تراعي الناس، وتأخذهم بالخف واللين والطمأنينة... وأكرب وجهك وارخ يدك، ولا تمض أمراً إلّا بقضاء الشرع...».

التحويل إلى المحكمة، فوافق ابن إبراهيم، وأحيلت القضية إلى الشرع.
وروى أيضاً أنه أمر بجلد رجل يلقب بـ «اللجة» على سكة الحديد،
فمات الرجل.

ويروى أيضاً: أن أحمد حسن ملائكة النخلي أمر ابن إبراهيم بجلده، وقد
تمرّض ثلاثة أيام، ثم مات، لأنّ ذوداً من الإبل وطىء زرع، فطرده من مزرعته
وشكى على إثر ذلك، والله أعلم.

ويروى أنّه جلس أمام المشريّة «الروشان» في مقر الإمارة، وأمر أحد
جنوده أن يضع كيساً فيه بن «قهوة» على قارعة الطريق، فمرّ رجل ورأى الكيس
فغمزه بإصبع رجله، والأمير يشاهد ذلك، فطلب من الجنود إحضاره، فأسرع إليه
«الزكرت» واقتادوه إليه، فسأله عن الكيس، فأخبره أنّه لم يأخذه، وسأله سؤالاً
آخر عمّا فيه؟ فقال: بن. قال له كيف عرفت ذلك؟ قال الرجل: غمزته بإصبعي
وأشار لإصبعه الكبير من رجله الأيمن، فأمر بقطعه على الفور، فقطعت، وحمل
إلى المستشفى.

وحكاية أخرى يرويها العوام تقول: طلب ابن إبراهيم أحد الأعراب
لقضيّة، وعندما مثل بين يديه نظر في عينيه واضطرب وقال: سلام يا عيون! فصاح
به ابن إبراهيم، فضرط، ثم قال: زين وصلتها عندك، غيري يطلقها في الشعبان
عندما يسمع باسمك.

ومن محاسنه يُقال: إنّهُ إذا حلَّ فصل الشتاء يوزّع عباآت بيدي على
الفقراء، فسمع أحد الأعراب، وجاء ليطلب منه عباءة، وعندما دخل على
ابن إبراهيم جال بنظره، أو تذكّره جبره، فارتبك وقال: يا طويل العباءة أبيلي عمر.
فضحك ابن إبراهيم وأمر له بعباءة.

وتتردّد شائعات في مجالس المدنيين مفادها: أنّه تعامل مع رموز المجتمع
المدني بقسوة، حتّى حجّم بعضهم، وصفّى البعض الآخر، مثل: سعود ديشيشة،

بادي بن عبد العزيز .

وسمعت من معمرى النخليين: أنَّ عبَّاس حمزة الوتيشي النخلي كان مسابلاً - كما يسمُّونه - يشتري الإبل من نجد والقصيم ويبيعها بالمدينة؛ فاستدعاه ابن إبراهيم على إثر شكوى أحد الدائنين، فعندما مثل أمامه تنكَّر للمعروف السابق والصحبة بينهما عندما كان في حائل، فهجر عبَّاس حمزة المدينة وغادرها إلى العراق، وكثير من النخليين هاجروا إلى العراق، أذكر منهم: عتيق صريوفة، وأخاه محمَّد سليمان صريوفة، وحجِّي مسلم حريقه، وحجِّي راشد عتيق أبو دغيم، والحجِّي الفار...

وحدَّثني بعض إخواني السَّنة؛ أنَّ ابن إبراهيم مات بداء الجبابة، وهي قرحة تفتح في ظهر المصاب بها، ولا يسكن ألمه مؤقَّتاً إلا إذا أُدخلت دجاجة مذبوحة بالقرحة، فتشوى في داخل الجرح، ثمَّ تخرج منه فيهدأ المريض، ثمَّ يعاوده الألم» والله أعلم.

اجتماع الصالون^(١)

في عام ١٣٥٣ هجري كانت الهبات والمعونات تتدفَّق على المدينة المنورة من مصر والهند والمغرب على شكل حبوب الحنطة.. ومن الملك عبد العزيز - طيَّب الله ثراه - تقدَّأ من الريالات الفضة، فأبناء الحضر ينعمون بهذه الخيرات، وبإتاحة الفرص أمامهم للدخول في المدارس الأهلية الخيرية والحكومية التي

(١) الصالة: هي قاعدة الاجتماعات بمبنى الإمارة؛ وقد تكرَّر الاجتماع في «الاستصيون» مبنى محطة القطار، فلا داعي للتكرار. أحد أصدقائي من مكَّة له صلة رحم مع بعض المدَّين ومعه علاقة تجارية، فبرَّد على سمعي هذه المقولة، وهي فعلاً حدثت في اجتماع الاستصيون «محطة القطار» يقول: إنَّ عبدالله السديري أمر بأن يُقاد إليه كلُّ نخلي، ويحضر مجلسه ليحدِّد إسلامه. والحقيقة ليست كذلك، بل إنَّ المشاركين في المفاوضات لَقَّت على رؤوسهم عمام بيضاء رمزاً لتجديد إسلامهم في عهد السديري.

كانت موجودة في ذلك الوقت، ويوظفون في مرافق المدينة وإداراتها، والنخليون معيّبون ومحرومون من كلّ هذه الاستحقاقات، فعزّ عليهم ذلك، فصاروا يراجعون المسؤولين بالمدينة، فلم يجدوا تجاوباً، فرفعوا أمرهم بالعرائض إلى المقامات السامية، وقد اضطرّهم الموقف السلبي من مطالبهم العادلة إلى أن شكّلوا وفداً من مشايخ القبائل وبعض الوجهاء، فسافر الوفد إلى الطائف للقاء الملك عبد العزيز ﷺ وعرض قضاياهم عليه، فأحالهم إلى المدينة إلى خصومهم، فأخذوا يتردّدون على المسؤولين... وعلى أثر ذلك انعقد اجتماع حضره ممثلون عن الطرفين، وقد أعدّ ممثلوا الطرف الأوّل قائمة من الشروط المسبقة... منها: أن يسمح للتزواج بين الطرفين^(١)، ويدخلوا في بيت المال، وأن يغسلوا موتاهم في الشرشورة - هكذا الرواية - وأن يتبرّأوا من أهل البيت!!.

وممن مثّل النخليين: الشيخ عبد العزيز الصاوي، والشيخ محمّد مسلم الفار، والشيخ حامد الهاجوج، والشيخ حمزة عباس العيسائي، والشيخ حامد ابن صالح الحديدي.. وكان حضور ممثلي المحكمة حضور مراقبين، وهما رئيس المحكمة الشيخ الزاحم الأوّل، وعضويّة الشيخ عبد العزيز بن صالح، بدأ محضر الجلسة الأستاذ علي حافظ يسرد الشروط، وممثّلوا النخليين يستمعون وكان الجوّ حارّاً، وهم يحتسون القهوة والشاي، ويشربون الماء البارد.

والنخليون ينظرون إليهم، إلى أن قال مقرّر الاجتماع: تتبرّؤون من أهل البيت! فاشتاط حامد حديدي غيظاً، ووقف مخاطباً رئيس المحكمة قائلاً: يا الشيخ من هم أهل البيت الذي نتبرّأ منهم؟! فقال المحضر: عليّ بن أبي طالب. وردّ حامد قائلاً: نتبرّأ من وجهك.. وانبرى رئيس المحكمة متحمّساً قائلاً: لا، لا لأحد يتبرّأ من عليّ!!، ثمّ أمر بإنهاء الاجتماع، ويصفه شهود عيان قائلين ومقارنين بينه وبين يوم دُعي الإمام الحسين بن عليّ ﷺ للبيعة ليزيد.

(١) هذا في الإسلام موجود، وقد منع للعناد بين الطائفتين.

كان الشباب مطوّقين مقرّ الاجتماع يحمل بعضهم الحجارة، والبعض عيدان الحطب؛ لأنّ سوق الحطب كان خلف الصالون، وبعضهم يحمل السلاح تحت ثيابه.. فتنةٌ وقى الله شرّها.

مساعدة السديري مئة السوء

تولّى عبدالله السديري وكالة إمارة المدينة المنورة من سنة ١٣٥٥ هجري إلى سنة ١٣٧٥ هجري، وفي السنين الأخيرة من مدّة ولايته كانت الأمور تهيّأ لإخلاء المنصب من بعده لابنه مساعد، وفي عام ١٣٧٥ هجري راجّ بين الناس أنّ الأمير القادم للمدينة هو مساعد السديري، وفي صبيحة يوم ما، وأنا طالب في الصفّ السادس ابتدائي بمدرسة العلوم الشرعيّة، وفي أثناء الحصّة الثالثة أو الرابعة، نادى مراقب المدرسة الأستاذ سليمان سمان بأعلى صوته، فخرج جميع الطّلاب من فصولهم، وطوّقوا الدرابزين مصوّبين أنظارهم إلى باحة المدرسة، مرهفين أسماعهم لما سيقوله المراقب من خبر مهمّ قطعت من أجله الدروس، فأعلن بأعلى صوته قائلاً: غداً يوم عطلة لا يأتين أحدٌ منكم إلى المدرسة؛ لأنّه اليوم الذي سينصبّ فيه الأمير مساعد السديري أميراً للمدينة، وسنذهب لشرب القهوة وتقديم التهاني.. طّلاب المدرسة أطفال يفرحون للانفكاك من القيود والالتزامات، فسررنا بذلك؛ وفي صبيحة اليوم الموعود خرجت وزميلي وابن عمّي عبدالله حمزة رشيد قاصدين السوق والحرم، وفي زقاق «دروان» وهو الذي فيه البئر التي وضع السحر الذي سحر به النبي ﷺ وأمر الإمام عليّ عليه السلام بإخراجه منها، قابلنا في تلك النقطة أحد كبار النخليين اسمه «بنيه العيطي» فاستوقفنا وأخبرنا بهذا الخبر الصاعق، وكلفنا بأن نرجع إلى حارتنا ونخبر العمدة الشيخ عابد الطيلي ومساعد عید بن جميل الوتيشي، وأخذ الوجهاء ياسين بن محمّد بغيل، ونستحثّهم على الإسراع إلى الحرم النبويّ للمشاركة في التشييع، فعدنا وأخبرناهم.

وسمعت المؤمن صالح بن عباس وائل يقول: إنه سمع ورأى السيّد حبيب محمود صاحب مدرسة العلوم الشرعيّة يخاطب المعزّين من النخلين قائلاً وهو يبكي: سامحوه.. سامحوه... وشاع عنه (أي مساعد) أنّه كان في مجالسه الخاصّة يصرخ بالقول: سيأتي يوم يُقال فيه أنّه كان بالمدينة أناس يسمّون بالنخاولة، وكان أبوه ينهائهم عن التعرّض لهم بسوء، وكان له دورٌ كبير هو وسموّ الأمير عبد الله الفيصل في تداعيات أحداث انتفاضة الكرامة عام ١٣٧٤ هجري.

وسبب وفاته أنّه ركب سيّارة «جيب» وهو مخمور، وسار بها مسرعاً في الحرّة الغربيّة، فانقلبت به السيّارة خلف المزرعة «العمرائيّة» وقف السيّد عمران.

الحكم على شاب بالإعدام بعد إدانته بالردة

بعد الثورة الإيرانيّة وقع تصعيد كبير في المعاملة السليبيّة لشيعّة المدينة، وصار زوّار المسجد النبوي يتعرّضون لكثير من المضايقات والاستفزازات سيّما من يكثر التردّد أو المكوث طويلاً، وهذا الشاب محمّد بن زين بن علي وائل كان أحد الضحايا، وعمره خمسة عشر عاماً، فصار بعض موظّفي المسجد يضايقونه، ويستفزّونه كي ينقطع عن المسجد كغيره الكثير.. فلم يفلحوا، فلجأ أحدهم إلى اقتياده إلى مركز الهيئة بمساعدة جندي، وهناك افترى عليه بأنّه شتم الرسول ﷺ فأودع السجن من أوّل سنة ١٣٩٦ حتّى آخر سنة ١٣٩٩ هجري، ثمّ حكم عليه بالإعدام، وقُبيل تنفيذ الحكم وصل أحد العسكريين الكبار من العاصمة الرياض، وتقابل مع المتّهم وحقّق معه وقبل انصرافه من عنده أدلى بالتصريح التالي - على حدّ تعبير المتّهم - قائلاً: إنّ الجهات العليا في الدولة تشكّك في هذه التهمة الموجهة إليك بأنك مرتدّ، لأنّهم يعرفون أنّ الشيعة يحبّون رسول الله ويبالغون في ذلك، فلا يعقل أن يشتموه، وممكن أن يشتموا الصحابة. وبعد أيّام أُطلق سراحه، وسألت المتّهم كيف حصلت هذه التهمة؟ قال: إنّ إدارة التحقيق قدّموا لي ورقة مكتوب فيها شتيمة لرسول الله ﷺ وأجبروني على كتابتها، وبهذا تمّت الإدانة.

المدينة النائرة

تمهيد

عرفت في فصل سابق كيف أنَّ المدينة المنورة كانت مستهدفة من قبل كثير من الحكّام الذين تعاقبوا عليها، لأنّها كانت تمثّل المعارضة الإسلامية لكلّ ما هو منحرف عن خطّ الإسلام الأصيل، والحديث عن المكان يعني المكين: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا...﴾^(١) الآية. فالمجتمع المدني شعبٌ تربّى في حجر الإسلام وارتضع ألبان الإيمان، هندسته يد النبوة، ورعته عيون الإمامة، كيف يقيم على القمع والقهر والتجاوزات التي تتعارض وأبسط قواعد الإسلام الصحيح؛ فأول ثورة على الظلم انطلقت شرارتها الأولى من المدينة على عثمان بن عفّان بسبب تجاوزاته المكشوفة من تسليط بني أميّة على رقاب المسلمين، وعبثه ببيت مال المسلمين بالثروة الوطنية بالإعطائات الهائلة الغير المشروعة. فقد وصل الزبير بن العوّام بستّمائة ألف، ووصل طلحة بمائتي ألف، ونزل له عن دين كان عنده^(٢)، وفيه الصحابي الجليل أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه، وقد قسّم الشعب المسلم الذي سوى بينهم الإسلام إلى طبقات أربعة: طبقة القرشيين، وطبقة الأنصار، وعامّة الناس، وطبقة المغلوبين^(٣).

الثورة على عثمان

طفع الكيل، وبلغ السيل الزبا، وضاحت صدور الشعب والأمة الإسلامية من

(١) يوسف: ٨٢.

(٢) الفتنة الكبرى عثمان لطفه حسين: ص ٥٧٧، ومحمد شاطي وسحاب لسليمان كتاني: ص ٣٧٠ -

٣٧١ تحت عنوان أوّل ثورة في تاريخ المدينة.

(٣) المصدر السابق: ص ١٣٦.

التجاوزات والفساد الإداري والمالي، ومصادرة الحريات، والتنكيل بالأحرار والمعارضين من الصحابة، فأثار هذا حفاظ المسلمين، وأخذ المسلمون يتحدثون في أنديةهم عن مظالم عثمان، وتسلب مروان وبنو أمية وتحكمهم في رقاب المسلمين وشؤون الدولة ومقدرات الشعب ومكتسباته الحضارية، والعبث بقيمه ومرتكزاته الأساسية ومقومات حياته الشرعية. فاجتمع النخبة من الواعين، وأصحاب السابقة في الإسلام، فكتبوا إلى الأمصار يستجدون بهم ويطلبون منهم العون، وإرسال النجدات المسلحة للقيام بانقلاب وثورة تصحيحية.

وهذا نصّ مذكرتهم لأهل مصر:

من المهاجرين الأولين وبقية الشورى، إلى من بمصر من الصحابة والتابعين، أما بعد: أن تعالوا إلينا، وتداركوا خلافة رسول الله ﷺ قبل أن يسلبها أهلها، فإنّ كتاب الله قد بدّل، وسنة رسوله قد غيّرت، وأحكام الخلفتين قد بدّلت، فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين بإحسان إلا أقبل إلينا وأخذ الحقّ لنا، وأعطاناه، فاقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وأقيموا الحقّ على المنهاج الواضح الذي فارقت عليه نبيكم، وفارقتكم عليه الخلفاء، غلبنا على حقنا، واستولى على فيئنا، وحيل بيننا وبين ملك عضوض، من غلب على شيء أكله^(١).

وبعثوا برسالة أخرى إلى المرابطين في الثغور من أصحاب النبي ﷺ يطلبون منهم القدوم على المدينة للمشاركة في الإطاحة بالنظام الفاسد، وإقامة نظام عادل يساوي بين أفراد الشعب، ويؤمن بالتعددية، وهذا نصّ رسالتهم: «إنكم إنّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزّ وجلّ، تطلبون دين محمد ﷺ فإنّ دين محمد قد أفسده خليفتم فأقيموه».

فاستجابت الأمصار الإسلامية لهذا النداء، فأرسلت وفودها إلى يثرب

للاطلاع على الأوضاع الراهنة ودراسة الموقف واتخاذ القرار المناسب، وهم:

أ - الوفد المصري، وعدده أربع مائة شخص، وقيل أكثر، بقيادة محمد بن أبي بكر، وعبد الرحمن بن عويس البلوي.

ب - الوفد الكوفي، وكان بقيادة مالك الأشتر، وزيد بن صوحان العبدى، وزيايد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم العامري، وعلى الجميع عمرو الأهم.

ج - الوفد البصري: خرج من البصرة حكيم بن جبلة في مائة رجل، ولحقه بعد ذلك خمسون، وفيهم ذريح بن عبّاد العبدى، وبشر بن شريح القيسي، وابن المحرش، وغيرهم من الأعيان والوجوه.

وصلت الوفود المدينة، وقد فتحت لهم ذراعيها، تبارك فيهم روح الثورة التصحيحية والانتفاضة التحررية والغيرة الإسلامية على قيم الإسلام.

رأى الوفد المصري قبل أن يشرع في الثورة أن يرفع مذكرة إلى عثمان يدعوه فيها إلى التوبة والاستقامة في سياسته، فكتبوا ذلك، وهذا نصّه: «أما بعد، فاعلم **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾**^(١) فالله الله، ثم الله الله، فإنك على دنيا، فاستتمّ معها آخرة، ولا تنس نصيبك من الآخرة، فلا تسوّغ لك الدنيا، واعلم أنا لله والله نغضب، وفي الله نرضى، وإنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرّحة، أو ضلالة مجلحة مبلجة^(٢) فهذه مقاتلتنا لك وقضيتنا إليك، والله عذيرنا منك والسلام...»^(٣).

فاضطرب عثمان من الأمر، وقرأ الرسالة، وأحاط الثوّار به، فبادر إليه المغيرة وطلب منه الإذن بالكلام معهم، فأذن له، وانطلق إليهم، فلما رأوه صاحوا

(١) سورة الرعد: الآية ١١.

(٢) مجلحة: من جلع على الشيء أقدم عليه إقداماً شديداً، مبلجة: واضحة بيّنة.

(٣) الأنساب: ج ٥ ص ٦٤ - ٦٥، و تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١١ - ١١٢.

به: يا أعور وراءك! يا فاجر وراءك! يا فاسق وراءك! فرجع خائباً، ودعا عثمان عمرو ابن العاص، وطلب منه أن يكلم القوم، فمضى إليهم وسلّم؛ فما ردّوا عليه السلام، وقالوا له: ارجع يا عدوّ الله! ارجع يا ابن النابغة! فلست عندنا بأمين ولا مأمون. وعلم عثمان أن لا ملجأ له إلاّ الإمام عليّ عليه السلام فاستغاث به، وطلب منه أن يدعو القوم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، فأجابه الإمام إلى ذلك، ولكن شرط عليه أن يعطيه عهد الله وميثاقه على الوفاء بما قال، فأعطاه ذلك، ومضى الإمام إلى القوم، فلما رأوه قالوا له:

-وراءك!

- لا، بل أأامي تعطون كتاب الله، وتعتبون من كلّ ما سخطتم. وعرض عليهم ما بذله عثمان لهم.

-أتضمن ذلك عنه؟

-نعم.

-رضينا.

وأقبل وجوههم وأشرفهم مع أمير المؤمنين حتّى دخلوا على عثمان، فعاتبوه على أعماله، فأعتبهم من كلّ شيء، وطلبوا منه أن يكتب لهم كتاباً يلتزم فيه على نفسه بالعمل على كتاب الله وسنّة نبيّه وتوفير الفياء للمسلمين، فأجابهم إلى ذلك، وكتب لهم ما نصّه:

«هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين أنّ لكم أن تعمل فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه، يعطي المحروم، ويؤمن الخائف، ويردّ المنفيّ، ولا تجمر في البعوث، ويوفر الفياء، وعليّ بن أبي طالب ضمين للمؤمنين والمسلمين، على عثمان الوفاء بما في هذا الكتاب». وشهد فيه كلّ من الزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن مالك أبي وقاص، وعبدالله ابن عمر، وزيد بن ثابت، وسهل بن حنيف، وأبو أيّوب خالد بن زيد. وكتب ذلك

في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وأخذ القوم الكتاب وانصرفوا^(١). وطلب منه الإمام عليّ بن أبي طالب أن يخرج إلى الناس، ويعلن لهم أنه قد استجاب لهم، ونفّذ طلباتهم، ففعل عثمان ذلك، وأعطى الناس عهداً أن يسير فيهم على كتاب الله وسنة نبيه، وأن يوقّر لهم الفياء، ولا يؤثر به أحداً من أرحامه وذوي قرباه، ورجع المصريون إلى بلادهم، ودخل مروان على عثمان فقال له: تكلم، وأعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا، وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً، فإن خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلب الناس عليك من أمصارهم، فيأتيك من لا تستطيع دفعه.

لقد دعاه أن يعلن الكذب، ويقول غير الحق، فامتنع من إجابته أولاً، ولكنه انصاع أخيراً لقوله، فخرج واعتلى أعواد المنبر وقال: «أما بعد: إن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر، فلمّا تيقنوا أنه باطل ما بلغهم رجعوا إلى بلادهم».

واندفع المسلمون إلى الإنكار عليه، فناده عمرو بن العاص: اتّق الله يا عثمان فإنك قد ركبت نهاير^(٢)، وركبناها معك، فتب إلى الله، نتب معك. فجزّره عثمان وصاح به: «وإنك هناك يابن النابغة؟ قملت الله جبتك منذ تركتك من العمل».

وارتفعت من جميع جنبات المسجد أصوات الإنكار، وهي ذات لهجة واحدة: «اتّق الله يا عثمان، اتّق الله».

فانهارت قواه، ولم يجد بداً من أن يعلن التوبة على هذا الإفك، ونزل عن المنبر، ومضى إلى منزله^(٣).

(١) السيرة والتاريخ، لحسن المجاهد نقلاً عن الأنساب.

(٢) النهاير: المهالك.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١٠، الأنساب: ج ٥ ص ٧٤.

استنجاهه بالأمصار

لَمَّا ازداد نشاط الثَّوَّار، وحاصروه في داره، استنجد بمعاوية واستغاث به، وكتب إليه هذه الرسالة: «أما بعد، فإنَّ أهل المدينة قد كفروا، وخلعوا الطاعة، ونكثوا البيعة، فابعث إليَّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كلِّ صعب وذلول»^(١).

وتربَّص معاوية حينما اطَّلَعَ على الكتاب، فلم يندفع إلى نصرته وإجابته، وتنكَّر للأيدي التي أسداها عليه وعلى أسرته.

ولَمَّا أَبْطَأ معاوية على عثمان، ولم يقدِر بنجده بعث عثمان رسالة إلى يزيد ابن أسد بن كرز، وإلى أهل الشام يستفزُّهم ويحثُّهم على الخروج لنصرته، ولَمَّا انتهى إليهم الكتاب نفروا للخروج تحت قيادة يزيد القسري، ولكن معاوية أمره أن يُقيم بذِي خُشب ولا يتجاوزَه، فأقام الجيش هناك حتَّى قُتل عثمان، والسبب في ذلك هو أن يتَّخذ من قتله وسيلة للمطالبة بدمه لتؤوِّل الخلافة إلى بني أُمَيَّة، هذا ما تكلَّف من نواياه فيما بعد؛ إنَّ معاوية ممَّن دَبَّر الحيلة في قتله، وإلى ذلك يشير أبو أيُّوب الأنصاري بقوله لمعاوية: إنَّ الذي تربَّص بعثمان، وثبَّط يزيد بن أسد عن نصرته لأنَّت.

يوم الدار

رجع الوفد المصري من أثناء الطريق لَمَّا تبيَّنت له المكيدة الخطيرة التي دُبِّرَت ضده، فأحاطوا بقصر عثمان وهم يهتفون بسقوطه، ويطالبونه بالاستقالة والتنحِّي عن منصبه، وخرج إليهم مروان، فشتَّمهم ونال منهم قائلاً: ما شأنكم؟ كأنكم قد جئتم لنهب؟ شأهت الوجوه. تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا،

(١) تاريخ البعقوبي: ج ٢ ص ١٥٢، الكامل لابن الأثير: ج ٥ ص ٦٧.

واخرجوا عنا.

فألهمت هذه الكلمات نار الثورة في نفوسهم، وأججت ضرامها في مخيلتهم، فأحاطوا بعثمان، وعزموا على قتله، فاستنجد بالإمام عليّ، فأقبل إليه وقد نقلت له كلمات مروان، فقال عليه السلام: أما رضيت من مروان، ولا رضي منك إلاّ بتحرّكك عن دينك وعن عقلك، مثل جمل الضعينة يُقاد حيث يُسار به، والله ما مروان بذى رأي في دينه، ولا في نفسه، وأيم الله لأراه سيوردك ثمّ لا يصدرك وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، وغلبت على أمرك.

وأصرّ عليه الثوّار أن يخلع نفسه عن الخلافة فأبى وقال: إنّما هي ثوبٌ ألبسنيها الله. فأحاط الثوّار بقصره، وتسلق بعضهم عليه الدار فجعلوا يرمونه بالحجارة، يبالغون في سبه وشتمه وقذفه.

الإجهاز على عثمان

أجهز الثوّار على عثمان، وقد تولّى جماعة في طليعتهم محمّد بن أبي بكر، فقد شهر السيف في وجهه وقال له:

- على أيّ دين أنت يا نعل؟

- على دين الإسلام ولست بنعل، ولكّني أمير المؤمنين.

- غيّرت كتاب الله.

- كتاب الله بيني وبينكم.

وأخذ بلحيته إلى الأرض وهو يقول: إنّنا لا يقبل منّا يوم القيامة أن نقول: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾^(١). وهجم القوم عليه فأردوه قتيلًا يتخبّط بدمائه، وتركوه جثة هامدة لم يواروه، ولم يسمحوا لأحدٍ بمواراته، وتكلّم بعض خواصّه مع الإمام أمير المؤمنين في ذلك^(٢) فتوسّط في شأنه، فأذنوا

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦٧.

(٢) السيرة والتاريخ لحسن المجاهد: ج ٦ ص ٢٨١.

لهم في ذلك، ولكنهم لم يسمحوا لهم بدفنه في البقيع، فدفنوه في حش كوكب.

تمرد الناكثين

طبخت الطبخة، وخبزت الكعكة بالمدينة، غير أن المكان غير مناسب، لولاء المدينة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام المباع ببيعة شرعية. وخيوط المؤامرة بدأت بوصول عبدالله بن عامر الذي كان والياً لعثمان على البصرة، فقصّد طلحة والزبير فقالا له: لا مرحباً بك ولا أهلاً! تركت العراق والأموال، وأتيت المدينة خوفاً من علي.. فهل أقمت حتى يكون لك بالعراق فئة؟!

قال: فأما إذا قتلتما هذا، فلكما عليّ مائة سيف وما أردتما من المال^(١). وفي مكة أول من تكلم عائشة، فدعى الثلاثة إلى الثأر لعثمان والطلب بدمه! هكذا تمردا دون رجوع إلى إمام قد تمت له البيعة!!، ثم انضم إليهم عبدالله الحضرمي؛ وهو عامل عثمان على مكة، وأجاب سائر بني أمية^(٢).

جيش من المدينة لحرب ابن الزبير

علم يزيد بما حدث في مكة، فكتب إلى عمرو بن سعيد الأشدق أمير المدينة أن يوجّه جيشاً إلى عبدالله بن الزبير في مكة ليقتحمها عليه وينهي عصيانه، فأعدّ الأشدق جيشاً، وانقسم الجيش إلى قسمين... فتقاتلا مع جيش ابن الزبير، فانهزم الأول^(٣).

الإعداد لثورة الإمام الحسن عليه السلام

إنّ الإمام الحسن عليه السلام جيّش وثار ومشى إلى الحرب، فقعد به عدم تماثل

(١) السيرة النبوية لابن حبان، وأخبار الخلفاء: ص ٥٢٨.

(٢) تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي: ص ٤٤٣.

(٣) التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الجزء الأول: ص ٣٤٦.

أفراد جيشه، وعدم تشبّعهم بروح المبدأ، إذ بينهم المخلص والمنافق^(١).
صحيح لم تنفجر الثورة، وتعبّر عن نفسها، لأنّ فشل أهل العراق
وتضعفهم حين رأوا الإمام الحسن عليه السلام شمرّ لحرب معاوية الذي وجّه جيوشه
صوب العراق، فقد كان الحسن قد وجّه مقدّمة جيشه بقيادة قيس بن سعد بن
عبادة، وتحرك هو بسائر الجيش من ورائه، فبينما هو في المدائن، عملت
دسائس معاوية عملها، إذ نادى منادٍ في الجيش: ألا إنّ قيساً قد قُتل، فاخبط
الناس وانتهب الغوغاء سرير الحسن عليه السلام وطعنه رجل من المارقين، فنزل الحسن
القصر الأبيض في المدائن، وقد أقبلت صوبه جيوش الشام عليها عبدالله بن
عامر، فبعثوا إليه بطلب الصلح، فاستجاب لذلك، وكاتب معاوية بالصلح^(٢).

(١) الحسن بن علي دراسة وتحليل: ص ٦٨.

(٢) تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي نقلاً عن الذهبي من رواية عوانة بن الحكم مؤرّخ الشام، تاريخ
الإسلام - عهد معاوية - وابن كثير: البداية والنهاية: ج ٨ ص ١٦، ومثله خير المسروقي، الذي
أورده في الطبري: ج ٥ ص ١٥٩، ابن الجوزي في المنتظم: ج ٥ ص ١٦٦، وتاريخ ابن خلدون:
ج ٢ ص ٦٤٨، وابن الأثير في الكامل في التاريخ: ج ٤ ص ٤٠٤.

ثورة الإمام الحسين عليه السلام

ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي الثورة الكبرى، الثورة التي غيرت مجرى التاريخ، الثورة التي أحدثت منعطفاً حاداً صحّح الانحرافات، ثورة انطلقت شرارتها الأولى من المدينة المنورة عندما دعا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن أبي بكر إلى البيعة ليزيد بن معاوية.

قال الإمام الحسين عليه السلام: أنا لا بدّ لي من الدخول على الوليد، فدعى ثلاثين نفرًا من مواليه وغلمانه، وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلّفني فيه أمراً لا أجيبه إليه وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلت عليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه عني.

فهذا الموقف من الإمام الحسين عليه السلام يعدّ معارضة مسلّحة، وبداية ثورة على نظام يزيد بن معاوية. أمّا عبد الله بن الزبير، فقد خرج إلى مكة بعد أن أعدّ العدة، ورسم الخطط بالمدينة، وأعلن الثورة من مكة.

أرى من المناسب - قبل أن أسرد قصّة ثورة الإمام الحسين عليه السلام مفصّلة، كما سردت قصّة الثورة على عثمان - أن أذكر أهداف هذه الثورة، كما ذكرت أهداف الثورة على عثمان وهي العودة بالحكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والتخلّص من تجاوزات عثمان التي ذكرها المؤرّخون، فأقول:

إنّ من أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام: رضى الله وطاعته، وتجسيد الموقف الشرعي اتّجاه الحاكم الظالم، وفضح بني أميّة وكشف حقيقتهم، وإحياء السنّة، وإماتة البدعة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإيقاظ الضمائر

تفاصيل ثورة الإمام الحسين عليه السلام

يقول الشيخ الطبري رحمه الله: ذكر الثقات من أصحاب السَّير أنَّ الإمام الحسين خرج من المدينة ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب متوجَّهاً نحو مكة، ومعه بنوه وبنو أخيه الحسن وإخوته وجلُّ أهل بيته، إلَّا محمَّد بن الحنفية فإنه لم يدر أين يتوجَّه، وشيَّعه وودَّعه، وخرج الحسين عليه السلام وهو يقول: «فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^(١)، فلمَّا دخل مكة دخلها لثلاث مضي من شعبان، وهو يقول: «وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدِينٍ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ»^(٢).

فأقبل أهل مكة يختلفون إليه، ويأتيه ابن الزبير، وقد عرف أنَّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين عليه السلام بالبلد، وبلغ أهل الكوفة هلاك معاوية، وعرفوا خبر الحسين عليه السلام فاجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، وقالوا: إنَّ معاوية قد هلك، وإنَّ الحسين عليه السلام خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه فإن كنتم تعلمون أنكم ناصرده ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه.

فكتبوا إليه كتباً كثيرة وأنفذوا إليه الرُّسل إرسالاً، ذكروا فيها أنَّ الناس ينتظرونك لا داعي لهم غيرك، فالعجل العجل. فكتب إليه أمراء القبائل: أمَّا بعد فقد اخضرت الجنات وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقدم على جُنْدٍ مجتددة.

فلمَّا قرأ عليه السلام الكتب وسأل الرُّسل كتب إليهم: من الحسين بن علي إلى الملائكة من المؤمنين: أمَّا بعد، فإنَّ فلاناً وفلاناً قدما عليّ بكتبكم، وفهمت مقالة جلَّكم، إنَّه ليس علينا إمام، فأقبل، لعلَّ الله يجمعنا بك على الحقِّ، وإني باعثُ إليكم أخي وابن عمِّي وثقتي من أهلي مسلم بن عقيل، فإن كتب إليَّ أنَّه قد اجتمع رأي ملائكة

(١) سورة القصص: الآية ٢١.

(٢) سورة القصص: الآية ٢٢.

وذووا الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم وقرأته في كتبكم أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله تعالى.

فدعا بمسلم بن عقيل فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبدالله السلولي وعبد الرحمن بن عبد الله الأزدي. فأقبل مسلم، حتّى دخل الكوفة فنزل دار المختار بن أبي عبيدة، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، وبايعه الناس حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً.

فكتب مسلم، إلى الحسين بن علي عليه السلام يخبره بذلك ويأمره بالقدوم. فنكت القوم بيعتهم لمسلم وغدروا به، وأسلموه إلى عدوّه ابن زياد، إلى أن قتله وهاني بن عروة وسحبهما في الأسواق. وكان توجه الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق في يوم خروج مسلم في الكوفة، وقد اجتمع إليه مدّة إقامته بمكة نفرٌ من أهل الحجاز والبصرة.

فسار عليه السلام حتّى مرّ بطن العقبة فنزل بها، فلقيه شيخ من بني عكرمة يُقال له عمرو بن لوزان فقال: أنشدك بالله يا بن رسول الله لما انصرفت، فوالله ما تقدم إلاّ على الأستة وحدّ السيوف، وإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال ووطأوا لك الأسياف فقدمت عليهم كان ذلك رأياً. فقال عليه السلام: يا عبد الله لا يخفى عليّ الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره. ثمّ قال عليه السلام: والله لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم من يذلّهم، حتّى يكونوا أذلّ فرق الأمم.

ثمّ سار عليه السلام حتّى انتصف النهار، فبينما هو يسير، إذ كبر رجلٌ من أصحابه عليه السلام فقال عليه السلام: لم كبرت؟ فقال: رأيت النخل، فقال له جماعة من أصحابه: والله إنّ هذا المكان ما رأينا به نخلًا. قال عليه السلام: فما ترونه؟ قالوا: نراه والله آذان الخيل، قال عليه السلام: أنا والله أرى ذلك. فما كان بأسرع حتّى طلعت هوادي الخيل مع الحرّ بن يزيد الرياحي، فجاء حتّى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حرّ الظهيرة، وكان مجيء الحرّ بن يزيد من القادسيّة. فقدم الحصين بن نمير في ألف فارس، فحضرت

صلاة الظهر فصلّى الحسين ﷺ وصلى الحرّ خلفه، فلمّا سلّم ﷺ انصرف إلى القوم وحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيّها الناس إنّكم إن تتّقوا الله وتعرفوا الحقّ لأهله تكن أرضى الله عنكم، ونحن أهل بيت محمد ﷺ أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين بكم بالجور والعدوان، فإن أبيتم إلّا الكراهة لنا والجهل بحقّنا، وكان رأيكم غير ما أتنّني به كتبكم وقدمت عليّ به رُسلكم أنصرف عنكم. قالوا: إنّنا والله لا ندري ما هذه الكتب التي تذكر. فقال الحسين ﷺ لبعض أصحابه: يا عقبة بن سميان أخرج الخرجين اللّذين فيهما كتبهم إليّ، فأخرج خرجين مملوئين كتباً فنشرت بين يديه، فقال له الحرّ: لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك. ثمّ جرى بينهما حوار طويل...

ثمّ قدم عمر بن سعد بن أبي وقّاص في أربعة آلاف فارس، فنزل نينوى، فبعث إلى الحسين ﷺ عروة بن قيس الأحمس ليحاوره، ثمّ أرسل برسالة أخرى إلى الحسين ﷺ مع قرّة بن قيس الحنظلي، والإمام الحسين ﷺ في الطريق والحرّ يجعجع به ورد كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد يأمره فيه أن يحول بين الحسين وأصحابه وبين الماء، وذلك قبل قتل الحسين ﷺ بثلاثة أيّام.

فلمّا رأى الحسين كثرة عسكر ابن زياد وقلة عسكره أفنذ إلى عمر بن سعد أنّي أريد لقاءك، فاجتمعاً فتناجيا طويلاً، وتفاوضا، واتّفقا على أن يسير الحسين ﷺ إلى ثغر من الثغور، فيكون رجالاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي إلى أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده، فيرى بينه وبينه رأيه وفي ذلك رضى ولأمة صلاح، لكن شمرأ حرّض عبيد الله، وأقبل بكتاب عبيد الله إلى عمر بن سعد، ولا يزال شمر بن ذي الجوشن يحرّض على الحسين... فنشبت الحرب، وعند قرب الماء جمع الحسين ﷺ أصحابه... وخطب فيهم قائلاً:

أثنى على الله أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهمّ إنّني أحمّدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدّين. أمّا بعد فإنّي

لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خير الجزاء، ألا وإني قد أذنتُ لكم، فانطلقوا جميعاً في حلٍّ، ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جَمَلاً.

فقال له إخوته وأبناءؤه وأبناء عبد الله بن جعفر: لِمَ نفعل ذلك، لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً، بدأهم بهذا القول العباس بن عليّ عليه السلام فاتّبعه الجماعة عليه وتكلّموا بمثله، وكذلك فعل أصحابه، مثل: مسلم بن عوسجة، وزهير بن القين، وباقي أصحابه؛ ثم خرج الحسين عليه السلام إلى أصحابه، فأمر أن يقرب بعضهم بيوتهم من بعض وأن يدخلوا الأطناب وبعضها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت، فيقبلوا القوم من وجه واحد، والبيوت من ورائهم وعن أيّمانهم وعن شمائلهم قد حقّت بهم إلا الوجه الذي يأتهم منه عدوّهم.

ورجع الحسين عليه السلام إلى مكانه، فقام الليل كلّهُ يصليّ ويستغفر الله ويدعو، وقام أصحابه كذلك يدعون ويصلّون ويستغفرون، وأصبح عليه السلام عبّاً أصحابه بعد صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً.

وأصبح عمر بن سعد في ذلك اليوم، وهو يوم الجمعة، وقيل السبت، فعبّاً أصحابه... ثم دعا الحسين عليه السلام براحلته فركبها، ونادى بأعلى صوته كلّهم يسمعونهُ فقال: أيّها الناس اسمعوا قولي، ولا تعجلوا، حتّى أعظّمكم بما يحقّ عليّ لكم، وحتّى أعذر إليكم، فإن أعطيتُموني النصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾^(١) ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾^(٢).

ثم حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، فلم يسمع متكلم قطّ بعده

(١) سورة يونس: الآية ٧١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٦.

ولا قبله أبلغ في منطق منه؛ ثم قال ﷺ: «أما بعد فانسبوني وانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسنتُ ابن بنت نبيِّكم، وابن وصيِّه وابن عمِّه وأوَّل المصدِّقين لرسول الله وبما جاء به من عند ربِّه، أليس حمزة سيِّد الشهداء عمُّ أبي؟ أو ليس جعفر الطيَّار بجناحين عمِّي؟ أولم يبلغكم ما قال رسول الله ﷺ لي ولأخي: «هذان سيِّدا شباب أهل الجنة»، فإن صدَّقتموني بما أقول وهو الحقُّ فوالله ما تعمَّدتُ كذباً منذ علمتُ أنَّ الله تعالى يمقت عليه، وإن كذبتُموني فإنَّ فيكم من إذا سألتُموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبرونكم أنَّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي، أما في هذا حاجزٌ لكم عن سفك دمي؟

فقال له شمر: هو يعبد الله على حرف^(١) ان كان يدري ما يقول، فردَّ عليه بعض أصحاب الحسين ﷺ.. وصار الحسين ﷺ ينادي كبار القوَّاد في جيش ابن زياد بأسمائهم قائلاً: ألم تكتبوا إليَّ أن قد أينعت الثمار، واخضرَّ الجنب، وإنَّما تقدم على جُند لك مجنَّدة؟ فتنكَّر القوم لذلك.. وطالبوه بالنزول على أمر الأمير، أو يقاتلونه.

فبدأ القتال مبارزة، فكثر القتل في جيش ابن زياد.. فصاح عمرو ابن الحجاج بالناس ونهاهم عن المبارزة فرداً فرداً، بل أمرهم بالهجوم المكثَّف، وأن يفترقوا عليهم فرقة بالسهم، وفرقة بالثَّبال، وفرقة بالسيوف، وفرقة بالحجارة؛ فاشتدَّت المعركة، وحمى الوطيس، وقتل أصحاب الحسين ﷺ، ولما لم يبق معه إلا ثلاثة أنفار من أهل بيته أقبل على القوم يدفعهم عن نفسه، والثلاثة يحمونه حتَّى قتل الثلاثة، وأثخن ﷺ بالجراح في رأسه وبدنه، وجعل يضاربهم

(١) الحرف، والطرف والجانب لها معنى واحد، والمراد أنَّه على جانب من عبادة الله، والحرف أيضاً بمعنى الاضطراب والشك، والمعنى واضح.

بسيفه وهم يتفرّقون عنه يميناً وشمالاً.

قال حميد بن مسلم: فوالله ما رأيت مكسوراً قطّ قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً^(١) ولا أمضى جناحاً منه إذا كانت الرّجاله لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه، فيكشفهم عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا اشتدّ عليها الذّنب. فلمّا رأى ذلك شمر بن ذي الجوشن أمر الرّماة أن يرمونه، فرشقوه بالسهم حتّى صار كالقنفذ، فأحجم منهم، فوقفوا بإزائه ونادى شمر: ويحكم ما تنتظرون بالرجل، ثكلتكم أمّهاتكم، فحمل عليه من كلّ جانب، فضربه زرعة بن شريك على كتفه اليسرى، وطعنه سنان بن أنس بالرمح فصرعه، ونزل إليه خولي بن يزيد الأصبحي ليحتزّ رأسه فأرعد، فقال له شمر: فتّ الله في عضدك، مالك ترعد؟ ونزل شمر فذبحه، ثمّ دفع رأسه إلى خولي بن يزيد الأصبحي، فقال له: احمله إلى الأمير عمر بن سعد^(٢).

ثورة الإمام الحسين عليه السلام ألهمت المناخ السياسي، وهكذا يأخذ الدم مأخذه، فتتابعت الثورات الدموية يزحم بعضها بعضاً، كان بعضها يستهدف الأمويين كنظام رغبة في السلطان، ولهاثاً وراء الحكم، ويمثّل هذا الاتجاه عبدالله بن الزبير، وتنظيم آخر كانت توجهاته الثورية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل بكتاب الله وسنة نبيه ولكنه أخطأ الطريق إلى ذلك، فبرز في الساحة على شكل عصابات مسلّحة، تغيّر على الأطراف حيناً، وتقتل الأبرياء حيناً آخر، وتبدو قطاع طرق تارةً أخرى.

فهي على كلّ حال تمثّل خطراً كبيراً على الحكم الأموي، ويمثّل هذا الاتجاه عموماً الخوارج في ثوراتهم، والمحضلة هي أنّ هذه الثورات قد التمسّت ألقاً من شعاع ثورة الحسين عليه السلام في كربلاء، ومن إفرازاتها ثورة التوابين في الكوفة

(١) الجأش: رواج القلب إذا اضطرب عند الفزع، ونفس الإنسان.

(٢) إعلام الوری بأعلام الهدى: ج ١، ص ٤٦٨ - ٤٦٩.

بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، و ثورة المختار العارمة الكبرى التي انطلقت من الكوفة وأطرافها، وجعل شعارها «يا لثارات الحسين»، و ثورة المدينة وبطلها عبدالله بن حنظلة الغسيل.

واقعة الحرّة

«متني بدائها وانسلت»

الموقع والتاريخ

«حرّة واقم، وهي حرّة المدينة الشرقيّة، سمّيت برجل من العمالقة نزل بها. قال المجد: وسبق قول ابن زباله عقب ذكر واقم: أنّه أطم بني عبدالأشهل»^(١).

لماذا وقعت الواقعة

كان أهل المدينة المنورة من شباب الصحابة والمهاجرين، وبعض الأنصار؛ الذين بايعوا معاوية بن أبي سفيان بالخلافة ينقمون عليه أموراً كثيرة وهي: توليته يزيد عليهم شارب الخمر وملاعب الفهود والقروذ، وتبنيّه زياد^(٢)، وقتله حجر

(١) وفاء الوفا: ج ٤، ص ١١٨٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٦٨ - ٧٢، الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٢٣٣، و تاريخ الأمم والملوك.

مروج الذهب ومعادن الجواهر: ج ٢ ص ٣١٠ - ٣١٢، لما هم معاوية بإلحاق زياد بأبي سفيان - أبيه - وذلك في سنة أربعين شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازي، ومالك بن ربيعة السلوي، والمنذر بن الزبير بن العوام: أنّ أبا سفيان أخبر أنّه ابنه، ثمّ زاده يقيناً إلى ذلك شهادة أبي مريم السلوي، وكان أخير الناس ببدء الأمر، وذلك أنّه جمع بين أبي سفيان وسميّة أمّ زياد في الجاهليّة على زنى، وكانت سميّة من ذوات الرايات بالطائف تؤدّي الضريبة إلى الحارث بن كلدة، وكانت تنزل في الموضع الذي تنزل فيه البغايا بالطائف، وخارجاً عن الحضري محلّة يقال لها حارة البغايا..

ثمّ ذكر المسعودي نصّ شهادة الاستلحاق: «قال أبو مريم السلوي: أشهد أنّ أبا سفيان قدم علينا بالطائف، وأنا خمار في الجاهليّة فقال: أبغني بغياً، فأتيته، وقلت لم أجد إلاّ جارية الحارث ابن كلدة سميّة.

ابن عدي، وتسليطه بني أمية على رقاب المسلمين، وأقواله: ما حكمتكم لآمركم بالصلاة والصيام، ولكن لأتأمر على المسلمين. وقوله: إن سواد العراق بستان لقريش.

ورحم الله الحسن البصري فقد كان يقول فيما يروي الطبري: أربع خصال كُنَّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنَّ إلا واحدة لكانت موبقة: إفتراؤه على هذه الأمة بالسفهاء، حتَّى ابتزَّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سَكِّيراً خَمَّيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادِّعَاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله حجر بن عدي^(١).

هذا ما كان ينقمونه على معاوية، وكانوا دائماً يقومون بالثورات والانتفاضات والتمرد والعصيان على حكومة معاوية، وكان الأمويون يكرهون المدينة المنورة، وعندما وُلِّي عليهم يزيد كان أهل المدينة قد خلعوا يزيد ابن معاوية عند المنبر، وقالوا: خلعنا رجلاً ليس له دين يشرب الخمر ويلعب بالكلاب، بايعوا عبدالله بن حنظلة الغسيل على الأنصار، وعبدالله بن مطيع على قريش، وأخرجوا عامل يزيد من المدينة المنورة.

→ فقال: ائتني بها على ذفرها وذفرها.

فقام يونس بن عبيد أخو صفية مولاة سمية، فقال: يا معاوية قضى الله ورسوله أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقضيت أن الولد للعاهر.. فخالفت لكتاب الله.

ويستطرد المسعودي في ذكر هذه القصة الطريفة، فيروي ما قاله عبد الرحمن بن أم الحكيم

من شعر:

مغلعة عن الرجل اليماني

وترضى أن يُقال أبوك زاني

كرحم الفيل من ولد الأتان

ألا أبلغ معاوية بن حرب

أنغضب أن يُقال أبوك عف

فأشهد أن رحمك من زياد

ويروي ابن أبي الحديد ظروف قصّة الاستلحاق مع اختلاف قليل في اللفظ.

(١) الفتنة الكبرى، لطف حسين، قسم: عليّ وبنوه، ص ٢٤٨.

وكان ابن حنظلة يقول: ما خرجنا على يزيد إلا خوفاً من أن تُرمى بالحجارة من السماء. فكتب عثمان عامل يزيد على المدينة بذلك إلى يزيد وحرّضه على أهل المدينة، فقال يزيد: والله لأبعثنّ لهم الجيوش، ولأوطئنها الخيل^(١).

عدولهم عن زين العابدين عليه السلام

إنّ الثوّار بايعوا لعبدالله بن حنظلة الغسيل، وعبدالله بن مطيع، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام بين ظهرانيهم يمارس الخلافة بمعناها الديني وإن تجرّد من ممارستها بمعناها السياسي، كما أجمعت على ذلك المصادر التاريخية، فهم لم يكونوا من شيعة عليّ بن أبي طالب.

فلو كانوا من شيعة ما عدلوا عن عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام إلى غيره، وعندهم من أصول الدّين الإسلامي، أو المذهب - على رأي البعض - لا بدّ أن تكون في أعناقهم بيعة لإمام زمانهم، وإمام زمانهم إذ ذاك هو الإمام عليّ ابن الحسين زين العابدين عليه السلام، فهم يعتقدون أنّ الإمامة منصب إلهي كالنبوة، لأمر الدّين والدّنيا، فكما أنّ الله سبحانه وتعالى يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيّده بالمعجزات التي هي كنصّ من الله عليه ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٢)، فكذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيّه عليه السلام بالنصّ عليه، وأن ينصّبه إماماً للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها، سوى أنّ الإمام لا يوحى إليه كالنبيّ، وإنّما يتلقّى الأحكام منه مع تسديد إلهي، فالنبيّ مبلّغ عن الله، والإمام مبلّغ عن النبيّ، وله ما للنبيّ من الولاية العامّة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم

(١) تاريخ معالم المدينة للخيارى: ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) سورة القصص: الآية ٦٨.

والعدوان من بينهم.

وليس هي بالاختيار والانتخاب من الناس، فليس لهم إذا شاءوا أن ينصبوا أحداً نصبوه، وإذا شاءوا أن يعزلوه عزلوه. وليس من حقهم متى شاءوا أن يعيّنوا إماماً لهم عيّنوه، ومتى شاءوا أن يتركوا تعيينه تركوه^(١).

أو أنّهم يجهلون إمام زمانهم، وهذا الفرزدق يقول:

يا سائلي أين حلّ الجود والكرمُ عندي بيانٌ إذا طلبه قديموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرمُ
وليس قولك مَنْ هذا بضائره العرب تعرف مَنْ أنكرت والعجمُ
وكيف يجهلون إمام زمانهم، ونصوص القرآن، وسنة النبي ﷺ تأخذ
بأعناقهم، حيث ورد عن النبي ﷺ: «مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً
جاهليّة» ثبت ذلك بالحديث المستفيض. وقال الله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»^(٢)، وقوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا»^(٣).

علم الإمام ﷺ بما سيقع، وحماية شيعته

أئمة أهل البيت عليهم السلام من لدن الإمام علي عليه السلام إلى الإمام المهدي عليه السلام يمثلون
شريحة متميّزة من شرائح الأئمة الإسلامية، بما أجمعت عليه المصادر في العلم
والفضل والزهد والتقوى وصفاء الروح والاستعداد لتلقّي العلوم والمعارف
والإلهامات والفيوضات الربّانية، فعلمهم على قسمين:

علم لدني - إلهامي -، وعلم اكتسابي - تحصيلي - هو الذي يكتسبه الإنسان

(١) عقائد الشيعة للمظفر.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٥.

عن طريق التعليم والبحث، أمّا القسم الأوّل: فهو موروث من النبي ﷺ الذي أورثه عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، وعليّ عليه السلام بدوره أورثه ابنه الحسين عليه السلام، والحسين عليه السلام أورثه ابنه زين العابدين عليه السلام، وهكذا حتّى الإمام المهدي - عجل الله فرجه - فهم أصحاب السلسلة الذهبيّة في الحديث، كما يقول الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث أبيه حديث جدّه عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل عن الله.

وقد نظم هذا المعنى الإمام الشافعي:

إذا شئت أن تبغي لنفسك مذهباً يُنجيك يوم الحشر من لهب النار
فوال أناساً قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبريل عن الباري
فعلم أئمة أهل البيت عليه السلام وراثته من رسول الله ﷺ.

العلم بالإلهام: قذف في قلوبهم ونكت في آذانهم. والقذف في القلوب، هو عين ما جاءت به الأبحاث النفسيّة في العصر الحديث، أنّ كلّ إنسان له ساعة أو ساعات في حياته قد يعلم فيها بعض الأشياء عن طريق الحدس، وهي الحاسة السادسة - كما يسمونها - والحدس نوع من الإلهام؛ بسبب ما أودع الله تعالى فيه من قوّة على ذلك، وهذه القوّة تختلف شدّة وضعفاً وزيادةً ونقيصة في البشر، مع اختلاف استعدادهم لتلقّي هذه الإشراقات، فيصفو ذهن الإنسان في تلك الساعة لتلقّي المعرفة من دون أن يحتاج إلى التفكير وترتيب المقدمات والبراهين، وتلقين المعلمين.

ويجد كلّ إنسان من نفسه ذلك في فرص كثيرة من حياته^(١) كالشعراء في لحظة الإبداع الفنّي، والفلاسفة، والمخترعين، وكعمر بن الخطّاب: «يا سارية الجبل»، وقد ذكرت مصادر الفريقين من المسلمين إمكانيّة التحدّث من الملائكة للبشر غير الأنبياء، والإيحاء لهم، والإلقاء في روعهم، والمكاشفة، والنكت في

(١) عقائد الشيعة للمظفر: ص ٤٦. والإسلام يتحدّث وحيد الدّين خان.

قلوبهم، والوقر في أسماعهم.

واقرأ إن شئت صحيح البخاري وشرحه إرشاد الساري، ومسلم وابن الجوزي في صفوة الصفوة والحافظ محبّ الدين الطبري في الرياض، والحافظ أبي زرعة في طرح التثريب في شرح التقریب.. وغيره وغيره^(١).

وفي كتاب تأريخ معالم المدينة المنورة^(٢) نقلاً عن ابن زباله: إنّ السماء أمطرت في عهد عمر رضي الله عنه فقال لأصحابه: هل لكم في هذا الماء الحديث عهد بالعرش لتتبرك به ولتشرب منه، فلو جاء من مجيئه راكب لمسحنا به.

فاتوا حرّة واقم وشراجها تطرد، فشربوا، وتوضأوا.

فقال كعب: أما والله لتسيلن هذه الشراج بالدماء، كما تسيل بهذا الماء.

وقد أخبر الواقدي في كتاب الحرّة: أنّ النبي صلى الله عليه وآله خرج في سفر من أسفاره فلما مرّ بحرّة زهرة وقف واسترجع، فسيء بذلك من معه، وظنّوا أنّ ذلك من سفرهم معه، فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله ما الذي رأيت؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: أما إنّ ذلك ليس من سفركم معي هذا، فقالوا: فما هو يا رسول الله؟ قال: تُقتل في هذه الحرّة خيارُ أمّتي بعد أصحابي^(٣).

فكعب، وعمر بن الخطّاب ليسا بأعلم من عليّ زين العابدين حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يقول جدّه الإمام عليّ عليه السلام: علّمني رسول الله ألف باب من العلم يُفتح لي من كلّ باب ألف به. ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعليّ بابها.

فعلم الإمام زين العابدين عليه السلام مسبق بما سيحدث في حرّة واقم، فاحتاط للأمر.

(١) ثلاث مقالات لمحسن علي صالح المعلم.

(٢) تاريخ معالم المدينة المنورة: ص ٢٣٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٣٥، وفي كتاب «حركة النفس الزكية» تأليف محمد سليمان العبدية يقول: أكثر أهل المدينة خلعوا يزيد، ولا يستثنى من ذلك سوى عليّ بن الحسين وأسرتهم ومحمد ابن علي بن أبي طالب المشهور بابن الحنفية، وعبدالله بن عمر، ص ٢٧ - ٢٨.

الأكذوبة الظالمة

أحبّ أن أنقل هنا فرية صنعها الحقد والجهل وعصبية الطائفية، وتصدّى لنقلها بعض الأقلام الغافلة التي لا تهتمّ بوحدة الأمة المحمدية، بل تسعى في شقاقها وشتات شملها والتفريق بين جموعها، بدون تروٍّ ونظر في عاقبة عملهم، فهم من حيث لا يشعرون يفرّقون بين المسلمين فينشغل بعضهم ببعض، فيحصد الكفار أموالهم ويملكون بلدانهم ويتحكّمون فيهم، فأين هم من كلام النبي الأعظم ﷺ حيث قال: هم يد واحدة على ما سواهم.

قال عبدالرحمن الأنصاري (١١٢٤ - ١١٩٥ هـ): بيت النخلي، والعوام يقولون «النّخولي» وهو المشهور اليوم، نسبة إلى صناعة فلاحه النخيل، وهم طوائف كثيرة وخلائق كبيرة، وكلّهم شيعة شنيعة [...] ولهم قَدَمٌ بالمدينة المنورة، ولم أقف على أصل الأقدمين منهم، وقد شاع وذاع وملأ الأسماع أن أصلهم من بقايا أولاد النساء اللواتي حملن بالزنا في قضية الحرة المشهورة في أيام الخبيث يزيد قبحه الله، حين استباح المدينة المنورة قتلاً ونهباً^(١).

وأخذ عنه من جاء بعده مثل: عبدالسلام هاشم حافظ، وعاتق البلادي، وأيوب صبري، فهل لهذا الكلام حقيقة في التأريخ، وأصل في الواقع أم لا؟ فنقول: ليس لهذه الفرية أصل وواقع، وأدلة الردّ عليها كثيرة، نذكر بعضها وبالله الاستعانة.

أولاً: شهادة العقل والنقل

وردت في مجموعة وِزَام «تنبيه الخواطر ونزهة النواظر» تأليف الأمير الزاهد أبي الحسين وِزَام بن أبي فراس المالكي الأستر، المتوفى سنة ٦٠٥ هجرية: لَمَّا وجد يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة بأن يستبيح أهل المدينة ضمَّ عليّ ابن الحسين عليه السلام إلى نفسه أربعمئة يحسبهنَّ ويعولهنَّ إلى أن تقوِّض جيش مسلم، فقلت امرأةً منهنَّ: ما عشت والله بين أبويّ مثل ذلك الشرف.

وفي مصدر آخر: وقد كان زين العابدين عليه السلام عندما حاصر مسلم بن عقبة المدينة كفل أربعمئة امرأةً مع أولادهنَّ وحشمهنَّ، وضمَّهنَّ إلى عياله، وقام بنفقتهنَّ إلى أن خرج ابن عقبة من المدينة، فأقسمت واحدةً منهنَّ أنَّها ما رأت في دار أبيها وأُمِّها من الراحة والعيش الهنيء، ما رآته في دار عليّ بن الحسين عليه السلام ^(١).

ثانياً: في كتاب المناقب قال: سأل ليث الخزاعي سعيد بن المسيّب عن انتهاك المدينة، قال: نعم شدّوا الخيل إلى أساطين مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ورأيت الخيل حول القبر، وانتهبت المدينة ثلاثاً، فكنت أنا وعليّ بن الحسين نأتي قبر النبي صلى الله عليه وآله ما بيننا وبين القوم ونصلي ونرى القوم وهم لا يروننا، وقام رجل عليه حلل خضر على فرس محذوف - ليس له ذنب - أشهب بيده حرّبة مع عليّ ابن الحسين عليه السلام فكان إذا أومى الرجل إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله يشير ذلك الفارس بالحرّبة نحوه فيموت من غير أن يصيبه.

فلَمَّا أن كفّوا عن النهب دخل عليّ ابن الحسين على النساء ابن فلم يترك قرطاً في أذن صبيّ ولا حلياً على امرأة ولا ثوباً إلّا أخرجه إلى الفارس، فقال له

(١) الإمام زين العابدين، تأليف أحمد فهمي محمّد: ص ٦٤. و ربيع الأبرار للزمخشري، والطبري وابن الأثير. أرجو من القارئ أن يمعن النظر في عبارة: «عندما حاصر مسلم بن عقبة المدينة...» يعني أن كفّالته عليه السلام كانت سابقة للإباحة.

الفارس: يا ابن رسول الله إني ملك من الملائكة من شيعتك وشيعة أبيك، لما أن ظهر القوم بالمدينة استأذنت ربي في نصرتك آل محمد عليهم الصلاة والسلام فأذن لي لأن أدخرها يداً عند الله تبارك وتعالى وعند رسول الله ﷺ وعندكم أهل البيت إلى يوم القيامة^(١).

فالإمام زين العابدين الذي تمدّه السماء بملك يدافع عنه وعن جلسيه سعيد بن المسيّب، يتخلّى عن شيعته ومحبيه؟! فشيعه عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام بالمدينة المنورة قديماً وحديثاً، وحتى كتابة هذه السطور يرون من يدافع عنهم إذا تعرّضوا المكروه، ولا بدّ للمسلم أن يؤمن بالغيب وبجنود الله الأخفياء، وألا ينكر الواقع غير الملموس.

ثالثاً: الإمام عليه السلام يدافع عن خصومه

ولما خرج بنو أمية من المدينة إلى الشام - في واقعة الحرّة - آوى إليه عليّ بن الحسين عليه السلام ثقل مروان بن الحكم وامرأته عائشة بنت عثمان بن عفّان، وقد كان مروان بن الحكم لما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أمية من المدينة كلم عبدالله بن عمر أن يغيب أهله عنده، فأبى ابن عمر أن يفعل، وكلم مروان عليّ ابن الحسين، وقال: يا أبا الحسين إن لي رحماً، وحرمي تكون مع حرملك.

قال: افعل، فبعث بحرمة إلى عليّ بن الحسين عليه السلام، فخرج بحرمة وحرم مروان حتى وضعهم بينبع بالغبغة^(٢).

فيا لله العجب!! زين العابدين عليه السلام يحمي عائلة مروان بن الحكم ألد أعدائه، وأشرس خصومه، ولا يحمي شيعته ومحبيه؟! و

وفزع مروان كأشد ما يكون الفزع من الثورة، لأنّه كان عنصراً مدمراً من

(١) جلاء العيون للسيد عبدالله شبر: ج ٢ ص ٨ - ٩.

(٢) الإمام زين العابدين، تأليف أحمد فهمي محمّد: ص ٤٩، و المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي، تأليف الشريف أحمد البرادعي: ص ٣٥ - ٥٤.

عناصر التخريب والفساد، وقد خاف عليّ نساته من الاعتداء عليهنّ من قبل الثوّار، فلجأ إلى عبدالله بن عمر طالباً منه أن يحميهم، فرفض ابن عمر إجابته، والتاع مروان واندفع يقول: قَبِّحَ اللهُ أَمْرَهُ أَكْهَذَا - نقلاً عن الطبري - وخفّ مسرعاً إلى الإمام زين العابدين عليه السلام فعرض عليه الأمر فأجابه عليه السلام إلى ذلك، فضمّ نساء الأمويين إلى حرمه وقد خرج بهم إلى ينبع، ثم إنّ عائشة بنت عثمان زوجة مروان خرجت إلى الطائف فمَرّت بالإمام زين العابدين عليه السلام فخاف عليها، فأرسل معها ولده عبدالله محافظاً عليها، وبقي معها حتّى انتهت الواقعة.

رابعاً: حبّ الإمام عليه السلام يتربّع على قلوب الملايين

هيبة زين العابدين في قلوب الناس تمنع جيش مسلم بن عقبة من التعرّض لشيعته بسوء، وفي الخبر أنّ هشام بن إسماعيل - والي المدينة أيّام الوليد - كان يقول: إِنِّي لَا أَخْشَى إِلَّا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ.

وتواتر الخبر أيضاً بأنّ يزيد بن معاوية أوصى مسلم بن عقبة المري بعليّ بن الحسين خيراً قائلاً له: وانظر عليّ بن الحسين فاكف عنه، واستوص به خيراً، وادن مجلسه، فإنّه لم يدخل في شيء ممّا دخلوا فيه.

وقد أتى في كتابه: ألا إنّ عليّ بن الحسين رضي الله عنهما لم يعلم بشيء ممّا أوصى به يزيد مسلم بن عقبة الأمر الذي بسببه خرج من المدينة ونزل ينبع^(١). إنّ الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام كان مهيباً محترماً الجانب من الأعداء والأصدقاء، وليس أدلّ على ذلك من قصّة هشام بن عبد الملك مع الشاعر الفرزدق بمكّة.

حجّ هشام بن عبد الملك، فلم يستطع استلام الحجر الأسود من الزحام، فنصب له منبر فجلس عليه، وأطاف به أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل عليّ بن

الحسين عليه السلام، وعليه إزار ورداء، من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم رائحةً، بين عينيه سجاد، كأنها ركة عنز، فجعل يطوف فإذا وصل موضع الحجر، تنحى الناس، حتى يستلمه هبةً له، فقال شامي: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أعرفه، لئلا يرغب فيه أهل الشام.

فقال الفرزدق وكان حاضراً: لكنني أعرفه، فقال الشامي: مَنْ هو

يا أبافراس؟

فأنشد قصيدته، ذكر بعضها في الأغاني والحلية والحماسة، والقصيدة من أبياتها هذه:

يا سائلي أين حلَّ الجود والكرم	عندي بيان إذا طَلَّبه قدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحلَّ والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلَّهم	هذا التقيَّ النقيَّ الطاهر العلمُ
هذا الذي أحمد المختار والده	صلى عليه الله ما جرى القلمُ
لو يعلم الركن مَنْ قد جاء يلثمه	لخرَّ يلثمُ منه ما وطى القدمُ
هذا عليُّ رسول الله والده	أمت بنور هداه تهتدي الأممُ
هذا الذي عمَّ الطيّار جعفر والـ	مقتول حمزة ليث حبه قسمُ
هذا ابن سيّدة النسوان فاطمة	وابن الوصي الذي في سيفه نَقَمُ
إذا رآته قریش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
وليس قولك مَنْ هذا بضائره	العربُ تعرف مَنْ أنكرت والعجمُ
ينمى إلى ذروة العزّ التي قصرت	عن نيلها عربُ الإسلام والعجمُ
يغضي حياءً ويغضي من مهابته	فما يكلم إلا حين يبتسمُ
ينجاب نور الدُّجى عن نور غرّته	كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلمُ ^(١)

خامساً: اختلاف بشرتهم

اختلاف بشرة النخليين عن لون بشرة الشاميين أكبر دليل على بطلان هذه المزاعم. وواقع الحال والنصوص الواردة في وصفهم تثبت ذلك، وقد أدى هذا الانعزال إلى سهولة تمييز النخالة عن بقية السكان، وذلك من سحنة الوجه ولون البشرة الداكن نوعاً ما مقارنةً ببقية سكان المدينة المنورة الذين اختلطوا بالأجناس الأخر^(١)، فلو أُلقيت نظرة فاحصة على سكان شمال المدينة مثل خيبر والعلا وكذلك الجنوب فكلهم أو جلهم لون بشرتهم سمراء داكنة، وبعض أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا سمر البشرة.

سادساً: الثورة على يزيد لم تكن من صنيع الشيعة، إنما كانت من الأسر التي تحقد على الأمويين: كأسرة الزبير، وأسرة أبي بكر، وأسرة عمر، وهذه الأسر كانت حاكمة على الأمويين، وتتآمر عليهم، وتعمل جاهدة في وضع النهار وفي غلس الليل على الإطاحة بالحكم الأموي.

سابعاً: إنَّ شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام من أبرز سماتهم طهارة المولد؛ من المتسالم عليه بمقتضى أحاديث كثيرة وصحيحة سنداً وممتناً، أجمع على صحتها طوائف كثيرة من علماء المسلمين، ومن أراد التوسع يرجع إليها في كتب الحديث ومناقب الإمام علي عليه السلام ومنها هذا الحديث: عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلِيَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى أَوَّلِ النِّعَمِ، قِيلَ: وَمَا أَوَّلُ النِّعَمِ؟ قَالَ: طَيْبُ الْوَلَادَةِ، وَلَا يَحِبُّنَا إِلَّا مَنْ طَابَتْ وَلَادَتُهُ^(٢).

ثامناً: غير الأنصار تمنع أن يكون الجيش استباح فعلاً عدداً كبيراً من

(١) سكان المدينة المنورة: ص ١٢٨.

(٢) بحار الأنوار، المجلد السابع: ص ٣٨٩. عن علل الشرائع و معاني الأخبار و أمالي الصدوق.

النساء، والحوار الذي جرى بين رسول الله ﷺ وسعد بن عبادَة سيّد الأنصار شاهدٌ على ذلك.

فقال ﷺ: سعد غيور وأنا أغير من سعد، وجذع الله أنف من لا يغار.

تاسعاً: ما قاله السهمودي وكثير من المؤرّخين أنّ سبب هزيمة الأنصار، هي تركهم للجبهة ودخولهم للمدينة للدفاع عن أعراضهم.

وقال أيضاً: فلمّا نشب القتال سمعوا في جوف المدينة التكبير، وذلك أنّ بني حارثة أدخلوا قوماً من الشاميين من جانب المدينة، فترك أهل المدينة القتال، ودخلوا المدينة خوفاً على أهلهم، فكانت الهزيمة، وقُتل من قُتل^(١).

فالنصّ الأوّل يدلّ على أنّ الإياحة كانت للأموال والسلاح والطعام. والنصّ الثاني يدلّ دلالة صريحة على أنّ أهل المدينة غيرون غيرَةً شديدة على أعراضهم لدرجة أنّهم خسروا المعركة مقابل الحفاظ على أعراضهم.

وفي نفس الصفحة يذكر السهمودي أنّ أهل المدينة استقبلوا جيش يزيد بجموع كثيرة، فهابهم أهل الشام، وكرهوا قتالهم..^(٢).

فالانتصار في المعركة كان مؤكداً لأهل المدينة، ولكن غيرتهم على أعراضهم جعلتهم يغلبون جانب حفظ الكرامة والشرف على جانب الانتصار ونشوته.

عاشراً: وذكر صاحب كتاب مرآة جزيرة العرب المؤرّخ التركي أيوب صبري باشا، يقول: إذا لم يكن قد بقي أحد إلى اليوم من فروع مدون^(٣). أي

(١) وفاء الوفاء: ج ١، ص ١٢٨ - ١٣١.

(٢) المصدر: ج ١، ص ١٣٠.

(٣) مرآت جزيرة العرب: ج ٢، ص ٢٧٥.

جنس السفاح الذين ولدتهم أمهاتهم، بعد أن استباحهم هؤلاء الشوام الملاعين.
فهو يقرّر أنّ المواليد الذين تولّدوا من تلك الإباحة قد انقرضوا.

حادي عشر: المبالغة فيما شاع عن أنّ «صدام حسين» استباح الكويت لجنده، وقد هتكوا الأعراض، وكذلك ما فعله الصرب في البوسنا والهرسك، كلّ هذه الأخبار فيها ما فيها من المبالغات والمغالطات، وليس أدلّ على ذلك من تضارب الآراء، وتناقض الأقوال حول هتك الأعراض واغتصاب النساء.

ثاني عشر: عندما يتخاصم سنّي من سكّان المدينة غير قبيلي، وشيعي نخلي، نسمعهم يتراشقون بالسباب، فالسنّي يقول: يا رافضي، يا شوك سدر.. ويقول الشيعي: يا فروخ الشوام.. يا فروخ يزيد.

ثالث عشر: عندما غزا أهل غامد مكّة واستباحوها، فهل أهلها أولاد بغاء؟!

رابع عشر: قال محمّد شراب -ردّاً على هذا الوهم وقائله -: وقد قال فأساء القول في ذكر «النخاولة» الشيعة، دون أن يعتمد على مصدر ثابت، وإنّما نقل ما يتداوله الناس في أصلهم، وأقاصيل العامّة لا تصلح مصدراً للتأريخ^(١).

خامس عشر: انفراد صاحب التحفة لهذه الرواية

فكلّ من أرّخ للمدينة، وتحذّث عنها لم يذكر الرواية المزعومة.

فأول من كتب عن المدينة وطبع كتابه ابن شبة، لم يذكر هذه الخرافة في كتابه الموسوم باسم «تاريخ المدينة المنوّرة» ولا الإمام الحربي، وهو من علماء القرن الثاني الهجري في كتبه: المناسك، وأماكن طرق الحجّ، ومعالم الجزيرة، ولا صاحب «المغانم المطابة في معالم طابة» مجد الدّين الفيروزآبادي من علماء القرن السابع الهجري، ولا صاحب كتاب «وفاء الوفاء» مؤرّخ المدينة المنوّرة العلّامة

السمهودي، وهو من علماء القرن التاسع الهجري، ولا صاحب كتاب «تحقيق النضرة بتلخيص معالم دار الهجرة» وهو الإمام العلامة زين الدين أبي بكر ابن الحسين بن عمر أبي الفخر المراغي المتوفى سنة ٨١٦ هـ.

وإنما قال ذلك بعض المتأخرين ذوي الأهواء والعصبيات الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: «إنهم يموتون ميتة جاهليّة». وهو صاحب كتاب «التحفة» و«معالم الحجاز».

أما المنصفون من المؤرّخين الذين يؤمنون بأنّ التأريخ أمانة ونزاهة وتجرّد وموضوعيّة، وأنّ للكلمة شرف يجب أن يحافظ عليه الكاتب، ومن هؤلاء الشرفاء الشيخ أحمد السباعي رحمه الله، يقول:

«النخالة» وسيء المنصف بهذه المناسبة أن يقرأ ما رواه بعض المؤرّخين بأنّ شيعة المدينة من سكّانها اليوم، ويسمّونهم (النخالة) من ذرّيّة هاتيك الإباحة فذلك رأي يبدو فيه التعصّب كأوضح ما يكون. وإلاّ فما علاقة تلك الذراري بالتشيّع؟ وإذا كان أهل المدينة - كما تقول بعض الروايات - قد نبذوا ذراريهم من تلك الإباحة في ناحية من المدينة فلم لا يكون أولئك الذراري خجلوا من أنفسهم وتفرّقوا في البلاد؟ إن هذا أقرب إلى منطق العقل من تماسكهم إلى اليوم في طرف من المدينة وبقائهم فيها.

الواقع أنّ بعض المؤرّخين يلغون عقولهم لدى نقل الروايات، وأنّ بعضاً آخر تتحكّم أهوائهم في معتقداتهم، فيسجّلون لشهواتهم أكثر ممّا يسجّلون للحقيقة والتأريخ.

والمؤسف أنّ بعض العامّة في المدينة يتأثّرون إلى اليوم بمثل هذه الروايات العابثة، فينظرون إلى إخوانهم النخالة مثل هذه النظرة، ويؤكّد ذلك في نفوسهم خروجهم على مذهب السنّة، والواقع أنّ النخالة جزء من الشيعة في العالم الإسلامي، وليس التشيّع غريباً في بلاد العرب، وقد عرفه التأريخ في جميع

أدواره في أوساط كثيرة من أشرافهم وعامتهم، وقد تعلّم الناس نبذ النخالة لأنهم يباهون بتشيّعهم في عهد العثمانيين، وكان العثمانيون حرباً على التشييع لأسباب سياسيّة^(١).

سادس عشر: لو حملت النساء أو الفتيات اللاتي تعرّضن للبغاء لتخلّصن من الحمل بكلّ سهولة بالإجهاض والإسقاط، وهم حديثي عهد بالعادة الجاهليّة المرذولة وهي عادة وئد البنات ودفنهنّ أحياء خوفاً من العار، فكانوا يستبقون الأحداث، ويتخلّصون من البنات، فما معنى أنّهم لم يتخلّصوا من مواليد الإباحة - إن كان هناك مواليد...^(٢)

(١) تاريخ مكنة للشيخ أحمد السباعي، ج ١ ص ٨٣ الطبعة الثانية.

(٢) ونزيد عليها: إنّ عدد الشيعة في المدينة المنورة بدأ بالانحسار من القرن الثامن الهجري، وقبل الانحسار كانت جماعتهم تقرب من نصف سكّانها، ولكن التضييقات أحاطتهم وأجبرتهم حتى صاروا من أهل السنة، فعلى هذا إنّ هذه التهمة المزعومة تتّجه إلى كثير من إخواننا أهل السنة الموجودين الآن في المدينة المنورة، بل تتّجه لجميع أهل المدينة النبوية، لأنّ كلّ من كان بالمدينة آنذاك قام ونهض في واقعة الحزّة أمام الحكومة العادية الفاسقة، للإنكار على مظالمها، لاسيّما قتل الإمام الحسين الشهيد بكرىلا وآله وأصحابه، ولم يستثن المؤرّخون من أهل المدينة إلّا بني أمية الذين هم أساس الظلم والعدوان على الإسلام والمسلمين، وأما من غيرهم فقد استثنى التاريخ الإمام على بن الحسين (عليه السلام) فهو لم يشارك في القيام لمصالح رآها. فهل يصحّ توجيه التهم إلى المسلمين، حتى يصرفوا قواهم وأفكارهم وأموالهم في دفعها عن أعراضهم، و يغفلوا عن أعداء الإسلام والمسلمين مثل: أميركا الشيطان الأكبر، والصهيونية العالمية.

ولا أدري من منظر الفقه الإسلامي هل يجوز اختلاق هذه التهم ونقلها وإشاعتها؟ فقد قرّر الشارع حدّاً ثمانين جلدة لمن يقذف مسلماً واحداً بالزنا أو أنه ابن زنيّة، فكيف بمن يقذف جماعة من المسلمين، و يفرس بذور الفتنة الدائمة بينهم، و يعيث فساداً و تفرقة بين الأمة الإسلاميّة الواحدة طوال القرون!!!

فعلى العلماء الصادقين والكتّاب الملتزمين من السنّة والشيعة أن يجيبوا عن هذه الأقاويل والأباطيل، و يمنعوا الجهلاء عن تداولها و كتابتها والتلفّظ بها و نشرها، و يسعوا في إصلاح ذات بين المسلمين وليّ صفوفهم أمام أعدائهم.

ثورة محمد بن عبدالله بن الحسن «ذي النفس الزكية»

إنَّ محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الملقَّب بـ «ذي النفس الزكية» قد رُشِّح باتِّفاق الهاشميين للخلافة، وكان المنصور يسير بخدمته ويسوي عليه ثيابه ويمسك له دابَّته تقرباً إليه، وقد بايعه مع أخيه السفاح مرَّتين. وبعد اختلاس العباسيين للحكم واستبدادهم وشياع ظلمهم تألَّم محمد فأخذ يدعو الناس إلى نفسه فاستجاب له الناس وظلَّ مختفياً مع أخيه إبراهيم، وقد انتشرت دعائهم في البلاد الإسلاميَّة داعية المسلمين إلى بيعة محمد هذا.

ولمَّا انتهت الأخبار بشهادة عبدالله وسائر العلويين الذين كانوا معه في السجن بتلك الوحشية والقسوة.. وبخاصَّة محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان (الدياج) ولا ذنب له في الأمر على الإطلاق^(١) اشتدَّ غضب محمد وأخيه إبراهيم.. وجاءهما أشياعهما يستعجلانهما الثورة..

فأعلن محمد ثورته في المدينة وبايعه الناس، حتَّى الفقهاء منهم، وقد استبشروا ببيعته، وحينما انتشر الأمر سارع أهالي اليمن ومكَّة إلى البيعة، وقام خطيباً فيهم فقال:

أما بعد أيُّها الناس فإنَّه كان من أمر هذا الطاغية عدوُّ الله ما لم يخف عليكم من بنائه القبَّة الخضراء التي بناها معانداً لله في ملكه تصغيراً للكعبة الحرام.. إلى آخره، ثمَّ تحرَّك جيشه فهاجم السجن وأخرجوا كلَّ من فيه.. ثمَّ تحرَّك الجمع النائر إلى الإمارة وهم يكبِّرون وداهموها وقبضوا على من فيها، وكان فيمن قبض عليه مسلم بن عقبة.

كان تحرَّك رجال محمد بن عبدالله سريعاً.. غطَّى أطراف المدينة كلَّها،

فقبضوا على كثير من أعوان رياح، وهرب الباكون، ولم يمض شطر من الليل حتّى كانت المدينة كلّها تدين لمحمد بن عبدالله، وارتفع التكبير في المسجد النبوي.. واتّجه محمد ورجاله لصلاة الصبح فيه، وقرأ سورة الفتح تيمناً بانتصاره، وخطب في الحاضرين خطبةً قويّة ذكر فيها ظلم المنصور ولقّبه بالطاغية.

أصبحت المدينة تدين لمحمد بن عبدالله بن الحسن بالطاعة... فأرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة لتدبير أمر العراق.. وأرسل أخاه موسى بن عبدالله إلى الشام ليتولّى إمارتها، وأرسل الحسن بن معاوية إلى مكّة، وأرسل القاسم بن إسحاق إلى اليمن ليتولّاها... وأرسل ابنه عبدالله بن محمد الملقّب بالأشتر إلى السند حيث واليها عمر بن حفص ممّن كاتبوه ووعدوه بالبيعة^(١).

أمّا المدينة فقد عيّن فيها عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير أميراً، وعثمان بن عبدالله بن عمر بن الخطّاب رئيساً للشرطة، وعبد العزيز بن المطّلب بن عبدالله المخزومي على القضاء، وعبدالله بن جعفر بن عبدالله بن مسور ابن مخزومة على العطاء^(٢).

ولمّا علم المنصور بالثورة وجّه جيشاً يقدر بأربعة آلاف فارس بقيادة عيسى بن موسى، وبعد أن اندلعت الحرب بين الفريقين - خارج المدينة - رغبة من محمد وحفاظاً على سكّانها من عبث جيش المنصور، لجأ محمد إلى إعادة حفر الخندق الذي حفره رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب بمشورة سلمان المحمّدي وقد شارك بنفسه في الخندق تيمناً برسول الله ﷺ.. وقد شجّع ذلك بعض أهل المدينة فأسرع بعضهم للإسهام في الحفر.. وذهب بعضهم إلى دار السلاح في الإمارة فاكتسب في المقاتلين وأخذ السلاح والعطاء.. غير أنّ عيسى ابن موسى لجأ إلى خدعة حربيّة مأكرة وهي الحرب النفسيّة، فعمل على تفريق جماعة خصمه بصرفهم عنه.. فعندما أنزل الجيش للاستراحة في منتصف الطريق

(١) الطبري: ج ٨ ص ٣٣.

(٢) البداية: ج ١ ص ٨٦.

تقريباً، استقدم بعض الأعراب الحجازيين وأغراهم بمالٍ كثير ليحملوا رسائل إلى المدينة، وبينما أهل المدينة مشغولون بحفر الخندق والإعداد للمواجهة كان الأعراب الوافدون يقصدون بيوت عدد من وجوه المدينة، وقد خبّئوا رسائل خطيرة في نعالمهم.. فلا يراها أحد ولو فتشوه، وكانت هذه الرسائل تدعو الناس إلى عدم المشاركة في الحرب وتحذّره من عواقبها، وتحضّهم على الخروج من المدينة ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم.. بل ولهم المكافآت..

وتوالت الرسائل على عدد كبير من أهل المدينة.. فلعبت دورها في بليلة أذهان الناس بينما حمل بعض المخلصين الرسائل إلى محمّد بن عبد الله وحذّره من خطورة آثارها.. فأمر محمّد شرطته برصد القادمين وتفتيشهم.. ولا سيما الأعراب، ونجحت شرطته في القبض على عدد من الرّسل بعد ذلك.. ووجدوا مع أحدهم مخاطبات لبعض أهل المدينة تثير شبهة تواطئهم مع العباسيين

فأمر محمّد بالقبض عليهم وحقق معهم وضربهم وأمر بحبسهم، وانتشر أمر الرسائل في المدينة.. وبدأ بعضهم ينسلّ بأهله إلى المزارع والشّعاب^(١)، وعلم محمّد بذلك فتضايق من الخبر ولكّنه أنف أن يجبرهم على البقاء.. بل أخذته الحميّة والأفئدة، ووقع في خطأ لم يكن لمثله أن يقع فيه. فقد خطب الناس يوم الجمعة وحدّثهم عن يقينه المطلق بحقه وبنصر الله له.. وانطلاقاً من هذه الثقة الكبيرة أعلن أنّه لا يمسك من أراد الخروج من المدينة، ولا يحمل أحداً على نصرته، بل ذهب أبعد من ذلك فأباح لهم التحلّل من بيعته..^(٢).

حانت ساعة الصفر

في يوم الجمعة الحادي عشر من رمضان ظهرت حشود الجيش العبّاسي على مشارف المدينة.. ولما أصبح الجند زحفوا إلى منطقة الخندق.. وتحركت

(١) البداية والنهاية.

(٢) التاريخ الشامل للمدينة: ج ٢ ص ٣٤ - ٣٥، نقلًا عن الطبري: ج ٧ ص ٥٨١.

ثورة محمد بن عبدالله بن الحسن «ذي النفس الزكية»..... □ ٣٩٣

الفرقة التي يرأسها ابن قحطبة، وحاولوا أن يجتازوا الخندق بخيولهم، فقابلتهم رشقات غزيرة من السهام من طرف الخندق الآخر، فارتدت الخيول.. وتحركت الحشود وانتشرت على طول الخندق بعيداً عن مرمى السهام. وأمر عيسى بن موسى الجند أن يتوزعوا على أطراف المدينة كلها..

وانتصف النهار والقتال يشتدّ ضراوةً وعنفاً في جهة ويهدأ في جهة أخرى.. ونجحت مجموعات من جيش عيسى بن موسى في اقتحام الخندق، وانتشرت في طرق المدينة وأزقتها إلى أن صارت الحرب حرب شوارع، قُتل فيها كثير من الطرفين، وأصيب محمد بن عبدالله بجراح خطيرة بسبب تفرّق جنده، وبرك إلى الأرض، فبادر الأئيم حميد بن قحطبة فاحتزّ رأسه الشريف، وبهذا طويت صفحة من صفحات تاريخ المدينة الدامية.

ثورة الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن

أبي طالب عليه السلام

هو الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، ابن عمّ محمّد بن عبد الله بن الحسن ذي النفس الزكيّة.

ثار أيام المهدي؛ لأنّ أمير المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله ابن عمر بن الخطّاب، كان قاسي القلب على المدنيّين، وخاصّةً منهم بني هاشم، فقد جمعهم، وحذّرهم وهدّدهم، وجعل بعضهم يكفل بعضاً^(١)، وأنّ يحضرون أنفسهم كلّ يوم ليضمن تواجدهم بالمدينة، وإن تخلف أحدهم أخذ كفيّله به حتّى يحضر. لذا تضايق بنو هاشم من هذه الشدّة وهذا التقييد للحرّيّة والمصادرة لكرامة الناس، فازداد إحساسهم بالظلم والقهر فأخذوا يفكّرون بالثورة.

فبدأ الحسين بن عليّ يحضّر لهذه الثورة، فكتب شيعته في الأمصار، فوصله عدد من الرجال كان فيهم غدافر الصيرفي وعليّ بن السابق العلاسي ومعهم أموال وافرة، وأعدّ الحسين لهم بيتاً بعيداً عن المراقبة فنزلوا فيه. وكتب بعض من شايعه وشجّعه على الثورة في القرى المجاورة، واتّصل ببعض مرّديه وشيعته في العراق والقبائل الحجازيّة المجاورة، واتفق معهم على التجمّع في موسم الحجّ وإعلان الثورة بحضور الحجّاج المسلمين وأخذ البيعة منهم وخلع بيعة العبّاسي. غير أنّ الضغوط الشديدة على بني هاشم من قبل الأمير ومعاونيه غيرت مجرى الأحداث وعملت بانفجار الثورة. وفي اليوم الخامس عشر من ذي القعدة، وعند الفجر اندلعت الثورة، وتحركّ الحسين برجاله إلى منطقة الحرم النبويّ، وهاجموا الإمارة واقتحموها مفتشّين عن الأمير فلم يجدوه، ثمّ ذهب

ثورة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن أبي طالب عليه السلام □ ٣٩٥
 الثَّوَار إلى دار الأمير فلم يجدوه، وأخذوا ما وجدوا في الدار، ثم اتَّجه الحسين
 ورجاله إلى المسجد النبويّ فصلّى بالناس الفجر، ثمَّ صعد المنبر، وألقى كلمة في
 المصلّين، فحمد الله وأثنى عليه ذكر النبيّ فصلّى عليه، وذكر ظلم العبّاسيّين
 واغتصابهم للحكم، وأبان فضل أهل البيت وسلالة الرسول ﷺ وأحقّيتهم بهذا
 الأمر، وطلب منهم البيعة.. فتقدّم الحاضرون بالمسجد وبايعوه^(١).

مجى الأتراك

بقيت المدينة تعيش في ظلّ العهد التركي عيشة وادعة هادئة، لا تعباً إلّا
 قليلاً بالعالم الخارجي، ونادراً ما كان يأتي ذكرها في حديث منهم، وقد ساعد
 على ذلك وضعها الديني الخاصّ، وكون الدخول إليها محرّماً على غير
 المسلمين^(٢).

دفع ذلك العثمانيّين إلى اتّخاذ إجراءات داخلية؛ مثل تأسيس طبقة في
 مجتمع المدينة تسمّى بـ «أغوات الحرم» ومهمّتهم حراسة المسجد النبويّ وغسل
 الحجرة الشريفة والإنارة، وكان عددهم كثيراً يصل إلى الخمسين يردون إلى
 المدينة بالشراء من أفريقيا، أو الإهداء من أهلهم وذويهم ليحصلوا على ثواب
 خدمة المسجد النبويّ، ولهم مكان خاصّ شمال المسجد يسمّى بدكّة الأغوات،
 ولا تزال موجودة حتّى الآن يجلس عليها أصحاب الوردية منهم مقابل محراب
 التهجد للإمام عليّ عليه السلام ومحراب الزهراء عليها السلام الذي يقع في داخل بيتها، فقد فرضهم
 الأتراك على الناس فرضاً، وبحكم أعمالهم في المسجد النبويّ فقد أضفى عليهم
 هالة كبيرة من القداسة واحترام الآخرين لهم، ولما يملكونه من الثروة والجاء،
 فهم يلبسون أحسن الثياب، ويستعملون الشال الكشميري وأفخر أقمشة الهند

(١) التاريخ الشامل للمدينة المنورة: ج ٢ ص ٧١ - ٧٥.

(٢) موسوعة العتبات المقدّسة، قسم المدينة المنورة: ص ١٩٦.

الحريرية.. ولهم مخصّصات ترد إليهم من العاصمة اسطنبول ومن الهدايا التي تصل إليهم من الزوّار والحجّاج، ولهم حصّة ممّا يرد إلى الحرم من هدايا وتبرّعات، ويتقاضون من زوّار الحجرة، ومن المواليد الذين يدخلونهم الحجرة النبويّة بقصد التبرّك؛ لأنّ من عادة المديّنين سنّة وشيعة أنّ المرأة إذا ولدت تظنّ في بيتها أربعين يوماً لا تخرج أبداً، فبعد أربعين يوماً تخرج لزيارة الرسول ﷺ وتعطي الأغا الموكل بالحجرة شيئاً من النقود فيتناول منها الطفل ويدخله الحجرات الشريفة ويدور به في بيت الزهراء ﷺ ويضعه على الأرض دقيقة أو أكثر ثمّ يعود به إلى أمّه^(١).

ثورة العوالي

في منتصف شهر رجب عام ١٢٣٦ هـ قام سكّان المدينة المنوّرة من ضواحيها بثورة تحالفت فيها قبائل: بنو عوف، وبنو عمرو، وبنو عليّ، قاموا

(١) قد تحدّثت عن شيء من سيرة الأغوات؛ لأنّ الأوائل من النخليّين ﷺ كانوا في صدامات عنيفة وعديدة مع عبيد الأغوات بتحريض من أسيادهم، أو بعض المغرضين، مع ما يرون عن الأغوات من نوادر وطرف لطيفة تمثّل سذاجة الأغوات مثل قصّة: إنّ ثوراً لأحد الأغوات كان ظمآنًا وأدخل رأسه في زير الماء الفخاري وشرب، ولم يحسن الحيلة لإخراج رأسه من الزير، فاستدعى الأغا ليؤخذ رأيه في الحلّ، فأمر بذبح البقر فذبح، ولم يحلّ المشكل فأمر بكسر الزير فكسر.

كان لأغوات الحرم أملاك كثيرة منها حوش الجديد الذي تضع في مكانه محاكم المدينة، وكان فيه ما يقارب الخمسين بيتاً من البيوت الصغيرة الشعبيّة ذات الغرفتين فقط، فهلّ المحرّم وجاء المتسلّم أجرة الدورة، وفرش له حصير من جريد النخل في عرضة الحوش، وبدأ سكّان الحوش يتقاطرون لدفع الأجرة إليه، وكان الجوّ بارداً في أوّل فصل الخريف، فقال الأغا لأحد عبيده: أقلّ الباب عن البرد، فردّ عليه أحد الحضور من النخليّين: يا سيّدي البرد من فوق، فغضب الأغا وقال: احشي يا نكولي - يعني يا نخولي - ونادى وكيله الذي يعقب على المتأخّرين من دفع الأجرة، وهو فلان القصري النخلي؛ فجاء القصري وقال له الأغا: خرجي هذه من البيت لا تسكن في بيوتنا، وكلّ الأغوات من أصل أفريقيّ يلحنون في العريّة، والقصص والنوادر التي يتسلّى بها الناس من تصرّفات أغوات الحرم كثيرة جدّاً ومضحكة ومسليّة فعلاً.

بالهجوم على المدينة ومحاصرتها، ودارت بينهم وبين أهالي المدينة، وعساكر المغاربة، والسكان الذين كانوا بها معركة شديدة، انتهت بهزيمتهم وإجبارهم على الفرار، إلى قرية العوالي، وانحصارهم فيها وطلبهم الأمان.

وكانت مطالبهم في هذه الثورة هو رفع الظلم الذي فرض عليهم من قبل الحكّام الأتراك من إرهابهم بالضرائب، والتمييز بينهم وبين العنصر التركي^(١).

ثورة الجنود غير النظاميين

وضع مخطّطها في مدينة «ينبع» وانطلقت شرارتها من المدينة المنورة، وذلك في عام ١٢٤٦هـ وأسبابها الفساد الإداري الذي وقع في إدارة الحجاز، مثل تأخّر مرتّبات الجنود، والاختلاسات والسرقات التي حدثت من المسؤولين، كما ارتكب المسؤولون منهم الاختلاسات في التعيّينات التي تُصرف للجنود، كما أنّ القاعدة قاموا بتزوير الإحصاءات الخاصّة بجنودهم ليحصلوا على أكبر قدر من المرتّبات والتعيّينات التي تُرسل إلى الحجاز، واتّسع نطاق الثورة وامتدّت إلى جدّة، فاليمن^(٢).

الثورة العربيّة الكبرى

تسمّى ثورة التاسع من شعبان، إيذاناً وتزامناً مع تاريخ مولد الإمام الحجّة محمد بن الحسن العسكري عليه السلام الذي حدث في النصف من شعبان، أو الثورة العربيّة الكبرى عام ١٩١٦م التي أطلق أوّل رصاصة فيها ضدّ الأتراك في الحجاز الشريف الحسين بن علي شريف مكّة، من مكّة من الشرفة التي كان يطلّ منها على الجماهير، والحقّ أنّ أوّل رصاصة أُطلقت إيذاناً بالحرب على الأتراك كانت من المدينة، لأنّ تحرّك المدنيّين سبق تحرّك المكيّين لبدء الثورة قبل موعدها، شوقاً إلى التحرّر والانعقاد من نير الاستبداد التركي.

وقد ورد ذكر المدينة كثيراً عند ذكر الثورة العربيّة الكبرى؛ لأنّ المدينة - كما يقول لورنس - كانت نهاية سكة حديد الحجاز، ومركز تجمّع القوات التركيّة بعد مكّة؛ بحيث أصبحت هدفاً للثورة مدّة طويلة من الزمن ومداد خطتها حتّى انتهت بوصول الثوّار إلى دمشق الشام في النهاية.

والأصحّ من ذلك أنّ أنصار الثورة وعشاق عودة قيادة الأُمّة إلى أهلها الأشراف يتواجدون بالمدينة، وهم الأشراف الحسينيّون والنخليّون وبنو عليّ وغيرهم من قبائل حرب، فحرب كانت تمثّل رأس الحربة كما يقول عاتق البلادي، والثقل العددي والخبرة في القتال؛ فقد كان الحسين يعدّ حرباً جيّشاً من جيوشه، وتوثيقاً لهذا الهدف عيّن الشريف محسن بن أحمد بن منصور من ذوي عبد الكريم شيخاً لمشايخ حرب.

فجمعهم عليه، وجعله يمارس سلطته قبل بدء الثورة بزمن يكفي للإلزام بنفسيّات وشؤون هذه القبائل، وفي التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ هجري ١٠ حزيران ١٩١٦ م أطلق الحسين رصاصته المشهورة؛ إيذاناً ببدء الثورة، وفي العاشر من تمّوز هاجم الشريف محسن جدّة بقوة يبلغ عددها أربعة آلاف محارب، وهم طبعاً من حرب، وعاونه في ذلك بوارج إنجليزيّة.

وكان أوّل انتصار ناله العرب في جدّة، وتحولّ العرب على الأثر إلى الحامية التركيّة في مكّة، المعصمة في قلعة أجياد. فقبيلة حرب كانت العمود الفقري للثورة العربيّة، فقد قال لي من اشترك في الثورة من غير حرب القول لعاتق: لقد كنّا نرى المخيّم والمخيّمين لا يخالط حرباً فيها مخالط.. ولقد كان كثير من الغزوات يتكوّن جميع أفرادها من هذه القبيلة، وقد استمرّت تغذّي الثورة وتنافس عنها وتسندّها إلى أن دخل أبناءها دمشق، واستوطن كثير منهم في عمّان ودمشق وكثير من قرى الشام.

ولو أنّ حرباً وقفت في طريق الثورة لأخّرتها كثيراً، ولربما قتلتها في

مهدها، ولكن هذه القبيلة أخلصت للثورة، ويجب هنا أن أنوّه بأنّ جميع قبائل الحجاز شاركت في الثورة، وقد اختفت بينهم الحزازات القديمة والثارات القبلية. والواقع أنّ جيش الثورة كان يبعث على العجب، فقد كان يغمر الإيمان رجاله الذين انتظموا جماعة واحدة حول فيصل، يقاتلون في سبيل الحرية أشهراً عديدة دون ما تذرّ ولا شكوى، والذين كانوا يقولون إنّ العربي يحارب للمال يخطئون كلّ الخطأ، وقد أشاعوا هذه المقولة المغلوطة التي أضحت مثلاً يقال في كلّ مناسبة مشابهة: «اكتب بواردي يا شريف» وأنهم من كثرة ما أعطوا من الذهب كان أحدهم يضع الجنيه الإنجليزي شارة يتعلّم عليه الرماية، فقد كان الجندي البدوي العربي المحارب في الثورة ينال راتباً شهرياً محدداً لا يزيد عن ليرتين إنجليزيّتين في الشهر الواحد، وكان الترك يعرضون على العربي أكثر من ذلك فلا ينضمّ إليهم، ولا يأبه لطلبهم، وفي ذلك دليل قاطع على أنّ العرب في الحجاز كانوا يحاربون في سبيل استقلالهم وليس لغرض مادي.

وتحت عنوان «شهادة محايد» يقول: ولقد رأى لورنس بعيني رأسه عائلة يتناوب أفرادها القتال، لأنّها لم تكن تملك غير بندقية واحدة، فكان الشقيق يتناوب مع شقيقه حمل السلاح أياً ما؛ ليقوم بواجبه في الدفاع عن أرض الوطن. وأيضاً تحت عنوان «حرب تشنّ على الترك حرب عصابات» يقول: وعندما وصل فيصل إلى ينبع استقرّ بها ردهاً من الزمن، وكانت قبيلة حرب تحارب الترك حرب عصابات، وترسل إلى فيصل بين الآونة والأخرى ما يقع في يدها من الذخائر والجمال. ومعروف أنّ لحرب العصابات من تأثير على العدو من إرهاقه وإدخال الفزع في نفوس أفرادها ممّا يخفض روحهم المعنوية، وكذلك ما يقع لأفراد العصابات من تدمير أحياناً على يد كمائن العدو، بالإضافة إلى صعوبة تموينها تمويناً منتظماً، فإذا أخذنا هذه النقاط وغيرها بعين الاعتبار أدركنا أنّ قبيلة حرب خدمت الثورة العربية الكبرى خدمة لم يخدمها غيرها، وإذا عرفنا أنّ

الثورة أدّت في البعيد الآجل مكاسب للعرب، ما كانوا ليحصلوا عليها دونها، إذا عرفنا هذا كلّهُ فإنّ هذه القبيلة - بالنتيجة - خدمت العرب خدمةً تتناسب مع موقعها وأرومتها العربيّة الأصيلة، فإذا كان التأريخ قد أخذ عليها في الماضي بعض الهنات، فإنّها قد عوّضت وأطفحت المكيال^(١).

الغدر والخيانة ليست من شيم الأشراف

طلب الأتراك من الشريف الحسين الوقوف معهم ضدّ دول الحلفاء ومع دول المحور، وكان الأتراك يسمّون هذه الحرب بـ «الجهاد» ضدّ العالم المسيحي، وهذه مغالطة كبرى، وهم يقصدون بطلبهم هذا أن يصفوا الشرعيّة والقداسة على حربهم ضدّ الإنجليز وحلفائهم باشتراك الأشراف حكّام مكّة والمدينة معهم - كما يقول لورانس - ويصف الحسين بأنّه شريف حاذق، وعنيد شديد التدبّر، فقد يعتقد أنّ الحرب المقدّسة لا يمكن أن تتفق شرعاً مع الحرب الاعتدائية؛ لأنّ حروب الإسلام دفاعيّة وليست هجوميّة، لذلك رفض طلب الأتراك في الاشتراك معهم في الحرب ولوطنيتّه الصادقة طلب منهم أن لا يتسبّبوا في انقطاع توارّد الحجاج وتوقّف الحركة التجاريّة، فتقطع المراكب الهنديّة التي تحمل الأطعمة التي يأكلها الحجاج؛ انتقاماً من الشريف، لأنّه أصبح في نظرهم محسوباً على العدو؛ لأنّ من لم يكن معنا فهو ضدنا، أو كقول الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: عدوّي وصدّيق عدوّي داخل في عداوتي، وصدّيق وصدّيق صدّيقى داخل في صداقتي.

تقدّم الشريف باستغاثة للحلفاء يطلب فيها عدم تجويع بلاده بسبب حرب لا ناقة لقومه فيها ولا جمل، وكان ردّ فعل الأتراك أن فرضوا حصاراً جزئياً على الحجاز بالسيطرة على سكّة حديد الحجاز، لكن البريطانيين عوّضوه عن ذلك بأن تركوا سواحل الحجاز مفتوحة لسفن الطعام ونظم تواردها تنظيمّاً خاصّاً.

كان الشريف حسين على اتصال وثيق وتنسيق مع لجان «العهد» و«القناة» ومجموعة من الضباط القوميين العرب في العراق وسوريا، ولذا أرسل ابنه فيصل إلى سورية لينسّق معهم.. لكن فيصلاً لقي مؤازريه في سوريا بين موقوف أو مختف، وأنّ أصدقاءهم كانوا يعلّقون على المشائق بالعشرات بتهم سياسيّة مختلفة. أمّا الابن الأكبر للشريف الحسين وهو عليّ، فقد أرسله أبوه إلى المدينة المنورة ليجنّد الجنود بهدوء من قرى الحجاز وأبناء عشائره، وقد لحق به أخوه فيصل عندما رأى الوضع في سوريا ينذر بالخطر، فقد كان جمال باشا يدعو فيصلاً ويأخذه معه إلى حيث كان يشنق أصدقاءه السوريين، وفيصل تحمّل ذلك وصبر عليه بمرارة، وتجرّع كؤوساً من ضروب التحقير والإهانة لقومه العرب.. ولو أباح بشيء من تدمّره من هذه الإجراءات التعسّفية التي يتّخذها جمال باشا مع رفاقه العرب لتعرّض فيصل وأسرته لنفس المصير، لكنّه انفجر مرّة واحدة فقط وقال لجمال بأنّ أحكام الإعدام هذه ستكلّفه جميع ما كان يحاول تحاشيه وتجنّبه، فأنار ذلك التصريح حفيظة جمال باشا، غير أنّ من رجال تركية الموجودين في استانبول تدخلوا وتشفّعوا لإنقاذه من تبعه هذا التصريح.

لهذه الأسباب مجتمعة قلّ حماس فيصل، وكان يدعو أباه وينصحه بتأخير الثورة إلى وقت مناسب، لكنّ أباه كان مصرّاً على إعلانها في الزمان والمكان الذي أعده في استراتيجيّته. وعندما لم يستطع فيصل احتمال الوضع في سوريا ولمتابعة الإعداد للثورة في المدينة استأذن، وبأمر من والده على أثر رسالة جاءته يحملها عبد القادر العبد وطلب فيصل من جمال السماح له بالتوجّه إلى المدينة، غير أنّه فوجئ بما أفرعه حينما ردّ عليه جمال بقوله: إنّ القائد العام أنور باشا، كان في طريقه إلى المدينة أيضاً، وأنهم سيزورون المدينة سوياً، فيفتشون الجيش فيها، وكان فيصل قد رتب أن يرفع علم والده القرمزي حالما يصل المدينة، ويباغت الأتراك على غفلة منهم، بينما اضطرّ الآن إلى أن يرافق ضيفين ثقلين يحتمّ واجب

الضيافة العربيّة المحافظة عليهما وعدم مسّهما بسوء، وقد يؤدّي ذلك إلى تأخير ما كان ينوي الإقدام عليه، بحيث تتعرّض أسرار الثورة كلّها إلى الحظر بسببه.

وعلى أنّ الأزمة انتهت بسلام بعد ذلك، برغم أنّ سخرية الاستعراض كانت شيئاً مزعجاً، فقد وقف أنور وجمال وفيصل يستعرضون الجيش الذي يتدرّب في العوالي من النخليين والأشراف وبني عليّ، إلّا أنّ لورانس يقول: إنّ فريقاً من بني عليّ اتّصلوا بالقيادة التركيّة، وعرضوا عليها الاستسلام إذا وعدوا بسلامة قراهم، فاحتال فخري عليهم وفي ما أعقب ذلك من توقّف في المناوشات طوّق ضاحية العوالي بجنوده. ثمّ أمرهم فجأةً بمهاجمتها والاستيلاء عليها بالقوّة، وبقتل كلّ حيّ يوجد فيها، فذبح مئات السكّان واغتصبوا، وتلا ذلك إضرام النار في البيوت فاحترق فيها الأموات والأحياء سوياً، أنّها وحشيّة وبربريّة تقشعرّ لها الأبدان، ويشيب لها الولدان. ويقول لورنس: إنّ مثل هذه المعاملة القاسية، وهذا الفتك قد هزّ أنحاء الجزيرة العربيّة كلّها؛ لأنّه جاء مخالفاً لجميع القواعد والأعراف، ولم يعد من الممكن للعرب أن يخضعوا ثانيةً للأتراك الذين كان ما اقترفوه في العوالي قد ولّد رويّة الثأر عند الجميع.

إنّ قول لورنس إنّ فريقاً من بني عليّ وقّعوا اتّفاقية هدنة مع الأتراك لا ينسجم مع ما هو معروف تاريخياً عن شجاعة بني عليّ، ومع ما قاله عاتق البلادي: إنّ جميع قبائل حرب وقفت مع الأشراف، ولولا حرب لتأخّر انتصار الثورة، أو فشلت المحاولة؛ ولنفرض فإنّ نتائج انسحاب فريق من بني عليّ، وما حدث لهم من مأساة أذكت نار الثورة على الأتراك وولّدت روح الانتقام والثأر عند الجميع، وهكذا دائماً الدم ينتصر على السيف.

غدر ووفاء

يقول لورنس: وقف أنور باشا وجمال باشا وفيصل يستعرضون القطاعات وهي تسير وتنعطف، ثمّ تدور في السهل المغبر خارج باب المدينة، وقد جاء

الرؤساء بعد ذلك ليسلموا على القائد العام بعد أن تمّ تقديمهم له، فتنحّى الشريف علي بن الحسين، من مذبح، فيصل جانباً وهمس في أذنه يقول: هل يأذن سيدي بقتلهم الآن؟ لكن فيصلاً ردّ عليه يقول: كلاّ إنهم ضيوفنا، واحتجّ الرؤساء مرّة أخرى على هذا الرفض؛ لأنّهم كانوا يعتقدون أنّهم يمكنهم أن ينهوا الحرب بضربتين حاسمتين؛ وقد كانوا عازمين على إجبار فيصل على ما يريدون، ولذلك اضطرّ أن يذهب إليهم ثانيةً على مرأى من الواقفين ويتوسّل لإنقاذ حياة الديكتاتورين التركيين، الذين كانا قد علّقوا خيرة أصدقائه وأخلصهم على أعواد المشانق، واضطرّ في الأخير إلى أن ينتحل الأعذار المناسبة ويعود بالضيفين إلى داخل المدينة، ويملاً قاعة الاستقبال فيها بعبده ورجاله، ثمّ يرافقهما في العودة إلى دمشق لينقذهما من الموت في الطريق إليها. وقد فسّر هذه المجاملات المنهكة بأنّ شهامة العرب تقضي بأن يكرّس كلّ شيء إلى ضيوفه.

يقول صاحب كتاب سقوط الدولة العثمانية: إنّ إنجلترا وحليفاتها حصلت على مساعدة الجيش العربي العظيمة، وبعد أن حصل الحلفاء على مساعدة العرب أسفرت الحقيقة عن عداوتهم التي ألبسوها ثياب الصداقة وأردية الوفاء، نبذت بريطانيا الشريف الحسين بعد أن استوفت فائدته. لقد لقي الشريف حسين من بريطانيا تهليلات النجاح واستغلال بلاد العرب تحت خلافته للمسلمين، فلمّا أنجزت به مرادها أصدرت وعد «بلفور» بمنح اليهود فلسطين سنة ١٩١٧م بل حقّقه بالقوّة، ووقّعت قبل ذلك وبعد وعدا لحسين اتّفاقية سايكس-بيكو بينهما وبين فرنسا لاققسام بلاد العرب^(١).

التعاطف مع الثورة

يقول السباعي: ما كاد الحسين ينتهي من مباحاته مع الجانب البريطاني،

(١) سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلاميّة: ص ٢٨٠.

حتى كان نشاطه قد تضايف في مكة. كانت اجتماعاته تخصّ بكبار الأهليين وأعيانهم ومشايخ الحارات والبارزين من رجال القبائل، وقال لهم: إننا يا أولادي ليس لنا مطمع إلا أن نحافظ على ديننا وعربتنا، إننا آخر من يعص أمر الخليفة بشرط أن لا ينال الاتّحاديون من ديننا^(١).

والذي يفهم من قول السباعي إنّ أهل مكة كانوا متجاوبين ومتعاونين مع الشريف، ومع الثورة التحرّرية.

فيقول: كان معسكر عبدالله بن الحسين في شرق المدينة، وعلي وزيد يعسكران في رابغ، وفيصل في بئر درويش غربي المدينة حتىّ سلمت المدينة، وجيش الجنوب بقيادة علي (ملك الحجاز فيما بعد) وجيش عبدالله (ملك الأردن فيما بعد)، وقد قاسى أهل المدينة في حصارهم من الشدّة والضيّق ما لا يُطاق واضطّرّ أكثرهم إلى الهجرة إلى بلاد الشام.. وأهل محرّم عام ١٣٣٧ هجري والمدينة على حالها في الحصار، وما يكاد ينتهي محرّم عام ١٣٣٧ حتىّ كانت هدنة الحرب العامّة قد أعلنت^(٢).

وأثناء حصار فخري للمدينة كان شجعان النخليين من أمثال أحمد بن صالح حديدي ينتقون الشباب والرجال، ويقفزونهم من سور المدينة ليلحقوا بعرضي الشريف، ويطوّعوا للدفاع عن أعراضهم وممتلكاتهم ودعمًا للثورة التحرّرية.

أمّا في المدينة كما يقول زيدان، تحت عنوان «نادرة»: إنّ فخري باشا كلّف أشرف بيك أن يجمع جيشاً ليس فيه تركي واحد، فجمع أشرف بيك الشلاوية والعربيّة، ويقول إنّّه أخبر بأنّ منهم الدلوقة وأبو حلّمة والحمزاوي وحذيفة النحاس... وسار أشرف بما جمع من الذين هم رجال العصا والمشكلة، أي الفتوة لا من رجال البندق والمدفع.

(١) تاريخ مكة: ج ٢، ص ٢٢٢.

(٢) تاريخ مكة للسباعي: ج ٢ ص ٢٧ - ٣٠.

وهذا الموقف من سكان المدينة يمثل التعاطف مع الثورة.

المدينة ثكنة عسكرية تركية

أمر أنور باشا وجمال بسوق إمدادات قويّة، فأصبحت المدينة ملاً بالجنود الأتراك، وبضباط الفيلق الثاني عشر وعلى رأسهم فخري باشا، الجزّار القديم الشجاع الذي طهر (زيتون) و (أروفه) تطهيراً دموياً من الأرمن. وكانت خطط الثورة في بادئ أمرها تتركز حول مهاجمة المدينة وتطهيرها من الأتراك، لأنها أصبحت مقرّهم الوحيد في الحجاز ومركز تجمعهم.

وصار الثوّار يهاجمون المدينة من جهة الشمال الشرقي بقيادة الشريف عبدالله، لكن الشريف عبدالله لم يستطع أن يهاجم المدينة لأنّ سلاحه غير كاف، فحاصرها من جهة الحناكية، والشريف علي وفيصل يقاتلون من داخل المدينة من العوالي ومعهم الأشراف والنخليّون وقبيلة حرب.

إلى أن أضعفوا الأتراك وصاروا يتخذون موقفاً دفاعياً في المدينة... إلى أن أدرك الأتراك أنّ وضعهم بالمدينة صار ميؤوساً منه، فأوعزوا إلى قائدهم فخري بإخلائها، لكنّه تمرد على الأوامر وتحصّن بالمسجد النبويّ صار مقيماً فيه لا يبرحه، مقيماً في آخره من الجهة الشماليّة ومن الجهة الغربيّة ملاء بالذخيرة حتّى السقف، ومثله مسجد الغمامة، وقائل يقول: إنّّه كان ينوي تفجير المسجد، إلّا أنّ صحّته اعتلّت، واحتال عليه بعض الضباط الذين حولّه، فألقوا القبض عليه. يخبرني والدي ﷺ أنّه رأى فخري باشا معتصماً بالمسجد النبويّ، وهو مسلّح بزوج من الفرو، وفي وسطه حزام ناسف من الديناميت.

فهذا تأريخ الشيعة مع أوطانهم ولواء وصمود ودفاع حتّى الموت، وكان المقرّر للثورة العربيّة الكبرى أن يبدأ إطلاق أوّل رصاصة من مكّة يطلقها الشريف الحسين، فكانت المدينة أسبق إلى ذلك بشهادة التأريخ.

ومن كتاب ثورة العشرين: إنّ الشيعة هم الذين طردوا الأتراك من العراق،

وبعثوا الشاعر الشبيبي على رأس وفد إلى الحجاز ليبيع الشريف فيصل ملكاً على العراق، وقد شاهد هذا الوفد بأُم عينه الشيخ محمد سلمي وائل، وهو يدخل إلى بستان الصافية ليقابل الشريف فيصل.. وعندما خرج على طاعتهم بتوجيه الإنجليز ثار مجتهدو النجف وكرلاء على الحكومة برئاسة السيّد عبد الرحمن النقيب... وفي شهر تمّوز تأجّجت نار الثورة في أنحاء العراق كلّها، ومبعثها كان النجف مطالبة برفع الانتداب البريطاني عن العراق، فجاء من العلماء وفي مقدّمهم كبير المجتهدين في النجف... وفي وزارة عبد المحسن السعدون ثار الشيعة عندما وضعت وزارة السعدون الدستور وأصدرت قراراً يوجب مباشرة الانتخاب، فاعترضها في هذا السبيل الشيعة بزعامه العلماء،

وعلى إثر نفى السعدون آية الله الشيخ مهدي الخالصي وزميله السيّد صدر الدين إلى الحجاز أحدثت الشيعة ضجّة، وكانت من نتائجها احتجاج نفر من العلماء وسفرهم إلى إيران مغضبين... وبعد مفاوضات طلب الشيعة تنفيذ أربعة شروط وهي: إخلاء الإنجليز عن القطر العراقي، واستقالة الوزارة الحاضرة، وتحديد زمن للانتخابات، وإدخال عدد معيّن من الشيعة في المجلس النيابي.

ويقول علي الوردي: بعد احتلال الإنجليز العراق في الحرب العالميّة الأولى، رفع فقهاء الشيعة راية الثورة عليهم، وكان يرأسهم في ذلك الميرزا محمد تقي الشيرازي الذي خلف الميرزا حسن الشيرازي على زعامة الاجتهاد الشيعي وفي ذلك الحين أصدر هذا المجتهد فتواه بوجوب الثورة على المستعمرين، وفرض على المؤمنين إفاق زكاة أموالهم في تسليح الثوّار وإطعامهم، وقد لعب فقهاء النجف وكرلاء والكاظميّة دوراً كبيراً في ثورة العشرين ١٩٢٠ م.

تقول المس ييل: إنّ رجال الدّين كانوا من أكبر دعاة الثورة في العراق خلال الحرب العالميّة الأولى وبعدها^(١).

(١) د. مصطفى عبدالرزاق، محمد عبده: ص ٢٥٧ من كتاب وعّاظ السلاطين لعلي الوردي: ص ٢٤.

والشيعة بالمدينة عند العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م كان موقفهم موقف المتحمّس للدفاع عن مصر العروبة، حتّى أنّه كان في هذه الأثناء الأديب المدني عبد الرحمن رفة يركب سيّارة أونيت، ويقف في الحوض، يجوب شوارع المدينة، ويدخل حاراتها محرّضاً الجماهير على التبرّع، وكان إذا جاء إلى جنوب المدينة يقف في حوض السيّارة وينادي بأعلى صوته: يا أحفاد الأنصار، يا أحفاد عليّ بن أبي طالب ساعدوا إخوانكم في مصر.

فتنهال عليه التبرّعات الماليّة والعينيّة بسخاء. وقد رأيت بعض نساءنا النخليّات تنزع السوار من يدها وترمي به في حوض الأونيت، وأخرى تأتي مهرولة من منزلها ومعها الملابس تلقي بها في حوض السيّارة، وإذا ذهب إلى شمال المدينة ينادي: يا أحفاد المهاجرين، يا أحفاد عمر وخالد.

وقد فتحوا باب التطوّع للتدريب، وقد تقدّم من أبناء النخليّين العدد الكبير، واستمرّوا في التدريب إلى أن انتهى حماس القائمين عليه أو المتدرّبين، فتناقص العدد، حتّى صفي على بعض المدرّسين المصريّين العاملين بالمدينة، وكنت من آخر من انسحب من التدريب.

وهذه المقاومة اللبنايّة دليلٌ صارخ وحيّ على ولاء الشيعة لبلدانهم، فهم الذين حرّروا الجنوب، وسيحرّرون مزارع شبعاء، ثمّ الحرب الأخيرة لحزب الله مع إسرائيل.

العوالي رمز الانتصارات الإسلامية

أثر العوالي في بيعتي العقبة الأولى والثانية

رَوَّجَ رسول الله ﷺ للدين الجديد بمكة، فقبل بأقصى أنواع الردِّ وأعنف أنواع الإنكار عليه وضربه. ثم ذهب إلى الطائف ولم تكن المواجهة معه بأقلِّ عنفاً وأخفَّ ضراوة من مكة، بل كانت أشدَّ عنفاً. فغيرَ ﷺ خطته وقام بتكتيك جديد، فصار يعرض نفسه ودعوته في المواسم على القبائل غير قريش وثقيف، وعلى الوجهاء والأعيان وأصحاب المكانة في مجتمعاتهم، فكلَّمَا سمع بقدام يقدم مكة من العرب له صيت اسم وشرف تصدَّى إليه يعرض عليه الإسلام ويدعوه إلى الله، فقدم سويد بن الصامت المدني أخو بني عمرو بن عوف فدعاه إلى الإسلام، وقرأ عليه القرآن، ثم قدم أبو الجيش أنس بن رافع المدني، وفتية من بني عبد الأشهل وفيهم إياس بن معاذ، فأتاهم النبي ﷺ وعرض عليهم الإسلام... وكان من أمرهم ما ذكره التاريخ وفصل فيه.

أما بيعة العقبة الأولى، فقد تمت كما ذكرها المؤرِّخون عندما التقى رسول الله ﷺ في الموسم بنفر من أهل العوالي من الخزرج عند العقبة، ودعاهم إلى الإيمان بالله، وعرض عليهم الإسلام.

فعادوا إلى المدينة وذكروا لقومهم النبي ﷺ ودعوته لهم إلى الإسلام فانتشر فيهم الخبر، حتَّى إذا كان العام المقبل وافى الموسم اثنا عشر رجلاً من أهل العوالي، فبايعوه، واشتهرت البيعة باسم بيعة العقبة الأولى.

وعندما انتشر الإسلام بالمدينة اتفقت جماعة منهم على السير إلى مكة

دور العوالي في انتصارات غزوة بدر الكبرى □ ٤٠٩

واللقاء بالنبي ﷺ متكررين، واجتمعوا به، ووعدوه أيام التشريق بالاجتماع معه في العقبة بعد مضي أيام الحج، وتحت جنح الظلام تسللوا حتى اجتمعوا بالعقبة وهم سبعون رجلاً وامرأتان، وبعد مداولات بدأها العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ثم تكلم النبي ﷺ ثم تكلم أحد المدتين، إلى أن تمت المعاهدة بينهم بالشروط التي ذكرها التاريخ والسيرة النبوية، ثم انفض الاجتماع الثاني في بيعة العقبة الثانية. وعندما سمعت قريش اعترضت على أهل العوالي هذا الإجراء والحلف بينهم وبين الرسول ﷺ.. فهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، وقام بإجراءات إدارية نظم فيها المجتمع المدني، وكتب بذلك وثيقة اشتهرت فيما بعد باسم «وثيقة المدينة» وهي أول دستور للنظام الإسلامي.

دور العوالي في انتصارات غزوة بدر الكبرى

في غزوة بدر قال رسول الله ﷺ مخاطباً الحضور من الصحابة: أشيروا علي أيها الناس؛ فيدلي أبو بكر وعمر برأيهما فيعرض عنهما رسول الله ﷺ لأنه يريد رأي أهل العوالي، فيقول ثانية: أشيروا علي أيها الناس، فالتفت سعد بن معاذ إليه وقال: لكأنك تعيننا يا رسول الله؟ قال ﷺ: أجل.

قال سعد: لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا وموائقنا على السمع والطاعة، فامض لما تريد، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، وما تخلف منا رجلٌ واحد، وما نكره أن تلقي بنا عدونا غداً، أنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله^(١).

(١) صحيح مسلم، رواية أنس بن مالك.

العوالي وغزوة أُحُد

في إمتاع الأسماع للمقريزي، في سياق غزوة أُحُد ومشاورة الرسول ﷺ لأصحابه: وحضر أهل العوالي، ورفعوا النساء في الآطام.

وقال ابن أبي الحديد في قصّة غزوة أُحُد: لم يبدأ النبي ﷺ الحرب إلّا بعد أن حضر أهل العوالي، وقد رفعوا النساء إلى الآطام، وحضرت بنو عمرو بن عوف بِلِقَّها والنبيت ولِقَّها وتلبسوا السلاح^(١).

وقال أيضاً في غزوة حمراء الأسد: فنزل رسول الله ﷺ فدخل المسجد فصلى ركعتين، والناس قد حشدوا، ونزل العوالي، حيث جاءهم الصريخ، ودعا بفرسه على باب المسجد^(٢).

العوالي وانتصارات الثورة العربيّة الكبرى

كادت تفشل ثورة الشريف الحسين بسبب ما حصل للضباط القوميّين العرب في دمشق من الشنق على يد جمال وأنور باشا.. وأنّ الشريف فيصل كان يدعو والده وينصحه بتأخير الثورة إلى وقت مناسب لما رأى في دمشق، لكن والده مصر على إعلانها - بقول لورنس - في الزمان والمكان الذي حدّدهما، لكن فيصل عندما توجه إلى المدينة ورأى الحماس والاستعداد استعاد ثقته بنجاح الثورة، وفعلاً نجحت بسبب تضحيات العوالي وباقي العرب الوطنيّين.

وصول فخري باشا إلى المدينة

ما كاد فيصل يستقرّ في المدينة حتّى وصل إليها فخري باشا وكيل قيادة الجيش الرابع منتدباً من قبل جمال باشا للإشراف على الحالة، وليتولّى القيادة

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ٢٢٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١٥ ص ٥٧.

بالذات، وكانت فيها يومئذٍ قوّة عسكريّة مؤلّفة من ثلاثة آلاف جندي، عزّزها بنجذات أخرى تحت ستار إرسالها إلى اليمن^(١).

ففي يوم أوّل يونيو غادر علي المدينة إلى سيّدنا حمزة حيث معسكر المتطوّعة، على أن يغادروا إلى مكّة، ويبقى فيصل في المدينة، ولكنّهما ذهبا معاً مع حاشيتيهما و ٢٠٠ هجان، كأنّهما يقصدان مكّة، ولكنّهما رجعا إلى أبيار علي وأرسلا الرّسل إلى القبائل يدعوانهما لموافاتهما، ولم ينقض اسبوع حتّى وافاهما نحو ستّة آلاف مقاتل فهاجما السكّة الحديد، وخرج فخري بنفسه للقتال على رأس قوّاته، واشتبك مع العرب، وارتدّ العرب حتّى بير الماشي لنفاذ ذخائرهم، فذهب فيصل إلى جهة ينبع، وبقي عليّ وحده، وأخذوا يستعدّان للنضال، وذلك قبل أن تعلن الثورة رسمياً^(٢).

يقول لورنس: طوّق فخري باشا ضاحية العوالي بجنوده، ثمّ أمرهم فجأةً بمهاجمة العوالي والاستيلاء عليها بالقوّة، وبقتل كلّ حيّ يوجد فيها، فذبح مئات من السكّان واغتصبوا، وتلا ذلك إضرار النار في البيوت فاحترق فيها الأموات والأحياء سوياً... إلى أن يقول: إنّ مثل هذه المعاملة القاسية وهذا الفتك قد هزّ أنحاء الجزيرة العربيّة كلّها؛ لأنّه جاء مخالفاً لجميع القواعد والأعراف... ولم يعد من الممكن للعرب أن يخضعوا ثانيةً للأتراك الذين كان ما اقترفوه في العوالي قد ولّد رويّة الثأر عند الجميع^(٣).

انتفاضة الشيعة عام ١٣٤٦ هجري

في عشرة ربيع الثاني ١٣٤٦ هجري قامت انتفاضة شعيّة من قبل الطائفة الشيعيّة المعروفة بالنخالة الذين لم يصبروا على إهانات وجرائم العصابة... وبعد

(١) الثورة العربيّة الكبرى: ج ١ ص ١١٩.

(٢) الثورة العربيّة الكبرى: ج ١ ص ١٢٠ - ١٢١.

(٣) الموسوعة: ص ٣٠٧.

هذه الانتفاضة الشيعة الشيعية أمرت العصاة باحتقار النخالة وعدم مصاحبتهم والاختلاف إليهم^(١).

فتنة عيد الفطر

في عام ١٣٧٤ هجري بعد المغرب من اليوم الثالث من شهر شوال اندفعت فتنة طائفية بين النخليين وسكان المدينة، وسبب ذلك أن شهر رمضان وعيد الفطر وكثير من المناسبات تكثر فيها مظاهر اللهو والمرح عند الشباب والصبيان، ومن تلك المظاهر والعادات ركوب السيارات والخيول، ويتجولون عليها في داخل المدينة وفي الضواحي وبين المزارع والحقول، ويعشون المسابح وأماكن النزهة والترفيه على شكل مجموعات وزرافات، وكان الشباب من الفتيان يلتقون في بعض أماكن التنزه، وتقع بينهم مصادمات بالأيدي والحجارة والعصي، ثم صارت الأمور تتعقد على غير المألوف، حتى وصل الأمر إلى درجة عدم الفرق بين الشيوخ والشباب والأطفال النخليين، وأينما وجد أحد منهم أعتدي عليه بالضرب والشتم.

وبعد عصر اليوم الثاني من عيد الفطر وقع تصادم بين مجموعتين من الشباب في باب المصري، وسوق الحراج، فتدخلت الشرطة وفشت الاشتباك واعتقلت شباب النخليين وأودعتهم السجن، ولا نعرف ما إذا كانوا قد اعتقلوا أحداً من غرماهم أو لا.

وكان بعض الشباب، وعددهم أربعة من «حوش السيد» داخل منطقة سور المدينة في زيارة لأقاربهم، وعندما أرادوا العودة إلى دورهم، أخذتهم الحمية عليهم بعض الشباب من جماعتهم، وذهبوا معهم ليوصلوهم إلى دورهم، ثم يلقون عائدين، وكان عددهم أربعة أو خمسة فقط، وعندما توسطوا في المناخة،

(١) التاريخ الأمين لبلد سيد المرسلين: ص ٩٧، نقلاً عن كتاب مكة للدكتور الشيخ هادي الأميني:

فإذا هم يفاجئون بمجموعة من الرجال السنّين يهجومونهم بالعصيّ والحجارة، فاشتبك الطرفان، وشاع الخبر في المدينة، فخرجت المدينة بقصّها وقضيضها تحمل العصي والحجارة والسلاح الأبيض متّجهين صوب حارة النخالة، ولم يكن في الحارة من النخلّيين إلّا شيوخ ونساء وأطفال وأكثر الشباب يقيمون في البساتين في ضواحي المدينة، حيث كانت ما تسمّى «بالقيلة» وهي من أبرز مظاهر الفرحة في الأعياد، والتقى الطرفان عند مدخل الحارة، والزحوف تزحف نحو حارة النخالة، فتدخلت الشرطة وحالت بين الطرفين، وأخذ الجنود يقتادون كلّ من يمسكون به من النخلّيين إلى السجون والمعتقلات، وبعد يومين أو ثلاثة استدعي العلماء ومشايخ القبائل والوجهاء، وأودعوا أيضاً في السجن، وبعد أسبوعين وصل إلى المدينة وزير الداخلة سموّ الأمير عبدالله الفيصل، وشكّلت لجنة من الأمانة اجتمعت بشيوخ النخلّيين في داخل السجن، وانتزعوا منهم اعترافاً بأنّ أبنائهم مشاغبون ومعتدون، وكتبوا بذلك محضراً وقّعه الجميع، وبعد أسبوع من ذلك قدم وزير الداخلية وأمر بإخراج الشباب والشيوخ في يوم الجمعة، وإيقافهم عند باب السلام للمسجد النبويّ الشريف، وبعد الفراغ من الصلاة جلد الشباب فقط، والشيوخ وجمهور الخارجين من المسجد يشاهدون ذلك، ثمّ ردّوا جميعاً إلى السجن، وبعد أيّام أُطلق سراحهم عدا ثلاثة من الشيوخ وهم: فضيلة الشيخ محمّد علي العمري، وعمدة الحارة الشيخ عابد محمّد الطيّلي، وشيخ قبيلة الأصابعة علي سلمي، وأحد الشباب واسمه بدر عبدالله الوتيشي، فسفّروا إلى مكّة لتنفيذ حكم الإعدام فيهم، ثمّ خفّف الحكم إلى الإبعاد والتغريب في جزيرة فرسان في البحر الأحمر على حدود اليمن^(١)، وقد توقّي اثنان في السجن، متأثران

(١) الحكم بالإعدام عرف في ما بعد من تصريح الشيخ عبد العزيز بن صالح رئيس المحكمة الشرعيّة بالمدينة، عندما أخبر بذلك الشيخ عابد، وكذلك نقل أحد المدرّسين الذين عبّثوا في قرية من قرى المدينة، نقلاً عن أمير تلك القرية الذي أخبره بذلك، عندما عرف أنّه من النخلّيين.

بجروح بليغة من شدة الضرب وهما: عبّاس أحمد شلش، وصالح محسن حريقة.^(١)

وممن تعرّض للاعتقال من العلماء وشيوخ القبائل والوجهاء والذين بلغ عددهم العشرين، وأمّا الذين تعرّضوا للجلد بالجريد الأخضر فيناhez عددهم أربعة وثلاثون ومدة السجن تسعة أيّام، وسجن الشيوخ في المنفى ثلاثة شهور، ومن الإجراءات التي ترتبت على هذه الانتفاضة - كما يسمّيها أهل الزمان - أن فتح شارعان في الحارة أحدهما يشقّها من الشمال إلى الجنوب، والآخر من الشرق إلى الغرب، ودفعت تعويضات للذين وقعت منازلهم في طريق الشارع الشمالي الجنوبي، ثم عدلت البلدية عن تنفيذ الشارع الآخر بعد أن هدموا بعض المنازل من جهة الغرب، ولم يعوّض أصحابها، وأعاد أهلها بناؤها على نفقتهم الخاصة واكتفت البلدية بهدم بعض المنازل، وجعلتها منافذ متعدّدة على الحارة، ودفعت تعويضات لأصحابها، ومنع الحرفيّون من ممارسة أعمالهم لمُدّة شهر أو أكثر، وبعد مرافعات ومراجعات سمح لهم بذلك، ومن مضاعفاتها أيضاً أن حرّموا من عضويّة هيئة الزراعة التي كان يتشكّل أعضاؤها بالانتخاب من قبل المزارعين فقط، وكان استحقاق النخليّين بموجب أمر سامي من المغفور له الملك عبد العزيز كما أخبرني بذلك بعض المزارعين، وقد شاهدت صورة عريضة مقدّمة من الملك سعود، فيها رقم وتاريخ الأمر السامي الذي يوجب لمزارعي النخالة العضويّة في هذه الهيئة؛ لأنّهم أكثرية المزارعين.

(١) «الجزيرة العربية» لناصر السعيد: ٣٠٢، و«الشيع في المملكة العربيّة السعوديّة» لحمزة الحسن:

المصادر

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، ط دار صادر بيروت.
- ٣- أجوبة المسائل المهنائية، للعلامة الحلّي حسن بن يوسف بن المطهر، والأسئلة للسيد مهنا بن سنان المدني، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠١هـ.
- ٤- أخبار الزينبات، للسيد يحيى بن حسن بن جعفر الحجة، بتقديم آية الله السيد شهاب الدين المرعشي، وبتحقيق: السيد محمد جواد المرعشي، ط قم، ١٤٠١هـ.
- ٥- الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري، بيروت، دار الفكر الحديث، ١٩٨٨م.
- ٦- اختيار معرفة الرجال، المعروف بـ «رجال الكشي»، للشيخ محمد بن حسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) ط الأولى، إيران، مشهد، آستان قدس رضوي، ١٣٤٨هـ ش، بتحقيق: حسن المصطفوي.
- ٧- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن نعمان البغدادي، ط مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث.
- ٨- إرهاف السيف الصقيل لمن أنكر فضل السادة آل عقيل، لأحمد بن عليّ الراجحي العقيلي.
- ٩- أسس القضاء والشهادة، للشيخ ميرزا جواد التبريزي.
- ١٠- أصول تاريخ العرب الإسلامي، لمحمد شراب.
- ١١- أعلام الحجاز، لمحمد عليّ المغربي.

- ١٢- إعلام الوري بأعلام الهدى، للشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي، ط الأولى، ١٤١٧هـ تحقيق وطبع: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم.
- ١٣- أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين العاملي.
- ١٤- الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري.
- ١٥- الإمام الحسين عليه السلام، لعبد الله العلّائي، دار مكتبة التريبة، بيروت، ١٩٧٢م.
- ١٦- الإمام الرضا عليه السلام ولي عهد المأمون، لعبد القادر أحمد يوسف.
- ١٧- الإمام زين العابدين عليه السلام، لأحمد فهمي محمد.
- ١٨- الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، للأستاذ أسد حيدر، ط الثانية.
- ١٩- الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة، لجورج جرداق المسيحي اللبناني.
- ٢٠- أمير المتابر، لصادق جعفر الروازق.
- ٢١- أوّل حكومة إسلاميّة في المدينة المنوّرة، للسيد محمد الحسيني الشيرازي.
- ٢٢- أهل الدار والإيمان، الشيعة في المدينة المنوّرة، لعبد الرحيم بن حسن الحربي المدني، ط الأولى، قم، مطبعة سيّد الشهداء، ١٤٢٢هـ ق.
- ٢٣- البحر الزخّار، للمولى مصطفى بن السيد حسن الحسيني الجنابي (ت ٩٩٩هـ).
- ٢٤- البقيع، للمهندس يوسف الهاجري، ط الأولى، بيروت، مؤسسة البقيع لإحياء التراث، ١٤١١هـ.
- ٢٥- بلوغ الأدب، للآلوسي، مطبعة الرحمانية بمصر.
- ٢٦- تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، لصائب عبد الحميد، ط الأولى، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٧هـ.
- ٢٧- تاريخ أمراء المدينة المنوّرة، لعارف أحمد عبد الغني.
- ٢٨- التاريخ الأمين لبلد سيّد المرسلين، لعبد العزيز بن صالح المدني، ط الأولى، قم، مطبعة الأمين، ١٤١٨هـ ق.
- ٢٩- تاريخ التشريع الإسلامي، للدكتور عبد الهادي الفضلي.

٣٠- تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد بن أحمد فريد.

٣١- التاريخ الشامل للمدينة المنورة، للدكتور عبد الباسط بدر، ثلاثة أجزاء، ط الأولى، الناشر: المؤلف، ١٤١٤هـ.

٣٢- تاريخ المدينة = نصيحة المشاور وتعزية المجاور، لأبي محمد عبدالله بن فرحون المالكي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، تحقيق: حسين محمد عليّ شكري.

٣٣- تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، لأحمد ياسين الخياري، ط الأولى، ١٤١٠هـ. نادي المدينة المنورة الأدبي.

٣٤- تاريخ مكة، لأحمد السباعي، جزءان، ط الثانية.

٣٥- تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي.

٣٦- تجاربي مع المنبر، للشيخ الدكتور أحمد الوائلي، دار الزهراء، بيروت.

٣٧- التجديد في الفكر الإسلامي، للشيخ شمس الدين.

٣٨- تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار عليهم السلام، لزامن بن شدم

الحسيني المدني (قرن ١١هـ)، ط الأولى، طهران، نشر آثار مكتوب، والمكتبة

التخصصية في تاريخ الإسلام وإيران، ٤ مجلد، ١٤٢٠هـ. بتحقيق كامل

سلمان الجبوري.

٣٩- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، لشمس الدين السخاوي، دار الكتب

العلمية، بيروت.

٤٠- تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدتين من الأنساب، لعبد الرحمن

الأنصاري، ط الأولى، تونس، المكتبة العتيقة، ١٩٧٠م، بتحقيق: محمد

العروسي المطوي.

٤١- تحقيق النضرة بتلخيص معالم دار الهجرة، لزين الدين أبي بكر المراغي، ط

الثانية، مؤسسة الأعلمي بيروت، ١٤٠١هـ.

- ٤٢- تذكرة الخواص، ليوسف بن فرغلي، سبط ابن الجوزي.
- ٤٣- التمدّن الإسلامي، لجرجي زيدان، دار الهلال.
- ٤٤- الثورة العربيّة الكبرى، لأمين سعيد.
- ٤٥- الجامع الصغير، لجلال الدّين السيوطي، ط: دار الكتب العلميّة - بيروت.
- ٤٦- الجزيرة العربيّة، لناصر السعيد.
- ٤٧- جلاء العيون، للسّيّد عبد الله شبر.
- ٤٨- الحسن بن عليّ عليه السلام دراسة وتحليل، لكامل سليمان.
- ٤٩- الحسين عليه السلام في موكب الخالدين، لمحسن عليّ المعلّم، ط الأولى، بيروت، شركة شمس المشرق، ١٤١٣هـ.
- ٥٠- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني.
- ٥١- حياة الإمام الحسن عليه السلام من كتاب أعلام الهداية، جمع من المؤلّفين، مجمع أهل البيت العالميّة، قم.
- ٥٢- حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، للشيخ باقر شريف القرشي.
- ٥٣- خمسون ومائة صحابي مختلق، للسّيّد مرتضى العسكري، دار الكتب، بيروت.
- ٥٤- الدّرة الثمينة في تاريخ المدينة، لابن النّجار، ط عيسى البابي الحلبي بمصر.
- ٥٥- الدّر المنثور، لجلال الدّين السيوطي، ط: مكتبة آية الله المرعشي، قم.
- ٥٦- دعائم الإسلام، لأبي حنيفة القاضي نعمان المغربي المصري.
- ٥٧- دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلاميّة، للدكتور محمّد باقر المقدسي.
- ٥٨- الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، للدكتور عبد العزيز محمّد الشناوي، جزءان، ط مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٩٢ و ١٩٨٦م.
- ٥٩- ديوان الأخطل، لغياث بن غوث الأخطل التغلبي.
- ٦٠- ديوان الفرزدق، لهمام بن غالب بن صعصعة (ت ١١٤ هـ) دار صادر، بيروت.
- ٦١- ذكريات العهود الثلاثة، لمحمّد حسين زيدان، الرياض، ١٤٠٨هـ.

- ٦٢- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للشيخ محمد محسن آقا بزرك الطهراني.
- ٦٣- الراعي والرعية، لتوفيق الفكيكي.
- ٦٤- رجال حول الملك عبد العزيز، للدكتور عبد الله بن سعيد بن أحمد أبو رأس.
- ٦٥- الرحلات الحجازية، لمحمد صادق باشا.
- ٦٦- رحلة ابن جبير، لمحمد بن أحمد بن جبير (ت ٦١٤هـ).
- ٦٧- سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية.
- ٦٨- سكان المدينة المنورة، لمحمد شوقي إبراهيم مكّي، ط الأولى، دار العلوم والحكم بالرياض، ١٤٠٥هـ.
- ٦٩- السيرة والتاريخ، اختاره حسن المجاهد.
- ٧٠- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، لخير الدين الزركلي.
- ٧١- شرح نهج البلاغة، لعزّ الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني (٥٨٦ - ٦٥٦ هـ) ط الثانية، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٥هـ.
- ٧٢- الشعر والغناء في المدينة ومكة، للدكتور شوقي ضيف.
- ٧٣- الشورى والبيعة ودورهما في انعقاد الإمامة الكبرى، لمصطفى قصير العاملي.
- ٧٤- الشيعة في المملكة العربية السعودية، لحمزة الحسن، مجلّدان، ط الأولى، مؤسسة البقيع، بيروت، ١٤١٣هـ.
- ٧٥- شيعة القطيف والأحساء، عراقه الماضي وتطلّعات المستقبل، لفوزي آل سيف.
- ٧٦- الطرق الحكميّة في السياسة الشرعيّة، لابن القيم الجوزية.
- ٧٧- طيبة وذكريات الأحبة، لأحمد أمين صالح مرشد، ط الأولى، دار البلاد جدة، ١٤١٣هـ.
- ٧٨- عقائد الشيعة، للشيخ محمد حسين المظفر.
- ٧٩- العقيليّون في المخلاف السليماني وتهامة، لأحمد بن عليّ الراجحي العقيلي.
- ٨٠- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لابن عنبه، جمال الدين أحمد الحسني.

٨١- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، للشيخ عبد الحسين الأميني.

٨٢- الفتنة الكبرى، قسم: عليّ وبنوه، وقسم: عثمان، لطف حسين.

٨٣- فصول من تاريخ المدينة المنورة، لعلّي حافظ، شركة المدينة للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ.

٨٤- فضائل المدينة المنورة، لخليل إبراهيم ملاً خاطر، ط: دار القبلة للثقافة الإسلامية (مؤسسة علوم القرآن)، بيروت.

٨٥- كامل الزيارات، للشيخ جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٧هـ) (ق) الأوفسيت عن طبعة النجف الأشرف، المطبعة المرتضوية، ١٣٥٦هـ بتحقيق: الشيخ عبد الحسين الأميني.

٨٦- الكامل في التاريخ، لابن الأثير الجزري.

٨٧- كشف الغمّة، لأبي الحسن عليّ بن عيسى الإربلي.

٨٨- كنز العمال، للعلامة الهندي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت.

٨٩- لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور.

٩٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

٩١- محمد شاطي وسحاب، لسليمان كّثاني.

٩٢- محمد عليّ وشبه الجزيرة العربية، ط الأولى، ١٩٨١م.

٩٣- المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي، لأحمد بن محمد صالح الحسيني البرادعي، ط الأولى، ١٣٩١هـ.

٩٤- المدينة المنورة في العصر المملوكي، لعبد الرحمن مديرس المديرس، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩٥- مذكرات تاريخية عن بعض أعلام قبيلة حرب، لفايز البدراني.

٩٦- مرآة جزيرة العرب، لأثيوب صبري باشا، ترجمة وتعليق: أحمد فؤاد متولي، والصفصافي أحمد المريسي.

- ٩٧- مروج الذهب، لأبي الحسن علي بن الحسين بن عليّ السعودي (ت ٣٤٦هـ).
- ٩٨- مستدرک ما فات أهل الدار، لعبد الرحيم بن حسن بن محمد الحربي، ط الأولى، قم، مطبعة سيّد الشهداء.
- ٩٩- مستدرک الوسائل، للشيخ ميرزا حسين النوري الطبرسي.
- ١٠٠- المستطابة في نسب سادات طابة، للسيّد بدر الدين حسن بن عليّ الشدقي، ط الأولى، مكتبة المرعشي بقم، ١٤٢٣هـ.
- ١٠١- المسند، لأحمد بن حنبل، ط: الثانية، دار الفكر- بيروت.
- ١٠٢- معالم دار الهجرة، ليوסף عبد الرزّاق، ط الثانية، المكتبة العلميّة بالمدينة المنورة، ١٤٠١هـ.
- ١٠٣- معجم قبائل المملكة العربيّة السعوديّة، لحمد الجاسر.
- ١٠٤- المغانم المطابة في معالم طابة، للفيروزآبادي، بتحقيق حمد الجاسر.
- ١٠٥- مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني.
- ١٠٦- مكّة والمدينة في الجاهليّة وعهد الرسول، لأحمد إبراهيم الشريف، ط: الثانية، دار الفكر العربي - دار وهدان - القاهرة.
- ١٠٧- ملامح من شخصيّة البلاد المقدّسة.
- ١٠٨- ملامح من الفكر الإداري عند الإمام عليّ عليه السلام، لحسن محمد الشيخ.
- ١٠٩- ملفّات السويس، لهيكل.
- ١١٠- من أجل بلدي، لصالح جمال.
- ١١١- من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي، لمحمد أديب غالب، دار اليمامة، ١٣٩٥.
- ١١٢- مناقب آل أبي طالب، لرشيد الدّين محمد بن عليّ بن شهر آشوب المازندراني.
- ١١٣- مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لأبي الحسن عليّ بن محمد الشافعي الشهير بابن المغازلي، ط الأولى، المكتبة الإسلاميّة بطهران.

١١٤- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، لجعفر الخليلي، ط الثانية، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

١١٥- نسب حرب، لعاتق بن قيس البلادي.

١١٦- نصيحة المشاور ← تاريخ المدينة المنورة.

١١٧- نهج البلاغة، للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، بتحقيق: صبحي الصالح.

١١٨- وسائل الشيعة، للشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي.

١١٩- وعاظ السلاطين، لعليّ الوردي.

١٢٠- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، لنور الدين عليّ بن عبد الله السمهودي، ط الرابعة،

دار إحياء التراث العربي، بيروت، بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

فهرس المطالب

خطباء المنبر الحسيني في المدينة المنورة

الإهداء..... ٨

تمهيد..... ٩

الباب الأول: الخطابة والخطيب ومواصفات كل منهما

الخطابة الحسينية..... ١١

الانطلاقة الأولى للخطابة الحسينية..... ١٢

الهيكل التراثي الموروث للمنبر الحسيني..... ١٤

كيفية تأليف المحاضرة..... ١٦

الباب الثاني: الأنشطة التي يمارسها الملالي بجانب التعزية

دعاء ختم القرآن (التخيمة)..... ٢٢

الخطوبة أو الشبكة..... ٢٦

التبيضة..... ٢٨

حلّال المشاكل..... ٢٩

الباب الثالث: الخطباء

١. إبراهيم بن أحمد حريقة..... ٣١

٢. إبراهيم بن عطية بن منسي بن عطية الفار..... ٣١

٣. إبراهيم بن ناصر ملائكة..... ٣٢

٤. الشيخ أحمد أبو قفارة..... ٣٢

٥. الشيخ أحمد بن حسن بن جابر الفار..... ٣٢

٦. أنور بن حسن بن محمد حسّون ٣٣
٧. الشيخ جمعة بن حامد الشامي الحديدي ٣٤
٨. الخطيب حامد بن درويش بن محسن بن محمد الدرويشي ٣٥
٩. حبيب بن حمزة بن محمد الهاجوج ٣٦
١٠. حسن بن خليفة بن حسن الدرويشي ٣٦
١١. حسن بن عباس بن حسين جادي الشريمي ٣٧
١٢. حسن بن عتيق بن فالح أبو وقيتين المعيرفي ٣٨
١٣. الشيخ حسن بن علي بن محسن بن محسن المحسيني ٣٨
١٤. الأستاذ حسن بن قاسم بن منصور الشريمي ٣٩
١٥. خديجة بنت محمد عيّط، أم عباس ٤٠
١٦. رضا بن ماطر بن حبيب بن حسن حربي ٤٢
١٧. زكي بن حمزة بن حسن الفلس ٤٢
١٨. الأستاذ زهير بن محمد بن أحمد النخلي ٤٣
١٩. الشيخ زين بن محسن حامد الزير ٤٣
٢٠. سالم بن عبدالعزيز بن حسن الصاوي ٤٤
٢١. سالم بن عبدالله بن سالم كاشيه ٤٥
٢٢. سعد بن محمد بن سالم الجرفي ٤٥
٢٣. الأستاذ سعود بن جعیدان بن رشيد بن سالم الشريمي ٤٦
٢٤. سليم بن سعيد بن جدوع المولد ٤٦
٢٥. الشيخ صالح حسون الشريمي ٤٨
٢٦. الشيخ صالح بن عباس بن حمزة لولو الشريقي ٤٩
٢٧. صالح بن عباس بن محمد بن عطية وائل ٤٩
٢٨. الشيخ صالح بن محمد صالح بن حسين بن إبراهيم جدعان الزبيدي ٥٠
- نشاطات السيّد محمد تقي آل أحمد الطالقاني ٥٣
٢٩. طاهر بن الشيخ عبدالمنعم بن محمد علي الهاجوج ٥٥
٣٠. الأستاذ طلال بن جعفر بن موسى غداف ٥٥
٣١. عابد بن عبدالله بن عيد حربي ٥٦
٣٢. عباس بن بنية بن سالم الجويدي ٥٧
٣٣. عباس بن علي إبراهيم بغيل ٥٩
٣٤. عبدالجواد بن عبدالله بن علي البغيل ٦٠
٣٥. عبدالحميد بن إبراهيم بن شحاد أبو عمير ٦٠
٣٦. عبدالحميد بن عطية بن عبدالحميد الجويد ٦٠
٣٧. الشيخ عبدالرحيم بن عقيل بن حسن الجرفي ٦٠
٣٨. عبدالله بن حسين بن عبدالرحيم الزويلي أو الزيلعي ٦١

٣٩. عبدالله بن حسين فحل
٤٠. عبدالله بن علي بن إبراهيم بغيل
٤١. الشيخ عبدالمطلوب الحمزاوي الوتشي
٤٢. الأستاذ عبدالمطلوب بن الشيخ عبدالمنعم بن الشيخ محمد بن علي الهاجوج
٤٣. الشيخ عبدالمنعم بن الشيخ محمد بن علي الهاجوج
٤٤. الشيخ عتيق السعدي الفار
٤٥. عطية بن حامد بن حمدان الفار
٤٦. علي بن أحمد بن عباس المعيرفي
٤٧. عيفة بن خليفة بن جعفر أبو عيفة
٤٨. فرج بن منصور بن محسن بن حامد الزير
٤٩. فهد بن طالب بن عباس القصير
٥٠. الأستاذ قاسم بن حسين بن رشيد الفار
٥١. الشيخ كاظم بن الشيخ محمد بن علي العمري
٥٢. الشيخ ماهر بن حامد بن علي مبارك الجويدي الزير
٥٣. الشيخ محسن بن حامد الزير
٥٤. الخطيب محسن بن محسن الأسود الشريمي
٥٥. محمد بن أحمد بن محمد الجبد الإصيصي
٥٦. محمد بن جعفر بن صالح حسون
٥٧. الشيخ محمد بن حسين بن محمد بن علي بن مبارك الزيلعي
٥٨. الخطيب الشيخ محمد بن سلمي بن عطية وائل
٥٩. محمد بن صالح بن موسى بنجي الإصيصي
٦٠. محمد بن صالح بن مصلح بن محسن النخلي
٦١. محمد بن عايد بن دخيل الحديدي
٦٢. محمد بن عبد الحميد بن محمد حكري
٦٣. محمد بن علي بن عباس الدريوشي
٦٤. مريم بنت منسي بن عايد الجدعان
٦٥. مساعد بن سعد بن صافي الزير
٦٦. الشيخ معيوف بن بنيان القصير
٦٧. منصور بن محسن بن حامد الزير
٦٨. موسى بن علي بن محمد كريف
٦٩. موسى بن مصطفى بن مسلم بن درويش
٧٠. مهدي بن علي بن ناشي الوتشي
٧١. الشيخ هاني بن عابد بن شحاذ بن عبدالحى الزير

قضاة المدينة المنورة من آل البيت عليهم السلام وأتباعهم

- الإهداء ٩٨
- المقدمة ٩٩
- معنى القضاء ١٠٢
- مواصفات القاضي ١٠٣
- حيثيات القضاء ١٠٤
- أشكال الحكم في القديم والحديث ١٠٧
- الطبقة الأولى من القضاة: النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ١١١
- النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ١١٢
- تأسيس النبي صلى الله عليه وآله للقضاء ١١٥
- نماذج من أحكام النبي صلى الله عليه وآله وقضائه ١١٥
- تأسيس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لفصل السلطات ١١٦
- الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ١١٨
- فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ١٢٠
- من قضاياه عليه السلام أيام النبي صلى الله عليه وآله ١٢٩
- مختصر من قضائه عليه السلام في إمارة أبي بكر ١٣٠
- من قضاياه عليه السلام في إمارة عمر بن الخطاب ١٣٣
- من قضاياه عليه السلام أيام عثمان ١٤٣
- من قضاياه عليه السلام في عهده ١٤٥
- ما ورد من أقضيته عليه السلام في كتاب ابن القيم ١٤٨
- تأسيس الإمام علي عليه السلام للقضاء ١٥٢
- تسريع استقلال القضاء وفصل السلطات عند الإمام عليه السلام ١٥٦
- الإصلاحات القضائية للإمام علي عليه السلام كما وردت على قلم جورج جرداق ١٥٦
- الإمام الحسن بن علي عليهما السلام ١٥٩
- نموذج من قضاء الإمام الحسن عليه السلام ١٦٠
- الإمام الحسين بن علي عليهما السلام ١٦٢
- نموذج من قضاء الإمام الحسين عليه السلام ١٦٥
- الإمام زين العابدين عليه السلام ١٦٦
- قصة ملك الروم ١٦٧
- الإمام محمد الباقر عليه السلام ١٦٨
- مدرسته عليه السلام ١٦٩
- الإمام الباقر عليه السلام وتعليمه لعبد الملك سك عملة جديدة ١٧٢
- الإمام جعفر الصادق عليه السلام ١٧٧

١٨٠	الإمام الكاظم عليه السلام
١٨٢	الإمام عليّ الرضا عليه السلام
١٨٣	نشاطه عليه السلام
١٨٤	الإمام محمد الجواد عليه السلام
١٨٥	نماذج من قضاء الإمام محمد بن عليّ الجواد بالمدينة
١٨٧	الإمام عليّ الهادي عليه السلام
١٨٨	فتوى الإمام الهادي عليه السلام
١٩٠	الإمام الحسن العسكري عليه السلام
١٩٢	الإمام المهدي (عجل الله فرجه)
١٩٥	الطبقة الثانية: وكلاء النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام
١٩٦	١ - حذيفة بن اليمان القطعي العباسي أبو عبد الله حليف بني عبد الأشهل
١٩٦	٢ - أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد الخزرجي البخاري
١٩٧	٣ - سهل بن حنيف
١٩٩	٤ - قثم بن العباس بن عبد المطلّب
٢٠٠	٥ - تمام بن العباس بن عبد المطلّب الهاشمي
٢٠١	٦ - تميم بن عبد عمرو أبو الحسن المازني
٢٠٢	٧ - سلمة بن دينار القاضي
٢٠٢	٨ - القاضي أبو الفرج النهرواني
٢٠٣	٩ - القاضي عيسى بن سعيد المدني
٢٠٥	الطبقة الثالثة: سلالة ابن أبي البركات صاحب صدقات النبي صلى الله عليه وآله
٢٠٦	القاضي يحيى البركات
٢٠٦	القاضي حسين بن يحيى الحربي
٢٠٦	القاضي محمد بن أبي البركات
٢٠٧	القاضي محمد المعمر
٢٠٧	القاضي أحمد بن محمد بن أحمد
٢٠٨	القاضي عبيد الله الأمير
٢٠٩	الطبقة الرابعة: سكّان الجوانية
٢١٠	أحمد القاضي
٢١٠	أبو العباس أحمد القاضي
٢١١	القاضي أبو العباس أحمد
٢١٣	الطبقة الخامسة: آل مهنا
٢١٤	القاضي عبد الوهاب بن سنان بن نميلة الوحادي المدني
٢١٥	القاضي سنان بن عبد الوهاب
٢٢٢	القاضي نجم الدين مهنا بن شمس الدين بن سنان

٢٢٨	كرامة وفضيلة للقاضي مهتاً بن سنان
٢٣٠	القاضي علي بن سنان
٢٣١	القاضي حسن بن علي بن سنان
٢٣١	القاضي هاشم بن علي
٢٣٢	القاضي قاسم بن سنان بن عبد الوهاب
٢٣٣	القاضي عيسى بن سنان
٢٣٣	القاضي الطفيل
٢٣٤	القاضي كتيلة بن الحسين بن زيد الشهيد

٢٣٥	الطبقة السادسة: أشرف بني حسين
٢٣٦	القاضي محمد شمس الدين
٢٣٦	القاضي أبو تراب محمد
٢٣٦	القاضي أبو عبد الله الحسين
٢٣٧	القاضي شرف الدين بن إسحاق
٢٣٧	قاضي القضاة إسماعيل
٢٣٧	القاضي إبراهيم بن عبد الوهاب
٢٣٧	القاضي محمد بن إبراهيم
٢٣٧	القاضي نميلة بن محمد
٢٣٨	القاضي فخر الدين عيسى بن هاشم
٢٣٨	القاضي يعقوب بن هاشم
٢٣٨	القاضي نجم الدين يوسف بن هاشم

٢٣٩	الطبقة السابعة: قضاة من أقطار إسلامية والمدينة
٢٤٠	القاضي علي بن نعمان الإمامي
٢٤١	علي بن يوسف بن عزيز المدني الإمامي
٢٤١	يوسف الشرشير
٢٤٢	كلّ فقيه مفتي وقاضٍ
٢٤٣	حول المرجعية
٢٤٤	المرجعية ودورها في إنعاش وظيفة القضاء بالمدينة

٢٤٧	الطبقة الثامنة: القضاة العرفية
٢٤٨	القضاء العرفي
٢٥٠	قضاة العرفية من الأشراف
٢٥١	هل القضاء أبطال قوميون أو نفعيون مصلحيون

المدينة المستهدفة

٢٥٤	الإهداء
٢٥٥	تمهيد

الباب الأول: المدينة المنورة قديماً وحديثاً

٢٦٠	العوالي
٢٦١	جبل أحد
٢٦٢	أسماء المدينة المنورة
٢٦٣	تمصير المدينة وسكانها
٢٦٤	الأوس والخزرج سكان المدينة
٢٦٥	الأسطورة
٢٦٧	مميّزات المدينة في الجاهليّة والإسلام
٢٦٨	من فضائل المدينة في الإسلام
٢٧٠	فضائل أهل المدينة في الجاهليّة
٢٧١	فضائل أهل المدينة في الإسلام

الباب الثاني: المدينة المستهدفة

٢٧٥	المدينة المستهدفة في عصر الخلفاء
٢٧٦	المدينة في العصر الأموي
٢٧٩	الانحراف الأموي في المجال الاقتصادي
٢٨٠	استهداف العثمانيين للمدينة
٢٨١	استهداف المدينة في العصر الحديث
٢٨٤	المدينة في عهد الملك فهد
٢٨٤	تطوير المنطقة المركزيّة
٢٨٥	المدينة الصامدة
٢٨٦	الانحراف السياسي عند الأمويين
٢٨٨	العصيّة القبليّة
٢٨٩	انتشار الظلم وفقدان الأمن

- ٢٩٣ موقف آخر مخزي لعبد الملك من أهل المدينة.
- ٢٩٥ المدينة في إمارة عثمان بن حيان.
- ٢٩٦ المدينة في إمارة إبراهيم بن هشام
- ٢٩٦ المدينة في إمارة خالد بن عبد الملك بن الحارث
- ٢٩٦ إمارة الوليد بن عتبة على المدينة.
- ٢٩٧ الانحراف الأخلاقي في النظام الأموي
- ٣٠٠ من العقيق إلى الريفرة الفرنسية
- ٣٠٣ المدينة في عصر أبي العباس السفاح
- ٣٠٤ صعود المدينة في أيام المنصور.
- ٣٠٧ تنكيل المنصور بالسادة العلويين
- ٣٠٨ بغا الكبير
- ٣٠٨ معاناة أهل المدينة من رياح المري، وخاصةً العلويين أيام المنصور.
- ٣١١ قهر المدنيّين أيام المهدي
- ٣١٣ المدينة والطلولوتون
- ٣١٣ المدينة المنورة والدولة الأخشيديّة
- ٣١٣ المدينة المنورة في عهد الفاطميّين
- ٣١٤ المدينة المنورة في عهد الأيوبيّين
- ٣١٧ المماليك في الحجاز
- ٣٢٠ نشأة المذاهب الإسلاميّة
- ٣٢١ تبجّح ابن فرحون
- ٣٢٢ التسلّط والقهر
- ٣٢٥ دور الأتراك العثمانيّين
- ٣٢٥ أغوات الحرم
- ٣٢٦ نكبة بني علي عام ١١١١ هجريّة
- ٣٣٠ يوم من أيام بني عليّ
- ٣٣١ لابدّ من صنعاء وإن طال السفر
- ٣٣٢ حسن القلعي
- ٣٣٤ سعود الكبير وحصار المدينة.
- ٣٣٦ مجزرة أوزون علي باشا
- ٣٣٧ علي بن سمير العلوي سنة ١٣٢٤ هجري
- ٣٣٩ رياح الثورة العربيّة الكبرى تهبّ على ربوع الحجاز
- ٣٣٩ إرباك وفوضى لإيجاد جيل جديد للنظام الجديد

٣٤٢	صمود المدينة في عهد الأشراف
٣٤٤	صمود المدينة في الدورة الثالثة للسعوديين
٣٤٤	فيصل الدويش
٣٤٦	الهجمة البربرية للدويش على العوالي هزّت الضمير العالمي
٣٤٩	معركة السبلة
٣٥٠	عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم
٣٥٣	اجتماع الصالون
٣٥٥	مساعدة السديري ميتة سوء
٣٥٦	الحكم على شابّ بالإعدام بعد إدانته بالردة
٣٥٧	المدينة الثائرة
٣٥٧	الثورة على عثمان
٣٦٢	استنجاده بالأمصار
٣٦٢	يوم الدار
٣٦٤	تمرد الناكثين
٣٦٤	جيش من المدينة لحرب ابن الزبير
٣٦٤	الإعداد لثورة الإمام الحسن عليه السلام
٣٦٦	ثورة الإمام الحسين عليه السلام
٣٦٧	تفاصيل ثورة الإمام الحسين عليه السلام
٣٧٤	واقعة الحرّة
٣٧٦	عدولهم عن زين العابدين عليه السلام
٣٧٧	علم الإمام عليه السلام بما سيقع، وحماية شيعته
٣٨٠	الأكذوبة الظالمة و أدلة الردّ عليها
٣٩٠	ثورة ذي النفس الزكية
٣٩٤	ثورة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن أبي طالب
٣٩٥	مجيئ الأتراك
٣٩٦	ثورة العوالي
٣٩٧	ثورة الجنود غير النظاميين
٣٩٧	الثورة العربية الكبرى
٤٠٠	الغدر والخيانة ليست من شيم الأشراف
٤٠٢	غدر و وفاء
٤٠٣	التعاطف مع الثورة
٤٠٥	المدينة ثكنة عسكرية تركية

- ٤٠٨ العوالي رمز الانتصارات الإسلامية
- ٤٠٨ أثر العوالي في بيعتي العقبة الأولى والثانية
- ٤٠٩ دور العوالي في انتصارات غزوة بدر الكبرى
- ٤١٠ العوالي وغزوة أحد
- ٤١٠ العوالي وانتصارات الثورة العربية الكبرى
- ٤١٠ وصول فخري باشا إلى المدينة
- ٤١١ انتفاضة الشيعة عام ١٣٤٦ هجري
- ٤١٢ فتنة عيد الفطر



